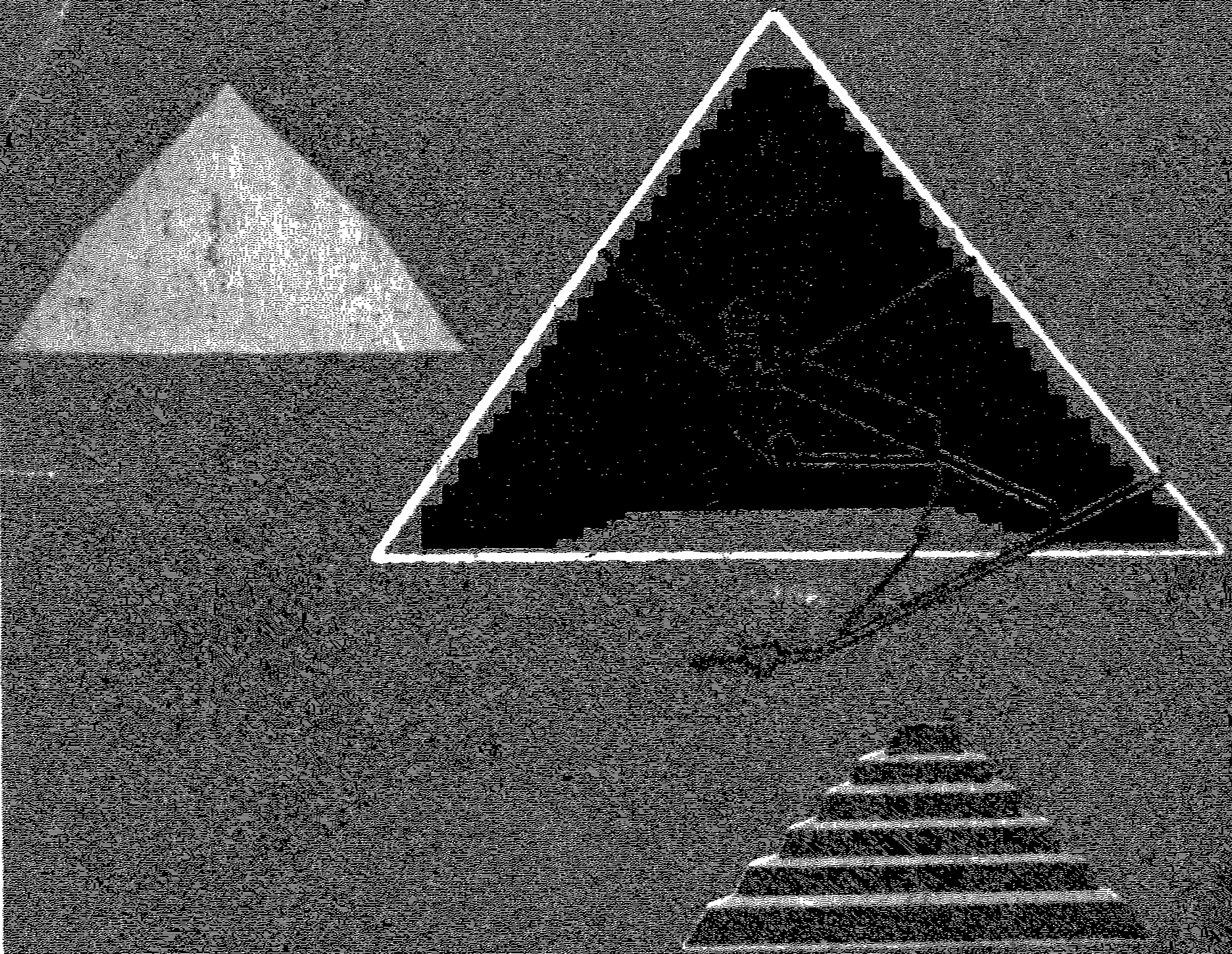
الأهرامات المصرية



تأليف : الدكتور أحمد فخري
ترجمة : الدكتور أحمد فخري

الأهرامات المصرية

نشر هــذا الكتــاب بالاشتراك
مــع
مؤســسة فرانكلين للطباعة والنشر
القــاهرة ــ نيويورك
أكتوبر سنة ١٩٦٣

الأهرامات المصرية

تأليف

الدكتور أحمد فخري

ترجمة

الدكتور أحمد فخري

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

المشتركون فى هذا الكتاب

المؤلف والمترجم : الدكتور أحمد فخرى

أستاذ تاريخ مصر الفرعونية والشرق القديم بكلية الآداب جامعة القاهرة . ولد عام ١٩٠٥ ، وتخرج فى قسم الآثار بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٢٨ ، وأتم تعليمه العالى فى بلچيكا وإنجلترا وألمانيا .

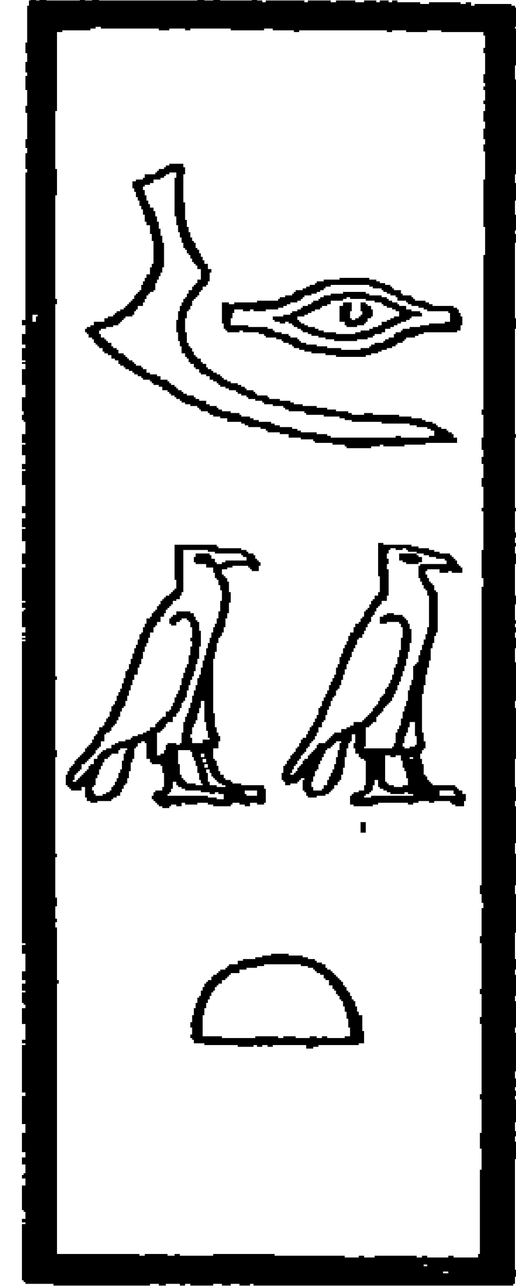
عمل فى مصلحة الآثار المصرية منذ عودته من البعثة عام ١٩٣٢ ، وقام بحفائر كثيرة فى مختلف المناطق الأثرية ؛ من أهمها حفائره فى الواحات المصرية وفى مناطق الأهرام ، وبخاصة فى منطقة دهشور. ويشغل الدكتور فخرى كرسى الأستاذية فى جامعة القاهرة منذ عام ١٩٥٢ .

زار كثيرا من بلاد العالم ، ودعى كأستاذ زائر فى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وفى الصين الشعبية وأوروبا ، وقام بزيارة أكثر المناطق الأثرية فى بلاد الشرق وبخاصة فى بلاد اليمن ، وهو عضو فى كثير من الجمعيات العلمية فى الجمهورية العربية المتحدة وفى الخارج .

صدر له حتى الآن تسعة عشر كتابا باللغات الأوروبية وثمانية كتب باللغة العربية فى تاريخ مصر وآثارها وآثار بلاد الشرق المختلفة . وله أيضا أكثر من سبعين بحثا علميا منشورة فى المجلات العلمية الكبيرة ، كما قام أيضا بترجمة عدد من الكتب ، منها كتابا « الحضارة المصرية » و« شجرة الحضارة » اللذان نشرتهما هذه المؤسسة .

مصمم الغلاف : أمين لبيب

بكالوريوس الفنون الجميلة (قسم الفنون الزخرفية) — حاصل على جائزة الإعلان والدعاية لمؤتمر الشباب الأفريقي الأسيوي . اشترك ببعض التصميمات في معرض للجمهورية العربية في روما سنتي ١٩٥٩ ، ٦١ ١٩ — صمم عدة أغلفة لكتب المؤسسة .



محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

بيان الرسوم والأشكال

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تصدير

بقلم

حسن جلال العروسي

هذا كتاب ليس كغيره من الكتب . وإنى لأشعر بسعادة خاصة ، وبفخر عميق أن أتيح لى شرف التنويه به وبمؤلفه وبمترجمه . فلقد أثارت الأهرام خيال الناس عدة قرون ودفعتهم إلى التنافس فى الوقوف على أسرارها ، وأمكن الوصول إلى كشف جانب من هذه الأسرار بفضل الجهود المشكورة التى يبذلها العلماء ، لمحاولة الوصول إلى خفايا هذه الأبنية الشامخة ، التى يكتنفها الغموض ، ويثير حولها مختلف التكهنات .

لقد اكتشف فى مصر حتى الآن نحو سبعين هرما ، ومن الصعب تقدير عدد الأهرام التى يمكن أن تكون مدفونة تحت الرمال لم تصل إليها أيدى الباحثين بعد . وهذا الكتاب لا يتناول أهرام الجيزة فحسب ، وإنما يعالج الأهرامات جميعها ، ما يوجد منها فى جبانة منف ، وأبى رواش ، وزاوية العريان ، وأبى صير ، وغير ذلك من المناطق الأثرية الشهيرة . وهو يعالجها معالجة دراية خبيرة ، تقدمها إلى القراء لا باعتبارها مجرد مبان شاهقة ، عزت على الزمن ، تمثل فنا هندسيا قديما ، ضاربا فى القدم ، وإنما تقدم كذلك الفكرة التى تكمن وراءها ، والفلسفة التى تظاهرها فى وضوح رائع ، دون إطالة تبعث السآمة والملل فى نفس القارئ غير المتخصص ، ودون تورط فى معالجة موضوعات دينية خلافية تحيد بالكتاب عن الغرض الأصلى من تأليفه .

هذا عن الكتاب ، أما عن الدكتور أحمد فخرى ، صاحب الرسالتين ، رسالة التأليف بالإنجليزية ، ورسالة النقل إلى العربية ، فما أحسبه فى حاجة إلى تقديم لقراء العربية ، وكلهم إما صديق أو تلميذ أو معجب ، وإن كان القارئ سيجد مع ذلك تعريفا سريعا به فى صفحة المشتركين فى هذا الكتاب . وإذا كان له بهذه المثابة فضل على قراء العربية والإنجليزية فى آن واحد ، فإن له إلى جانب هذين الفضلين فضلا ثالثا ، لا يقل ، وقد يزيد ، ذلك هو إسهامه الجاد المثمر فى تعريف أمريكا بأمجادنا وحضارتنا القديمة الباقية المتجددة ، بما أسهم به من التعريف بمعارض الآثار الفرعونية التى جابت أمريكا من أقصاها إلى أقصاها ، بالإضافة إلى توفيقه فى تأليف الكتاب بالإنجليزية ، ونشره فى العالم كله .

ولقد كان الظن ألا يقبل على قراءة مثل هذا الكتاب فى طبعته الإنجليزية إلا القلة القليلة من الطلاب والمتخصصين . فإذا بالطبعة الأولى منه تنفد فور صدورها ، وإذا بالطبعة الثانية تصدر لتثلج صدورنا ، ولتطمئننا إلى أننا قد سرنا شوطا بعيدا فى التعريف بقضيتنا العادلة ، ولفت أنظار الناس فى جميع أنحاء العالم إلى الحضارة المصرية القديمة التى لا عجب أن تفسر النهضة الشاملة التى تشهدها بلادنا اليوم .

وإنى لعلى يقين من أن هذا الكتاب سوف يترجم إلى عدد لا حصر له من اللغات ، وسيكون المرجع الأول لكل من تجذبه آثارنا الخالدة ، وعلى رأسها الأهرام ، فيزور بلادنا ، ويجد أن دليله فى هذه الزيارة ليس مجرد مرشد سياحى ، أو ترجمان ، وإنما عالم متخصص من الطراز الأول . زد على هذا تمكن المؤلف من اللغة الإنجليزية تمكناً لا يقل كثيراً عن تمكنه من اللغة العربية ، بالإضافة إلى تخيره لفصول الكتاب وللمستوى الذى أراد به أن يتحدث إلى قرائه ، لا حديث الأستاذ المدرس فحسب ، وإنما حديث الصديق العالم المتبسط كذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم

الدكتور أحمد فخري

بسم الله ، والحمد لله ، وبعد : فلكل كتاب قصة ، وها هي قصة هذا الكتاب :

فى عام ١٩٥٤ ، أثناء زيارة لى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، اتصلت بى إحدى دور النشر الكبيرة فى « بوسطن » لأكتب كتابا يدور حول تاريخ الأهرامات المصرية ، فقبلت عن طيب خاطر ، وقدمت الأصول فى عام ١٩٥٦ ، ولكن دار النشر كانت تتوقع كتابا من نوع آخر ، كتاباً مملوءا بالقصص المثيرة ، والحوادث ، ولكنه لا يتعمق فى وصف الآثار نفسها أو يميل إلى الناحية العلمية . ولهذا استقر رأيهم ورأيي على أن تقوم إحدى دور النشر الأخرى التى تعنى بنشر المؤلفات الأثرية الرصينة بهذا العمل . ورحبت به كل الترحيب مطبعة جامعة شيكاجو بعد أن قامت بفحصه ، وتلقت تقريرات عدة ممن عهدت إليهم بقراءته من علماء الآثار المصرية المتخصصين هناك ، وممن يمثلون المثقفين بوجه عام ، وممن يمثلون من يسمونهم رجل الشارع . وشرعت مطبعة جامعة شيكاجو فى إعداده للنشر فى عام ١٩٥٨ ، وظهرت الطبعة الأولى منه فى عام ١٩٦١ .

وفى مراسلاتى مع دار النشر قلت لهم بصراحة إن مثل هذا الكتاب ،

ذى الطابع العلمى ، لن يكون من الكتب التى تسهل قراءتها ، ويجب ألا يتوقعوا أن يعاد طبعه قبل عشر سنوات على الأقل . ولكن لم تمض خمسة أشهر على ظهوره حتى كتبت لى دار النشر مهنئة وتطلب منى البدء فى إعداد ما أريد إضافته أو تعديله لأنهم يتوقعون إعادة طبعه بعد شهور قليلة ؛ إذ تلقاه القراء الأمريكيون والأوربيون لقاء كريما ، وكان رأى النقاد فيه أكثر مما كنت أتوقعه ، بل ورأت بعض دور النشر فى خارج الولايات المتحدة أن تترجمه إلى لغات أخرى غير اللغة الإنجليزية ، ومن بينها الألمانية والإسپانية .

وفى هذا الوقت أيضاً اتصل بى صديقى الأستاذ حسن جلال العروسى المستشار العام لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهرة لمعرفة رأيى فى ترجمته إلى اللغة العربية ، وقد ترددت كثيراً فى قبول الفكرة ؛ إذ كنت أرجو أن أكتب كتابا جديداً عن هذا الموضوع باللغة العربية لأن هذا واجب فى عنقى ولكنى خشيت أن تمضى السنوات قبل أن أنتهى من مثل هذا العمل لاشتغالى بأعمال أخرى . وأخيراً قبلت فكرة ترجمته ، كما قبلت أيضا أن أقوم بهذا العمل بنفسى حتى أحافظ على أسلوبه ومعانيه ، وأعترف للقارئ الكريم بأن الوقت الذى قضيته فى الترجمة لم يقل عن الوقت الذى قضيته فى كتابة الأصل الإنجليزى ، بل ربما زاد عليه .

وظهرت الطبعة الثانية فى عام ١٩٦٢ ، وفيها تعديلات قليلة وبعض الإضافات والخرائط ، ولهذا فإن الترجمة العربية إنما هى للطبعة الثانية من الكتاب ، وزدت عليها الكثير من التعليقات الخاصة دون أى مساس أو تغيير فى الأصل الإنجليزى .

وقبل أن أختم هذه المقدمة أحب أن أضيف بضع كلمات : ليس هذا الكتاب عن الأهرامات هو أول الكتب التى تناولت هذا الموضوع بوجه عام وفى أسلوب مبسط ، بل سبقته كتب كثيرة لعلماء أفاضل فى لغات أوربية

مختلفة ولكنى تناولت الموضوع من زاوية خاصة ، وهى أن يكون سردا تاريخيا مع تفادى التفصيل فى الموضوعات الدينية ، وأن يصلح فى الوقت ذاته ليكون دليلا لمن يزور مناطق الأهرامات ويقف أمام واحد منها ويريد معرفة تاريخه ووصفه بإيجاز ، وأرجو أن أكون قد أصبت بعض التوفيق فى هذه المحاولة .

وليس هناك من هو أكثر منى إدراكا بأن من حق القارئ العربى أن يعرف عن آثار بلاده بوجه عام ، وعن موضوع الأهرامات المصرية بوجه خاص ، معلومات أوفى وأكثر ، وإنى لأرجوه أن يتقبل منى هذا الجهد الضئيل ، وكلى أمل أن أتمكن ، ويتمكن غيرى من الزملاء ، من تحقيق رغبته فى المستقبل القريب ، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

القاهرة { فى يوم ٢١ من رمضان سنة ١٣٨٢
الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٦٣ }

أحمد فخرى



١
مقدمة

إذا سألت أى رحالة ممن يجوبون أرجاء العالم : أىّ المبانى الأثرية تركت فى نفسه أعمق الأثر ؟ فمن المرجح جداً أن تكون إجابته : « أهرام الجيزة » ، فإذا ما استفسرت عن السبب سمعت تعليلات شتى ؛ فربما كان حجمها الضخم هو سبب إعجاب أحد الزوار ، وإتقان عمارتها سبب إعجاب الآخر ، وربما كان عمرها الذى بلغ آلاف السنين هو ما أثار إعجاب الثالث ، وجمالها الفنى وحسن موقعها هو ما أثر فى نفس الرابع ، وتاريخها وما مرّ بها من أحداث هو الذى استأثر بإعجاب الخامس .

وكثيرا ما عشت بين حين وآخر فى « استراحات » مصلحة الآثار ومنازلها المخصصة لأعمال الحفائر فى مناطق الأهرام ، وسكنت منذ عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٥٤ فى منزل بين مقابر أهرام الجيزة على مسافة لا تزيد عن ربع كيلومتر غربى الهرم الأكبر الذى شيده الملك خوفو ، ولست أستطيع أن أقول إلا أن جمالها الأخاذ الذى يبعث على التفكير لا يقف عند حد ؛ ففى الليالى الحالكة التى يغيب فيها القمر كنت أحس بأن هذه الكتل الكبيرة السوداء اللون المثلثة الشكل تملأ الفضاء ، وتربط ما بين الأرض والسماء :

وطالما لاحظت أن زائرى المنطقة يكثرون من الصخب والمرح إذا كانوا فى وضح النهار ، أما فى ساعات الليل فإن شاعرية المكان والإحساس بقدم تاريخ تلك الآثار تحيل الزائر المرح إلى معجب هادئ رزين ؟

وإذا ما جاء ذكر أهرام مصر فإن هرم خوفو — هرم الجيزة الأكبر — يتبادر إلى الذهن قبل أى هرم آخر ، ولكن زائرى الآثار يرون كثيرا من الأهرام على حافة الهضبة الواقعة إلى الغرب من مدينة القاهرة ، كما يوجد كثير غيرها فى مناطق أخرى فى البلاد ، بل ونرى بعضها فى السودان إلى الجنوب من مصر . ويبلغ مجموع ما فى مصر من أهرام أكثر من سبعين هرما نعرف أماكنها ، ويصعب على أى إنسان أن يذكر تقديرا صحيحاً لما عساه أن يكون ما يزال مدفونا منها تحت رمال الصحراء .

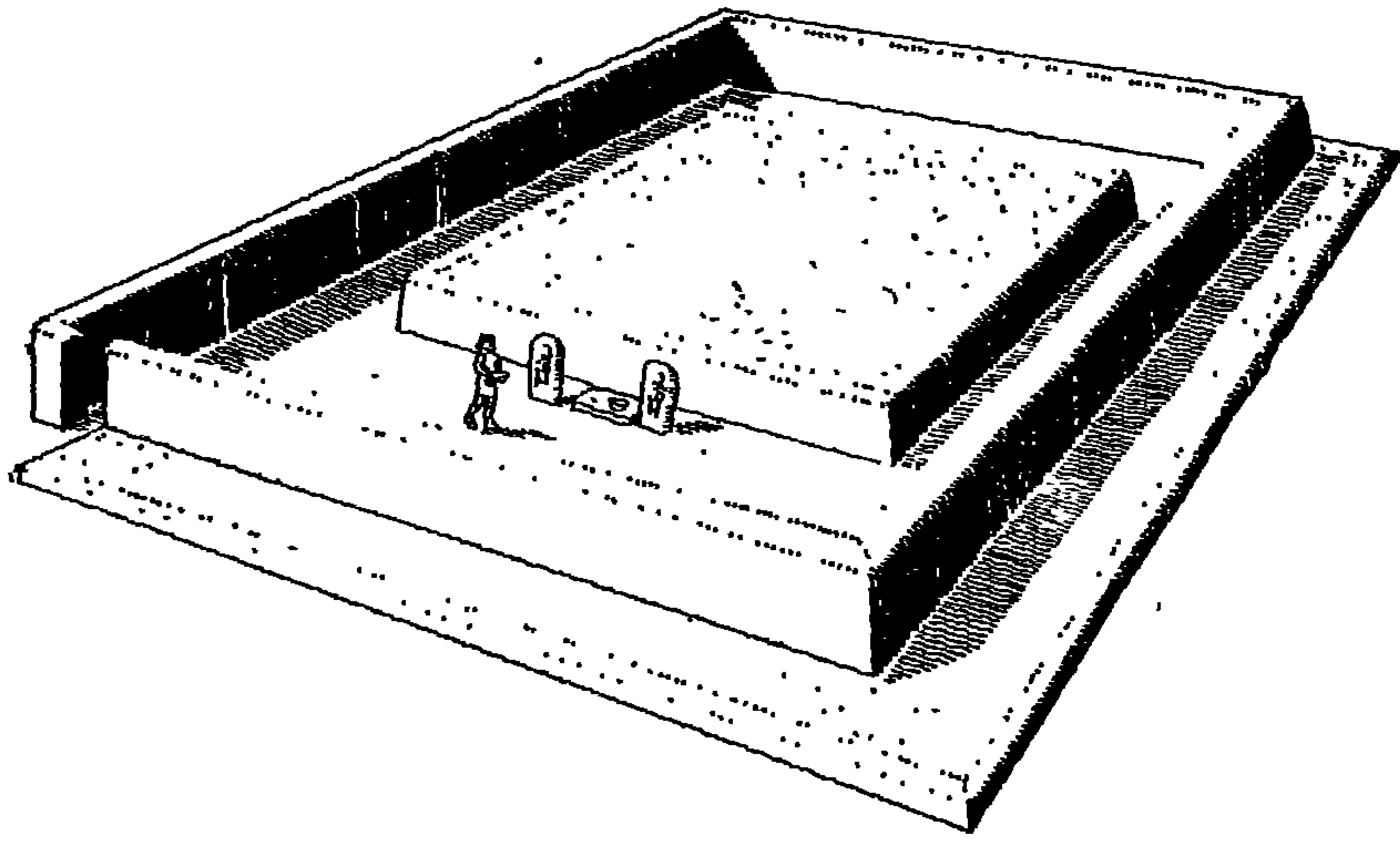
ويمكننا أن نقسم الأهرامات إلى عدة مجموعات حسب مواقعها الجغرافية من الشمال إلى الجنوب . فلدينا عشر مجموعات من الأهرامات فى جبانة منف ، أقصاها فى الشمال مجموعة أهرام أبو رواش ، حيث بنى « رع — ددف » ، ابن خوفو وخليفته على العرش ، هرمه الذى دفن فيه . وكان يوجد فى تلك المنطقة هرم آخر لا يعرف اسم صاحبه على وجه التحقيق ما زالت بعض بقاياه ظاهرة فوق سطح الأرض حتى الآن . وكان هناك ، على ما يظهر ، هرم آخر شمالى مجموعة أبو رواش ، كان ذلك الهرم منطقة أتريبس (تل أتريب) على مقربة من مدينة بنها فى جنوبى الدلتا ؛ إذ رأى علماء الحملة الفرنسية فى عام ١٨٠٠ هرما مشيدا من اللبن « الطوب النيئ » هناك ولكن الجزء الذى كان ظاهرا منه فوق سطح الأرض قد زال الآن ولم يعد له أثر فى أيامنا هذه . وقد استطاعت إحدى البعثات الأثرية

(١) *Description de l'Egypte, Vol. V, Plate* 271
وارجع أيضا A. ROWE, *in Annales du Service*, XXXVIII, 524

فى عام ١٩٣٨ تحديد موقعه ، ولكننا لا نجد شيئاً فى ذلك المكان غير كومة صغيرة من الطوب لا يمكن أن توحى لرائيها بشكل هرمى ، أو يستطيع الباحث تحديد عصرها إذا قام بفحصها . ويلى مجمـوعة أهرام أبو رواش ، وإلى الجنوب منها ، مجموعة أخرى فيها هرم الجيزة الأكبر وتسعة أهرام أخر . وهناك مجموعة ثالثة على مسافة تقرب من خمسة كيلو مترات جنوبى مجموعة الجيزة ؛ وهى مجموعة « زاوية العريان » وبعد أقل من خمسة كيلومترات أخرى نصل إلى رابع المجموعات وهى مجموعة أهرام أبو صير . فإذا ما تقدمنا متجهين جنوباً بعد أبو صير فإننا نصل بعد قليل إلى جبانة سقارة المترامية الأطراف ، وفيها مجموعتان : إحداهما مجموعة أهرام سقارة البحرية ، والأخرى مجموعة أهرام سقارة القبلية . ثم تليهما المجموعة السابعة وهى مجموعة أهرام « دهشور » حيث نجد فيها هرمى سنفرو وعدداً من أهرام الدولة الوسطى . أما ثامن المجموعات فهى مجموعة أهرام « مزغونة » تليها مجموعة « اللشت » والعاشرة هى مجموعة « ميدوم » ، وهى آخر المجموعات الهرمية فى جبانة منف : ولكن هناك أهراماً أخرى ، منها بعض أهرام الأسرة الثانية عشرة فى محافظة الفيوم ، وبعض أهرام متفرقة فى الصعيد لم يتم بحثها العلمى حتى الآن ، وما زال تاريخ تشييدها غير معروف على وجه التحقيق . وتوجد فى شمالى السودان أهرام كثيرة ؛ وهى الأهرام التى اصطلح علماء الدراسات المصرية على تسميتها بالأهرام الأثيوبية أو الأهرام الكوشية .

شيد المصريون القدماء أهراماتهم لتكون مقابر للملوك دون سواهم ، ولكن هذا الحق أصبح فيما بعد ، أى بعد فترة من بداية الفكرة ، سارياً على الملكات أيضاً . ونرى أولى المحاولات لتشييد القبر الملكى فى صورة هرمية الشكل فى الهرم المدرج بسقارة الذى يرجع تاريخ تشييده إلى حوالى عام ٢٧٨٠ قبل مولد المسيح ، ولكن أول هرم حقيقى هو الذى شيده المصريون فى عهد الملك « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة بعد مائة عام تقريباً . وبعبارة أخرى

فإن هرم الجيزة الأكبر ليس أقدم الأهرام فى مصر ؛ فعندما كانوا يفكرون فى بنائه قبل أكثر من ٤٦٠٠ سنة كانت هناك أهرام أخرى مشيدة على مقربة منه ، وكان المعماريون العظام الذين قاموا بتشييده قد أتموا تدريبهم ومرانهم فى أهرام أبيه الملك سنفرو التى شيدها على مسافة تقل عن ثلاثة وعشرين كيلو متراً جنوبى المكان الذى اختاروه لتشييد هرم الملك الجديد .



(شكل رقم ١) مصطبة ملكية نموذجية من العصر العتيق (الأسرتين الأولى والثانية)
— رسم تخيلى لمصطبة الملكة « مر — نيث » (نقلا عن RICKE, *Bemerkungen, II, 17*)

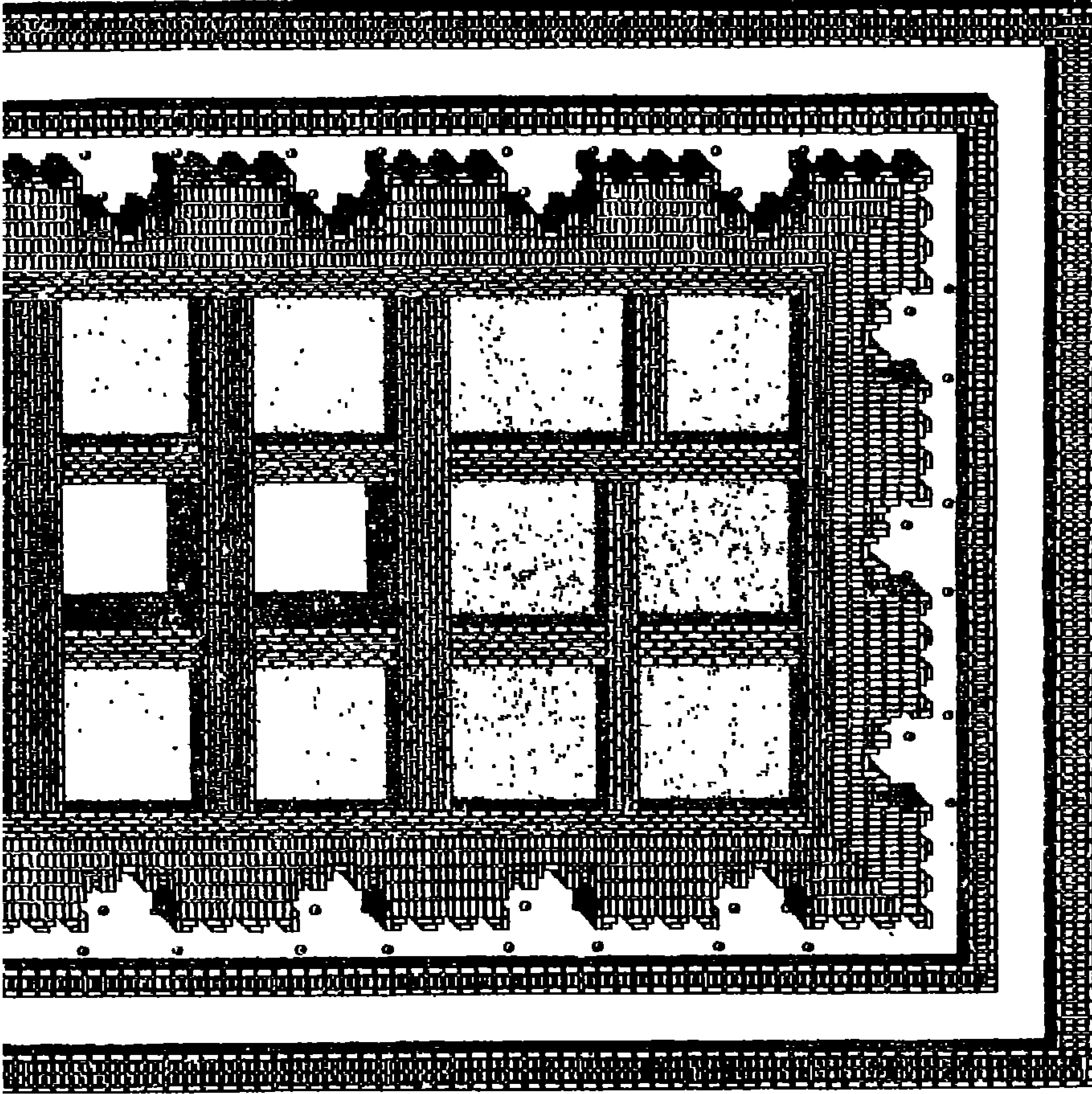
لم تكن فكرة تشييد المقبرة فى شكل هرمى إلا نتيجة قرون عدة من التطور والتجربة ، ولهذا فإن دراسة أقدم المقابر الملكية فى مصر أمر ذو أهمية قصوى لنا ؛ لأننا نستطيع من دراستها الوقوف على مدى تطور العمارة الجنازية فى الأيام السابقة على تشييد الأهرام .

لقد عُثر على أقدم مقابر ملوك مصر فى منطقة أبيدوس فى الوجه القبلى على مسافة ٥٧٠ كيلو متراً جنوبى القاهرة . كانت أبيدوس هى الجبانة الملكية

لعاصمة الصعيد التى كانت تسمى « ثيس »(*)، وقد بدأ تشييد المقابر فيها حوالى عام ٣٢٠٠ ق . م . ولكن فى ذلك الوقت ذاته — أى منذ الأسرة الأولى — بدأ استخدام جبانة سقارة ؛ إذ بدأ تشييد مقابر فى ذلك العهد على الهضبة الغربية للعاصمة الشمالية التى أصبحت تسمى « منف » فيما بعد ؛ ومن أعقد المعضلات التى تحير علماء الدراسات المصرية القديمة وجود مقبرتين لملك واحد ؛ إحداهما فى جنوبى مصر ، فى أبيدوس ، والأخرى فى شمالها فى سقارة . وليس من المعقول أو المقبول أن نفترض أن تقطع أوصال الملك فيدفنوه فى قبرين ، بل كان يدفن سليما فى قبر واحد ، ولهذا فإن خير حل نفترضه لهذه المشكلة أن يكون قبر أبيدوس ضريحاً جنازياً فقط توضع فيه الجثة بعض الوقت ثم تنقل منه بعد ذلك ويبقى فارغاً ، اللهم إلا من بعض الأوانى والأدوات الجنازية ، ويصبح القبر الآخر — أى مقبرة الشمال — هى مقره الأبدى .

لقد عثر الأثريون على مقابر ملكية فى كل من هاتين المنطقتين ، وبالرغم من اختلاف مقابر سقارة عن مقابر « أبيدوس » فى بعض التفصيلات المعمارية فإن عناصرها الأصلية واحدة ، فكلها مشيدة باللبن « الطوب النيئ » على هيئة بناء مستطيل كبير الحجم شبيه بالمصاطب التى يبنيها القرويون فى مصر أمام

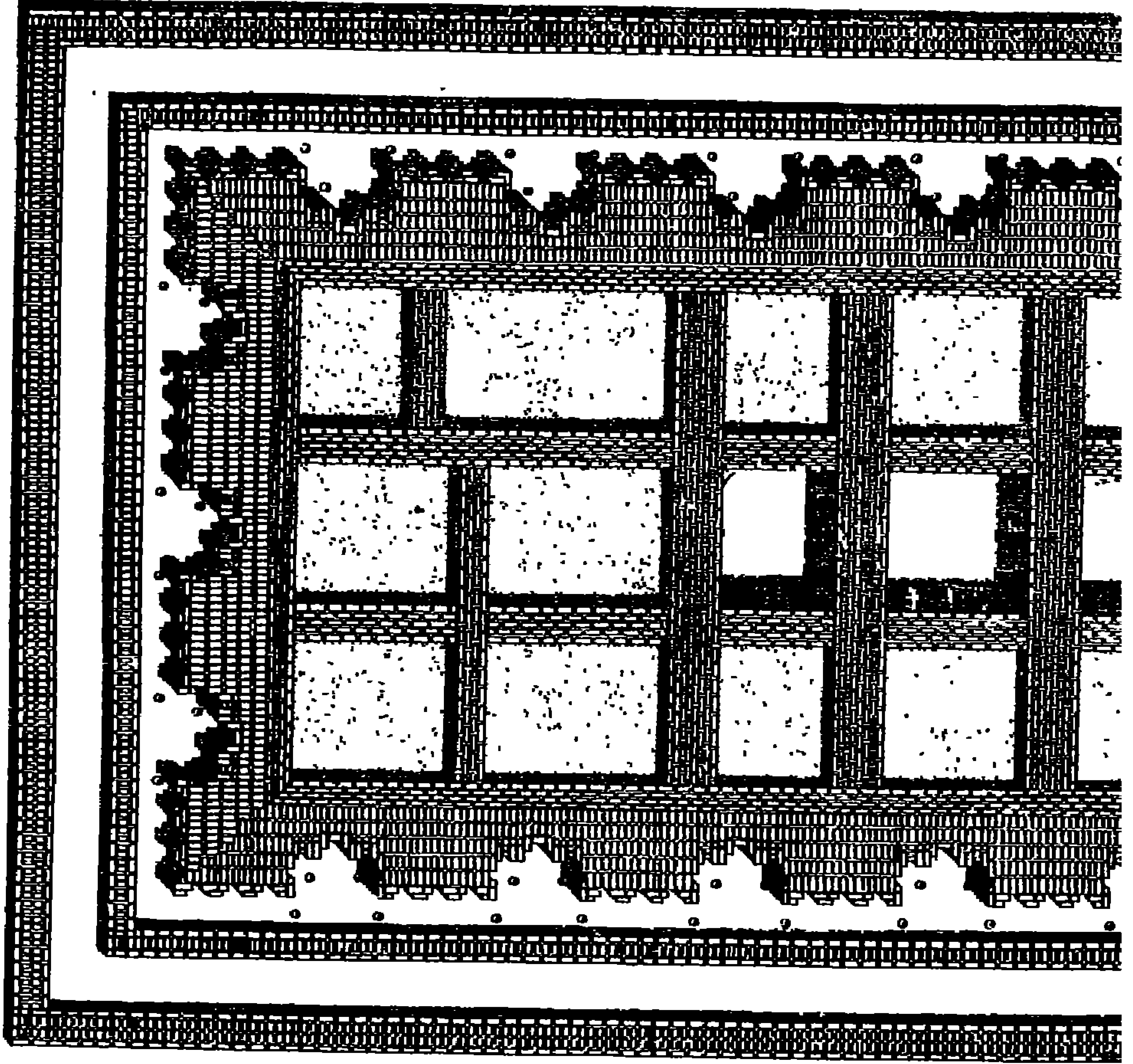
(*) « ثيس » هو الاسم الذى ورد فى كتابة اليونان ، أما اسمها فى النصوص المصرية فهو « ثنى » . أما مكانها فهو من الأمور المختلف عليه ؛ فبينما يرجح بعض الباحثين وضعها فى منطقة تسمى « الطينة » أو فى « البربا » يرى البعض الآخر أنها كانت على الأرجح على مقربة من مدينة جرجا . ومهما يكن من أمر فإنها كانت حتما على مسافة غير بعيدة من أبيدوس (وتسمى الآن العرابة المدفونة) مركز البلينا محافظة جرجا ؛ وهى من أهم المناطق الأثرية فى مصر ؛ إذ عثر فيها على مقابر لملوك الأسرتين الأولى والثانية وعلى آلاف من اللوحات الجنازية لجميع العصور ؛ إذ كانت المركز الرئيسى لعبادة الإله أوزيريس ، وكانت تقام فيها أعياده الشهيرة ، وفيها الآن آثار هامة أشهرها معبد أبيدوس من أيام الأسرة التاسعة عشرة . (تعليق أ . ف) .



(شكل رقم ٢) الرسم التخطيطي لمصطبة الملك حور — عحا فى سقارة
(EMERY, *The Tomb of Hor-aha* نقلا عن)

منازلهم وفى داخلها ، ولهذا أطلق عليها الأثريون هذا الاسم لمشابهتها لها . وتحت كل مصطبة من هذه المصاطب نجد حجرة دفن تحيط بها حجرات أخرى ومخازن يضعون فيها الأوانى والأشياء الجنازية المختلفة .

استمر الملوك المصريون فى تشييد مقابرهم الملكية على هيئة المصطبة حتى بداية الأسرة الثالثة ، أى حوالى عام ٢٧٨٠ ق . م ، وفى ذلك الوقت بدأت مصر صفحة جديدة فى تاريخ العمارة .



سار الملك « زوسر » على نهج من سبقوه عند ما بنى مقبرته الأولى على هيئة مصطبة كبيرة الحجم من اللبن « الطوب النيئ » إلى الجنوب من قرية بيت خلاف الحالية على مقربة من أبيدوس ، ولكن مقبرته الأخرى فى سقارة كانت حدثاً هاماً فى تاريخ مصر . كان من بين موظفى ذلك الملك معمارىّ شاب اسمه « إيمحوتب » ولد لأب كان هو الآخر معمارياً . وأدرك زوسر ما لهذا الشاب من مواهب غير عادية فأعطاه الحرية التامة فى تشييد مقبرته ،

فكان أول تجديد هام قام بعمله هو استخدام الحجر على نطاق واسع ، بعد أن كان استخدامه نادراً ومحدوداً فى المقابر الملكية قبل أيامه . بنى «إيمحوتب» مصطبة « زوسر » (أى مقبرته الملكية) فى سقارة من كتل الحجر سواء ذلك المقبرة نفسها والسور الذى أحاط بها أو المبانى الأخرى ، ثم عاد فأجرى بعض التعديلات على المصطبة الأصلية . أخذ إيمحوتب يبنى مصطبة فوق أخرى ، وكانت كل منها تقل حجماً عما تحتها حتى وصل عددها إلى ست مصاطب ، وأصبح الشكل النهائى للبناء بوجـــه عام على هيئة هرم ذى درجات كبيرة .

لم يصبح هرم زوسر المدرج أهم بناء فى المنطقة فحسب ، بل أصبح ، وما زال حتى الآن ، أظهر ما فيها من مبان ، وقد قلده ابنه الذى حكم بعده وأصبح حتى نهاية الأسرة الثالثة المثل الذى احتذاه ملوك تلك الأسرة فى بناء مقابرهم .

ولكن الملك « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة (حوالى ٢٦٨٠ ق . م) أراد أن يبنى مقبرته الملكية فى دهشور على بعد عشرة كيلومترات جنوبى الهرم المدرج على هيئة هرم حقيقى ، فكانت نتيجة هذه المحاولة هى الهرم المنحنى المعروف الذى سمى بهذا الاسم لأن أضلاعه ليست ذات زاوية واحدة ، بل ذات زاويتين . ولهذا السبب نجده فريداً فى شكله بين كل أهرامات مصر . ومن المؤكد أن من شيدوه لم يقصدوا منذ البداية أن يكون على هذه الهيئة . أراد البناؤون أن ينتهوا منه على وجه السرعة ولهذا قللوا زاوية البناء ، وعندما شيدوا الهرم الصغير الواقع فى الناحية الجنوبية منه — وهو جزء من المجموعة الهرمية التى يتكون منها المدفن الملكى — جعلوا زاوية الهرم زاوية واحدة ولم يغيروها . وشيد « سنفرو » هرماً آخر على مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر تقريباً إلى الشمال من الهرم المنحنى ، ومنذ البداية جعل زاوية أضلاعه أقل من زاوية هرمه الأول ، وما زال الهرمان

قائمين على حافة الهضبة الغربية في دهشور ، يرتفعان في الأفق كماردين جبارين فوق هامات الأهرام الأخرى التي شيدت على حافة الهضبة إلى الشرق منهما في العصور التالية .

وهنا ، في منطقة دهشور ، واجهت البنائين القدماء مشاكل جديدة في العمارة ، كان يتحتم عليهم أن يجدوا لها حلولا ؛ لقد احتفظت لنا الآثار بأسماء بعض المعماريين ومديرى أعمال البناء ، ولكن مما يسترعى النظر أن الظاهرين من بينهم كانوا من المنتمين إلى البيت المالك . واحترم أولئك المعماريون التقاليد العظيمة التي وضعها إيمحوتب ولكنهم أدخلوا عليها أيضاً تطويرات أخرى نرى أثرها الواضح عند ما أخذ الملك خوفو ، ابن سنفرو ، في تشييد هرمه .

ويتعذر علينا أن نفهم الأهرام على حقيقتها إلا إذا درسنا ارتباطها بما كان سائداً في أوائل أيام الدولة القديمة من ديانة وحياة اجتماعية . فمنذ بداية التاريخ المصرى كان الناس يؤمنون بالبعث ، وأنهم سيحيون حياة أخرى بعد أن يفارقوا هذه الدنيا ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا تلك الحياة الأخرى مختلفة في جوهرها عن حياتهم التي عاشوها على الأرض ، ولوأنها كانت دون شك أعظم فخامة وأكثر راحة . وقد بذلوا كل ما في وسعهم ليحفظوا أجسادهم معتقدين أن وجود الجسم في حالة سليمة ضرورى لسعادة الـ « كا » .

وكلمة « كا » كلمة مصرية قديمة يصعب التعبير عنها بكلمة واحدة في أى لغة من اللغات الحديثة ، وها هوذا ما كتبه عنها « ألن جاردنر » بعد دراسة طويلة لهذا الموضوع ؛ في أحد مؤلفاته :

" يظهر أن هذا التعبير (كلمة كا) يشمل « ذات » الإنسان بأكملها إذا اعتبرناها وحدة يمكن فصلها إلى حد ما عن الشخص نفسه » . ويضيف قائلا : « إن هذه الـ « كا » تقابل في بعض الأحـيان « الشخصية » ،

« الروح» ، « الاستقلال الفردى » ، « الطباع » بل ومن الممكن أيضاً « حظ » الإنسان أو « مكانته » ". أراد المصرى أن تتمكن الكا الخاصة به من أن تهتدى إلى جسمه بعد الموت وأن تتحد معه ، ولهذا السبب أحس بالأهمية الكبرى لموضوع المحافظة على هذا الجسم ؛ وهذا هو السبب الذى دعا المصريين إلى تحنيط أجسامهم والتفوق الكبير الذى أحرزوه فى هذا الميدان .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت هناك أعمال أخرى ضرورية ؛ فقد كان يتحتم أن تقدم القرابين وتقام الصلوات فى هيكل يشيدونه ، كما كانت مناظر الأدوات والمأكولات تنقش على أحجاره حتى تقوم مقام القرابين الحقيقية إذا كانت أقل من المطلوب أو أهملوا تقديمها إلى روح الميت فيما بعد . ونحت المصريون أيضاً التماثيل ووضعوها فى المقابر وفى المعابد لكى تكون بديلا عن الجسم إذا ما تهشمت أو فقدت . وفى أيام الأسرة الخامسة أصبح من الأمور الضرورية نقش « نصوص الأهرام » على جدران الممرات والحجرات داخل الأهرام ، وهى مجموعة من النصوص كان يستخدمها الكهنة فى طقوسهم الدينية ، وفيها نصوص لا شك أنها أقدم عهداً من الأسرة الخامسة ، سواء فى تركيباتها اللغوية ، وما تحويه من آراء ، مما يدل على أن هذه النصوص ترجع فى الأصل إلى عهد أقدم بكثير من أيام نقشها فى تلك الأهرام ، بل ومن المرجح أن تاريخ بعضها يرجع إلى أقدم عصور المدنية المصرية .

وأخذت المقابر الملكية تزداد فى حجمها وتتقدم فى عمارتها بمضى الزمن . ولكن إذا سألنا أنفسنا عن السبب الذى جعل قدماء المصريين يتجهون إلى الشكل الهرمى فإننا نجد أكثر من إجابة لهذا السؤال : يعتقد بعض علماء الدراسات المصرية أن الوصول إلى الشكل الهرمى ليس إلا تطوراً معمارياً

عادياً ، ولكن هناك علماء آخرين يرون فى اختيار الشكل الهرمى دليلا على انتصار إحدى العقائد الدينية على غيرها .

فمنذ أقدم العصور كانت توجد فى مصر أكثر من عقيدة دينية تتصارع فيما بينها ؛ إذ نرى فى النصوص الدينية أن الإنسان أراد أن يتجنب مخاوف الظلام بعد موته ، ونظراً لأنهم كانوا يعتقدون أن الشمس كانت تقوم برحلتها عبر السماء فى سفينة فقد وضعوا فيما بعد نماذج من السفن فى قبور الموتى من أجل هذه الرحلة الشمسية .

وفى عقيدة أخرى كانت الـ « كا » تتحد مع النجوم الثابتة فى النصف الشمالى من السماء . وكانت الحياة الأخرى أيضا ذات صلات وثيقة بعقيدة الإله أوزيريس(٢) .

ومنذ أقدم العصور أقبل المصريون أعظم إقبال على عبادة الشمس ، واعتبر الملوك أنفسهم ممثلين لآلهتها على الأرض ، ولا شك أنه كانت توجد علاقة بين الشكل الهرمى وبين عقيدة الشمس .

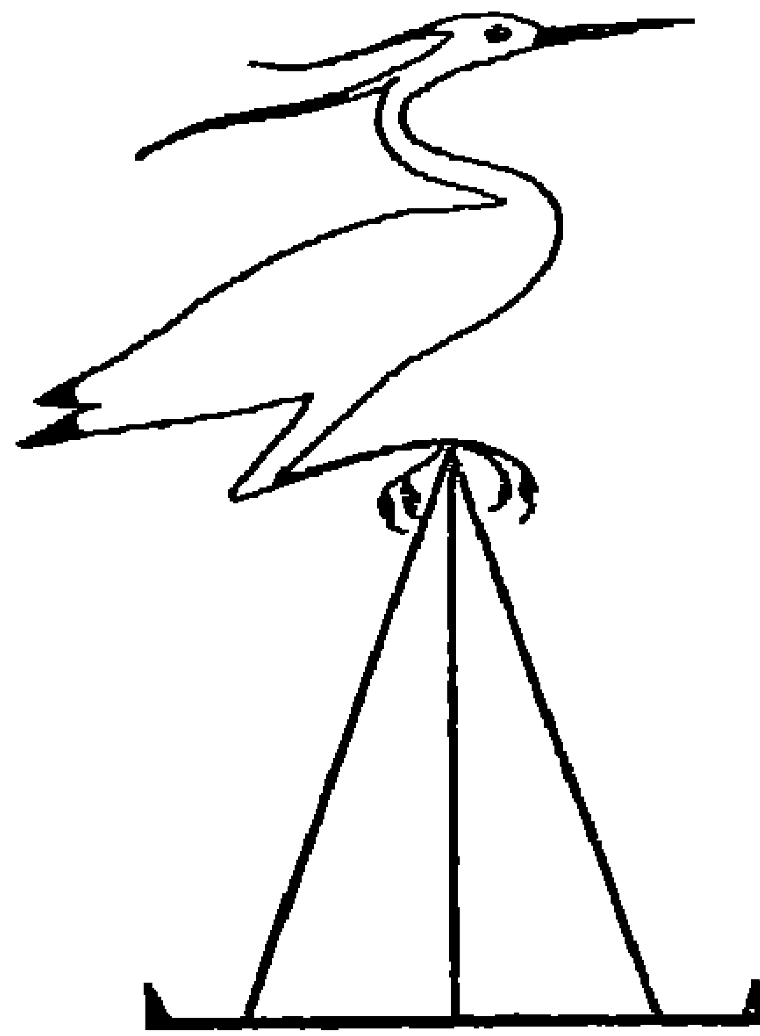
ومنذ بداية التاريخ المصرى كان يوجد فى معبد هليوپوليس رمز لإله الشمس فى صورة عمود استعاضوا عنه فى العصر العتيق برمز لطائر الفونكس(*) الذى يجثم فوق ما كانوا يسمونه الـ « بنبن » وكان ذا شكل هرمى ، ومن السهل أن يتخيل الإنسان أو يفهم العلاقة بين الـ « بنبن » نفسه وبين عبادة

---

(٢) للإله أوزيريس أسطورة تتلخص فى أن أخاه « ست » قتله وأن ابنه « حورس » انتقم لأبيه من قاتله . وكان الملوك ، وبعد ذلك جميع المصريين ، يوحدون أنفسهم بعد الموت مع أوزيريس ويسبقون أسماءهم باسمه . ووجدت هذه العقيدة استجابة بين الناس ورحب بها خيالهم أكثر من استجابتهم لعقيدة الشمس ، لأنها حققت لهم كثيراً من مطالبهم الدينية التى لم تستطع عقيدة الشمس تحقيقها .

(*) طائر كان يسمى فى المصرية القديمة « بنو » bnw وكان ذا صلة وثيقة بعبادة الشمس فى هليوبوليس ، وبخاصة بحجر الـ « بنبن » ومسلة الشمس . (تعليق أ . ف .)

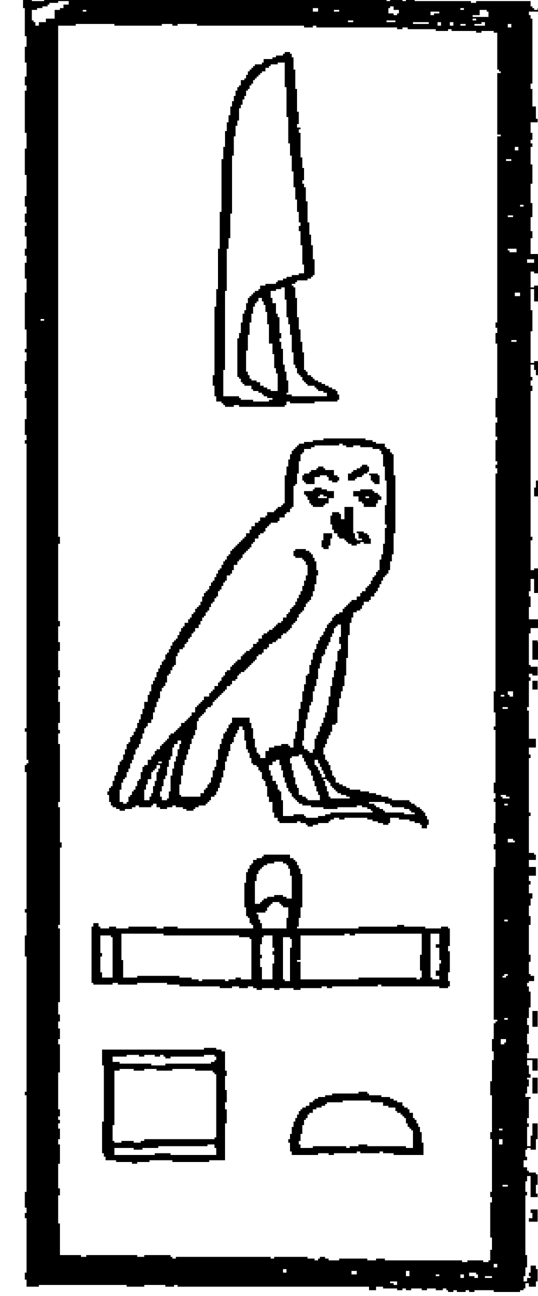
الشمس . ويقدم علماء الدراسات المصرية تفسيرا لهذه العلاقة بمظهر أشعة الشمس عند ما تسقط مضيئة بين فجوات السحب فى السماء فإنها تظهر كما لو كانت أهراماً هائلة الحجم تربط بين السماء والأرض . ونقرأ فى أكثر من موضع فى نصوص الأهرام وصفاً للملك الميت وهو يستخدم أشعة الشمس كطريق صاعد يرقى عليه إلى السماء . وتقول تلك النصوص إن السماء قد قوت أشعة الشمس لتساعد الملك ليتم هذا الصعود . ومن هذا نستطيع أن نقول إن النظرية القائلة بأن التغيير من الهرم المدرج إلى الهرم الحقيقى كان مصحوباً بتغير فى عقيدة بناة الأهرام ليست إلا نظرية معقولة ، وإن الهرم الحقيقى لم يكن إلا « بنبن » كبير الحجم يمكن اعتباره فى الوقت ذاته بديلا عن أشعة الشمس ، وبهذا يساعد الملك المتوفى على الصعود إلى السماء .



(شكل رقم ٣) طائر الفونكس وهو يجثم فوق الـ « بنبن »
(بردية أنهاى فى المتحف البريطانى بلندن)

٢

بناء الهرم وإدارته



ما من شك فى أن هناك معضلات كثيرة فى دراسة موضوع الأهرامات ، ولكن ما من شك أيضا فى أن معضلة تشييدها هى أكثر ما يحير الناس . كان المؤرخ الشهير « پلينى »(*) من بين أولئك الذين لم يحبذوا تشييد الأهرامات وقد وصفها بأنها ليست إلا « استعراضا سخيفا ، لا فائدة منه ، لثروة الملوك » . ولكن ذلك لم يمنعه من إظهار إعجابه بهندستها ، فقد قال : « إن أعظم الأسئلة التى يحتار أمامها الناس هى : كيف استطاعوا رفع الأحجار إلى هذا الارتفاع العظيم ؟! » . ومن المحتمل أن كل زائر لهذه الآثار الهائلة الحجم قبل « پلينى » وبعده وقف أمامها ورفع ناظريه إليها معجباً وتساءل: كيف بنوها !! لقد استخدم المصريون فى بناء هرم الجيزة الأكبر وحده أكثر من مليونين ونصف مليون من كتل الأحجار يزن بعضها سبعة أطنان ونصف طن (الطن = ألف كيلو جرام) ، وإن العقل ليحتار إذا ما أعملنا

(*) هو پلينى الأكبر عاش بين عامى ٢٣ ، ٧٩ ميلادية – زار مصر وغيرها من البلاد ، وترك لنا كثيراً من المؤلفات الهامة وأخصها مؤلفه عن التاريخ الطبيعى فى سبعة وثلاثين كتابا . (تعليق : أ . ف .)

التفكير فى كمية العمل الذى يحتاج إليها مثل هذا البناء حتى لو استخدمنا المعدات الميكانيكية الحديثة ، ولكن يجب أن نضع فى أذهاننا دائماً أن المصريين القدماء بنوا هذه الآيات المعجزات بأبسط الوسائل ، حتى « البكرة » لم تكن معروفة فى مصر قبل العصر الرومانى . ولم يستخدم العمال القدماء سواء فى قطع الأحجار وفى البناء إلا إزاميل مصنوعة من النحاس ، أو من حجر الظران (الصوان) ومن المحتمل بعض أدوات من الحديد أيضا ، كما استخدموا مدقات وأحجاراً للصقل من الكوارتز وحجر الديوريت(١) . وكانوا يعتمدون اعتماداً كاملا على سواعدهم ، وكل ما كان لديهم من وسائل تساعدهم على نقل الأحجار أو تحريكها هى الدرافيل الخشبية الكبيرة ، والزحافات ، وأسطوانات من الخشب أو من الحجر ، يضعونها تحت كتل الأحجار الثقيلة الوزن . وإن كان ينقصنا الآن شىء مما كان لدى المصريين القدماء ، فهو لا يعدو تلك الخبرة التى كانت لرؤساء العمال الذين كانوا يشرفون على إنجاز العمليات المختلفة حسب البرامج الدقيقة التى كانت توضع لها .

ومهما يكن من أمر فإن تحريك كتل من الحجر وزنها يتراوح بين ثمانية وعشرة أطنان (بل وفى بعض الأحيان تصل إلى خمسة وعشرين طنا) لم تكن عملا صعبا بالنسبة إلى قوم استطاعوا فيما بعد أن ينقلوا التمثال الكبير الذى نرى بقاياه الآن فى معبد الرمسيوم فى الناحية الغربية من النيل فى الأقصر ، فإن هذا التمثال كان من قطعة واحدة وكان يزن ألف طن على الأقل ، قطعوه من محاجر الجرانيت فى أسوان ثم نقلوه إلى مكانه الحالى . وليس كثيراً أيضا على قوم استطاعوا أن ينقلوا المسلات الجرانيتية التى ما زلنا نراها فى معبد الكرنك ، وفى معبد الأقصر ، وفى المطرية على مقربة

---

(١) Dunham and Young, *Journal of Egyptian Archaeology*, XXVIII, 57 f.

من القاهرة ، وفى صا الحجر فى شرق الدلتا ، وفى كثير من البلاد الأجنبية خارج مصر(*) ، فإن بعضها لا يقل وزنه عن ثلاثمائة طن . كان يتحتم عليهم أن يقطعوها من محاجر جرانيت أسوان فى الجنوب وأن ينقلوها إلى السفن ، ثم ينقلوها بعد ذلك من السفن إلى المكان الذى تقام فيه ، ثم يضعوها فوق قواعدها فى أماكن معينة بين مبان أخرى قائمة .

وفى واقع الأمر كانت عمليات قطع تلك الكتل الكبيرة من الحجر ونقلها وإقامتها أمراً عاديا بالنسبة للمصريين القدماء ، فلم يحسوا بأن هناك أى حاجة لذكره أو وصفه . وكل ما لدينا من معلومات مستمد من دراسة الآثار نفسها وبخاصة التى لم يكن قد تم الانتهاء منها عند موت أصحابها فبقيت كما تركوها .

كان كل ملك جديد يجد أمامه أموراً هامة يتحتم عليه القيام بها فى السنوات الأولى من حكمه ، فكانت هناك ، قبل كل شىء ، مراسيم التتويج المعقدة التى تحتاج إلى وقت طويل ، كما كانت هناك أيضا بعض المشاكل الإدارية التى تنشأ دائما عند تغيير الحكام ، كما يجب ألا ننسى أن الملك الجديد كان يجد نفسه مضطراً فى الأحوال العادية للإشراف على كل ما يتعلق بدفن من سبقه والقيام بتجهيز ما لم يتم تجهيزه عند موته . وبعد أن ينتهى من كل ذلك يبدأ يفكر فى تشييد مقبرة لنفسه ، ويصدر أوامره إلى معمارييه وإلى رؤساء العمال لتنفيذ مثل هذا المشروع .

كان اختيار مكان أى هرم جديد يتوقف على كثير من العوامل . فمن الجائز أن يختار الملك موقعا قريبا من المقابر الملكية التى أقامها أسلافه ،

(*) يوجد عدد كبير من المسلات المصرية فى بعض المتاحف الأجنبية ، كما أن بعضها مقام فى ميادين بعض المدن مثل روما ولندن وباريس واستامبول فى أوربا ونيويورك فى الولايات المتحدة الأمريكية . (تعليق أ . ف .)

ولكن من الجائز أن يختار موقعا جديداً لهرمه . وعلى أى حال فإن المكان يجب أن يكون على الضفة الغربية من النيل وفى موقع يشرف على الوادى المزروع . والسبب فى ذلك يرجع إلى أمرين : أولهما أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن مملكة الموتى كانت تقع فى الناحية الغربية حيث تغرب الشمس ، وثانيهما أن الهضبة الغربية — وبخاصة الجزء القريب من العاصمة القديمة منف — كان يوافق الغرض المطلوب أكثر من المناطق الأخرى . فهى قريبة من الأرض المزروعة وترتفع فجأة إلى ارتفاع قدره حوالى ٦٥ مترا ، وسطحها يكاد يكون مسطحا وليس فيه إلا عيوب طبيعية قليلة ، زد على ذلك أنه يمكن الصعود بسهولة إلى الهضبة من وديان كثيرة كان يستخدمها العمال كطرق صاعدة لنقل المواد اللازمة للعمل . أما الموقع ذاته فإنه يجب أن يكون كتلة من الصخر حتى تتحمل ذلك الثقل الضخم العظيم الذى يقام فوقه . ومن الأمور التى كان يتحتم عليهم مراعاتها أيضا عند الاختيار أنه يجب أن يتوافر وجود مكان فسيح حول المكان الذى سيقام فيه الهرم لتشغله المبانى الأخرى التى تكون أجزاء المجموعة الهرمية ، ولكى يتسع أيضا لمقابر أعضاء الأسرة المالكة ورجال البلاط الذين كانوا يعتقدون أن أغلى أمنية لهم هى أن يسمح الملك الذى خدموه أثناء حياته بدفنهم على مقربة منه ، كما كان يتحتم أيضا عند اختيار الموقع أن يتوافر فيه الحجر الجيد اللازم للبناء ، وأن تكون على مقربة منه محاجر يسهل الوصول إليها .

تبدأ الاستعدادات فى اليوم الذى يتم فيه اختيار الموقع فيقوم كبار موظفى الملك بالإشراف المباشر على بناء هرمه . وكان الملك نفسه يأتى من آن لآخر ليرى سير التقدم فى العمل .

ولم يترك المشرفون على البناء شيئا للمصادفة ؛ كان المعماريون يسيرون فى عملهم حسب رسوم تخطيطية سبق وضعها لجميع الممرات والحجرات الداخلية بالرغم من أن بعض تلك الأجزاء كان ينحت فى بعض الأحيان

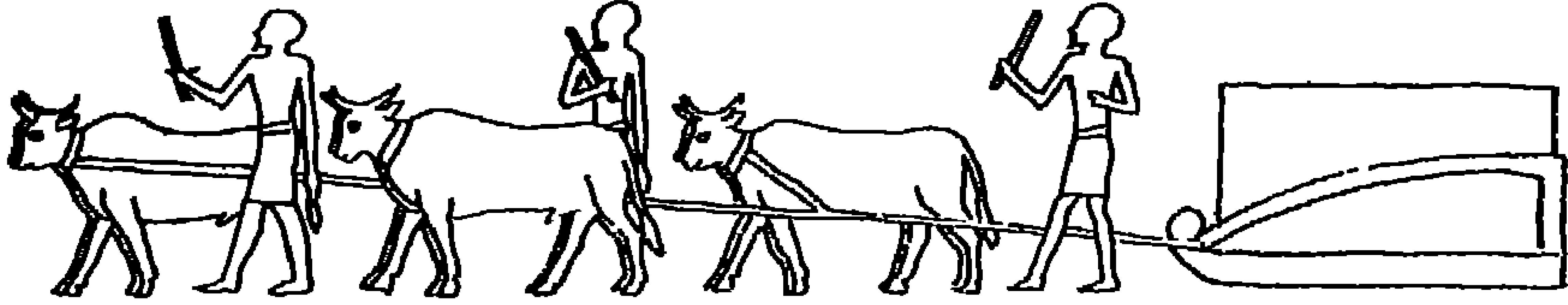
فى مبان صماء مشيدة من كتل الأحجار ، كان رؤساء العمال يحسبون تماما ما يحتاجون إليه من كتل الأحجار ، وكانوا يكلفون الحجارة بقطع كل حجر منها حسب مقاييس خاصة . وأكثر الأحجار المستخدمة فى تشييد الأهرامات هى من نوع الحجر الجيرى الذى قطعوه من أماكن قريبة جدا من الأهرامات نفسها ، ولكن بعض أجزاء خاصة منها ، مثل كساء الممرات الداخلية والحجرات ، كانت أيضاً من الحجر الجيرى ، ولكن من نوع أجود كانوا يحصلون عليـــه من محاجر على مقربة من العاصمة منف . أما كساء الأهرامات نفسها فكانت دائما من الحجر الجيرى الجيد الذى كانوا يحصلون عليه من محاجر طره التى تقع فى الناحية الشرقية من النيل جنوبى القاهرة بقليل ، كما كانوا يرسلون حملات أخرى إلى أسوان للحصول على الجرانيت وإلى مناطق المحاجر الأخرى التى يختارونها .

وفى الوقت نفسه يكون المعماريون قد حددوا الموقع الذى يقام الهرم فوقه . كانوا يشيدون أهراماتهم بحيث تكون أضلاعه الأربع مواجهة تماما للجهات الأربع الأصلية ، وربما كان ذلك ليجعلوا مدخل الهرم الذى كان فى الناحية الشمالية متجها نحو النجم القطبى (نجم الشمال) . ولم يكن ليصعب على المصريين مثل هذا التحديد الصحيح لاتجاه أضلاع مربع الهرم ، وذلك لما كان لهم من دراية كافية بعلم الفلك جعلتهم يصلون إلى عمل تقويم لا بأس به فى مرحلة متقدمة من مراحل حضارتهم . وبعد أن يتم تحديد أضلاع الهرم تبدأ مهمة أخرى وهى مهمة تسوية سطح الموقع . وهناك رأى بأنه من الميسور عمل ذلك إذا ما أقاموا جسوراً حول الموقع المحدد وملأوا داخله بالماء ، وعلى أى حال فلم يكن من الضرورى إزالة جميع المرتفعات الصخرية لأن بعضها كان يمكن تركه فى مكانه ليصبح جزءاً من البناء نفسه .

ويلى ذلك بدء العمال فى قطع الجزء الواقع تحت مستوى الأرض من الهرم نفسه ، وخير مثل لذلك ما نراه فى منطقة زاوية العريان ، وتقع بين

أهرام الجيزة وأهرام أبوصير ، حيث شرع الملك « نب ــ كا » أحد ملوك الأسرة الثالثة فى تشييد هرم لم يتم بناؤه ، إذ يرى الزائر لذلك الأثر الممر الهابط والتابوت الجرانيتى . ولا شك أن وضع التابوت فى مكانه فى مثل هــذه المرحلة المبكرة من العمل فى الهرم من الأمور التى تسترعى النظر .

وفى الوقت الذى كان يقوم فيه العمال بذلك العمل كان هناك عمال آخرون يشيدون الطرق الصاعدة من الوادى إلى رأس الهضبة . أما الأحجار التى كان يتحتم عليهم قطعها من المحاجر التى فى الناحية الأخرى من النيل أو فى مناطق نائية فإنهم كانوا يجلبونها محملة فوق سفن كبيرة مسطحة القاع ويخزنونها على الشاطئ فى أقرب مكان من موقع الهرم ، ثم يبدأون بعد ذلك فى نقلها إلى أعلى الهضبة . ونرى فى أحد المناظر (شكل ٤) كيفية



(شكل رقم ٤) نقل كتل الأحجار من أحد محاجر طرة .

نقل الأحجار من محاجر طرة بوساطة الثيران التى تجر زحافة فوقها كتل من الحجر ، ولكن هذه الطريقة لم تكن هى المتبعة دائما ؛ لأن أكثر ما كان يتم من رفع الأحجار أو جرها إنما كان يتم باستخدام عدد كبير من الرجال يجرون الزحافات التى فوقها الأحجار بوساطة الحبال . ونعرف من منظر آخر ، وما صحبه من كتابة ، أن مائة واثنين وسبعين رجلا عملوا فى جر تمثال من حجر المرمر لأحد حكام الأقاليم فى الأسرة الثانية عشرة ، وكان هذا الحاكم يسمى « تحوتى ــ حوتب » ، جروه من محاجر « حتنوب » فى داخل

الصحراء إلى بلدة البرشا ، وكلتاهما فى مصر الوسطى[٢] . كان ارتفاع هذا التمثال يزيد قليلا عن ستة أمتار ونصف متر ، ولم يقل وزنه عن ستين طنا ، ونرى فى هذا المنظر رجالا يحملون الدرافيل ، وآخرين يصبون سائلا من آنية فى أيديهم ليمنعوا عوارض الزحافة من الاشتعال نتيجة للاحتكاك بالأرض . ويعتقد من يرى هذا المنظر عادة أن هذا السائل ليس إلا ماء ، ولكن إذا فحصنا جيداً الرسوم الملونة التى نقلت عن هذا المنظر — وعلى الأخص ما يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر عندما كانت الألوان فى حالة جيدة — فإنا نرى أن السائل كان على الأرجح لبنا ، وهو أكثر فائدة من الماء لأن ما فيه من دهن يساعد على تشحيم العوارض أيضا . كان عـــدد المشتركين فى جر التمثال بالنسبة لحاكم محلى عددا كبيراً دون شك ، وقد أشار مؤلف النص إلى أذرعهم القوية ، وقال مفتخراً : إن كل فرد منهم كانت له قوة ألف رجل[٣] .

وكانت العادة المتبعة عند نقل الآثار الكبيرة الحجم أو التى كانت ذات أهمية خاصة أن يضعوا فوقها بعض القرابين ويحرقوا البخور عسى أن ترضى نفوس الآلهة عن العملية كلها وتكلل بالنجاح .

وكان العمال ينحتون جيداجوانب كتل الأحجار بعناية تامة ؛ وكانوا يضعون كلا منها فى مكانها فى البناء مستخدمين طبقة رقيقة من المونة . وبعد أن يضع العمال بعض المداميك الأولى فى أماكنها يصبح متعذرا عليهم الاستمرار فى

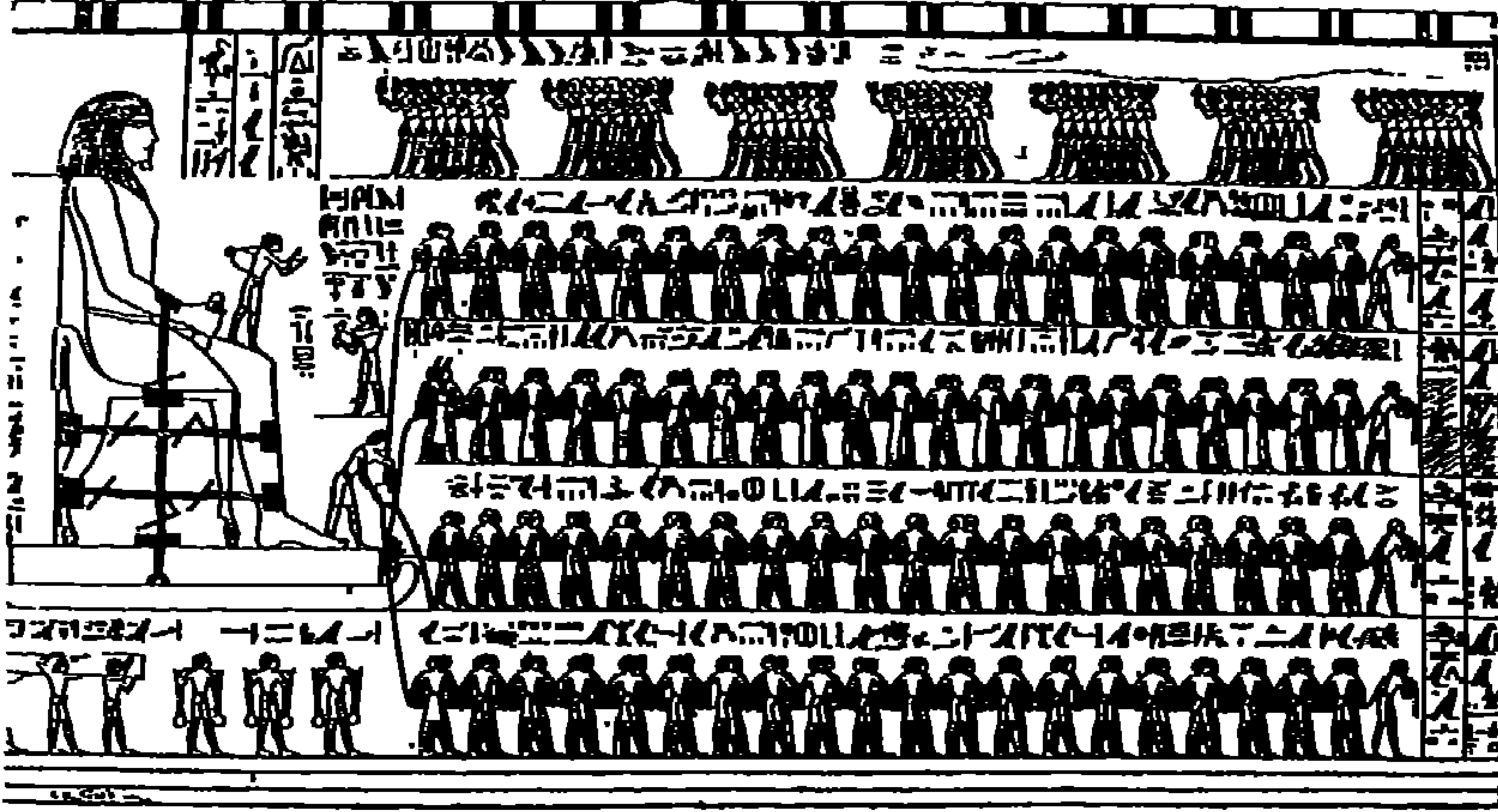
---

(٢) بلدة البرشا فى الناحية الشرقية من النيل مركز ماوى ، أما محاجر « حتنوب » فهى أيضاً فى الناحية الشرقية من النهر على مسافة لا تقل عن سبعة وعشرين كيلو مترا خلف منطقة آثار تل العمارنة ، وقد بدأ قدماء المصريين فى استغلالها منذ أيام الدولة القديمة .
(تعليق أ . ف .)

(٣) هذا الرسم ونصوصه منشور فى مؤلف :

P. E. Newberry, ***EL Bersheh, Part*** **1, pp. 19—26,** ***Plate*** **15,**

عملهم ، اللهم إلا إذا قاموا بعمل شيء آخر يساعد البنائين على الاستمرار فى رفع الأحجار لوضعها فى المداميك الأخرى التى تعلوها .



(شكل رقم ٥) نقل تمثال كبير الحجم . من مقبرة تحوتى – حوتب فى البرشا

(نقلا عن Newberry , *El Bersheh, Part* 1, *Plate* 15.)

وإذا فحصنا بعض المبانى الأثرية التى لم ينتهوا من إتمامها فإنا نستطيع التأكد من أنهم لجأوا إلى عمل جسور وطرق صاعدة من التراب والحصى لمثل هذا الغرض ، وأنهم كانوا يبنون جدرانا من اللبن « الطوب النيء » حتى يثبت التراب والحصى فى مكانهما ؛ ثم يزيلون ذلك كله عند ما يتم البناء . وقد وضح لنا من الاكتشافات الأثرية فى سقارة أن القدماء أقاموا هذا الطريق الصاعد عندما كانوا يبنون الهرم المدرج الذى لم يتم ، وهو الهرم الذى بدأه الملك « سخم — خت » ابن الملك زوسر ، وقد بقى هذا الطريق الصاعد فى مكانه لأن الهرم لم يتم بناؤه ، ونستطيع القول بأن المصريين استخدموا هذه الطريقة نفسها عند بناء الأهرامات فيما بعد . وتشييد الطرق الصاعدة عمل كبير ومجهود ضخم لايكاد يقل عن تشييد الهرم نفسه . وكثيراً

ما عنى المعماريون المشتغلون بالدراسات الأثرية بهذا الموضوع وناقشوه فى بحوثهم . وتتفق الغالبية العظمى منهم على أنه لم يبن أى هرم من الأهرامات دون إقامة الطرق الصاعدة(٤) .

ومن الممكن وضع الكساء الخارجى لهرم مبتدئين من قاعدته عند البدء فى بنائه والارتفاع بالكساء مع البناء نفسه ، أو ينتظرون حتى يتم البناء الأصلى للهرم ويبنون الكساء مبتدئين من قمته ويزيلون الطرق الصاعدة بعد ذلك ؛ إذ أن كلتا الطريقتين ممكنة . وإذا فحصنا بعض المصاطب المشيدة فى جبانات الدولة القديمة نرى أنه من الأرجح أن العمال كانوا يضعون أحجار الكساء الخارجى فى أماكنها عند إقامتهم البناء ثم يصقلون سطحها صقلا تاماً أثناء إزالتهم للطرق الصاعدة .

ولم تقتصر مشاكل بناء الهرم على ما سبقت الإشارة إليه ، بل هناك مشاكل أخرى تتعلق بإطعام العمال الذين كانوا يعملون فى البناء ، وتوفير المسكن لهم ، وتوفير الماء اللازم للشرب وللبناء ، فإن سطح الهضبة صخرى قاحل ولا يمكن حفر آبار فيه للحصول على ما يلزم من الماء . والإجابة عن كل سؤال من تلك الأسئلة نجده أيضاً فى تلك الموهبة العظمى التى كانت لدى قدماء المصريين ؛ وهى قدرتهم الفائقة على حسن التنظيم . فقد شيدوا

---

(٤) W. M. P. Petrie, *The Pyramids and Temples of Giza* (*London, 1883*), pp. 163 ff.

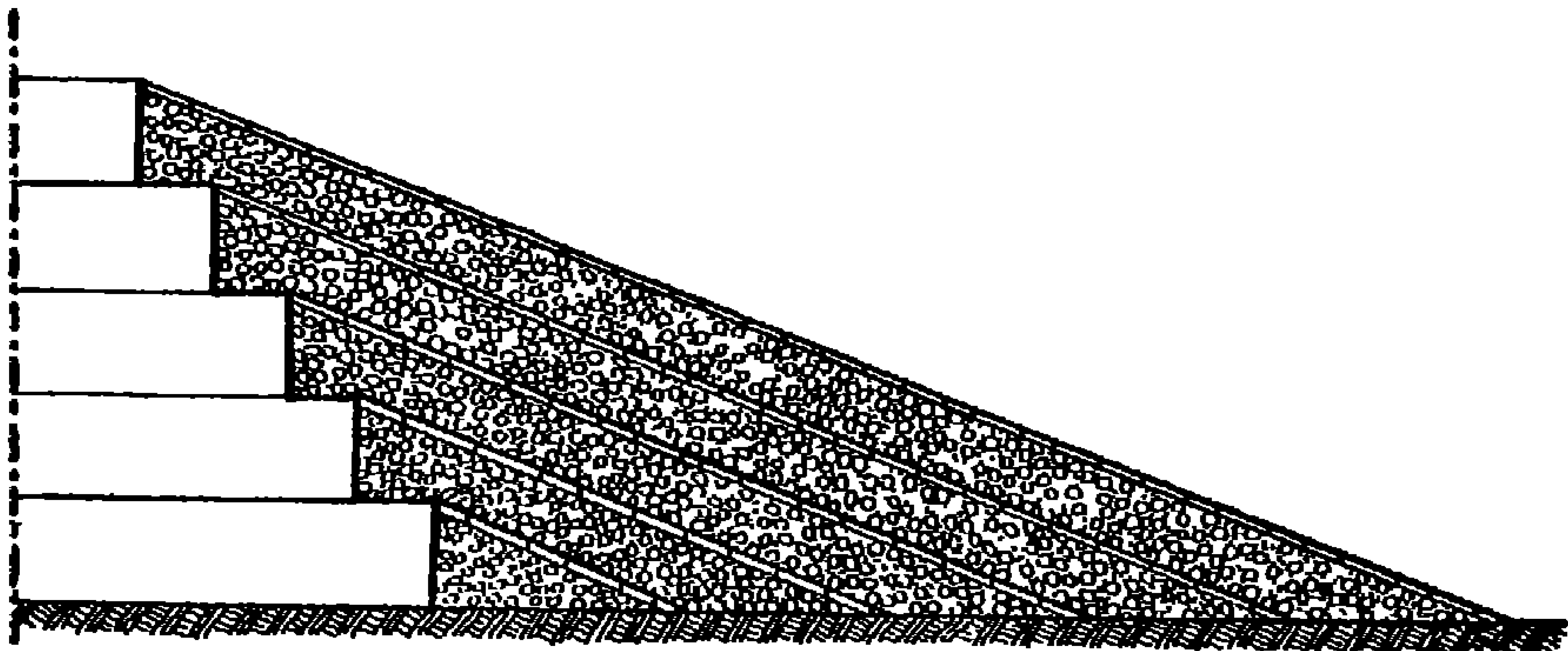
واقرأ أيضاً مقاله الذى كتبه بعد ذلك :

" *The Building of a Pyramid* " *Ancient Egypt* (1930) *Part* II, pp. 33 ff ; L. Borchardt *Die Entstehung der Pyramide. an der Baugeschichte der pyramide bei Mejdum nachgewiesen* (*Berlin, 1928*), p. 37 ; S. Clarke and R. Engelbach *Ancient Egyptian Masonry*: *The Building Craft* (*London*, 1930), pp. 117 ff. ; J. — P. Lauer, *Le Probléme des Pyramides d' Égypte* (*Paris*, 1948), pp, 161. ff.

للعمال ثكنات بسيطة البناء ، وكان يعيش فى كل حجرة من حجراتها فرقة من العمال لا يزيد عددها عن عشرة أشخاص . وكان هناك فريق خاص من العمال لإعداد الطعام ، وفريق آخر لجلب الماء اللازم للشرب أو الاغتسال ، كما كانت تصرف لهم الثياب والأدوات اللازمة للعمل من المخازن الملكية .

ولا يمكن أن يتصور أى إنسان أن مثل هذا العمل يمكن إتمامه فى سنوات قليلة ، ولكن ليس لدينا أى زمن معروف للمدة التى استغرقها تشييد أى هرم إلا ما تركه لنا المؤرخ هيرودوت الذى ذكر أن تشييد هرم خوفو استغرق ثلاثين عاماً ، منها عشرة أعوام فى تشييد الطريق الصاعد وعمل ما كان تحت سطح الأرض من مبانى الهرم . ويذكر هيرودوت أن عدد العمال كان مائة ألف عامل ، وقال إنهم كانوا يستبدلون بهم غيرهم كل ثلاثة أشهر . وإذا فحصنا هذا الهرم ، وحتى لو قبلنا عدد العمال الذى ذكره ، نجد أنفسنا مضطرين لقبول الرأى القائل بأن إتمام مثل هذا البناء مع استخدام الطرق والوسائل التى استخدمها القدماء لا يحتاج إلى وقت أو مجهود يقل عما ذكره هيرودوت .

ونظراً لأن العقائد الخاصة بالموتى كانت تحتاج إلى طقوس دينية ذات



(شكل رقم ٦) قطاع لأحد الطرق الصاعدة التى كانت تستخدم فى بناء الهرم (نقلا عن كرون *Croon*) .

أهمية خاصة ، فقد كانوا يقيمون عدداً من المبانى الأخرى حول الهرم ، وهذه المبانى المختلفة تكوّن مع الهرم نفسه ما نسميه المجموعة الهرمية .

ونرى فى مقابر الأسرتين الأولى والثانيـــة ، التى كانت على هيئة مصاطب ، أن مخازن القرابين كانت تحيط بمكان الدفن المعدّ لصاحب القبر وأسرته وخدمه . وكان المفروض أن كل هذه المخازن والحجرات تغلق ، وتظل كذلك إلى الأبد ، أما باب المقبرة فكان فى الجهة الشمالية وكان هو الآخر يسد بالحجر ويغلق تماماً . وفى الناحية الشرقية من المقبرة كانوا يشيدون هيكلا صغيراً أهم ما فيه لوحة جنازية ومائدة للقرابين .

ومما يدعو إلى الأسف أن المقابر الملكية فى أبيدوس سرقت ، وحطم اللصوص معظمها . وبهذا ضاع علينا كثير من المعلومات الخاصة بها ، وما كان فيها من آثار . زد على ذلك أن طرق الحفر التى كان يتبعها الباحثون عن الآثار من علماء القرن الماضى كان ينقصها الشىء الكثير من العناية التى نراها الآن . ومن المحتمل جداً أن رجال الدراسات المصرية القديمة الذين قاموا بالحفائر إذ ذاك لم يفطنوا إلى كثير من التفاصيل التى نهتم بها الآن ؛ فمثلا عثر الأثريون فى الحفائر التى كشفت عن مقابر من ذلك العهد نفسه فى منطقتى سقارة وحلوان على أماكن للسفن ، كانوا يحفرونها إلى جانب المصطبة ، سواء أكانت تلك المصطبة خاصة بملك من الملوك أو بأحـــد الأفراد . ومن المحتمل جداً أن هذه الحفرات التى على هيئة السفن كانت توجد إلى جوار مقابر أبيدوس ولكن لم يفطن إلى وجودها حفارو الآثار فى القرن التاسع عشر .

لقد أشرنا من قبل إلى حدوث تغيير هام فى طريقة تشييد المقبرة الملكية فى بداية الأسرة الثالثة ؛ فقد ظهر نوع جديد من المقابر الملكية وهو الهرم المدرج وكان له معبد فى الناحية الشمالية من الهرم ، كما نجد أيضاً ما يسمى الآن باسم « مقبرة » فى الناحية الجنوبية من الهرم . والواقع أن هذه المقبرة

الجنوبية كانت تستخدم لغرض آخر غير الدفن فيها ؛ لأن زوسر دفن فى حجرة الدفن داخل هرمه المدرج ، ولم يعثر على أى أثر لمعبد فى الجهة الشرقية من الهرم ، كما لم يعثر حتى الآن على أى سفينة إلى جانب الهرم .

ويمتاز عصر الملك « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة بأنه بدء عهد جـديد فى تاريخ العمارة المصرية ؛ وذلك لأن أول هرم صحيح وأول مجموعة هرمية كاملة بدءا فى ذلك العهد ، وأصبحت آثار « سنفرو » هى النموذج الذى احتذاه بناة الأهرام من بعده . وتتكون المجموعة الهرمية مما يأتى :

(أ) الهرم ، ويحيط به سوره الخارجى المشيد من الحجر .

(ب) معبد جنازى أمام الوجهة الشرقية للهرم .

(ج) هيكل أمام المدخل فى الناحية الشمالية من الهرم(٥) .

(د) هرم صغير يحيط به سوره الخاص وهو خارج السور الخارجى للهرم الأكبر وفى الناحية الجنوبية منه . وكان لهذا الهرم الصغير معبد صغير الحجم فى الناحية الشرقية من الهرم وفيه لوحتان جنازيتان ، كما كان يوجد أيضاً هيكل صغير أمام المدخل فى الناحية الشمالية . ولم يستخدم هذا الهرم للدفن ولم يوضع فى حجرته الداخلية إلا آنية أغلبها من الفخار .

(هـ) حفرات منقورة فى الصخر حول الهرم على هيئة السفن . ولم يعثر حتى الآن على أى حفرة من هذه الحفرات حول هرمى سنفرو فى دهشور ؛ لأن الأماكن التى نتوقع وجودها فيها لم تحفر حتى الآن حفراً تاماً ، ولكننا نراها حول هرم « خوفو » ابن « سنفرو » كما عثر عليها فى أبو رواش وحول الهرم الثانى فى الجيزة وغير ذلك من المناطق . وقد عثر

---

(٥) عثر على بقايا هيكل مشيد من اللبن « الطوب النيئ » داخله مائدة قرابين أمام المدخل الشمالى للهرم المنحنى ، كما عثر أيضا على بقايا هيكل كان مشيدا من الحجر أمام مدخل الهرم الصغير الذى يوجد فى الناحية الجنوبية من الهرم المنحنى .

منذ سنوات كثيرة قبل اكتشاف السفينة الخشبية الكبيرة جنوبي الهرم الأكبر على قطع من الخشب وعليها بقايا صفائح رقيقة من الذهب ، كما عثر أيضاً على بقايا حبل فى إحدى حفر السفن التى عثر عليها على مقربة من هذا الهرم نفسه ، أى من المجموعة الهرمية نفسها (٦) .

(و) طريق صاعد طويل بين السور الخارجى للهرم فوق الهضبة وبين معبد الوادى على حافة الأرض المزروعة .

(ز) معبد الوادى ويقع عند النهاية السفلى للطريق الصاعد ، وكان هذا المعبد فى الوقت ذاته مدخلا للمجموعة الهرمية كلها ، وكانوا يضعون فيه الكثير من التماثيل واللوحات .

وإذا مات الملك كانوا يأتون بجسمه إلى معبد الوادى لغسله وتطهيره ثم تحنيطه . وقد أثبت بعض العلماء أنه فى أيام الأسرة الرابعة كانوا يقومون بعمل ثلاثة طقوس هامة فى معبد الوادى (٧) . وكان أول هذه الطقوس هو غسل وتطهير الجسم ، وكان هذا الأمر لا يستغرق إلا وقتاً قصيراً . وثانى تلك الطقوس تحنيط الجثة ، وكان ذلك يستغرق وقتاً أطول كثيراً ؛ إذ توجد كتابة فى مقبرة إحدى الملكات بجبانة الجيزة أن ٢٧٢ يوماً مرت بين موتها ودفنها ؛ وثالث الطقوس هو الطقس المسمى « فتح الفم » وكانوا لا يقومون بعمله إلا بعد التحنيط ، وفى يوم الدفن ، وكان هذا الطقس طقساً سحرياً

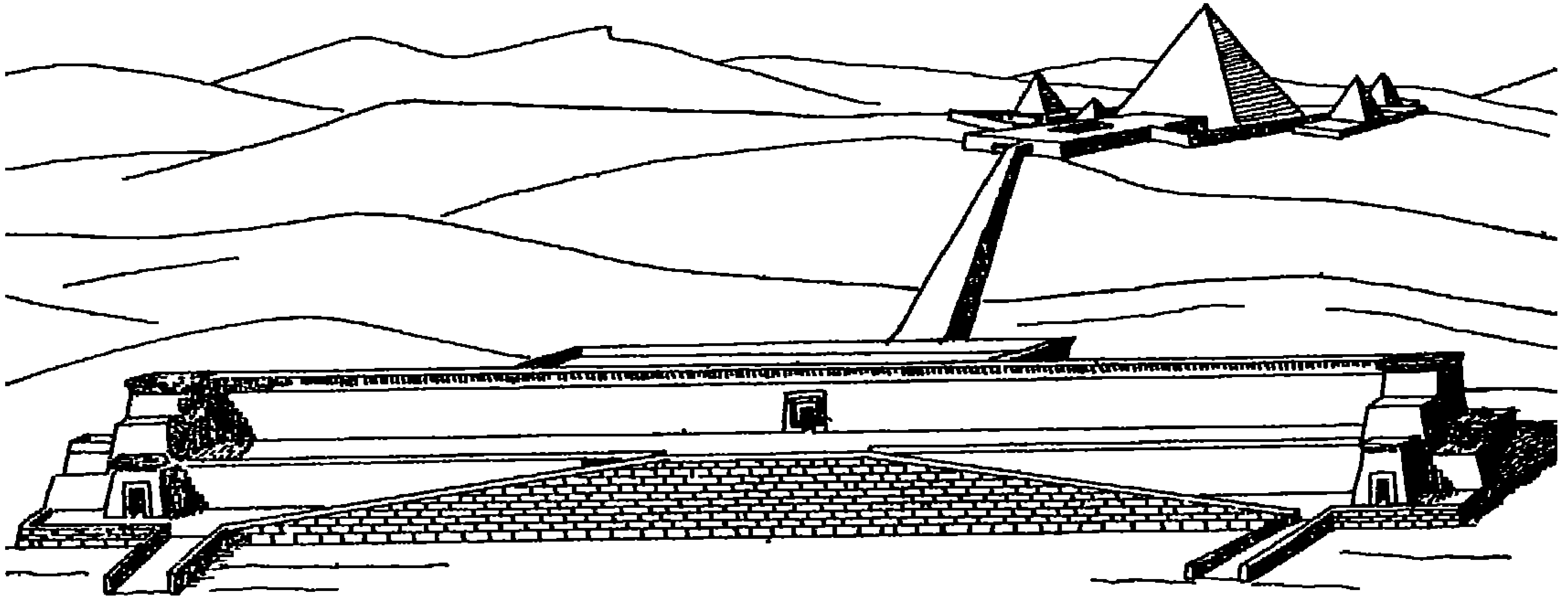
---

(٦) Selim Hassan *Excavations at Giza, Vol* VI. *Part* 1, pp. 41 ff.

(٧) B. Ordseloff, *Das Ägyptische Reinigungszelt* (*Cairo*, 1941) ; E. Drioton, in *Annales du Service*, XL, 1007 — 14 ; Selim Hassan, *Excavations at Giza*, IV, 69 ff.

يقصد به تمكين الجسم من أن يتكلم مرة أخرى ، ويستمتع بالقرابين فى الحياة الأخرى التى كان على وشك البدء بها ، وهى أهم من حياتهم الأولى على الأرض .

ومن المحتمل أن غسل الجسد كان يتم فى البهو الأول من أبهاء معبد الوادى ، كما يحتمل أيضاً أن ذلك كان يتم فوق سطح ذلك المعبد . ولا نعرف على وجه التحقيق فى أى مكان فى المعبد كانوا يقومون بعمل التحنيط ، ولكن جميع من عنوا بدراسة هذا الموضوع متفقون على أن طقس « فتح الفم » كانوا يقومون بعمله أمام التماثيل فى البهو الكبير فى معبد الوادى ، وفى العصور التالية كانت تقام هذه الطقوس فى المعبد الجنازى المشيد إلى جانب الهرم فى الناحية الشرقية منه .



(شكل رقم ٧) المجموعة الهرمية للملك « ببى الثانى » فى سقارة الجنوبية
(نقلا عن رسم تخيلى منشور فى *Jéquier, Le Monument Funéraire de Pépi II.*)

وبعد أن يضعوا الموميا فى حجرة الدفن كانوا يغلقون مدخل الهرم إغلاقا أبدياً ويخفونه تماما وراء أحجار الكساء الخارجى ، ثم يبدأ الكهنة فى القيام بأعمالهم التى كان من شأنها استمرار روح الميت فى الاستمتاع

بالحياة الأخرى إلى الأبد . ويتلخص ماكان يقوم به الكهنة نحو الملك المدفون فى الهرم فى إقامة طقوس مختلفة وتقديم القرابين فى معبدى الهرم ، وكانوا يصحبون كلا منها بصلوات خاصة أو طقوس معينة .



(شكل رقم ٨) الكاهن الملقب «حم - نثر» - من مقبرة فى جبانة الجيزة .

ولم يكن تقديم القرابين يختلف كثيراً عن تقديم وجبات الطعام أثناء الحياة ، فقد كانوا يسبقون تقديم القرابين بعملية تطهير يحرقون فيها البخور وبعض كويرات من النطرون ، كما كان الماء الصافى يلعب دوراً فيها ، ويختمون ذلك أيضاً بصبّ الماء كآخر طقس من طقوس التطهير. وفى أيام الأعياد الرسمية التى يحفل بها التقويم المصرى كان على الكهنة واجبات خاصة أخرى ، ومراسيم معينة يقومون بأدائها ؛ ومن المحتمل أنه كان يسمح لبعض الناس - غير الكهنة - بحضور تقديم القرابين وبالدخول إلى بعض أجزاء معينة من المعابد .

وكان المفروض أنه يتحتم على ابن الملك المتوفى أن يعد كل شىء يستلزمه دفن أبيه ؛ وأن يقوم بالاشتراك فى أداء بعض الطقوس ؛ وأن يتم الأجزاء التى لم يتم العمل فيها من مقبرة أبيه ؛ وقد قام بعض أولئك الأبناء بذلك

على أتم وجه ، ولم يقم بعضهم إلا بجزء مما كان يتحتم عليهم عمله ، كما أهمل آخرون أداء هذا الواجب إهمالا تاما . وعلى أى حال فإن الحالة السياسية عند تغيير الحكم كانت دون شك عاملا له أهميته القصوى .

وكان الكهنة الذين يقومون بخدمة الآلهة أو الملوك أو الملكات يسمون كهنة الـ « حم — نثر » ومعناها خادم الإله ، أما الكهنة المكلفون بالإشراف على الطقوس والقرابين الخاصة بغير الآلهة والملوك فكانوا يسمون كهنة الـ « حم — كا » أى خدم الكا . وكانت الخدمة الدينية الخاصة بكل من الملوك والأشخاص العاديين تستلزم خدمات نوع ثالث من الكهنة الذين كانوا يسمون كهنة الـ « وعب » أى المطهرين . وكان الكثيرون من كهنة الـ « وعب» يقومون على خدمة الملك أثناء حياته ، وكان هذا اللقب من الألقاب التى كثيراً ما نجدها بين ألقاب الأطباء .

وكان لكل من كهنة الـ « حم — نثر » والـ « وعب » درجات مختلفة ؛ فعندما يبدأون حياتهم فى تلك الوظيفة كانوا يلقبون باللقب وحده ، ولكنا نرى أن بعضهم كان يصل فيما بعد إلى درجة مفتش أو مشرف . وكان الكهنة يتلون صلواتهم وابتهالاتهم بطريقة معينة مصحوبة بحركات خاصة بالأذرع أو بالجسم ؛ فإذا لم تؤدَّ أداءً صحيحا حسب ما تفرضه التقاليد فإن الطقس بأكمله لا يصبح فعالا(٨)

كان كل هرم يحتاج إلى عدد من الكهنة ليقوموا بالخدمة الدينية الخاصة به ؛ لأنهم كانوا مقسمين إلى فرق يقوم كل منها بالعمل ساعات محددة فى كل يوم ، وفى أيام معينة من كل شهر . وكان لمعظم الكهنة وظائف مدنية أخرى ، كما كان من حق النساء شغل وظائف معينة فى الكهنوت الخاص بالعقيـــدة الدينية المتعلقة بالأهرامات ، ولم تكن

(٨) لدراسة موضوع الكهنة وموظفى العقيدة الخاصة بالهرم — انظر :
H. Junker, ***Giza*** **VI, 6-25.**

أعظم تلك الوظائف كلها — وهى الـ « حم — نثر » — ممنوعة أو محرمة عليهن(٩) .

وكانت بعض وظائف الكهنة وراثية فى بعض الأسر على مدى أجيال عديدة ، وهذا يفسر وجود أسماء معينة لكهنة فى نفس الوظيفة كانوا يعيشون فى أوقات زمنية مختلفة . فربما نجد مثلا كاهناً من الدولة القديمة يسمى « نفر — حوتپ » يشغل وظيفة « مفتش كهنة سنفرو » وكاهنا آخر يعيش فى الدولة الوسطى يحمل نفس الاسم ونفس اللقب ، ومن المحتمل جداً أن يكون ثانيهما من ذرية جده الذى كان يعيش فى الدولة القديمة . وكثيراً ما نرى الأشخاص المخلصين لعقيدة أحد الآلهة أو أحد الملوك يتسمون بأسماء يدخل فى تركيبها اسم ذلك الملك أو الإله الذى كانوا يقومون بخدمته .

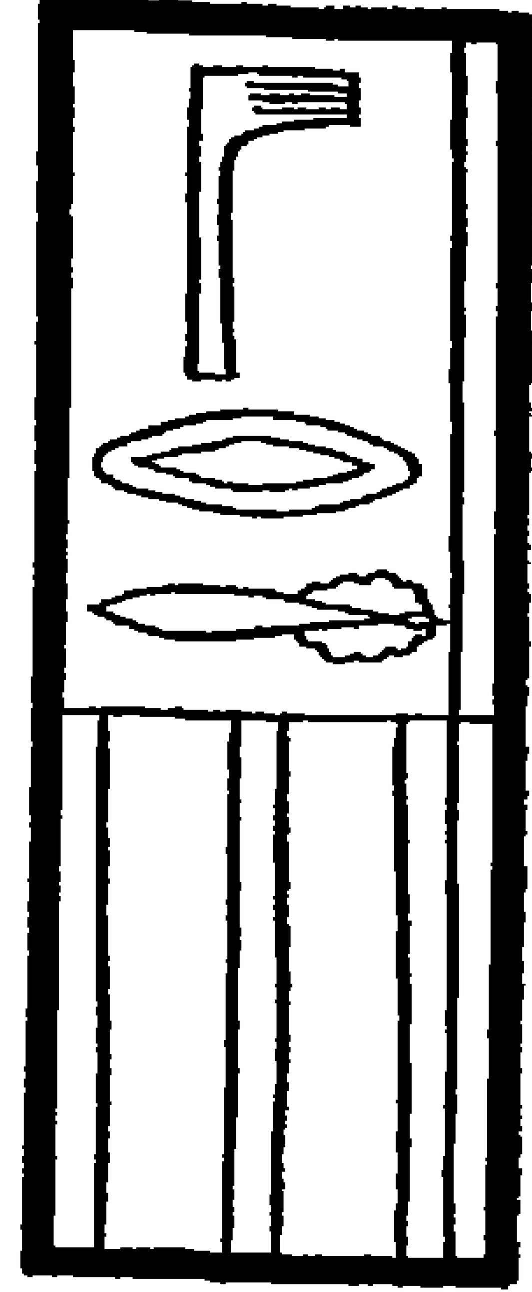
وكان الملوك يوقفون ضياعا كبيرة على ما أقاموه من أهرامات ومعابد حتى يستطيع الكهنة تقديم القرابين إلى أبد الآبدين , كانت هذه الأراضى وقفاً أبديا ، ولهذا استمرت عبادة بعض ملوك الدولة القديمة آلاف السنين ؛ إذ نعرف أن بعض كهنة « سنفرو » و « خوفو » و « رع — ددف » و « خفرع » كانوا يقومون بواجباتهم فى وظائفهم بين خرائب معابد أولئك الملوك فى أيام البطالمة . وكان يشرف على ممتلكات الأهرامات عدد كبير من الموظفين المدنيين ، منهم الحراس والكتبة وأمناء السر ورؤساء العمال وجميع الموظفين القائمين بالإشراف على ممتلكات المعبد . وفضلا عن ذلك كان هناك مزارعون ومستأجرون يزرعون أراضى أوقاف الهرم ، وفى مقابل ذلك يمدون المعابد

(٩) انظر على سبيل المثال مقبرة الملكة « بو — نفر » فى جبانة الجيزة ، وهى منشورة فى كتاب : Selim Hassan, *Excavations at Giza*, III, 176

كما توجد عدة أمثلة لنساء تولين وظيفة « حم — نثر » لبعض الآلهات مثل حتحور ونيث .

بجزء مما تنتجه الأرض ؛ وكانت مكاتب إدارة تلك الممتلكات على مقربة من المعابد عادة ، وعلى مقربة منها منازل الكهنة .

إن تلك الأهرامات المهدمة وما حولها من خرائب المعابد التى نراها الآن كانت فى يوم من الأيام عامرة بكهنتها الذين كانوا يقدمون القرابين لأرواح الملوك الذين أقاموها . إنا لا نرى اليوم شيئا غير الأحجار وأكوام الرديم ، وبين حين وآخر جدارا قائما ، ولكن هذه الأهرامات كانت فى يوم من الأيام تضىء ما حولها بكسائها من الحجر الجيرى الناصع البياض ، وكانت المعابد الفخمة كاملة البنيان ، وكانت أبهاؤها تردد صدى الأناشيد والصلوات التى يرتلها الكهنة ، يحفّ بهم الوقار وهم يسيرون وئيدا يرفلون فى ملابسهم البيضاء : وكانت القرابين والأزهار تغطى المذابح ، وكان عبير البخور يزيد من قدسية الجو المحيط بالمكان . والآن وقد اختفى ذلك ، ولم يعد أحد يردد تلك الصلوات ، ولم تعد جدران المعبد تردد صدى أناشيد الكهنة ، فإن النقوش والصور الملونة فوق جدران المقابر والمعابد التى غفت عليها الأيام ودفنت أكثرها ، ما زالت شاهدا حيًّا على تلك الحركة التى أسكتها مرور السنين .



٣
هرم سقارة المدرج

..تبعد جبانة سقارة الشهيرة بين مناطق الآثار المصرية ما يقرب من خمسة وعشرين كيلومترا عن قلب مدينة القاهرة . وهى من أهم المناطق الأثرية فى مصر ؛ وفيها مقابر تغطى جدرانها نقوش لا تفضلها فى جمالها نقوش أخرى ، كما توجد فيها أهرام ومعابد ومدافن السرابيوم ، وهى مدافن منحوتة فى الصخر للعجل أبيس ، أحد الثيران المقدسة لدى المصريين القدماء . ولكن هذه الآثار كلها تتضاءل أمام الهرم المدرج والمبانى الأثرية التابعة له . لقد رأينا فى فصل سابق كيف كان الملوك الذين حكموا مصر قبل الملك زوسر يشيدون مدافنهم الملكية على هيئة مصطبة كبيرة مبنية باللبن « الطوب النيئ » . وتنسب الأخبار المأثورة عن المصريين القدماء إلى إيمحوتب معمارى الملك زوسر ووزيره ، استخدام الحجر للمرة الأولى فى البناء ، ولكننا نعلم أن المصريين استخدموا الحجر فى بعض أجزاء مبانيهم التى خلفوها قبل أيام إيمحوتب بوقت غير قصير ، كما أن استخدام الحجر لم يكن وقفا على الملوك وحدهم ، بل نراه مستخدما فى بناء بعض مقابر الأفراد فى أيام الأسرتين الأولى والثانية فى جبانة حلوان

على الضفة الغربية من النيل أمام سقارة . ولكن ليس لدينا أى شك فى أن الهرم المدرج ، ويرجع تاريخه إلى حوالى عام ٢٧٨٠ ق . م . ، هو أقدم أثر كبير الحجم قائم بذاته مشيد كله من الحجر ، وأنه أول مقبرة ملكية بنى جزؤها العلوى – أى الذى فوق سطح الأرض – من كتل الأحجار .

ويرجع تاريخ معلوماتنا الحديثة عن هذا الهرم إلى أوائل سنى القرن التاسع عشر ، وكثيراً ما جاء الرحالة والسائحون إلى منطقة سقارة قبل ذلك العهد وتركوا لنا وصفا لزيارتهم ، وبعض رسوم لما شاهدوه ، ولكن لم يحاول واحد منهم أن يبحث فى داخل الهرم المدرج ؛ ولم يترك لنا واحد منهم أى وصف له قيمة دائمة الأهمية(١) .



(شكل رقم ٩) هرم سقارة المدرج

(١) ذكر الكتاب العرب آثار سقارة تحت اسم أبو صير . ومن أراد معرفة المراجع الخاصة بهذه المنطقة فى المخطوطات التى تركها الرحالة فليرجع إلى كتاب :
Porter and Moss, : *Topographical Bibliography.* III, 85—89.

وأقدم ما نعرفه عن الحفائر داخل هذا الهرم هو ما قام به القنصل الألمانى العام فى مصر فى ذلك العهد ويسمى فون مينوتولى Von Minutoli ، ففى عام ١٨٢١ وصل هذا الباحث إلى الدهاليز التى فى أسفل الهرم واكتشف عدة أشياء هناك أهمها إحدى الحجرات التى كسيت جدرانها بقوالب صغيرة من القرميد الأزرق اللون ، وقد كتب « فون مينوتولى » وصفاً لما قام به فى كتابه : Reise Zum Tempel des Jupiter Ammon وفيه لوحات رسم جيدة قام برسمها الفنان الإيطالى ڤالريانى Valeriani الذى ترك هو الآخر وصفا لهذا العمل الذى اشترك فيه فى كتابه :

Atlante del Basso ad Alto Egitto illustrato.

وعثر فون مينوتولى فى داخل الهرم المدرج على أجزاء من مومياء ، وبعض نقوش ، عليها اسم زوسر أرسلها إلى أوربا فى سفينة غرقت فى البحر أثناء عاصفة هبت عليها ، وكثيراً ما نجد هذه المومياء موضع مناقشة بين المختصين وتنسب عادة إلى الأسرة الثالثة . وبعد سنوات كثيرة عثر المشتغلون بالآثار على جزء من المومياء نفسها وفى المكان نفسه ، ويقول الدكتور « درى » Derry الذى فحص هذا الجزء من المومياء : إن الطريقة التى اتبعت فى لفها والمحافظة عليها تجعلنا نجزم بأنها من الدولة القديمة ، وعلى هذا فمن المحتمل أن تكون جزءا من مومياء الملك زوسر نفسه(٢) .

جاء الكولونيل هوارد ڤيز Colonel Howard Vyse من إنجلترا إلى مصر فى عام ١٨٣٧ ليقوم ببعض البحوث الأثرية وليدخل الأهرام ويدرسها . وكان فى حاجة إلى شخص كفء ليقوم بإدارة العمل ، ومن حسن الحظ وجد ضالته فى مواطن له اسمه « پرنج » J. S. Perring وقد كان ما قام به « پرنج » من أعمال فى داخل وحول أهرامات الجيزة

---

(٢) *Annales du Service*, XXXV (1935) : 25—27.

وسقارة ودهشور وغيرها من المناطق الأثرية الهامة أول بحث علمى دقيق فى العصر الحديث ؛ إذ أن جميع مقاييسه دقيقة . والآن تستولى علينا الدهشة عندما نفحص أعماله التى قام بها ، ويزداد إعجابنا به عندما نعرف أنه أتم ذلك كله فى أقل من ثلاث سنوات ، وكان ما نشره هذان العالمان عن مبنى الهرم المدرج ذاته والأجزاء الداخلية منه الواقعة تحت سطح الأرض أول نشر علمى مفصل عن هذا الهرم[٣] . اكتشف « پرنج » مرة ثانية الدهاليز والحجرات التى وصفها « فون مينوتولى » ، ووجد الحجرة التى كسيت جدرانها بقوالب قرميد من الفيانس الأزرق ، ورسم النقوش التى رآها . وتابع « پرنج » بحوثه فاكتشف ردهات أخرى وكومة من الموميات ووصل إلى حجرة فيها اسم الملك زوسر ، ونجد نتائج ما قام به « ڤيز » و « پرنج » فى كتابهما *Operations carried on at the Pyramids of Gizeh.* وفى الأطلس الملحق بهذا المؤلف وفيه كثير من الرسوم التخطيطية ، ولوحات الرسوم ، وهى من المراجع التى لا يمكن أن يستغنى عنها رجال الدراسات الأثرية المصرية حتى الآن .

وبعد بحوث « پرنج » أتت بعثة « لپسيوس » Lepsius الألمانية فى خريف عام ١٨٤٣ وبقيت فى وادى النيل حتى شتاء ١٨٤٥ . وبالرغم من أن الهدف الأساسى لهذه البعثـــة الأثرية كان تسجيل النقوش التى على الآثار فى مصر وفى النوبة فإنها قامت أيضا ببعض الحفائر ، وكان من أهم ما استأثر بعناية « لپسيوس » هرم سقارة المدرج . كان لپسيوس أول من أدرك أنه بنى فى الأصل كمصطبة واحدة أضيفت فوقها فيما بعد مصاطب

(٣) **Howard Vyse:** *Operations Carried on at the Pyramids of Gizeh in* 1837 *(* 3 *Vols.; London,* 1840 — 42 *)*, III *Plates A — D*, 42—43, 44—45 *and* 46—47.

أخرى(٤)، ووصلت البعثة إلى داخل الهرم وأخذت منه جزءاً من الجدران المغطاة بالقراميد الزرقاء وبعض كتل الأحجار المنقوش عليها أسماء زوسر التى كانت تحيط بتلك القراميد . ونشر « لپسيوس » ومساعدوه نتائج عملهم فى اثنى عشر مجلداً كبيراً ظهر أولها فى عام ١٨٤٩ .

وبعد « لپسيوس » وصل إلى داخل الهرم علماء آخرون قاموا أيضا ببحوثهم الأثرية أمثال « ماريت » Mariette « وماسپرو » Maspero و « پترى » Petrie و « بورخارت » Borchardt وغيرهم ، وكتب كل منهم عن الدهاليز والممرات التى تحت الهرم ، ولكن لم يعن واحد منهم بفحص أكوام الأتربة التى كانت متراكمة حوله ، إذ كان معظم الأثريين — وعلى الأخص « ماسپرو » — مهتمين بفحص داخل الأهرام أكثر من اهتمامهم بحفر ما حولها .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى قررت مصلحة الآثار المصرية البدء بالحفر حول أهرام سقارة ، وعهدت إلى أحد موظفيها « س . م . فيرث » C.M. Firth بهذا العمل ، فبدأ فى عام ١٩٢٠ ، واستمر فيه حتى مات فى عام ١٩٣١ . قام « فيرث » بحفائره فى داخل الأهرام وفى خارجها وأتت تلك الحفائر بنتائج هامة مثيرة فى جميع أرجاء منطقة سقارة . بدأ « فيرث » حفائره فى داخل الهرم المدرج وفى خارجه عام ١٩٢٤ فعثر فى داخله على دهاليز جديدة غطيت جدرانها بقراميد الفيانس الأزرق اللون ، كما عثر على دهاليز أخرى تحت بناء الهرم ملأى بأوان مكدسة بعضها فوق بعض قدر عددها بما لا يقل عن ٣٠٫٠٠٠ إناء من المرمر والجرانيت والديوريت والبرشيا وحجر الشست (الاردواز) وغير ذلك من أصناف الأحجار .

(٤) R. Lepsius : *Denkmäler* (Text) I, 189—195.

وفى عام ١٩٢٧ انضم إليه « ج . ف . لوير » J. P. Lauer كمهندس معمارى يساعده فى عمله . وبعد موت « فيرث » حل محله كمدير للحفائر « ج . ا . كويبل » J. E. Quibell واستمر هو و« لوير » يعملان معاً حتى عام ١٩٣٦ ، ثم انفرد « لوير » بالعمل فى تنظيف ما حول الهرم وترميمه حتى عام ١٩٥٥(*) ، ولكن الدهاليز الواقعة تحت الهرم لم يتم العمل فيها حتى الآن ، وما زالت فى حاجة إلى المزيد من الحفائر(٥) ، (*)

ونحن لا نعرف شيئاً كثيراً عن الملك « زوسر » ؛ فقد خلف أباه الملك « خع — سخموى » على العرش ، وقد امتاز عصر أبيه بكثرة

(*) عاد « لوير » مرة ثانية لاستئناف عمله فى سقارة فى عام ١٩٦١ .
(تعليق ا . ف .)

(٥) ربما كانت آثار الملك زوسر فى سقارة أعظم آثار الدولة القديمة حظوة باهتمام رجال الآثار الذين كتبوا عنها كثيرا من الكتب والمقالات . والمؤلفات الرئيسية عن الهرم المدرج هى :

C. M. Firth and J. E. Quibell : The Step Pyramid (*Cairo,* 1935—36, 2 *Vols*; J. P. Lauer. *La Pyramide à degrés* (*Cairo,* 1930—39).

وهو فى ثلاثة أجزاء .

وقد ناقش هـ . ريكه : H. RICKE فى كتابه

Bemerkungen Zur Ägyptischen Baukunst des alten Reiches (1944).

موضوع هذا الهرم وتقدم بنظريات تخالف نظريات « لوير » فكتب «لوير» كتابا صغيرا يرد فيه على انتقادات ريكه عنوانه :

Études Complémentaires sur les monuments du roi Zoser à Saqqarah (*Cairo,* 1948).

(*) وظهر فى أواخر عام ١٩٦٢ كتاب جديد للوير عن هذا الهرم وغيره من الأهرام المدرجة لم يغير فيه شيئا من آرائه ،

Jean - Philippe Lauer. *Histoire Monumentale des Pyramides d'Egypt, T,* 1; *Les Pyramides à Degrés* (*III Dynastie*), *Le Cairo,* 1962 .

(تعليق : ا . ف .)

استخدام الحجر فى البناء وصنع الكثير من الأوانى الحجرية . ولم يذكر اسم « زوسر » على أى أثر قبل أيام الأسرة الثانية عشرة ، ولا نجد على آثاره التى أقيمت أثناء حياته إلا اسمه مكتوباً « إرى — خت — نثر » .

وارتبط اسم « زوسر » ارتباطا وثيقاً بالمنطقة الواقعة إلى الجنوب من أسوان التى كانت تسمى فى العصور اليونانية باسم « دوديكاشوينوس » ، ونجد اسمه واسم مهندسه المعمارى « إيمحوتب » على اللوحة المعروفة باسم « لوحة المجاعة » التى يرجع تاريخها إلى أيام البطالمة ؛ أى إلى عهد يزيد على ٢٧٠٠ عام بعد موت زوسر ، وهى منقوشة على صخرة فى جزيرة سهيل جنوبى أسوان ، وتذكر أنه حدثت مجاعة كبيرة فى عهد الملك زوسر ؛ إذ لم يأت فيضان النيل سبع سنوات متتالية . وطلب « زوسر » من « إيمحوتب » أن يمده بالنصيحة فأجابه بأن هذه المجاعة لا يمكن وقفها إلا إذا حصل على رضا الإله « خنوم » إله منطقة الشلال التى كانوا يعتبرونها إذ ذاك منبع فيضان النيل ومصدره ؛ لأن « خنوم » وحده هو الذى يستطيع أن يملأ أهراء مصر بالحبوب . وذهب « زوسر » إلى الشلال وأغدق العطايا على معبد « خنوم » فلم يمض إلا قليل حتى ارتفعت مياه النيل إلى المستوى المطلوب ونجت مصر مما حاق بها . كتب كهنة الإله « خنوم » هذا النص فى عصر كانوا يجدون فيه منافسة قوية من كهنة الإلهة « إيزيس » التى كان نفوذها يزداد زيادة قوية من يوم إلى يوم ، وعلى هذا لا يمكننا أن نعتبرها إلا حقيقة مزورة لا يقصد منها إلا الدعاية لأنفسهم .

وقد استطاع « پول بارجيه » Paul Barguet فى بحث نشره عن هذه اللوحة أن يثبت أن الملك الذى حدثت المجاعة فى أيامه ، وقالوا إنه « زوسر » ، لم يكن إلا « بطليموس الخامس » (إپيفانس) ، وأن تاريخها يرجع إلى عام ١٨٧ ق . م[٦] . وعلى أى حال فإن هذه اللوحة تثبت أن

---

(٦) *p. Barguet, La Stéle de la Famine à Sehel. (Cairo,* 1953*).*

اسم زوسر ظل حيا فى ذاكرة المصريين طيلة تلك القرون ، وأن العقيدة الخاصة به ظلت حتى نهاية التاريخ المصرى القديم .

وتدل هذه اللوحة أيضا على الشهرة العظيمة التى كان يتمتع بها « إيمحوتب » رئيس معمارىى الهرم المدرج ، ومجموعته الهرمية .

ولسنا نعرف حتى الآن معرفة اليقين أكان « إيمحوتب » قد بدأ حياته فى الوظيفة فى أيام « زوسر » أم فى أيام أبيه ، ولكننا نرى اسمه مكتوبا على قاعدة أحد تماثيل زوسر ، وهو من أيام هذا الملك ، ويذكر ألقابه ، ومنها أنه كان المشرف على مالية الوجه البحرى ، وأول رجل بعد الملك ، والمشرف على إدارة البيت العظيم (القصر) ، والنبيل الوراثى ، وكبير كهنة هليوپوليس ، ورئيس المثالين ، ورئيس النجارين . وفى الوثائق التى ترجع إلى عصور أحدث نراهم يشيرون إلى « إيمحوتب » ويلقبونه بلقب وزير ، ومدير أعمال الوجه القبلى والوجه البحرى ، والمشرف على المدينة (الهرمية) ، وكبير الكهنة المرتلين للملك زوسر ، وكاتب كتاب الإله . ومن المحتمل أن تكون هذه الألقاب أغدقت عليه فى العصور التالية[٧] .

وتدل ألقاب « إيمحوتب » على أنه لم يكن من أفراد الأسرة المالكة ولكنه كان شخصاً عصامياً . ولا نعرف أين ولد ، ولكن هناك إشارة قصيرة غامضة فى أحد مؤلفات كاتب فى العصور اليونانية تشير إلى أنه من بلدة الجبلين جنوبى الأقصر[٨] .

وهناك أثر نعرف منه اسمى والديه وتاريخه ، ويرجع إلى ما بين عامى

---

(٧) ليست هذه الألقاب هى كل ما نعرفه من ألقاب « إيمحوتب » فى العصور المتأخرة ، بل توجد ألقاب أخرى غيرها ، ومن أراد الوقوف عليها كلها فليرجع إلى كتاب *Kurt Sethe*, "*Imhotep*" in *Untersuchungen*, Vol. II, *Part* IV

(٨) ذكر « مركور » Mercur أن « اسكلپيوس » دفن فى مدينة كروكوديلوپوليس (الجبلين) .

٤٩٥ ، ٤٩١ ق . م ، وهو نقش فى وادى الحمامات حيث ترك أحـــد المعماريين — واسمه « خنوم — إب — رع » — نقشاً يسجل فيه ذهابه إلى تلك المنطقة ليقطع منها بعض الأحجار ، وذكر سلسلة طويلة من أسماء أسلافه وكان الكثيرون منهم مهندسين معماريين : وأقدمهم جميعا يسمى « كا — نفر » الذى كان مديراً للأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، ثم يتلوه ابنه « إيمحوتب » . وعلى أى حال ، فإنا نرى فى ألقاب « إيمحوتب » ما يدل على أنه كان مرتبطا تمام الارتباط بالنشاط الفنى فى عصره ، وأنه كان متمتعا بنفوذ كبير فى القصر الملكى ، وكان بصفته كبير كهنة هليوبوليس يشغل أكبر وظيفة دينية فى البلاد ، وقد أغدق عليه الملك « زوسر » تكريما خاصا بسماحه بكتابة اسمه على قاعدة تمثال ملكى .

ومع مرور الزمن أصبح « إيمحوتب » اسماً أسطوريا وشخصيته مقدسة . وقد أشار المؤرخ المصرى « مانيتون » Manetho إلى الملك زوسر وأضاف قائلا : « وفى عهده عاش إيمحوتب (Imuthes) الذى يعتبره الإغريق « اسكلپيوس » بسبب مهارته فى الطب . وقد اكتشف هذا الرجل فن البناء بالحجر المنحوت وأقبل بكل روحه ، وبحماسة شديدة ، على الكتابة » . ونقرأ فى بردية يرجع تاريخها إلى القرن الثانى بعد الميلاد أن الملك « من — كاوو — رع » من ملوك الأسرة الرابعة (حوالى عام ٢٥٩٠ ق . م .) شيد المعابد وأوقف القرابين لتخليد ذكرى « إيمحوتب » واثنين آخرين ، ولكننا لم نعثر على ما يؤيد ذلك فى أى وثيقة أقدم عهدا من تلك البردية . وأقدم إشارة تاريخية إلى شهرة إيمحوتب ترجع إلى أيام الدولة الوسطى ، وذلك فى بردية « أغنية العازف على الجنك »(*) التى كتبت فى الأسرة الحادية عشرة (٢١٠٠ ق . م .) وكانت من الأغنيات الشائعة فى الدولة الحديثة ،

(*) الجنك أو الصنج فى الموسيقى العربية اسم للآلة التى تسمى « هارب Harp » ويترجمها البعض أحيانا بالقيثارة . (تعليق ا . ف)



إذ تتحدث هذه الأغنية عن حكمة « إيمحوتب » ، ومع ذلك فلم يعثر حتى الآن على أى عمل منسوب إليه بين البرديات التى حفظت لنا الكثير من نصائح ومواعظ الحكماء القدماء .

احترم المصريون القدماء فى أيام الدولة الوسطى ذكرى إيمحوتب احتراما كبيراً ، وكان الكتّاب فى أيام الدولة الحديثة يعتبرونه حامياً لهم ، وقبل أن يخطوا كلمة واحدة فى قراطيس البردى كانوا يريقون بعض قطرات من الماء من آنية قرباناً له ، ولكننا لا نرى أى دليل على تأليههم له تأليهاً حقيقيا إلا فى القرن السادس قبل الميلاد . حدث ذلك فى أيام حكم الفرس لمصر ، أو ربما قبل ذلك بقليل ؛ إذ شيدوا المعابد تكريما له ، وكانوا يسمونه « ابن الإله بتاح » ، ومن المحتمل تفسير ذلك بأنه كان كرد فعل بين المصريين ضد أشور واليونان والفرس ، وقوتهم التى أخذت تزداد ويرتفع شأنها فى ذلك العهد . وعلى أى حال ففى الوقت التى نقشت فيه لوحة المجاعة كانت المعابد تبنى لإيمحوتب ، وكان الناس يعبدونه كأحد آلهتهم . كان الناس ينشدون نصحه خلال النبوءات ويحترمون ما تشير به ، وعبده المصريون كساحر نبغ فى رقى السحر وكمخترع لاستخدام الحجر فى المبانى ، ورأوا فيه الطبيب الحكيم الذى حوت وصفاته جميع أسرار الطب . وكانت معابد « إيمحوتب » من الأماكن التى يحج إليها المرضى ليكتب لهم الشفاء[٩] وكان مركز عبادته فى مدينة منف .

---

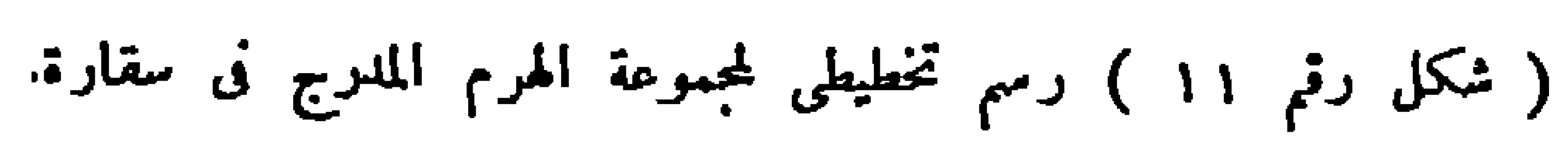
(٩) نعرف من قصة « نشاتيس Nechatis الذى كان كاهنا فى معبد « إيمحوتب » كيف شفيت والدته إثر معجزة تمت فى ذلك المعبد . وقد أراد نشاتيس أن يعبر عن اعترافه بالجميل بترجمة قرطاس بردى مصرى منسوب إلى « إيمحوتب» إلى اللغة اليونانية – ارجع إلى هذا للموضوع فى كتاب GRENFELL AND HUNT, *Oxyrhynchus Papyri, Vol.* XI (1915) .J B. Hurry, *Imhotep, The Vizier and Physician of King Zoser* (Oxford ,1929).

وقد عثر على معابد أخرى أقيمت تكريما له فى الوجه البحرى وفى الوجه القبلى ، كما كان يعبد أيضا فى النوبة وفى بعض واحات الصحراء الغربية . وما زال علماء الآثار المصرية يأملون فى اكتشاف قبره عسى أن نعرف المزيد عن ذلك الرجل العجيب ، ومن المرجح أن يكون مدفونا فى سقارة على مسافة غير بعيدة من الهرم المدرج ؛ ولكن ذلك لا يعدو أن يكون ظنا فقط ، إذ لا نعرف شيئا على وجه التحديد .

ولم يضع « إيمحوتب » تصميم كل ما أقامه « زوسر » من آثار ، وليس لدينا ما يثبت أنه وضع تصميم قبر بيت خلاف الذى يعزى إلى « زوسر » ، ويرجح تشييده فى عصر مبكر من حكمه . وقد شيد هذا القبر ؛ وهو إلى الجنوب من أبيدوس ، على الطراز التقليدى ، أى على هيئة مصطبة كبيرة مستطيلة مشيدة من الطوب اللبن طولها ٩٥ مترا على وجه التقريب ، وعرضها خمسون مترا ، وارتفاعها أكثر من ١٠ أمتار . ومن أعلى المصطبة يبدأ ممر طوله ١٧ مترا ينزل إلى أسفل حتى يصل إلى ممر أفقى فيه اثنتا عشرة حجرة ، عثر فيها على كثير من الأوانى الحجرية ، ولم يعثر على اسم « زوسر » على أى إناء منها ، ولكنه مكتوب على السدادات الطينية ومكتوب معه أسماء عدد من الكروم وبعض الموظفين .

وقد عثر على بعض أجزاء من معابد كان زوسر قد شيدها فى هليوبوليس ، وفى هوربيط فى الدلتا ، كما تنسب نماذج المثالين لبعض الوجوه والحروف الهيروغليفية المحفوظة الآن فى متحف المتروبوليتان بنيويورك إلى هذا العصر المبكر من تاريخ مصر[١٠] . وعلى أى حال فقد أشرف « إيمحوتب » بعد ذلك على بناء الهرم المدرج وجميع المبانى الملكية ، ولكن الهرم المدرج هو الذى يستأثر باهتمام المشتغلين بالدراسات المصرية القديمة ولا يوجد أثر فى مصر ، إذا استثنينا معبد الكرنك فى الأقصر ، قد

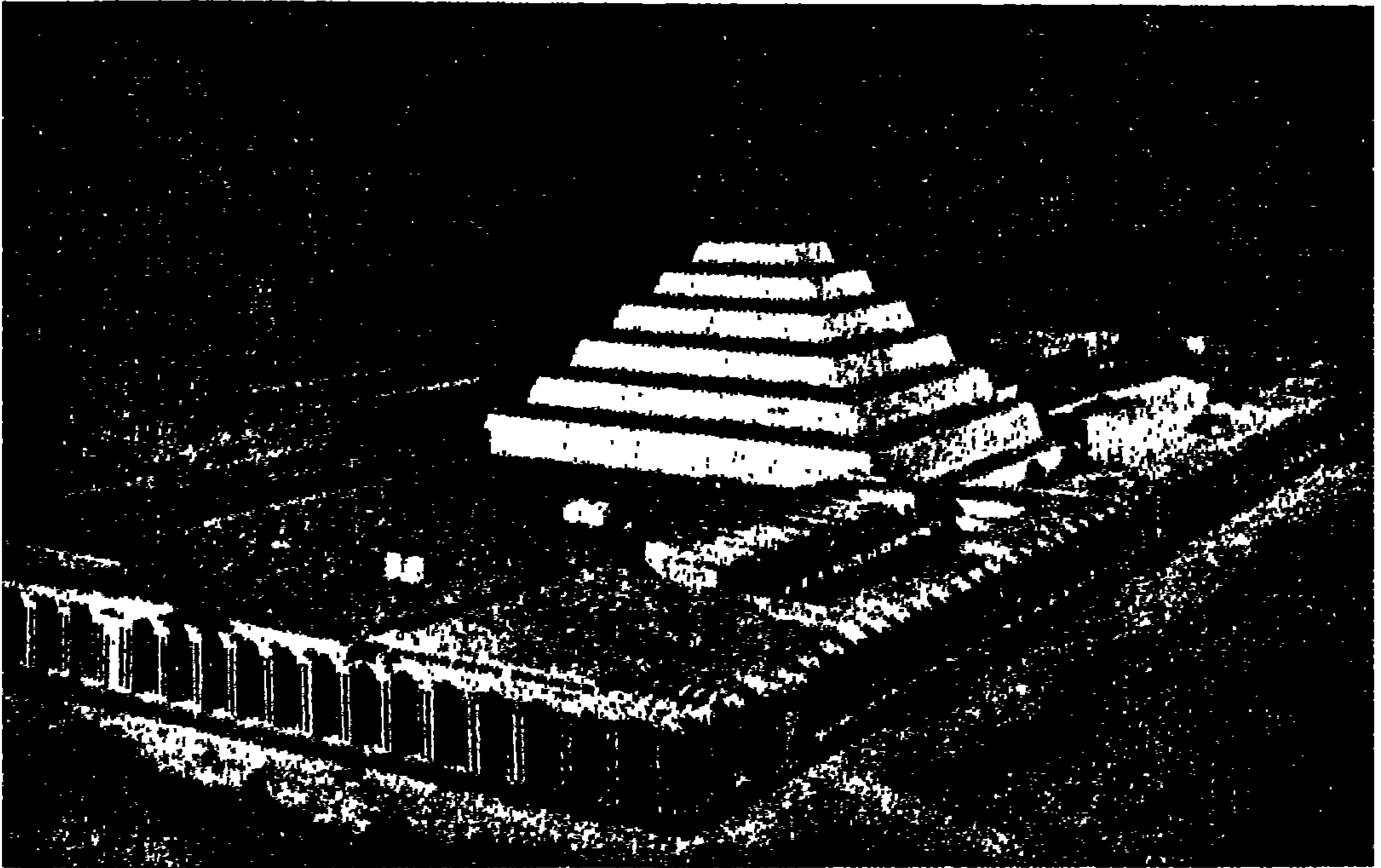
(١٠) W.C. Hayes, *The Scepter of Egypt (New York*, 1953) *pp.* 60-61



(شكل رقم ١١) رسم تخطيطى لمجموعة الهرم المدرج فى سقارة.

استهوى نفوسهم مثل هذا الهرم ومجموعته الهرمية ؛ إذ تتضح فيه عبقرية معمارى عظيم ، وازدهار العمارة المصرية القديمة .

ومبانى المجموعة الهرمية لهذا الهرم جميلة تاخذ بلب الزائر ، وتمتاز بشيئين : أولهما أن تلك المبانى مشيدة من الحجر الجيرى لتكون صورة من المبانى المشيدة بالطوب فى المقر الملكى فى منف. وقد واجه المهندس المعمارى القديم كثيرا من الصعاب فى البناء بالحجر لعناصر معمارية كانت تشيد دائماً قبل ذلك بالطوب اللبن ، والخشب ، والبوص ، وفروع الشجر ، ولكن عبقريته كانت تجد حلا لكل مشكلة . وثانى الأمرين أن كثيرا من العناصر المعمارية قد ظهرت فى هذه المجموعة الهرمية للمرة الأولى والأخيرة ، ومن بينها أنواع الأعمدة المختلفة وتضليعاتها الرشيقة التى لا نجد تكرارا لها فى عصر من العصور التالية ، ولم يعثر على ما يماثل تفصيلاتها المعمارية على مقربة من أى هرم من الأهرام .

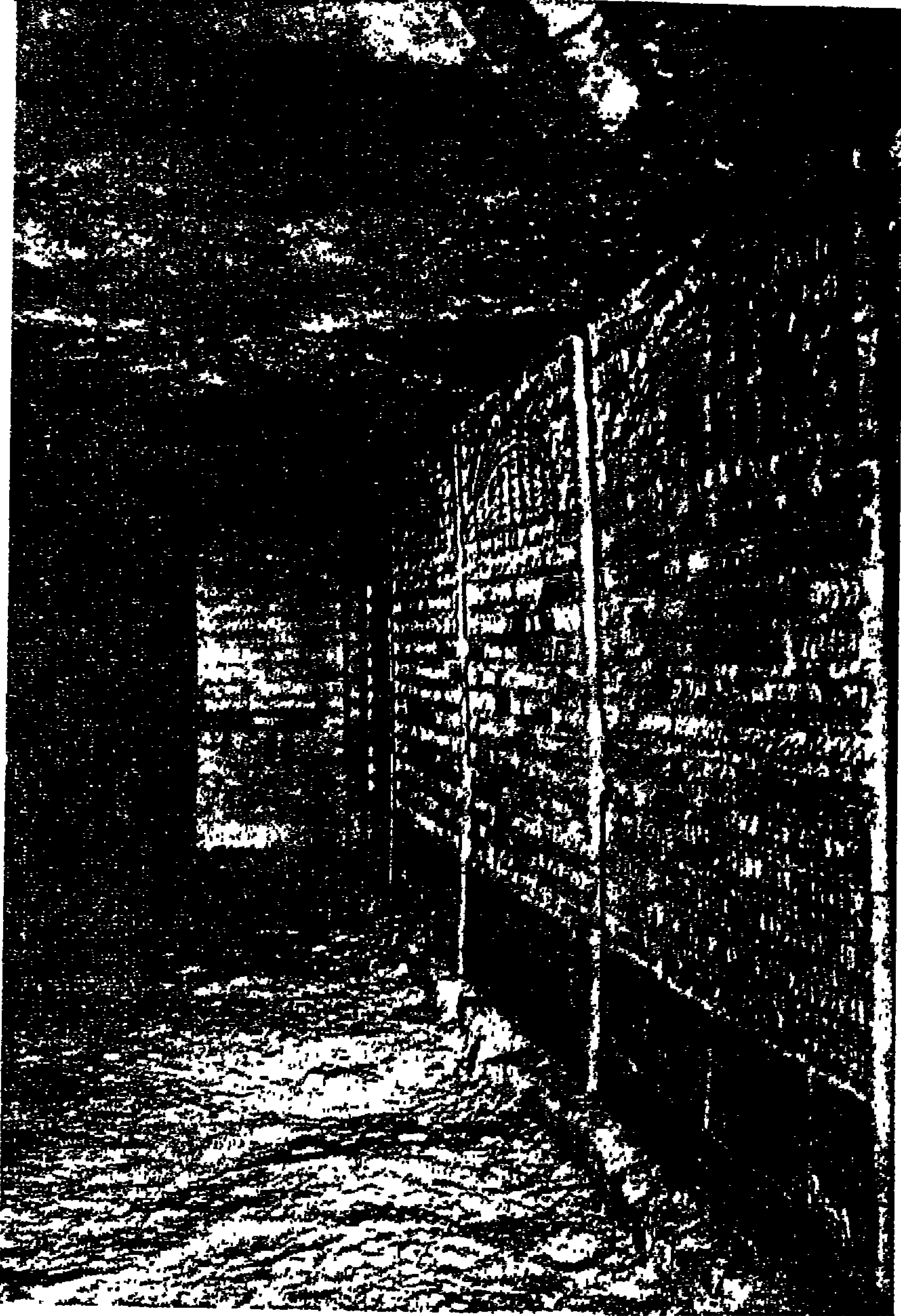


(شكل رقم ١٢) – نموذج تخيلى لمجموعة الهرم المدرج (نقلا عن « لوير »)

ويحيط بالهرم والمبانى الملحقة به سور من الحجر الجيرى الأبيض كان ارتفاعه عند تشييده عشرين ذراعاً مصرياً (أى ٤٠ر١٠ أمتار) ، وطوله من الشمال إلى الجنوب ٥٤٥ متراً ، ومن الشرق إلى الغرب ٢٧٧ متراً ، وله أربع عشرة بوابة محصنة منها ثلاث عشرة بوابة رمزية ؛ أى مرسومة فقط على السور ، وبوابة واحدة حقيقية وهى التى استخدمها القدماء ، ومازال يستخدمها زائرو هذا الأثر . ومن المحتمل أن تكون أبعاد هذا السور مماثلة لأبعاد سور القصر الذى كان يعيش فيه الملك « زوسر » فى العاصمة . واستخدم « إيمحوتب » فى تشييد سور الهرم كتلا من الحجر صغيرة الحجم جداً تقليدا لحجم قوالب الطوب الكبيرة التى كانت تستخدم فى ذلك العصر ، وأوضح فى جدران السور ، كما ذكرنا ، المواضع التى كانت فيها البوابات الثانوية التى كانت توصل من الخارج إلى حرم القصر .

ولا بد أن مدخل البوابة الخارجية من الناحية الشرقية كان مفتوحاً دائماً لأنه لا يوجد أى أثر للفجوة التى يدور فيها محور الباب ، ولكننا نجد فجوات محور الأبواب فى الجهة الداخلية من المدخل نفسه مما يدل على أنه كانت هناك أبواب من الخشب تفتح إلى الداخل .

ويقود المدخل إلى بهو طويل يؤثر فى النفس بجمال نسبه ، تبرز من جانبيه عشرون ركيزة متصلة بالجدار ارتفاع كل منها ٦٠ر٦ أمتار ، وفى نهاية كل ركيزة عمود متصل بها ، ومن المحتمل أن تكون الركيزة والعمود الذى فى نهايتها صورة من الحجر لما كان يماثلهما مشيداً بالطوب فى القصر الملكى . ومن الجائز أيضاً أن مبانى الطوب كانت مغطاة بالخشب أو بأعواد البوص . وقد عثر على معظم أسطوانات الأعمدة فى الأتربة التى كانت تغطى هذا المعبد ، ملقاة على مقربة من أماكنها الأصلية ، ولهذا سهل وضعها فى أماكنها عند ترميمها . وترى فى السقف الحجرى تقليداً لأفلاق



(شكل رقم ١٣) أحد الأبهاء المزخرفة داخل المبنى المعروف باسم المقبرة الجنوبية

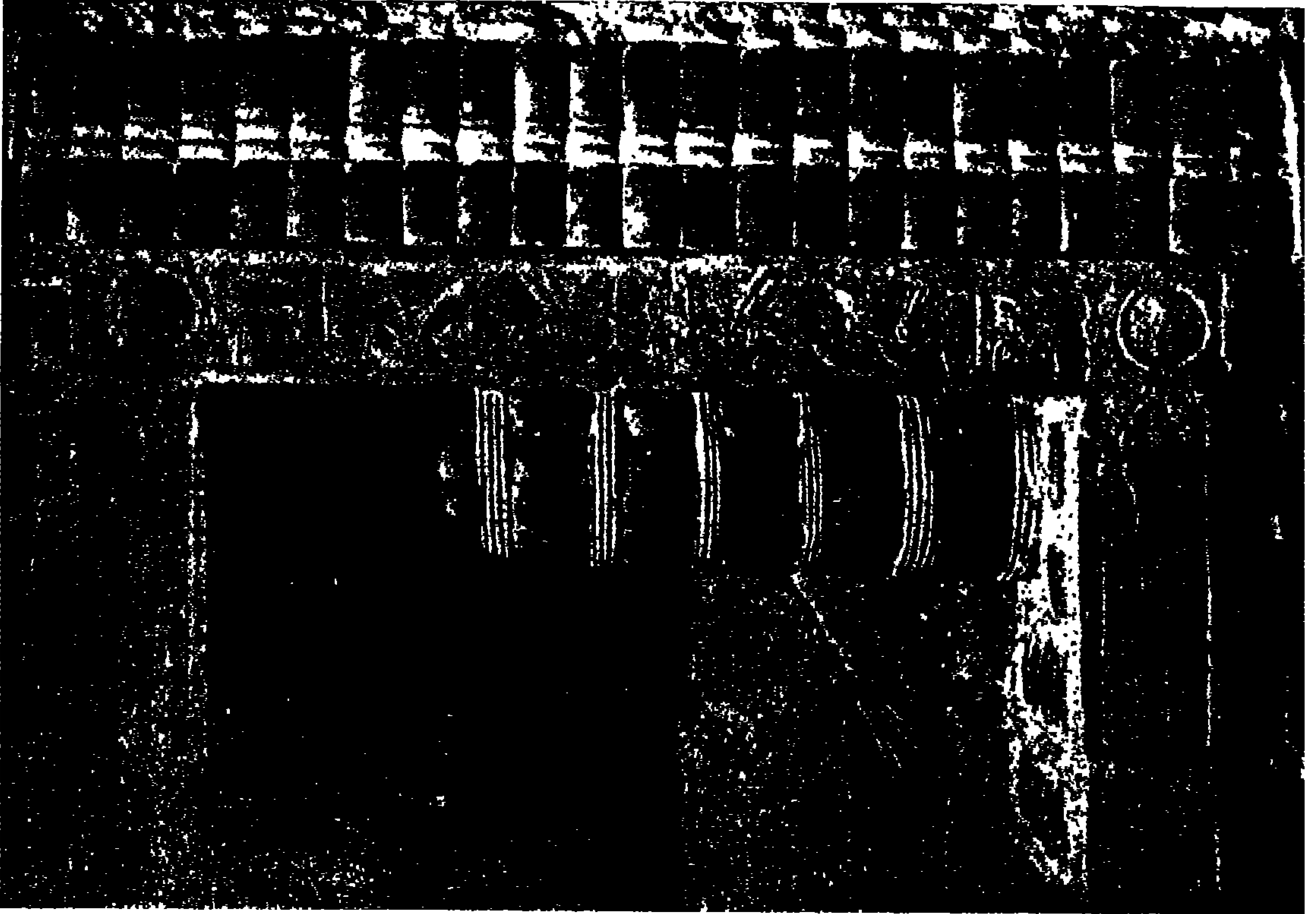
النخل ، وعلى مقربة من نهاية هذا البهو ، وفى الناحية الغربية منه ، نرى قاعة صغيرة مستطيلة يحمل سقفها ثمانى ركائز من طراز خاص لم يتكرر مرة أخرى فى العمارة المصرية القديمة ، وفى نهاية البهو ممر ضيق فى نهايته ما يمثل بابا نصف مفتوح .

ويجد الزائر نفسه بعد اجتياز هذا الباب داخل ساحة متسعة يحيط بها السور الخارجى ، ويجد أمامه المقـــبرة الجنوبية ، وعلى يمينه يرتفع الهرم نفسه .

لقد أطلق « فيرث » اسم المقبرة الجنوبية على هذا البناء عند الكشف عنه عام ١٩٢٨ ، ولكننا لا نملك أى دليل أو برهان على أن القدماء قد شيدوه ليكون قبراً ، ولا نملك أيضاً أى دليل على أن أحدا دفن فيه . وهذا البناء مشيد ملاصقا للسور الكبير ، وله مدخل فى الناحية الجنوبية ، وتشبه هذه « المقبرة » المصطبة التى شيدت فى الأصل للملك زوسر ؛ إذ يمكن الوصول إليها بوساطة بئر مربعة طول كل ضلع من أضلاعها سبعة أمتار وعمقها ثمانية وعشرون مترا ، وفى قاع هذه البئر حجرة مبنية من كتل مربعة من الجرانيت طول كل ضلع منها ١٫٦٠ متر . وفى هذا البناء عدة دهاليز وممرات جدرانها مزينة بقوالب من القيانس ، ونرى أحد الجدران وقد زين بثلاثة أبواب وهمية عليها رسم يمثل الملك زوسر ، ونقرأ فوقه اسمه وألقابه . وفوق الممرات التى تحت مستوى سطح الأرض بناء كبير مستطيل فوق سطح الأرض كان سطحه منحنيا ، وكان طوله ٨٤ مترا وعرضه ١٢ مترا وله هيكل ، وفى ركن هذا البناء ما زلنا نرى جزءاً من جداره الأصلى قائماً ، وهو من الحجر الجيرى وإفريزه مزخرف بحيات الكوبرا .

ويشير أكثر المشتغلين بالدراسات المصرية القديمة إلى هذا البناء على أنه قبر رمزى لزوسر بصفته ملكا للوجه القبلى (أى الجنوب) أو كان لدفن الأوانى « الكانوبية » التى تحتوى على الأحشاء .

وفى رأيى أن هذا البناء ليس إلا الأصل الذى تطور فيما بعد وأصبح هرماً جانبياً ، وهو الهرم الصغير الذى بدأ ظهوره منذ أيام الملك سنفرو (وربما قبل ذلك) فى الناحية الجنوبية من كل هرم . ولسنا نعرف حتى الآن على وجه التحقيق المهمة أو الدور الذى كانت تؤديه تلك الأهرامات الجانبية . لقد عثر مكتشفو المقبرة الجنوبية فى سقارة على البئر وعلى الخندق الموصل إلى المقبرة ، وعلى الدرجات وكلها مسدودة بالأحجار ، ولكن اللصوص استطاعوا الوصول إلى الداخل بعمل فجوة فى الناحية الجنوبية من البئر ، ثم واصلوا حفرهم فى الرديم الذى كان يملؤه حتى وصلوا إلى الداخل ، وعلى أى حال فلم يجد من قاموا بحفر هذا المبنى فى العصر الحديث شيئاً داخله .



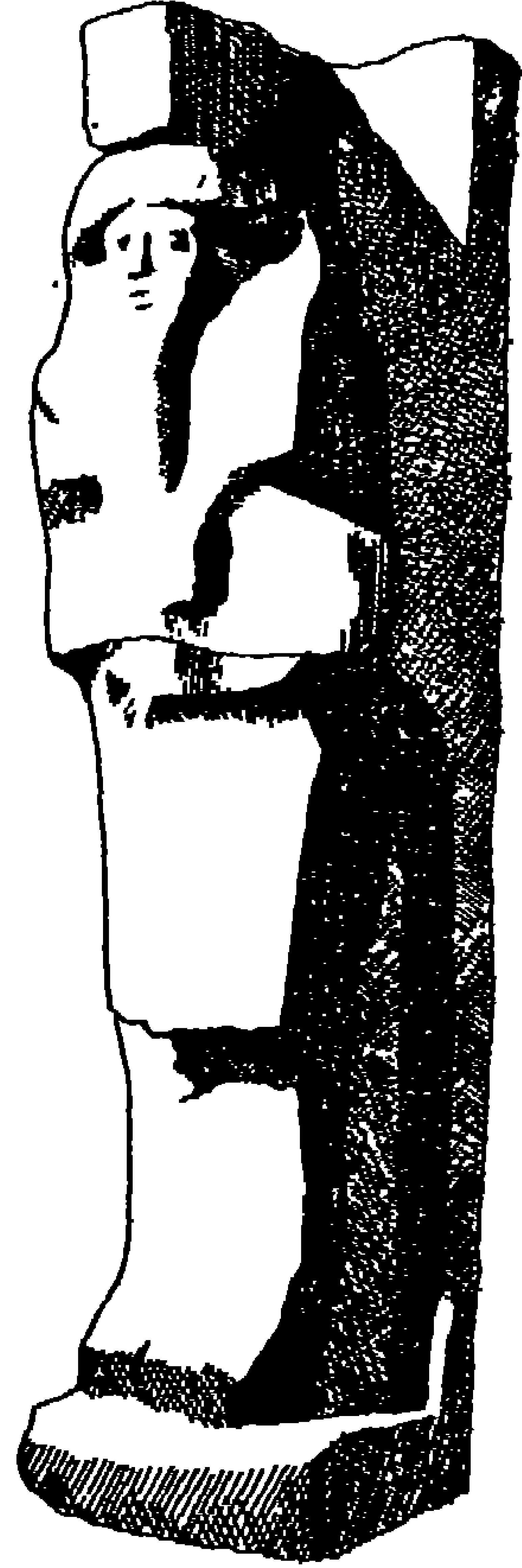
(شكل رقم ١٤) أسماء الملك زوسر كما وردت فى أحد أبهاء الأثر الذى يطلق عليه الأثريون اسم المقبرة الجنوبية

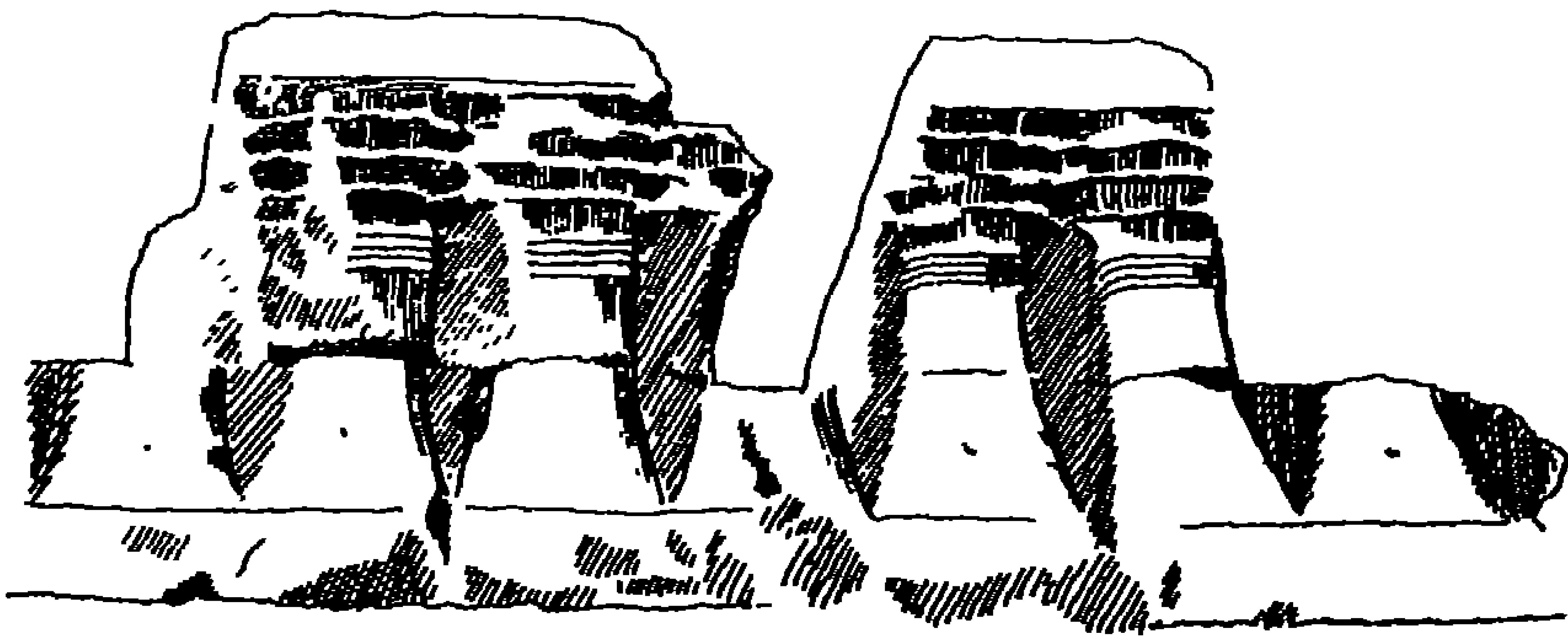
ويمر الزائر عند اجتيازه الساحة الكبيرة ببقايا بناءين صغيرين من الحجر على شكل B ، من المحتمل جدا أنهما يرتبطان بطقوس عيد السد (العيد الثلاثيني) . وفى الناحية الشرقية يرى الزائر ثلاث ركائز مضلعة قائمة وسط خرائب معبد صـــغير مستطيل ، وقد استطاع من حفروه ، اعتمادا على ما وجدوه ، أن يقرروا أن سقفه الحجرى كان مدهونا باللون الأحمر تقليدا لأفلاق النخل . ومن بين العناصر المعمارية التى تستلفت النظر تلك الأبواب الحجرية الثابتة التى تمثل أبوابا نصف مفتوحة ، والأركان المستديرة فى الزوايا الخارجية للجدران ، وأصلها حزم من « البوص » مربوطة بعضها إلى بعض كانت تقام فى أركان الأكواخ لتقوية الجدران .

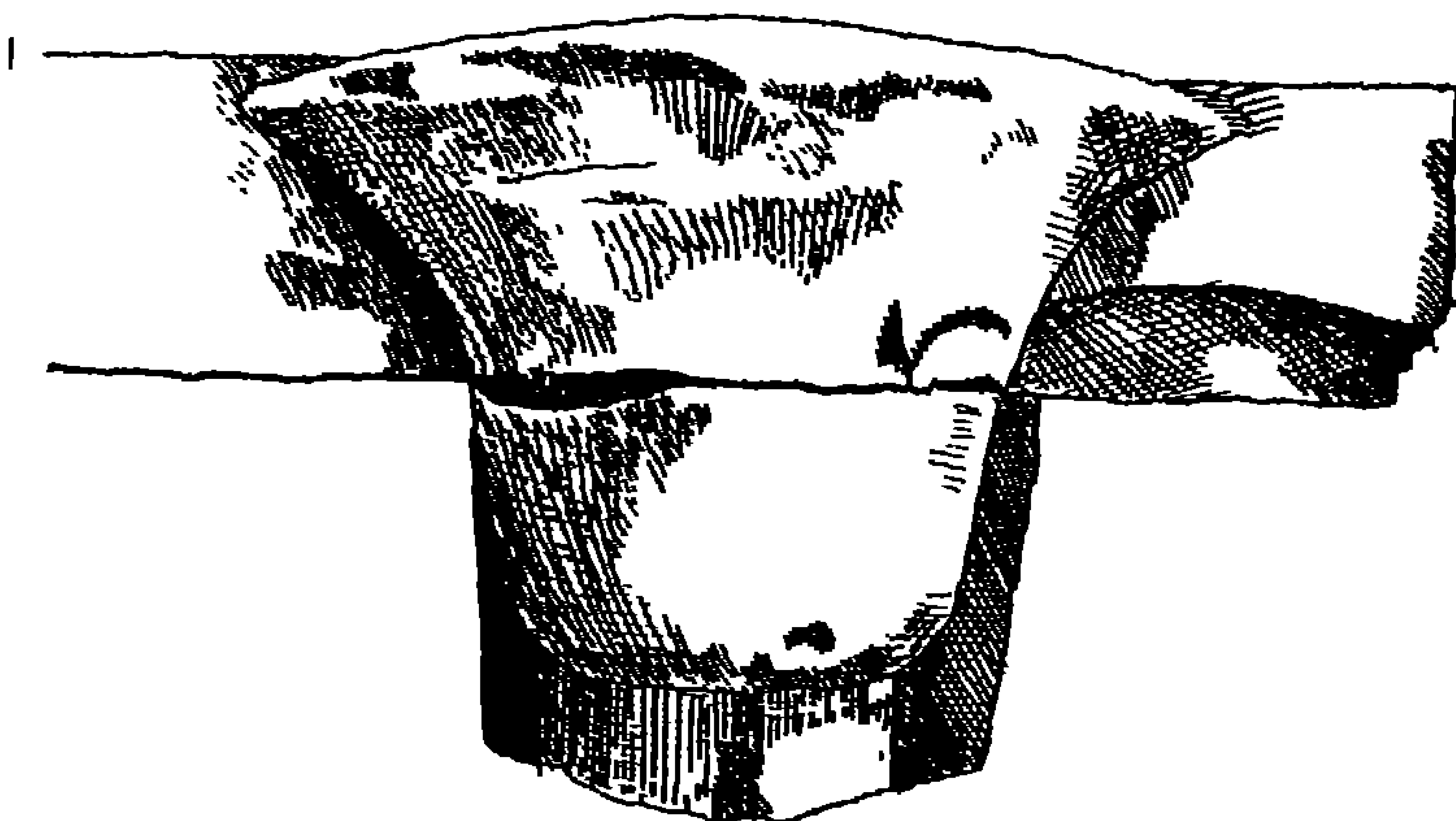
وإلى الشرق من المعبد الصـــغير نجد بقايا فناء كبير مستطيل اسمه فناء الاحتفالات ، أو فناء عيد السد . وبالرغم من أنه فى حالة مخربة فإن أجزاءه الباقيات تكفى لتوضح لنا كيف كان نظام مبانيه عند تشييده ؛ إذ ترى بقايا هياكل مشيدة بطول الحائطين الشرقى والغربى من الفناء . وكان لكل هيكل من الهياكل المقامة أمام الحائط الشرقى مدخل صغير يؤدى إلى حجرة فيها نيش(*). وكانت واجهات الهياكل المقامة أمام الحائط الشرقى بسيطة غير مزخرفة ، أما واجهات الهياكل المقامة أمام الحائط الغربى فإنها مزخرفة بثلاثة أعمدة متصلة بالحائط ، والعمود الأوسط منها أعلى من العمودين الآخرين ، وفوق الأعمدة الثلاثة إفريز بارز مقوس ، كما كان السقف منحنيا أيضاً . وتيجان تلك الأعمدة فريدة فى العمارة المصرية إذ كان هناك ثقب يخترق العمود ، وفوق هذا الثقب سووا سطح الحجر ، وعلى كل من الجانبين صوروا فى الحجر ما يشبه ورقة من زهرة . وتحت الثقب العلوى يوجد ثقب آخر ، وتحت الثقب الثانى يوجد نتوءان فى العمود .

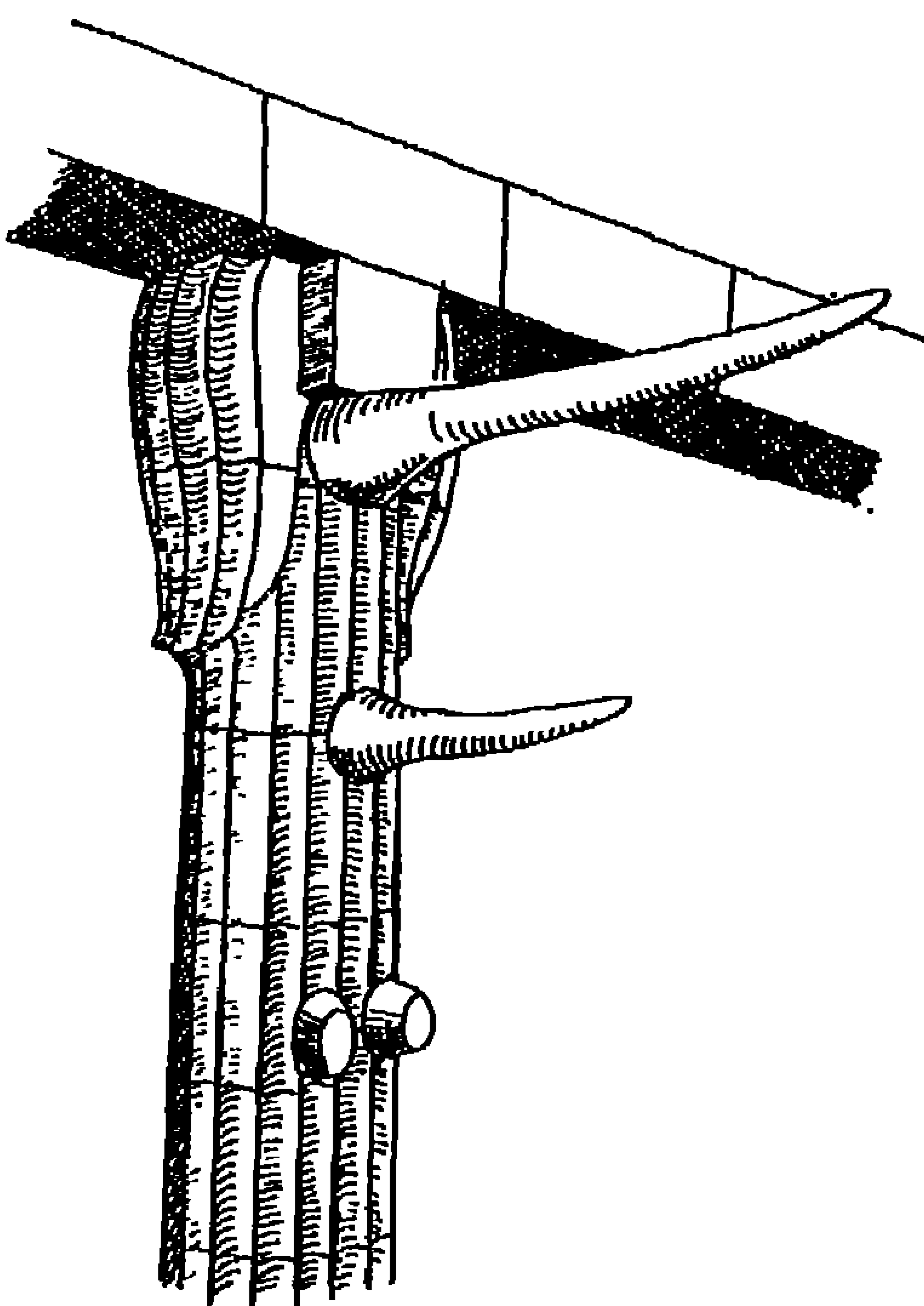
(*) كوة أو فجوة فى الجدار يوضع فيها تمثال أو لوحة . (تعليق — ا . ف)

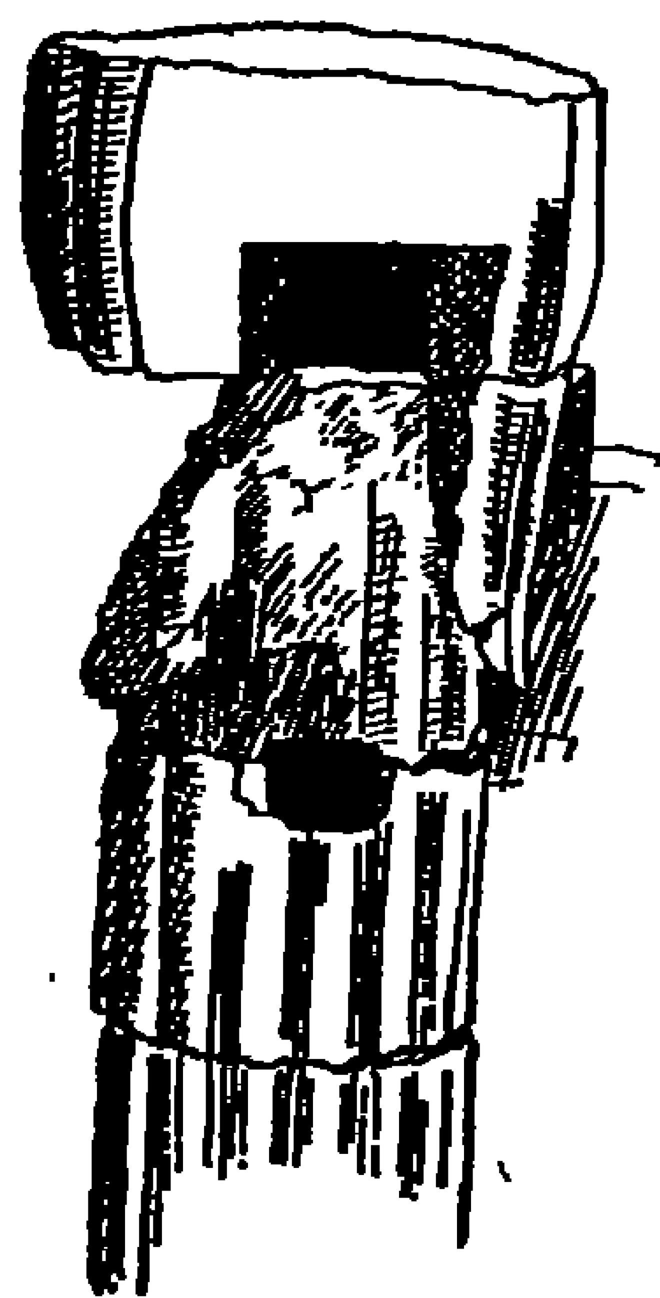
(شكل رقم ١٥)
بعض العناصر المعمارية في هرم سقارة المدرج











والتفسير الوحيد المعقول هو أن تلك الثقوب كانت لتثبيت « الكوابيل » (جمع كابولى) التى تحمل ألوية الآلهة ، وكثيراً ما نرى هذه الألوية مرسومة فى مناظر أعياد السد .

وقد اقترح بعض الأثريين أن هذه الثقوب كانت لوضع ما يشبه قرون الحرتيت ، ولكن هذا لا يبدو محتملا . وعلى الجدران ، بين كل هيكلين ، نرى رسوماً يمثل كل منها سياجاً خشبياً غير مرتفع ، وفى آخر الساحة من الجهة الجنوبية نجد قاعدة كبيرة مبنية بالحجر ، ربما كان موضوعاً فوقها عرشان أحدهما إلى جوار الآخر : أحدهما للملك كحاكم لمصر العليا (الصعيد) والآخر له كحاكم لمصر السفلى (الدلتا) . وفى الناحية الشمالية من الساحة كانت توجد « نيش » فيها تماثيل لم يبق منها إلا أقدامها .

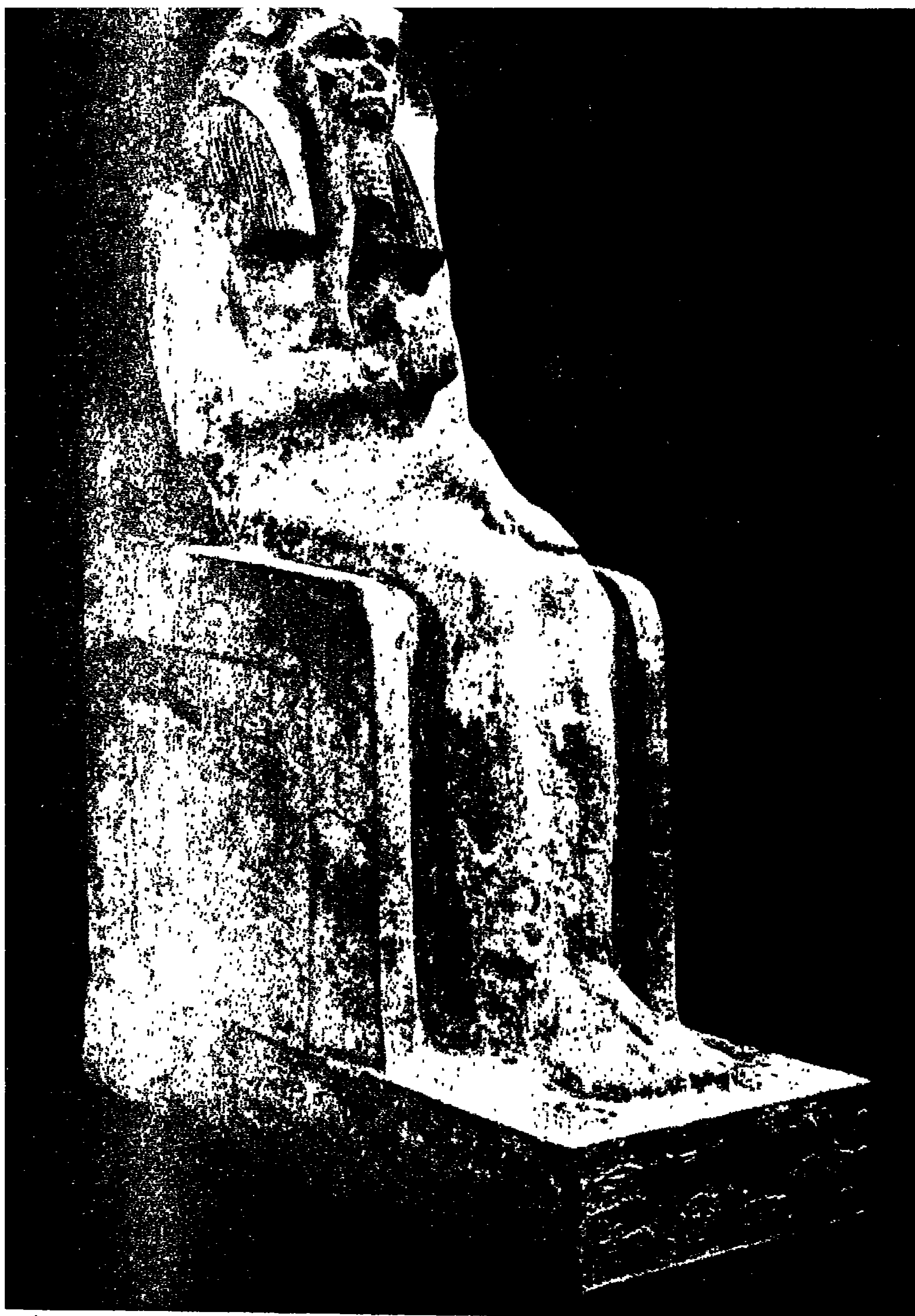
وإلى الشمال من بهو الأعياد نرى بقايا مبنى يعرف باسم « مبنى الجنوب » ، وكان يحيط به سور خاص ، وله ساحة أمامه ، ويزين واجهته الجميلة أعمدة أربعة متصلة بالواجهة ، وهى مضلعة ، كما يوجد أيضاً غير ذلك من الزخارف المعمارية . ويبلغ ارتفاع ما بقى الآن من هذه الأعمدة ٣٫٥٠ أمتار ، ولكن ارتفاعها الأصلى — حسب بحوث ودراسات « لوير » — كان ١٢ متراً ، وأن تيجانها كانت مثل تيجان أعمدة بهو الأعياد — وإلى الشرق من واجهة المبنى نجد مكاناً غائراً إلى الداخل ، وبقايا أعمدة ربما كانت تيجانها محلاة بورقتين من أوراق الزهر تتدليان على الجانبين . وفى الناحية الشمالية الشرقية توجد ساحة أخرى عثر فيها على بقايا ما يسميه الأثريون « مبنى الشمال » ؛ وهو شبيه بالمبنى الآخر . وفى الناحية الشرقية أعمدة ذات تيجان من الطراز المعروف بطراز البردى (وهو النبات الذى يرمز به إلى الشمال) وهى فى حالة جيدة من الحفظ تفوق مثيلاتها فى مبنى الجنوب .

والواقع أن بهو الأعياد ، وكلا من المبنيين اللذين على مقربة منه ، وكذلك البناءان اللذان على شكل B ، مرتبطة كلها بعيد السد ، أو « الحبـ

سد » كما كان يسميه المصريون القدماء . ونعرف من دراساتنا عن هذا العيد أنه كان معروفاً منذ الأسرة الأولى على الأقل ، وأن الملك كان يلبس أثناء قيامه ببعض طقوس هذا العيد لباساً خاصاً ، وأنه كان يؤدى رقصات خاصة ويجرى عدداً معيناً من الدورات حول جدران قصره .

كان يتحتم على الملك أن يقوم بعمل كل طقس من الطقوس مرتين : إحداهما كملك للوجه القبلى والأخرى كملك للوجه البحرى . ويرجع أصل هذه الاحتفالات إلى عادة قديمة ما زالت معروفة بين عدد قليل من القبائل التى تعيش فى أواسط أفريقيا ، وخصوصاً ما كان منها من مجموعة القبائل النيلية . وتقضى هذه العادة بألا يسمح للحاكم بأن تزيد مدة حكمه على ثلاثين عاماً ، فإذا انتهت كانوا يقتلونه لأن خير القبيلة كلها — وبخاصة ما يتعلق بالمحصولات وقطعان الماشية — يرتبط ارتباطاً مباشراً بصحة هذا الحاكم ونشاطه . ونرى فى الوقت الحاضر أن الحاكم فى بعض القبائل يستطيع أن يجدد شبابه إذا قام ببعض المراسيم أو قدم بعض القرابين أو الأضاحى ، وبذلك يستطيع أن يطيل مدة حكمه . ولا شك أن المصريين القدماء مارسوا هذه العادة فى أيام فجر التاريخ ، ولكن قتل الحاكم ، حسب ما كانت تقضى به عادتهم التقليدية ، كان قد توقف بينهم قبل ظهور الأسرة الأولى .

كان الملوك يحتفلون بعيد السد كوسيلة لتجديد قوى شبابهم ، وبذلك يطيلون مدة حكمهم . واستمر الاحتفال بعيد السد حتى نهاية التاريخ المصرى ، ونرى على جدران الكثير من المعابد والمقابر مناظر تمثل بعض طقوسه . ولكن مما يدعو إلى الأسف أنه بالرغم من معرفتنا لهذه الرسوم والمناظر وفهمنا للكتابات الهيروغليفية المكتوبة إلى جانبها فإنا ما زلنا بعيدين عن اليوم الذى نستطيع أن نقول فيه إننا نستطيع فهم جميع هذه الطقوس والرسوم أو فهم الاحتفال كله بوجه عام .



ولم يكن أكثر الملوك ينتظرون حتى تصل مدة حكمهم ثلاثين عاماً لكى يقيموا احتفالات هذا العيد ، ولكنهم كانوا يظنون أنه إذا ما احتفلوا به يستطيعون أن يبقوا فترة جديدة طولها ثلاثون عاماً بعد هذا الاحتفال .

وقد احتفل زوسر بأحد هذه الأعياد ، بالرغم من أن مدة حكمه لم تزد على تسعة عشر عاماً ، ولا شك أنه أقيمت بضعة مبان من اللبن ومن « البوص » لأجل القيام بالطقوس المختلفة ، وقد بنى « إيمحوتب » بالحجر مبانى مطابقة لها حول المثوى الأبدى لجسم وروح سيده .

وفى الجهة الشمالية من الهرم نجد بقايا معبد ، وإلى الشرق من هذا المعبد نجد حجرة صغيرة ملاصقة لمبنى الهرم نفسه ، ويطلق على مثل هذه الحجرة فى علم الآثار المصرية اسم « السرداب » ، وكانت تخصص لوضع تماثيل للميت . وفى هذا السرداب ، الذى ما زال قائماً شرقى المعبد ، عثر رجال الآثار على تمثال زوسر الذى يوجد الآن فى المتحف المصرى ، وقد وضعت مصلحة الآثار نموذجاً منه فى السرداب ليراه زائرو المعبد فى سقارة .

ويختلف هذا المعبد فى تخطيطه عن معابد الأهرامات التى شيدت فى العصور التالية ، ومن الصعب علينا أن نحدد تماماً الغرض منه ، وما إذا كان قد بنى فى هذا المكان فى منتصف الناحية الشمالية من الهرم ليكون معبداً جنازياً ؛ فالمعابد الجنازية للأهرام كانت تبنى فى الناحية الشرقية من الهرم ، كما أن تخطيطها يختلف عن تخطيط هذا المعبد . ومن السهل أن ترى مما بقى قائماً من جدرانه أنه مكون من قسمين متماثلين ، وفيه حمامان لكل منهما حوض فى أرضيته ، وهناك رأى بأن هذا المبنى المشيد بالحجر إنما يمثل جزءاً مشابهاً له فى القصر الملكى كانت تقام فيه بعض الاحتفالات الهامة .

كانت آثار هذه المجموعة الهرمية محط إعجاب القدماء ، وما زلنا نرى على جدران « مبنى الشمال » كثيراً من الكتابات والخربشات ، ومن بينها كتابة تركها شخص يدعى « ثاى » عاش فى أيام الملك « توت عنخ آمون »

(الدولة الحديثة حوالى عام ١٣٧٠ ق . م) ، وكتابة أخرى لكاتب عاش فى أيام الدولة الحديثة أيضاً وكان يسمى « أحمس بن إپتاح » يذكر أنه أتى إلى ذلك المكان ليرى معبد الملك « زوسر » ووجده كأنما السماء قد حلت فيه وأن الإله « رع » يشرق منه[11] .

وبالرغم مما أصاب هـــذه المبانى على مرّ السنين فإن من يزور هذه المجموعة الهرمية لا يستطيع إلا الإعجاب بالبساطة الفائقة فى عمارتها كما يعجب أيضاً برشاقتها وحفظ النسب بين المبانى ، مما يجعلها ملائمة ومتناسبة مع الهرم نفسه .

وقد مرّ تشييد الهرم المدرج بعدة مراحل ؛ فقبل أن يبنى العمال المصطبة الأولى — أى أسفل طبقات الهرم — حفروا بئراً فى الصخر عمقها ٢٨ متراً وطول كل جانب من جوانبها سبعة أمتار وفى أسفل هذه البئر بنوا حجرة دفن مستطيلة الشكل من أحجار الجرانيت ، كما شقوا نفقاً يتجه نحو الشمال يزيد طوله قليلا على عشرين متراً بحيث يكون مدخل هذا النفق خارج مبنى المصطبة الأولى ، ولكن حجرة الدفن نفسها لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق فتحة مستديرة فى سقف تلك الحجرة . وهذه الفتحة تقع داخل حجرة فوقها وكانت من الحجر الجيرى وقد تهدمت الآن ولم يعد لها وجود ، وكانت الفتحة مسدودة بسدادة كبيرة من الجرانيت تزن أكثر من ثلاثة أطنان وارتفاعها متران .

وقطعوا فى الصخر ، حول حجرة الدفن أربعة دهاليز ، كلها تحت سطح الأرض ، وتتصل هذه الدهاليز بممرات ، وقد أعدت ليوضع فيها الأثاث الجنازى والأوانى الكثيرة التى كانت تدفن مع الملك . ولم يكن العمل

---

(١١) هذه الكتابات مترجمة فى كتاب :

C.M. Firth and J.E. Quibell, *The Step Pyramid*, I, 77-85.

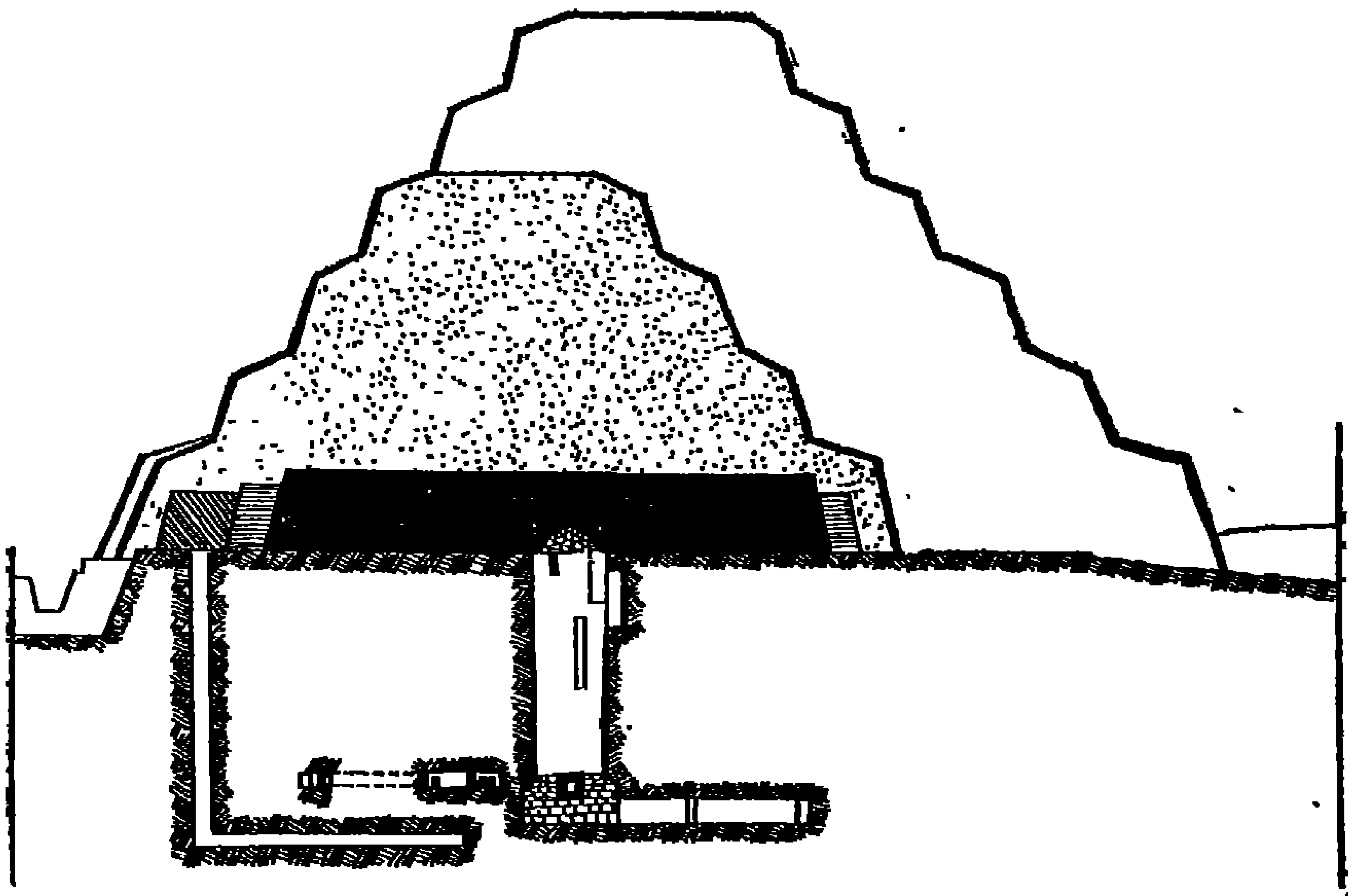
قد انتهى فى بعض هذه الدهاليز عند دفن « زوسر » ، كما أن جدران بعضها غطيت بقوالب صغيرة من القرميد المزجج تشبه فى شكلها العام الحصير الذى كان يغطى جدران القصر الملكى .

وقد دفنت أسرة « زوسر » على مقربة من قبره ؛ إذ نجد أحد عشر بئراً فى الناحية الشرقية من الهرم ، وعمق كل منها يزيد على ٣٢ متراً ، وعند أسفل كل بئر منها يمتد دهليز يتجه نحو الغرب تحت المصطبة الأصلية طوله عشرون متراً . وبالرغم من أن لصوص المقابر قد وصلوا إلى هذه المقابر الإحدى عشرة فى العصور القديمة ونهبوها كلها فإن الأثريين عثروا فى واحدة منها على تابوتين من المرمر حوى أحدهما مومياء طفل صغير .

وأراد « زوسر » أن يدخل مدافن أسرته فى حدود مقبرته ، ولهذا زادوا فى بناء المصطبة من الناحية الشرقية فكان هذا العمل هو التوسع الثالث (انظر شكل ١٧) ، وبذلك أصبح الوصول إلى فتحات هذه المقابر الإحدى عشرة متعذراً ، ولهذا السبب قطعوا فى الصخر سلماً يوصل إلى القبور الشمالية .

وعندما استقر الرأى على بناء مصاطب أخرى فوق المصطبة الأصلية اضطر البناؤون أن يضيفوا إلى المبنى الأصلى فى الناحية الشمالية منه ، وترتب على ذلك سد المدخل الأصلى للنفق والسلم الذى يؤدى إلى حجرة الدفن ، ولهذا قطع البناؤون مدخلا جديداً فى الناحية الشمالية أيضاً ، ولكنه أبعد من الأول ويقع فى داخل حرم المعبد ، وهو يبدأ بدرجات ثم يستمر كنفق ممتد . وبدلا من أن يقطعوا هذا النفق الجديد ليتصل بالنفق القديم فى أقرب مكان ممكن فإنهم فضلوا أن يستمروا فى حفره حول الدهاليز والممرات حتى قابل النفق الأول على مقربة من آخره ، على مسافة قصيرة من حجرة الدفن .

ومن الصعب على أى باحث أن يجزم ؛ بما إذا كانت جميع الدهاليز والممرات من صنع البنائين القدماء ، أو أن بعضا منها من عمل اللصوص فيما تلا من عصور . زد على ذلك أن هناك بعض دهاليز لم يتم فحصها العلمى حتى الآن ؛ نظرا لسوء حالة الصخر الطفلى الذى قطعت فيه بعض الدهاليز ؛ إذ سقط بعض هذا الصخر ويهدد بالانهيار إذا رفعت منه الأتربة أو الأوانى التى عساها أن تكون فيه .



(شكل رقم ١٧) مقطع فى الهرم المدرج يوضح مراحل التعديلات المتعاقبة

كانت المصطبة الأولى من مبنى الهرم المدرج أول مقبرة ملكية مربعة ، وكان طول كل ضلع منها حوالى ٦٣ متراً ، وكان ارتفاعها ثمانية أمتار ، وقد شيدت من الحجر المحلى الذى قطعوه من محاجر سقارة . أما أحجار الكساء الخارجى سواء لهذه المصطبة أو للمصاطب الأخرى التى بنيت فوقها فيما بعد ، فقد كان من الحجر الجيرى الجيد الأبيض اللون الذى حصلوا

عليه من المحاجر التى كانت فى النـاحية الأخرى من النيل (أى من محاجر طرة) .

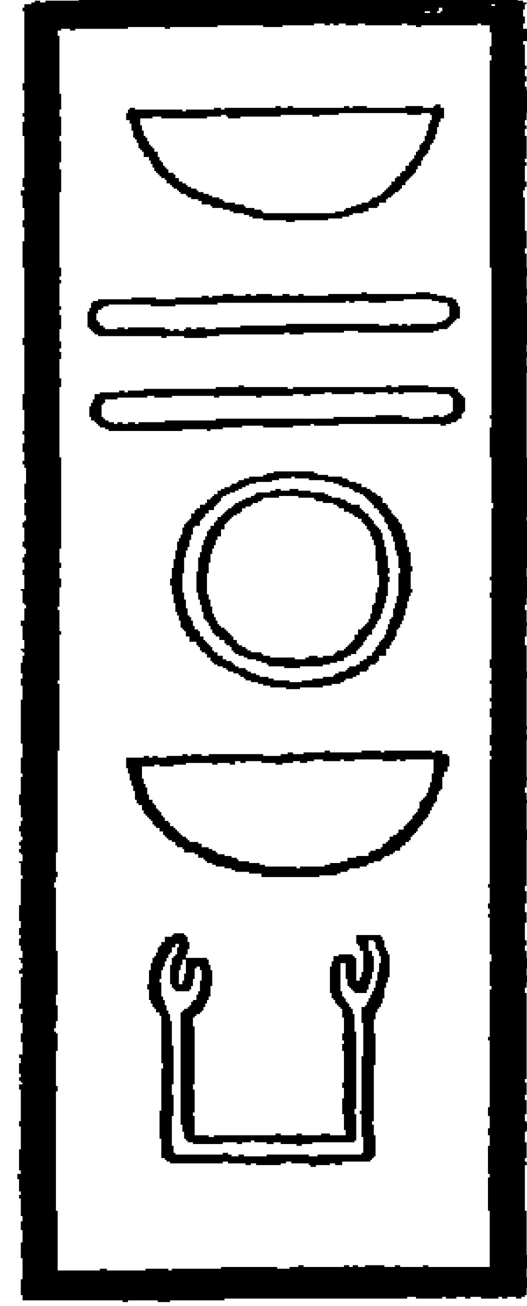
وفى السنوات التالية أضاف إيمحوتب مبانى أخرى إلى المصطبة الأولى الأصلية ، وكان أول تعديل قام به هو إضافة مبان عرضها ثلاثة أمتار إلى كل جوانب المصطبة ، وكان ثانى التعديلات هو إضافة تسعة أمتار إلى الناحية الشرقية منها فأصبحت المقبرة مستطيلة الشكل . ولكن قبل أن يضع البناؤون الكساء الخارجى لهذه المصطبة الجديدة أضافوا إلى كل الجوانب نحو ثلاثة أمتار أخرى ، وأصبحت هذه المصطبة الأصلية ، وكل ما أدخل عليها من تعديلات ، هى المصطبة الأولى لهرم مدرج مكون من أربع مصاطب مشيدة واحدة فوق الأخرى .

وكان فى نية المهندس المعمارى أن يجعل هذا الهرم المدرج المرحلة النهائية للتعديلات ، وشرع فى تشييد المعبد فى الجهة البحرية منه ، ولكن قبل انتهاء البنائين من الكساء الخارجى للهرم أو من تشييد المعبد ، أدخل ذلك المهندس المعمارى تعديلاً جديداً . وهذا التعديل الجديد هو امتداد الهرم فى الناحيتين الشمالية والغربية وزيادة عدد المصاطب من أربع إلى ست ولكن قبل أن ينتهى العمل فى هذا التعديل الجديد أدخل المهندس تعديلا طفيفا وذلك بإضافة مبان فى كل جهة من الجهات ، وكان هذا التعديل الطفيف هو التعديل النهائى ، وأصبح طول الهرم المدرج بعد كل هذه التعديلات حوالى ١٤٠ مترا من الشرق إلى الغرب ، وحوالى ١١٨ مترا من الشمال إلى الجنوب ، وأصبح ارتفاعه حوالى ٦٠ مترا .

وما من شك فى أن الملك « زوسر » دفن فى هـذا الهرم ولم يدفن فى المصطبة المشـيدة من الطوب اللبن فى « بيت خلاف » إذ أن هـذه الأخيرة لا يمكن إلا أن تعتبرها كضريح له ، وهذا هو

التفسير الوحيد الذى يمكننا أن نقدمه حسب معلوماتنا الحالية عن الحضارة المصرية القديمة .

أصبح « زوسر » الآن ممتازا على أسلافه ، وأصبح قبره أعظم القبور وأضخمها ، وأصبح فى استطاعة روحه أن تصعد إلى السماء كما لو كانت ترقى سلما ذا درجات ، وكان إله الشمس ، الإله رع ، عند شروقه فى الصباح يحيي بأشعته الأولى قمة المقر الأبدى لهذا الملك ، الذى كان هو الآخر مؤلها من شعبه .



٤
خلفاء زوسر على العرش

كان المتوقع من خلفاء « زوسر » أن يزيدوا على ما تم فى عصره من التقدم الصناعى والفنى ، ولكنا نبحث عبثا عن مثل هذا التقدم ، ومن الجائز أن نقف على تفسير لهذه الظاهرة الغريبة عندما يتم حفر بعض المناطق الأثرية فى المستقبل .

ولا شك أن الأسرة الثالثة من العصور الغامضة فى التاريخ المصرى ، بل ووصل الأمر إلى أن عدد ملوكها أو تتابعهم على العرش ما زال من الأمور المختلف عليها بين علماء الدراسات المصرية القديمة . ويذكر « مانيتون » ثمانية ملوك لهذه الأسرة ، أما ثبت « أبيدوس » فلا يذكر إلا ستة فقط ، فى حين لا تحفظ « بردية تورين » غير خمسة أسماء .

بدأت الأسرة بالملك « زوسر » ، ثم تلاه « سخم — خت » ، ثم « خع — با » ، و« نب — كا » وغيرهم ، وتنتهى الأسرة

بالملك « حو » (أو « حونى ») الذى حكم مصر قبل « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة[١] .

ومن المحتمل جدا أن تكون منشآت زوسر التى كانت مشيدة على حافة الهضبة المشرفة على العاصمة قد ألهمت الذين تولوا بعده عرش البلاد ، فقد بنى أحدهم هرمه فى سقارة على مسافة قريبة من هرم زوسر ، وفضل اثنان منهم منطقة تبعد قليلا نحو الشمال ، وهى المنطقة المعروفة الآن باسم « زاوية العريان » .

وهناك أهرام أخرى توحى طريقة تشييدها للباحث الأثرى بأن تاريخها يرجع إلى أيام الأسرة الثالثة ، ولكن التأكد التام من ذلك ومعرفة اسم من شيدها أمور لا يمكن الوصول إليها دون القيام بعمل الحفائر حولها ، وأحد هذه الأهرام هو هرم « سيلا » فى الفيوم ، وآخر فى « زاوية الأموات » على الضفة الأخرى من النيل أمام مدينة المنيا فى مصر الوسطى ، وثالث يسمى هرم « الكولة » إلى الشمال من إدفو فى محافظة أسوان . وبالرغم من أن « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة هو الذى أتم هرم ميدوم ، فمن المحتمل جداً أنه قد بدئ فى تشييده فى عصر الملك « حو » ولهذا السبب سنتحدث عنه فى هذا الفصل من الكتاب .

---

(١) لمعرفة جدول أسماء الملوك فى تاريخ مانيتون – ارجع إلى كتاب

W. G. Waddell, ***Manetho*** ***(Cambridge, Mass. The Loeb Classical Library,*** **1940).**

انظر أيضاً كتاب :

Petrie, ***A History of Egypt, (London,*** **1923)** ***Vol.*** **1, 39,** ***and*** **274.**

ولمعرفة تتابع ملوك هذه الأسرة ارجع إلى :

William Stevenson Smith, ***Ancient Egypt (Boston,*** **1952),** ***p.*** **172; W. C. Hayes,** ***The Scepter of Egypt, p.*** **58.**

هرم « سخم ــ خت » فى سقارة

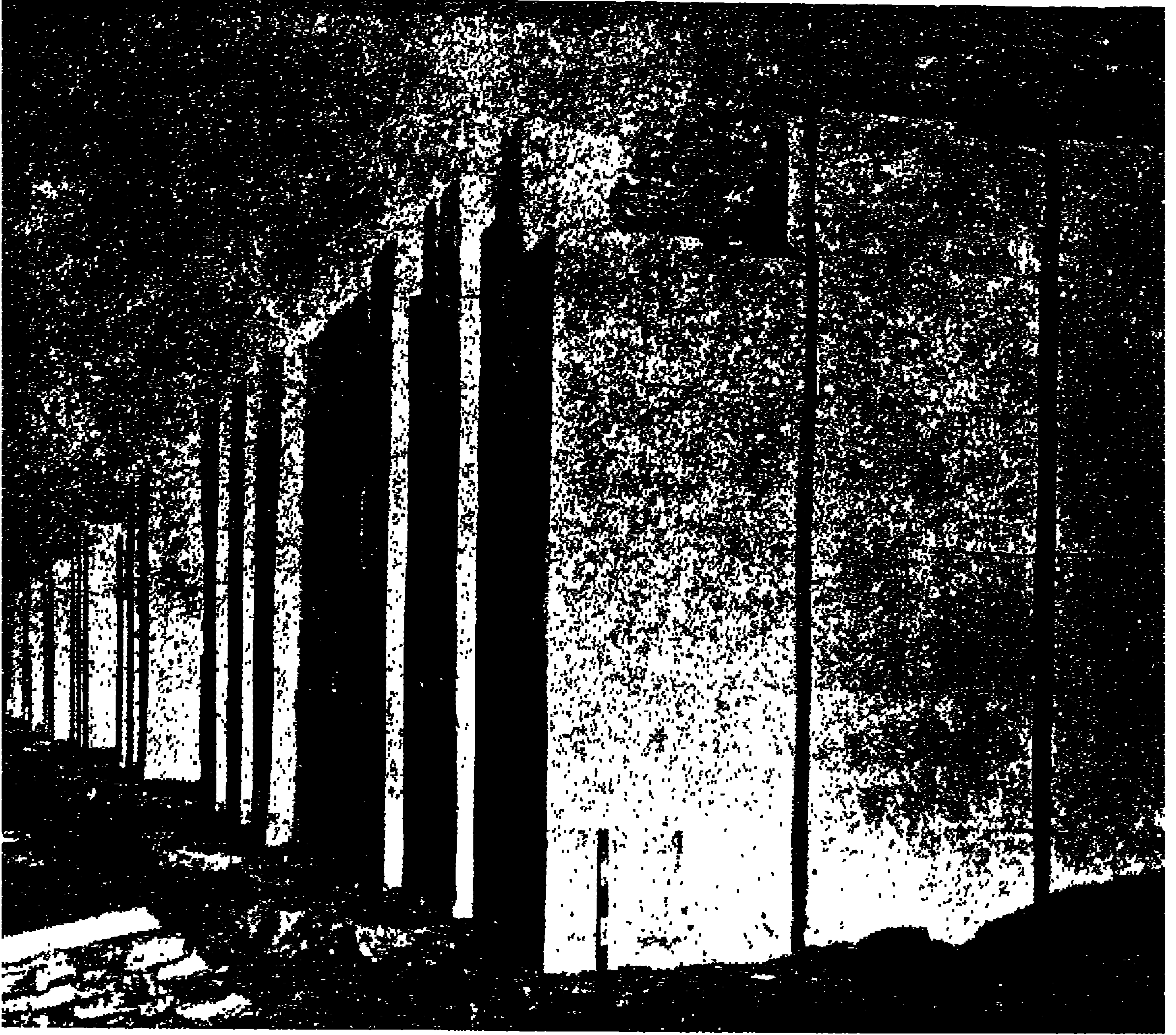
تتحدث الصحف بين حين وآخر عن اكتشاف هرم جديد ، وفى مثل هذه الحالات يقع القارئ الأمريكى أو الأوروبى فى حيرة بالغة ويتساءل : كيف لم يسبق للناس رؤية أو معرفة مكان مثل البناء الضخم المرتفع ؟ ! فمن الجائز أن أثراً صغير الحجم كتمثال أو إناء يظل زمناً طويلا تحت الأرض دون أن يحس أحد بمكانه ، أما اختفاء هرم كبير . . . فهذا شىء آخر . وما من شك فى أن القارئ محق فى تساؤله ، فمن المستحيل أن يخفى الإنسان هرماً مثل هرم الجيزة ، ولكن تلك الأهرام التى تعلن الصحف أمر اكتشافها ليست إلاّ أهراماً صغار الحجم أخذ الناس أحجارها العلوية ولم تبق منها إلاّ القاعدة التى غطتها رمال الصحراء . وفى كثير من الحالات لا يجد المكتشفون إلاّ المداميك السفلى من البناء ، وفى حالات أخرى يعثر المكتشفون على أهرام لم يتم القدماء تشييدها وتركوها لتغطيها الرمال ، ولا شك أن عدداً كبيراً من الأكوام التى نراها فى بعض مناطق الجبانة المنفية تخفى تحتها أهراماً من ذلك النوع ، وسيتم حفرها يوماً ما ونعرف أسماء أصحابها ، وعند ذلك سيتحدث الأثريون عن اكتشاف أهرام « جديدة » ولكنها فى حقيقة الأمر ليست إلا بقايا أهرام غطتها الأتربة والرمال منذ زمن بعيد .

فى شهر مايو سنة ١٩٥٤ أذاعت صحف العالم نتائج ما كان يجرى من حفائر فى منطقة سقارة ، وسمع المهتمون بالدراسات الأثرية خبر اكتشاف هرم مدرج جديد فى سقارة ، ولعب الخيال دوراً كبيراً فى التنبؤ بما عساه أن يوجد فى داخل الهرم ، ولهذا خابت آمال المتنبئين والحالمين عندما وجدوا التابوت الذى فى داخل ذلك الهرم فارغاً لا شىء فيه . ولكن بالرغم من تلك الخيبة فى الآمال والتكهنات فما من شك فى أن ذلك

الاكتشاف كان من أهم الاكتشافات الأثرية ، وخصوصاً فى موضوع دراسة الأهرام .

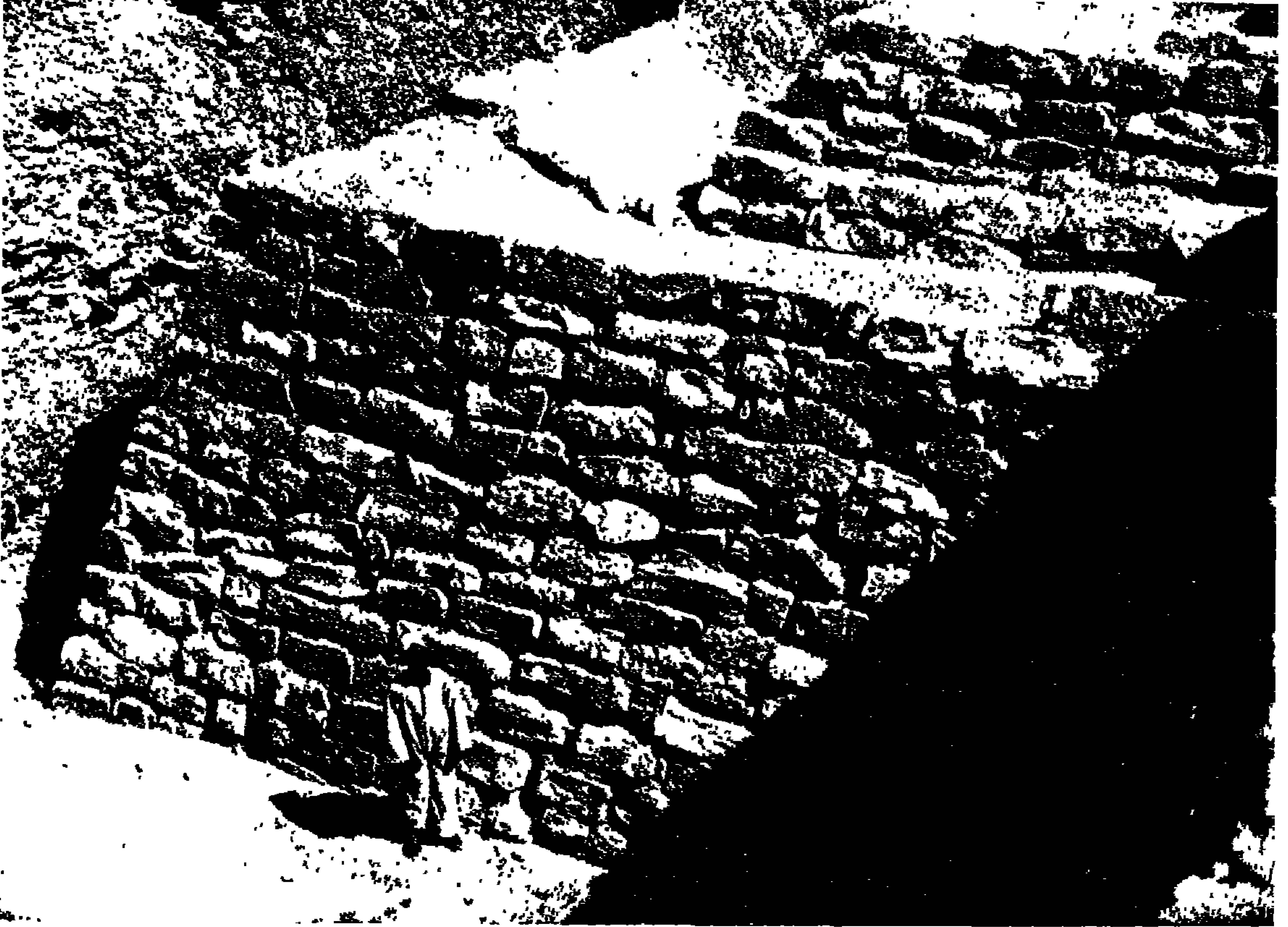
فمنذ سنوات كثيرة كان علماء الآثار يعرفون وجود بناء متسع الأرجاء مستطيل الشكل تحيط به الأسوار إلى الغرب من هرم سقارة المدرج ، ونرى هذا البناء واضحاً فى بعض خرائط تلك الجبانة الأثرية ، كما كان واضحاً جداً فى جميع الصور الجوية الخاصة بهذه المنطقة . ونرى فى هذه الصور الجوية بوضوح منطقة كبيرة مستطيلة تحدها الأسوار وهى أكثر اتساعاً من المساحة التى تحيط بمجموعة الهرم المدرج ، ولكنها مقسمة إلى قسمين .

وفى عام ١٩٥١ قررت مصلحة الآثار المصرية الكشف عن حقيقة هذا الأثر وأوكلت هذا العمل إلى المرحوم محمد زكريا غنيم أمين منطقة سقارة فى ذلك الوقت الذى بدأ عمله بالكشف عن الجزء المرتفع من السور الخارجى الذى اتضح أنه يكاد يكون صورة من السور الخارجى لمجموعة الهرم المدرج . لم يكن العمل قد تم نهائياً فى تشييد هذا السور الذى تبلغ مقاييسه ٥٥٠ × ٢٠٠ متر (شكل رقم ١٨) . ولم يعثر على اسم مشيده فى بداية الأمر ، ولكن جميع الأثريين الذين زاروا تلك الحفائر أجمعوا على أن صاحبه يجب أن يكون ممن خلفوا الملك زوسر مباشرة لأنه قريب جداً من قبره . وعثر المرحوم الأستاذ غنيم على عدد غير قليل من الموميات التى يرجع تاريخها إلى العصر البطلمى مدفونة فى الرمال كما عثر أيضاً على عدد من القطع الأثرية التى يمكن تأريخ عصرها أنها من الأسرة السادسة والعشرين وما تلاها من عصور . استمر العمل بضعة مواسم ، وفى عام ١٩٥٤ عثر فى داخل ذلك السور على بناء اتضح أنه دون أى شك هرم مدرج لم يتم العمل فيه ، ويتكون من المصطبة السفلى أو الأولى وجزء من المصطبة



(شكل رقم ١٨) جزء من السور الخارجى الذى لم يتم العمل فيه ، وهو سور المجموعة الهرمية الخاصة بالملك « سخم - خت »

الثانية (شكل رقم ١٩) ويبلغ ارتفاع البناء الحالى كله ما يقرب من سبعة أمتار ، أما قاعدته فإنها مربعة وطول كل ضلع من أضلاعها نحو ١٢٠ متراً



(شكل رقم ١٩) الهرم المدرج الناقص الذى عثر عليه حديثاً فى سقارة .

مما يدل على أن من وضعوا تخطيطه الأول أرادوا أن يجعلوه قريباً فى حجمه من الهرم المدرج نفسه(٢) .

---

(٢) هذه المعلومات مستمدة من زياراتى المتكررة لهذا الأثر ومناقشاتى مع زميلى المرحوم محمد زكريا غنيم مكتشف هذا الأثر . وقد كتب المرحوم غنيم مقالا عن هذا الأثر عنوانه :
" *La Nouvelle pyramide a Degrés de Soqqara* "

فى كتاب

Les Grandes Decouvertes Archéologiques de **1954**, *Le Revue du Caire* **(1955),** ***pp.*** **18—31.**
=

ومن أهم ما عثر عليه عند حفر هذا الهرم وجود الطرق الصاعدة التى كانت مستخدمة فى تشييده إذ عثر عليها فى أماكنها وتكاد تغطى البناء نفسه . وهى الأتربة وشظايا الأحجار والرمال ، ولكن بين حين وآخر نجد فيها طبقة أفقية من أحجار منحوتة نحتا غير دقيق يحتمل جدا أنها وضعت فى أماكنها كنوع من التبليط فوق سطح الأتربة . ومن دراسة هذه الطرق الصاعدة نرى بوضوح أنها كانت تزداد طولا وعرضا مع تقدم العمل ، أما الطريق الصاعد الرئيسى الذى كان يستخدم لنقل الأحجار والمواد اللازمة للبناء على نطاق واسع فإنه كان فى الناحية الغربية من الهرم .

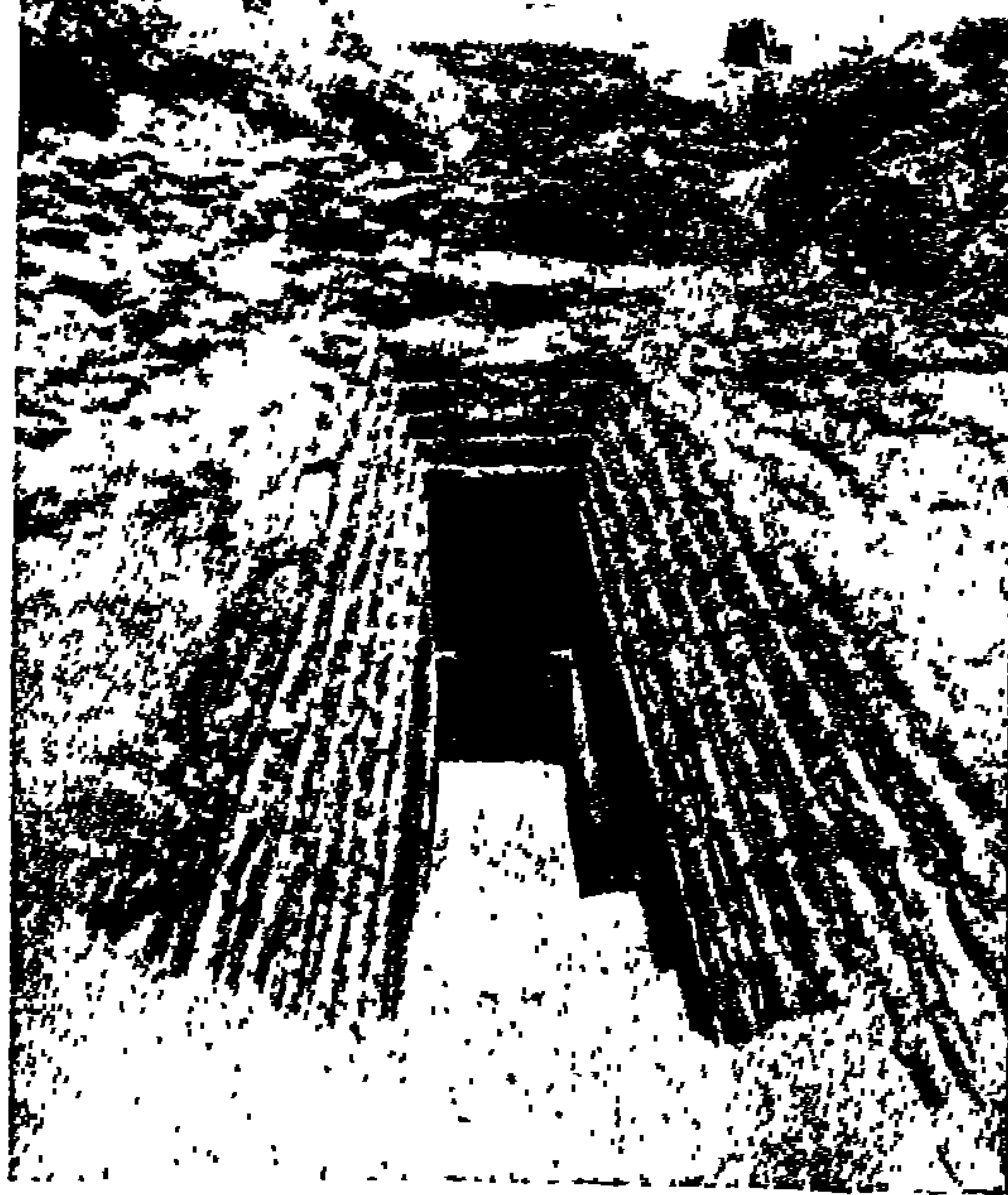
ويقع المدخل المؤدى إلى الهرم فى نهاية دهليز ، وهو على مسافة ٢٤ متراً من الضلع الشمالية للهرم (شكل رقم ٢٠) . وعندما عثر العمال على هذا المدخل اعتقد المؤلف أن هذا الهرم لم يتعرض لعبث اللصوص العصور الحديثة لأنه وجد المدخل مسدوداً سدا تاما بجدار من الأحجار ، ولكنه لاحظ فى الوقت ذاته أن نصف هذا الجدار مشيد بعناية كبيرة ، ومن المرجح جداً أنه من البناء الأصلى ، أما النصف الآخر فإنه يختلف عن ذلك ويظهر الإهمال فى مبانيه ، مما يرجح أنه فتح فى وقت من الأوقات فى العصور القديمة ثم أعيد بناء الجزء الذى تهدم عندما دخله اللصوص (شكل رقم ٢١) .

— كما أصدر أيضاً كتابين أولهما مع صديق إنجليزى وهو

The Buried Pyramid (London 1956.)

والثانى :

Horus Sekhem—Khet (Cairo, 1957).



(شكل رقم ٢٠)
صورة مأخوذة خارج مدخل الهرم الناقص فى سقارة .



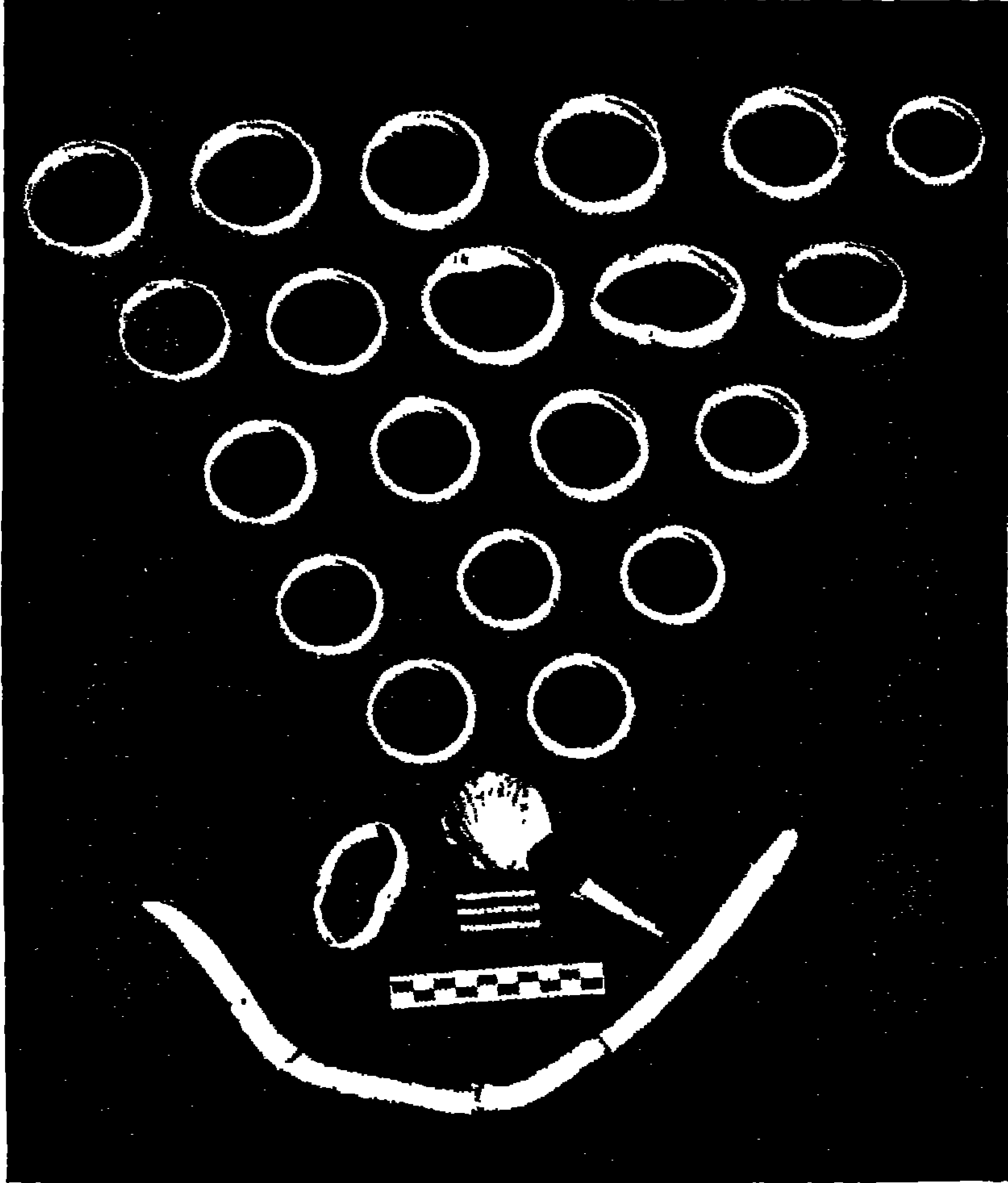
(شكل رقم ٢١)
دهليز المدخل ، وترى فيه الأحجار المبنية التى كانت تسده — الهرم الناقص فى سقارة .

وفى مبنى الهرم نفسه كشفت الحفائر عن بئر مقطوعة فى المصطبتين وبالرغم من أنها كانت مملوءة بالرديم فإن ما تم العثور عليه أثبت أنها لم تستخدم على الإطلاق لتكون مدفنا لأى إنسان ، ولكنها احتوت على بقايا ثور وبقايا بعض الطيور والحيوانات الأخرى ، أما أهم ما عثر عليه فى هذه البئر فهو اثنتان وستون قطعة صغيرة من أوراق البردى المكتوبة بالديموطيقية ، وكانت فى أعمق طبقات الرديم .

وعندما وصل العمل إلى داخل الهرم نفسه وجد المكتشف بعض الدهاليز فى داخله ، ويحتوى أحدها على ١٢٠ مخزنا صغيراً كانت فيها آنية حجرية بعضها كامل تقريباً والبعض الآخر نصف كامل . كما أن العمل لم يكد يبدأ فى عدد منها ، وهى تشابه — سواء فى شكلها أو المادة المصنوعة منها أو طريقة صناعتها — مثيلاتها من الأوانى التى عثر عليها تحت هرم « زوسر » وكان أهم ما قدمته هذه الأوانى لنا من معلومات هو اسم صاحب الهرم نفسه الملك « سخم — خت » الذى ذكر اسمه سبع مرات على سدادات الأوانى .

وكان من بين الاكتشافات المثيرة فى داخل هذا الهرم فى شهر مايو سنة ١٩٥٤ واحد وعشرين سوارا من الذهب ، بعضها صغير جدا ، والبعض الآخر حجمه عادى . كما عثر أيضاً على عقد ذهبى وملقط من الإلكتروم (خليط من الذهب والفضة) . وأجمل هذه القطع الذهبية صندوق ذهبى صغير غطاؤه على صورة المحارة الصدفية (شكل رقم ٢٢) .

وكانت جميع هذه القطع الذهبية فى صندوق من خشب تحلل بمرور الزمن ، وكان موضوعا فى فجوة فى أرضية أحد الدهاليز .



(شكل رقم ٢٢) بعض القطع الذهبية التي عثر عليها في الممر داخل هرم « سخم — خت » .

وتقع حجرة الدفن على مسافة ٧٢ مترا من المدخل ، وهى مستطيلة الشكل وأبعادها ٨٫٢٠ × ٥٫٢٢ مترا وارتفاعها خمسة أمتار (شكل رقم ٢٣) . وفى وسط هذه الحجرة نجد تابوتا من المرمر طوله ٢٫٣٧ متراً ، وعرضه ١٫٤٠ متر وارتفاعه ١٫٨٠ متر ، له باب فى أحد جوانبه يمكن رفعه وخفضه (انظر الصورة الفوتوغرافية فى شكل رقم ٢٤) ، وقد وجد



(شكل رقم ٢٣) حجره الدفن داخل الهرم الناقص الذى شيده الملك « سخم – خت » .

(شكل رقم ٢٤) التابوت المرمرى فى هرم « سخم – خت » وترى فوقه بقايا النباتات التى عثر عليها فى هذا المكان .



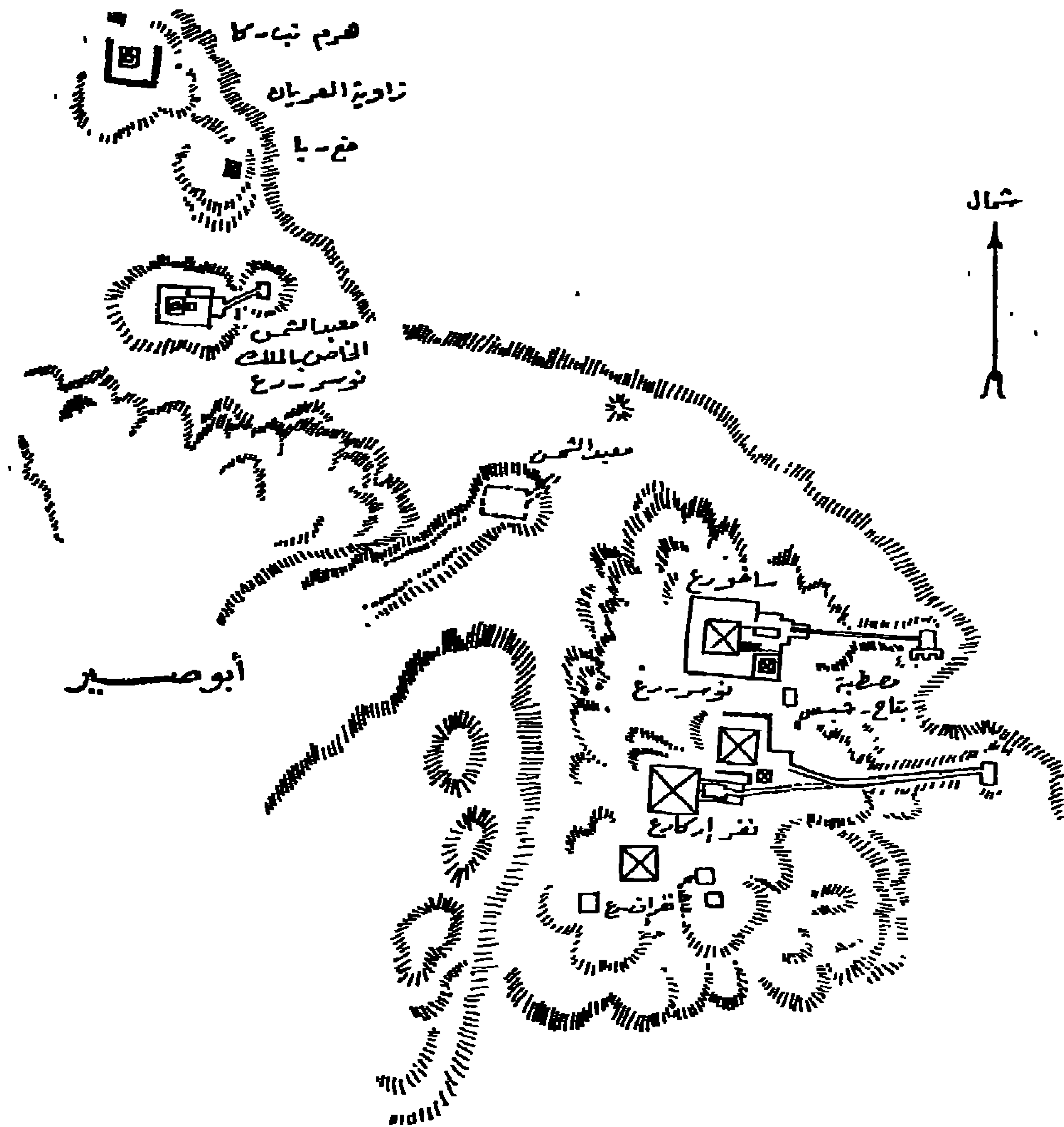
هذا الباب مغلقا ومثبتاً فى مكانه بالملاط ، كما كان فوق سطح التابوت بقايا بعض أوراق النبات . وعندما عثر المكتشف على التابوت مغلقا على هذه الصورة اعتقد أنه أمام تابوت يضم رفات ملك قديم لم تمتد إليه يد اللصوص ، ولكن عند فتحه وجده فارغا لاشىء فيه ، بل ولا يوجد ما يدل على استخدامه للدفن فى أى يوم من الأيام . وهنا برز سؤال هام وهو : هل كان الملك صاحب الهرم قد دفن فى داخله ؟ ويعتقد المكتشف أنه دفن فيه مستدلا على ذلك بوجود الحلى الذهبية والأوانى ، وكان يرجو أن يجد مدفنه فى مكان آخر فى داخل الهرم نفسه .

ولكن بعض المشتغلين بالدراسات لم يقتنعوا بذلك ويرون أنه من المحتمل أن يكون هذا الهرم ضريحا فقط ، أو ربما كان هو الهرم الذى شيده صاحبه ليدفن فيه ولكنه لم يتم ، ولم يستخدم للدفن فى أى وقت من الأوقات . وعلى أى حال فإن أعمال الحفر فى هذا الهرم لم تستكمل حتى الآن ، كما أنه لم تحدث أى حفائر فى الأجزاء الأخرى داخل السور الذى يحيط بالمكان .

أهرام زاوية العريان

نجد فى المنطقة الأثرية المعروفة باسم زاوية العريان ــ وهى بين أهرام الجيزة وأهرام أبو صير ــ منطقة أثرية فيها هرمان يرجع تاريخ كل منهما إلى الفترة المبكرة فى تاريخ العمارة المصرية ، ويعرف أحدهما باسم « الهرم ذى الطبقات » ولا نعرف اسم صاحبه على وجه التأكيد ، ويعرف الثانى باسم « الهرم الناقص » . وقد بناه الملك « نفر كا (رع) ــ نبكا » .

ولا يرى زائر الهرم ذى الطبقات إلا بضعة مداميك من هذا الأثر المشيد من كتل صغيرة الحجم من الحجر الجيرى الذى حصلوا عليه



(شكل رقم ٢٥) أهرام زاوية العريان وأبو صير .

من محجر قريب من المكان . ولا يستطيع أحد فى الوقت الحاضر زيارة الجزء الداخلى منه . ويعتقد من يزور المنطقة ويرى ما فيها من فوضى صارخة أنه لم تحدث أى محاولة لحفر هذا الهرم حفرا علميا صحيحا فى يوم من الأيام ، ولكن العكس هو الصحيح . فقد ذكر « لپسيوس » هذا الهرم فى عام ١٨٤٠ وترك لنا وصفا له[٣] . كما حاول « ماسپرو »

---

(٣) Lepsius, *Denkmäler (Text)* 1, 128—9.

فى عام ١٨٨٥ أن يفتحه ويصل إلى داخله ، ولكنه لم ينجح فى محاولته . وفى عام ١٨٩٦ اكتشف « دى مورجان » سلما فى الزاوية الشمالية الشرقية ، ولكن بحوثه وقفت عند هذا الحد(٤) . وفى شهر مارس عام ١٩٠٠ أصدر « ماسبرو » تعليماته إلى « إسكندر بارازنتى Barasanti » ليبحث عن مدخل الهرم ، وقد نجح هذا الأخير بعد عناء فى تحقيق هذه الرغبة ؛ ولكن النتيجة كانت مخيبة للآمال ، لأن صاحب الهرم لم يدفن فيه ، بل لم يعثر حتى على اسمه أثناء هذه الحفائر .

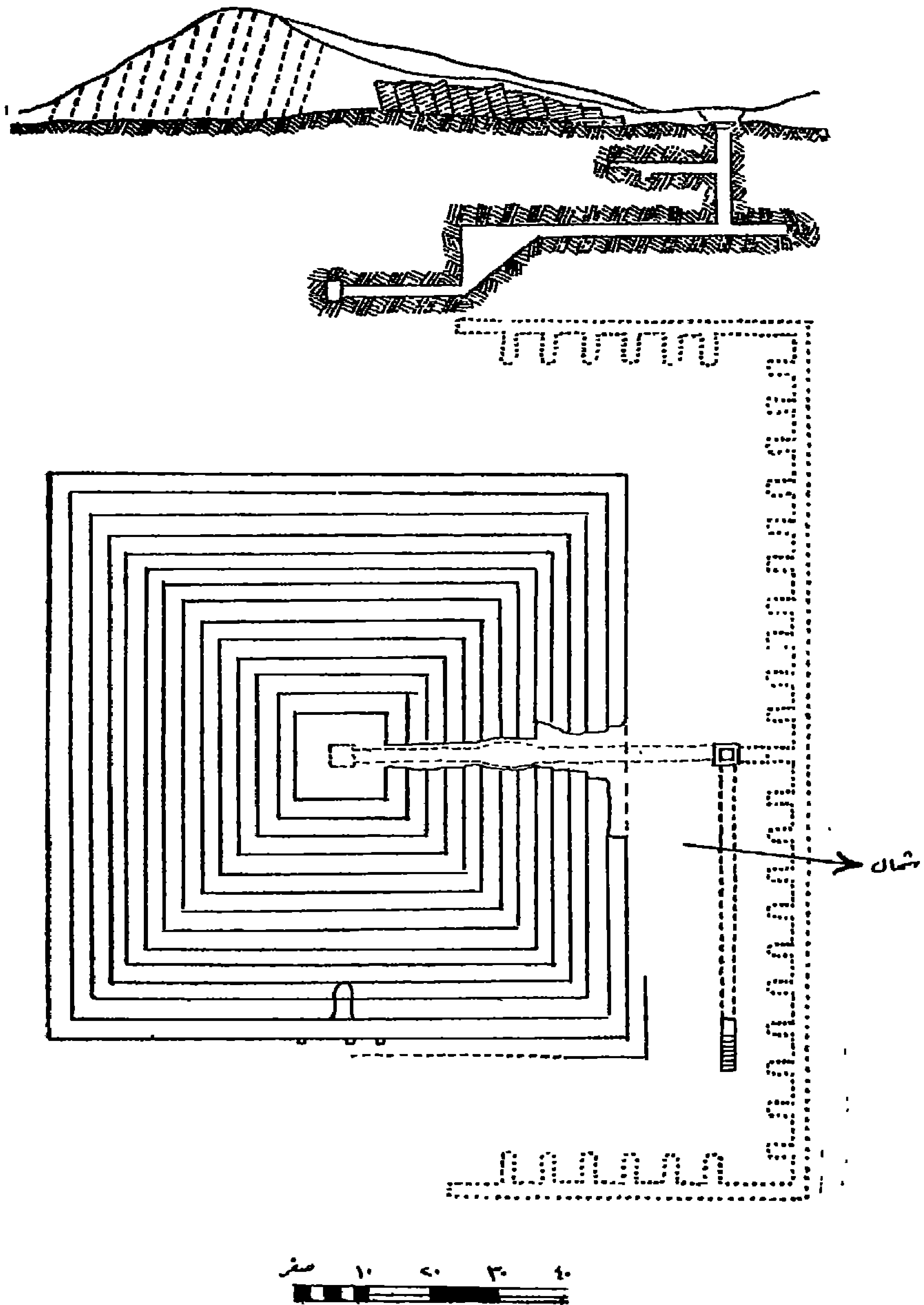
وبعد مضى عشر سنوات على حفائر « بارازنتى » قامت البعثة المشتركة من جامعة هارڤارد ومتحف الفنون الجميلة فى بوسطن بحفائر للكشف عن هذا الهرم والجبانات التى حوله ، ونرى نتائج تلك الحفائر فى حوليات متحف بوسطن(٥) ، كما نراها منشورة ومصحوبة بمناقشة علمية فى المؤلف الذى وضعه « ريزنر » عن تطور المقبرة المصرية ونشره فى عام ١٩٣٦(٦) . ومن بحوث « ريزنر » و « فيشر » اتضح أن مشيدى الهرم بنوا نواة مربعة طول كل ضلع منها ١١ متراً ، ثم أضافوا بعد ذلك أربع عشرة طبقة جانبية سمك كل منها ٢٫٦٠ متر تقريباً ، وبذلك أصبحت قاعدة الهرم ٨٣٫٨٠ متراً مربعاً . أما زاوية ميله فهى ٦٨° درجة (شكل رقم ٢٦) .

---

(٤) ذكر « بارازنتى » ذلك فى تقريره المنشور فى مجلة *Annales du Service*, 11 (1901), 92—94.

(٥) G. A. Reisner and C. S. Fisher, "*The Work of the Harvard University—Museum of Fine Arts Egyptian Expedition,* "*Bulletin of the Museum of Fine Arts*, IX, 54—59.

(٦) G. A. Reisner, *The Development of the Egyptian Tomb down to the Accession of Cheops (Cambridge, Mass.,* 1936), pp. 133—136.



(شكل رقم ٢٦) رسم تخطيطي ومقطع الهرم ذي الطبقات .

ويصل الإنسان إلى حجرة الدفن بوساطة درجات طولها عشرة أمتار تبدأ قريباً من الركن الشمالى الشرقى للهرم ، وتستمر كدهليز منحدر حتى توصل إلى بئر ، وهناك تعمل زاوية قائمة وتتجه جنوباً ثم تنحدر إلى أسفل حتى تصل إلى حجرة الدفن التى نحتوها فى صخر الجبل على مسافة ٥٤ متراً من المكان الذى تغيرت عنده زاوية الاتجاه . وتقع حجرة الدفن فى منتصف الهرم ومقاييسها ٣٫٦٣ أمتار فى الطول و٢٫٦٥ متر فى العرض وارتفاعها ٣ أمتار .

وفى أسفل البئر التى أشرنا إليها نجد ممراً يؤدى إلى ثلاثة دهاليز فيها اثنان وثلاثون مخزناً صغيراً ، عشرون منها فى الناحية الشمالية وستة فى الجهة الشرقية ، ومثلها فى الجهة الغربية .

والهرم مشيد بأحجار جيرية من نوع ردىء قطعوه من محجر على مسافة قريبة ، فى الجهة الجنوبية من الهرم نفسه . وأحجار الهرم غير موضوعة فى مكانها أفقية الوضع ولكنها تميل بزاوية إلى الداخل مقدارها ٢٢° درجة ، أى إنها تتجه إلى أسفل . ونرى هذه الطريقة فى البناء مستخدمة فى أقدم الأهرام ، ولم يبطل استخدامها إلا منذ تشييد الهرم الشمالى لسنفرو فى دهشور إذ أخذوا يضعون بعد ذلك الأحجار أفقية فى أماكنها .

ولم يعثر « ريزنر » على أثر لأى كساء خارجى من الأحجار ولكنه لاحظ وجود لبن « طوب نيئ » وهو يعتقد أن الكساء الخارجى للهرم كان من الطوب ، ومن المعروف أن كثيراً من مصاطب الدولة القديمة كان كساؤها الخارجى من اللبن الذى غطوه بطلاء من الجير ، ولكن مثل هذا الكساء الطوبى لم يستخدم مطلقاً لأى هرم . ويتفق « ريزنر » مع « بارازنتى » فى أنه لم يدفن فى هذا الهرم أى شخص ولم يعثر فى الناحية الشرقية منه على أثر لأى هيكل أو معبد . ولكن لو فرضنا أن مثل هذا البناء قد بنى هناك

وكان من الطوب اللبن ، فمن الجائز جداً أن يزول كل أثر له على مدى الأيام ».

وينسب « ريزنر » هذا الهرم إلى الأسرة الثالثة ، ولكنه يعقد أيضاً مقارنات بين مدخله ومداخل عدة مقابر من الأسرة الثانية ، ويوضح وجوه الشبه بينها . وكشفت حفائر « ريزنر » فى هذه المنطقة عن وجود مقابر من الأسرات الأولى والثانية والثالثة ، ومن بين الآثار التى يرجع تاريخها إلى الأسرة الثالثة إناء عليه اسم الملك « خع — با » ثالث ملوك هذه الأسرة ، ولكن « ريزنر » لا يميل إلى الربط بين وجود هذا الاسم وبين اسم مشيد الهرم ، وآخر ما وصلت إليه بحوثه هو « أن اسم مشيد هذا الهرم ما زال غامضاً علينا ، كما أنه من الجائز جداً أن المكان الذى دفنت فيه جثته لم يكتشف حتى الآن » .

ولكن بالرغم من كل ما ذكره « ريزنر » من آراء فمن الممكن جداً نسبة الهرم ذى الطبقات إلى الأسرة الثالثة ، وهو مشيد من كتل حجرية صغيرة الحجم ، ومن الجائز جداً أنهم قصدوا أن يشيدوه كهرم مدرج ، أما وجوه الشبه بين مدخله وبين مداخل بعض مقابر الأسرة الثانية فربما كانت راجعة إلى التقاليد المتبعة فى فن العمارة ، ولكن المهندس المعمارى الذى شيده أدخل شيئاً جديداً ، وهو إضافة طبقات جانبية حول النواة الوسطى فى البناء الذى كان فوق سطح الأرض .

ويفضل « إدواردز » نسبة تاريخ تشييد هذا الهرم إلى الأسرة الثالثة(٧) ، كما يرى « لوير » أهم المهندسين الذين قاموا بدراسة الهرم المدرج الرأى ذاته(٨) . أما عن صاحبه فإن وجود اسم « خع — با » فى الجبانة التى حوله

(٧) I. E. S. Edwards, *The Pyramids of Egypt* (*London*, 1947), p. 69.

(٨) J. P. Lauer, *La Pyramide à degrés*, 1, 8—9.

تجعلنا نعتقد على الأقل ، حتى تظهر أدلة جديدة فى المستقبل ، أنه هو على الأرجح صاحب هذا الهرم .

وفى الجهة الجنوبية من هذا الهرم ، وعلى مسافة تقل عن كيلومترين ، عثرت أثناء إحدى جولاتى فى هذه المنطقة على جبانة من المصاطب المشيدة « بالطوب النيئ » ، وهى من الجبانات التى لم يجر فيها حفر علمى حتى الآن ، ومن الجائز جدا أن النقوش أو الأشياء التى يحتمل أن يعثر عليها فى تلك الجبانة عند حفرها ستلقى بعض الضوء على هذه المشكلة وتساعدنا على التأكد من التاريخ الصحيح لهذا الهرم .

وبالرغم من أن « الهرم ذا الطبقات » فقير فى عمارته ، ولم يتبع مهندسه المعمارى خطوات « إيمحوتب » أو ينهج سبيله ، فإنا نجد على مسافة تقل عن كيلومتر ونصف كيلو قبرا ملكيا آخر ، وضع المهندسون القدماء تصميمه ليكون أثراً عظيما لا يقـــل فى فخامته عن هرم سقارة المدرج ذى الشهرة الواسعة ، وهذا هو « الهرم الناقص » الذى بدأ للملك « نفركا (رع) — نبكا » فى تشييده . وهو الملك الذى خلف « خع — با » على العرش . ولم يتقـــدم العمل فى هذا الهرم عن الخطوات التمهيدية ولا نرى فى هذه المنطقة الأثرية إلا حفرة كبيرة مقطوعة فى صخر الصحراء ينزل إليها الزائر فى ممر مقطوع أيضا فى الصخر ، وهو فى الجهة الشمالية من تلك الحفرة الكبيرة . ونرى حول المكان كثيرا من كتل الأحجار الجيرية والجرانيتية مبعثرة هنا وهناك ، كما نرى الرمل وقد غطى أرضية الحفرة والممر الموصل اليها .

لم يكن هناك من بين علماء الآثار من يعرف بوجود هذا الأثر قبل اليوم الخامس عشر من مايو عام ١٩٠٠ ، بالرغم من أنه على مسافة تقل عن سبعة كيلو مترات من أهرام الجيزة . ففى ذلك اليوم كان « اسكندر بارازنتى » المهندس بمصلحة الآثار المصرية يركب بعد انتهاء عمله فى الهرم ذى الطبقات ، على

مسافة كيلومتر ونصف كيلو إلى الجنوب ، عائدا كعادته كل يوم إلى أهرام الجيزة .

كان « بارازنتى » يسير دائما فى الطريق المعتاد على حافة الزراعة ، ولكنه فى هذا اليوم أراد أن يختصر المسافة ويسير فى طريق مستقيم عبر الصحراء . وعندما كان يمر على مقربة من هذا المكان لفت رئيس عماله الذى كان مرافقا له ، نظره إلى القطع الصغيرة من شظايا الجرانيت التى كانت تغطى سطح الرمال فى تلك البقعة . ونظرا لأن وجود مثل هذه القطع يدل على وجود مبنى أثرى مشيد من هذا الحجر سارع « بارازنتى » بالصعود إلى قمة أحد التلال القريبة ، ومن مكانه المرتفع استطاع أن يرى فوق سطح الصحراء الخطوط الدالة على وجود سور مستطيل الشكل . ولم يستطع « بارازنتى » صبرا فبدأ عمله هناك فى صباح اليوم التالى ، ولكنه لم يستمر وقتاً طويلا لأن الحكومة المصرية كانت قد أعطت امتياز الحفر فى هذه المنطقة إلى جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية التى يمثلها العالم الأثرى « چورچ ريزنر » . ولكن « ريزنر » لم يقم بأى عمل هناك . وأخيرا فى عام ١٩٠٤ استطاع « بارازنتى » أن يستأنف نشاطه(٩) . ومنذ ذلك الوقت حتى عام ١٩١١ كان يقوم بالحفائر فى فترات متقطعة ، وعندما وافته منيته بعد ذلك كان ما زال يؤمن إيمانا قاطعاً بأن العمل لم يكن قد انتهى بعد(١٠) .

وكشفت حفائر « بارازنتى » عن وجود الجزء الذى كان تحت سطح

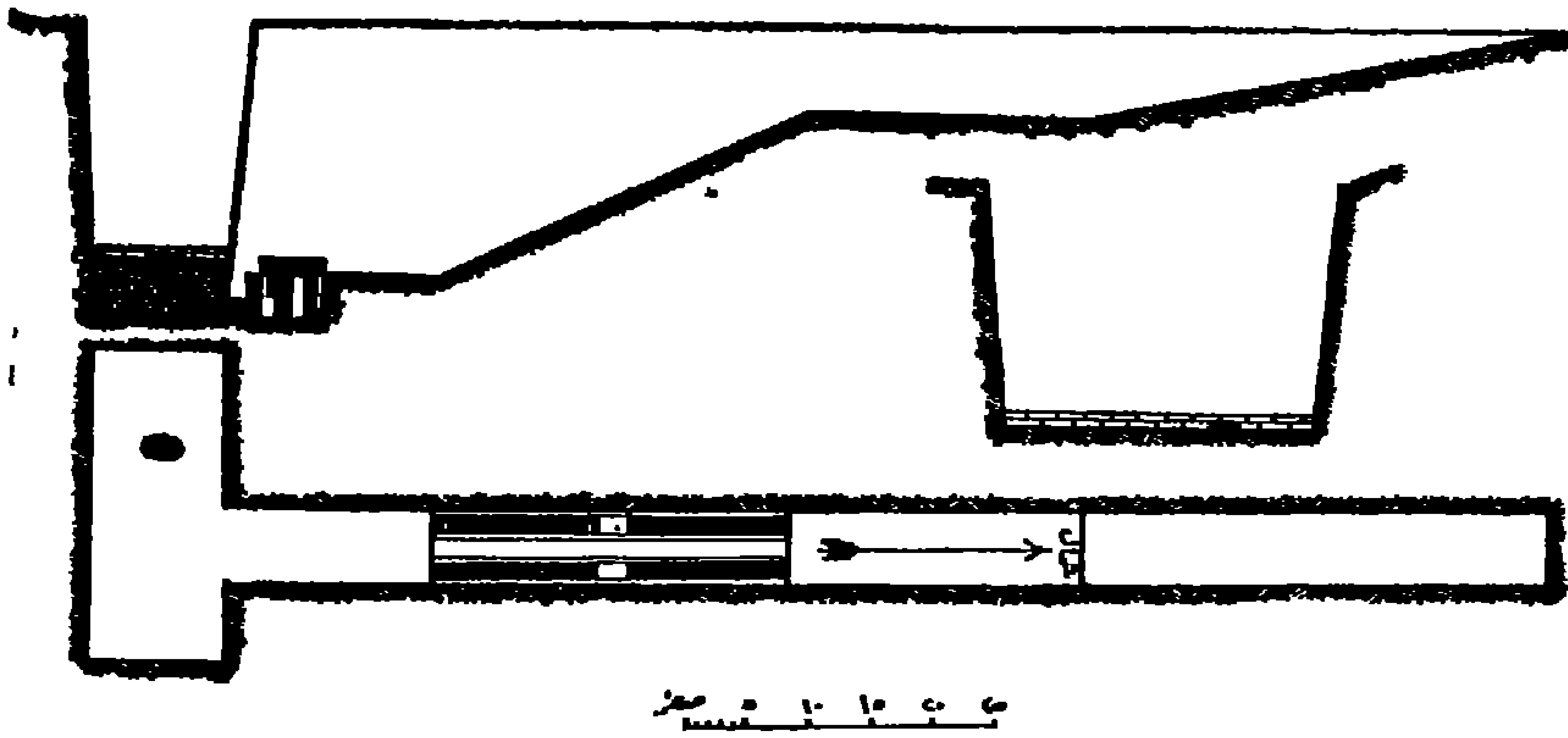
---

(٩) G. A. Reisner, *The Development of the Egyptian Tomb*, *p.* 152.

(١٠) نشر « بارازنتى » تقاريره عن حفائره فى *Annales du Service*, VII (1906), 260—86; VIII (1907) 201—10, *and* XII (1911), 57—63.

ولم يقم أحد غير « بارازنتى » بالعمل فى هذا الهرم ، وليس لنا أى مصدر لدراسته غير ما نشره من رسوم ومن صور فوتوغرافية .

الأرض من هرم من أهرام الدولة القديمة وجزء بسيط من بداية قاعدة الجزء الذى كان فوق سطح الأرض ، وأبعاده تماثل على وجه التقريب قاعدة هرم سقارة المدرج ؛ إذ أنها ١٨٠ × ٢٠٠ متر . ويبدأ الممر الموصل إلى الحفرة بانحدار ثم يصبح بعد ذلك أفقياً إلى مسافة غير قصيرة ، ثم تبدأ بعد ذلك درجات منحوتة فى الصخر ، ونجد فى وسط هذه الدرجات جزءا مستوياً يرتفع قليلا عن الدرجات التى على جانبيه (انظر الرسم) . وعند نهاية



(شكل رقم ٢٧) رسم تخطيطى ومقطع للخندق والأجزاء التى تحت سطح الأرض من الهرم الناقص فى زاوية العريان . (نقلا عن بارازنتى)

الدرجات نجد جزءاً أفقياً فى مستوى الحفرة (شكل رقم ٢٨) . وبالرغم من أن الحفرة مقطوعة فى الصخر فإن القدماء ملأوا منها ما ارتفاعه ٤ر٥٠ أمتار بالمبانى ، مداميكها السفلى من كتل الجرانيت والحجر الرملى ، وفوق هذه المبانى نجدهم قد رصفوا أرضية المكان المعد ليكون حجرة للدفن بكتل من أحجار الجرانيت تزن كل منها تسعة أطنان ، وهى تحيط بكتلة واحدة كبيرة وزنها ثلاثة وأربعون طناً . وفى الجهة الغربية نجد صندوقاً أو تابوتاً من الجرانيت ذا شكل بيضاوى ، وضعوه فى الأرضية نفسها ، ومحوره الطولى من الشمال إلى الجنوب . وكان العمل فى كل من ذلك الصندوق وغطائه قد



(شكل رقم ٢٨) الجزء الذى تحت سطح الأرض من الهرم الناقص فى زاوية العريان .

انتهى ، بل وكانا مصقولى الجوانب ، وبالرغم من أن الغطاء كان موضوعاً فوق الصندوق ، وكان مثبتاً فى مكانه بالملاط ، فلم يكن فى داخله شىء على الإطلاق (انظر شكل رقم ٢٩) .

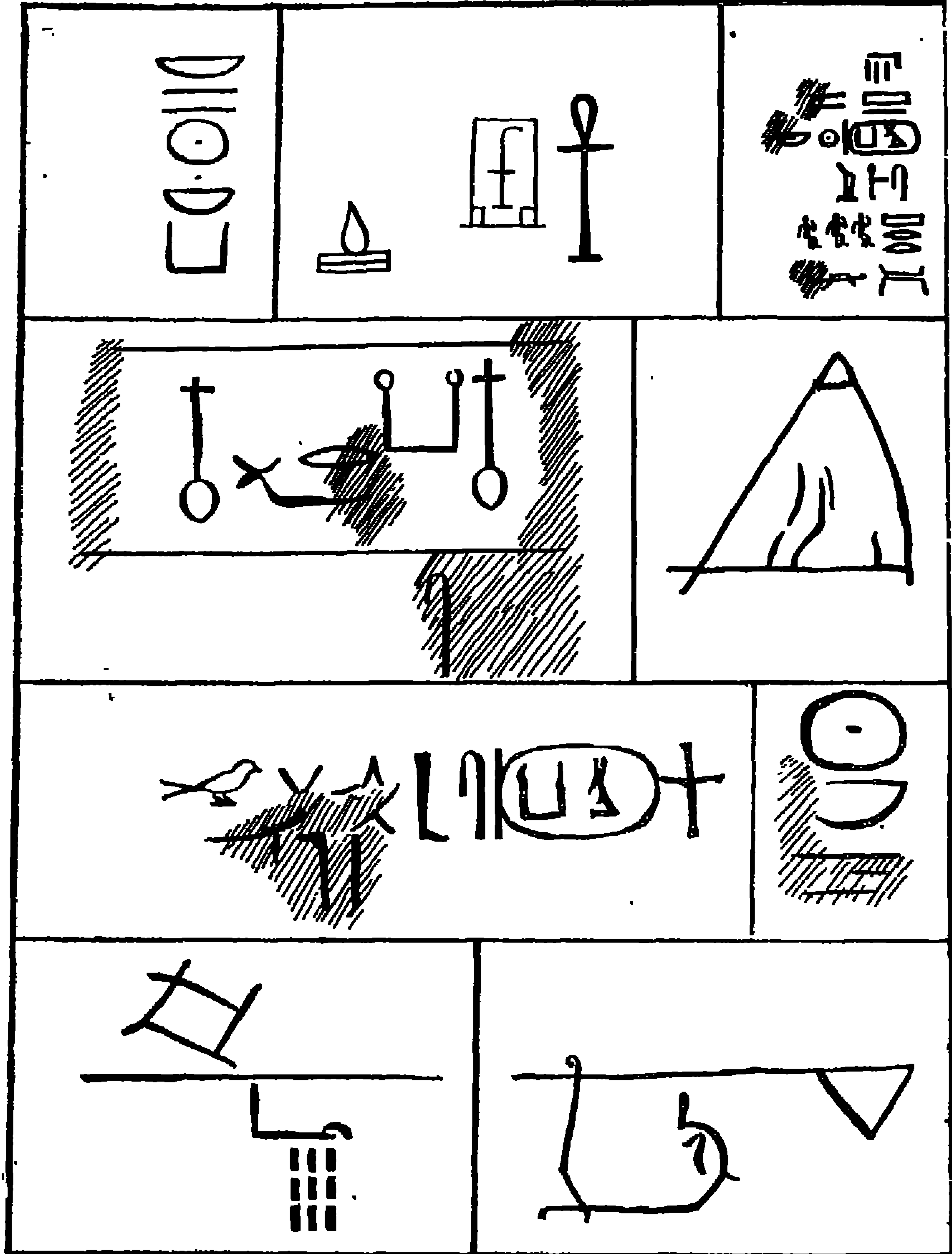
ويعتقد « ريزنر » أن مقاييس الجزء الذى فوق سطح الأرض من هذا الهرم وطريقة عمل الممر والحفرة الكبيرة تبين بصورة قاطعة وجوه الشبه بينه وبين هرم « زوسر » وأنه ، مثل هرم « زوسر » ، كانوا يريدون تشييده ليكون هرماً مدرجاً(١١) .

(١١) G. A. Reisner, *The Development of the Egyptiau Tomb.* p. 153.



(شكل رقم ٢٩) أرضية الحفرة ونرى فيها التابوت الموضوع فى الأرضية وغطاء التابوت إلى جانبه .

لم يترك « بارازنتى » الأحجار التى كانت تملأ أرضية الحفرة فى مكانها ، بل رفعها ، ونجدها الآن حول الحفرة ، وكل منها يزن بين ثلاثة وأربعة أطنان ، ومجموع أحجامها ٤٢٠٠ متر مكعب ، وكان يوجد على كثير منها علامات المحاجر مكتوبة باللون الأحمر ، وهى التى كتبتها فرق البنائين والحجارين أثناء العمل فيها قبل نقلها من المحاجر إلى موقع الهرم (شكل رقم ٣٠) ، وعلى كثير منها نقرأ اسم صاحب الهرم ، ونراه



(شكل رقم ٣٠) بعض علامات المحاجر التى عثر عليها مكتوبة باللون الأحمر على بعض أحجار الهرم الناقص فى زاوية العريان .

أحياناً داخل خانة ملكية ، ولا يكاد يوجد أى شك فى أنه الملك « نفركا (رع) — نبكا » أحد خلفاء « زوسر » . ولا يكاد يوجد أى شك أيضاً فى أن العمال القدماء فى عهد هذا الملك كانوا قد أتقنوا مهنتهم كل الإتقان ، ونرى ذلك واضحاً فى قطع الصخر فى جوانب الحفرة وفى الممر ، وفى السلم ، وفى قطع وصقل كتل الجرانيت الضخمة التى أحضروها من محاجر أسوان .

وعندما ظهر أول تقارير « بارازنتى » فى عام ١٩٠٦ شك العالم الأثرى الكبير « ماسپرو » ، وكان فى ذلك الوقت مديراً عاماً لمصلحة الآثار المصرية ، فى احتمال العثور على أى شيء أكثر مما تم العثور عليه ، كما شك أيضاً فى أن الصندوق الجرانيتى المثبت فى الأرضية يمكن اعتباره تابوتاً أو أنه كان معداً لوضع جثة الملك فيه[١٢] . ولكن بالرغم من ذلك فإن « بارازنتى » كان مؤمناً إيماناً تاماً بأنه سيكتشف حتما حجرة الدفن الحقيقية والتابوت الحقيقى ، واستمر بعد ذلك فى رفع كتل الأحجار التى كانت فوق الأرضية ، واستمر أيضاً فى عمل حفرات تجريبية فى كتل الأحجار الجيرية لمعرفة ما عساه أن يكون تحتها أو خلفها .

وفى آخر تقرير له وهو الذى كتبه قبل وفاته بفترة قصيرة يذكر أن الاعتماد المالى الذى كان تحت تصرفه قد نفد عندما كان على قيد « أصبعين » من هدفه ، وذكر والأمل يملأ نفسه أنه سيستأنف بحوثه . ولسنا نعرف تماما الباعث الذى جعل « بارازنتى » يصر بعناد على رأيه فى استمرار البحث طوال كل هذه السنين ، وكل ما نستطيع قوله هو أنه من المحتمل أن يكون الحادث الذى ذكره فى أول تقرير له هو السبب فى ذلك . يروى « بارازنتى » أنه سقطت فى ليلة ٣١ من مارس ١٩٠٥

(١٢) G. Maspero, *Annales du Service*, VII (1906), *p*. 257-59.

أمطار غزيرة غير عادية وأن مياه المطر ملأت الحفرة إلى ارتفاع ثلاثة أمتار . ولكن حدث فجأة عند منتصف الليل أن ارتفاع المياه فى الحفرة نزل إلى متر واحد ، ثم وقف تسرب المياه وكان عليه بعد ذلك ضخ المياه المتراكمة . واعتقد منذ هذه اللحظة أن هناك فناء أو دهليزاً تحت الأرض تسربت إليه هذه الكمية التى تبلغ ٣٨٠ متراً مكعبا من المياه(١٣) ، وظل حتى وفاته يبحث عن هذا الدهليز أو المكان الخفى الذى يحتمل أن يكون هو المكان الذى دفن فيه الملك صاحب الهرم . ولا يوجد بين رجال الآثار الحاليين من يشارك « بارازنتى » رأيه فى وجود ذلك المدفن الملكى ، وقد تعرض بسبب إصراره على رأيه لكثير من النقد ؛ لأنه من المحتمل جدا أن تكون المياه قد تسربت إلى أحد الشقوق فى صخر الجبل ، ولكن مع ذلك فإن هناك أيضاً من يؤمن مثل « پترى » بأن هذه المنطقة يجب إعادة بحثها(١٤) ، ولا شك أن كل مشتغل بالآثار يود لو أنه أعيد رفع الرمال مرة ثانية من الحفرة ومن الخندق فى الهرم الناقص فى زاوية العريان لتتيسر دراسة هذا الأثر فى ضوء تقدمنا الحاضر فى الدراسات الأثرية ، وليس للبحث عن دهاليز جديدة تحت الأرضية .

وفى شهور الشتاء من ١٩٥٣ — ١٩٥٤ اختارت إحدى شركات السينما هذه المنطقة بالذات لتكون مسرحاً لجزء من حوادث فيلم عن مصر القديمة ، ورفعت الجزء الأكبر من الرمال المتراكمة فوق الحفرة والخندق ، ولكن ما كاد العمل ينتهى فى ذلك الفيلم حتى عادت الصحراء إلى استعادة ما انتزعوه منها .

---

(١٣) G. A. Reisner, *The Development of the Egyptian Tomb*, p. 153.

(١٤) W. M. Petrie, *A History of Egypt* (1923), I, 41.

وما حل شهر أغسطس ١٩٥٤ حتى لم يكن هناك شيء يرى فى قاع الحفرة غير الرمال الناعمة التى غطت المكان . وسواء استطاع الزائر أن يرى التابوت والسلم أو لم يستطع رؤيتهما فما من شك فى أنه سيرى بوضوح مدى العمل الضخم الذى كان يتطلبه إعداد الجزء الواقع تحت سطح الأرض من أى هرم من الأهرام .

أهرام « سيلا » و « زاوية الأموات » و « الكولة »

يعتقد المشتغلون بالآثار ، بصفة عامة ، أن هذه الأهرام الثلاثة — بالرغم من أنها لم تبحث بحثاً علميا كافيا حتى الآن — فإنها من الأسرة الثالثة ؛ وذلك استنادا إلى ما لاحظه الأثريون الذين زاروها . وليست هذه الأهرام فى منطقة منف ، ولكنها بعيدة عنها . فأولها فى محافظة الفيوم ، وثانيها فى محافظة المنيا ، أما ثالثها ففى أقصى الجنوب ، فى محافظة أسوان .

ونجد هرم سيلا الذى لم يقم أى أثرى حتى الآن بمحاولة الحفر حوله أو دراسته دراسة علمية صحيحة مشيداً فوق أحد مرتفعات المنطقة الصحراوية التى تفصل محافظة الفيوم عن وادى النيل ، ويقوم فى بقعة تشرف على منظر طبيعى أخاذ ؛ إذ يرى زائره حقول الفيوم الخضراء ممتدة أمامه فى ناحية ، وهرم ميدوم وما حوله فى ناحية أخرى (شكل رقم ٣١) . وإذا صعد الإنسان فوق هذا الهرم يستطيع أن يرى عند الأفق هرمى هوارة واللاهون ، وهما من أهرام الدولة الوسطى ، يظهران كتلتين سوداوين مخروطتى الشكل على حافة الصحراء .

زار « بورخارت » هذا الهرم عام ١٨٩٨ وكتب أول وصف له[١٥] ،

(١٥) L. Borchardt, " *Die Pyramide von Silah,* " in *Annales du Service,* I (1900), 211—14.

ولكن قلما زاره أثرى آخر بعد ذلك لأن المنطقة التى يقوم فيها ليست من المناطق الأثرية التى يسهل الوصول إليها(١٦)، وفقط فى عام ١٩٣٧ نشر

(شكل رقم ٣١) الأهرام من اللشت حتى الفيوم

---

(١٦) موقع هذا الهرم عند تقاطع خط العرض الشمالى ٢٣′ ٢٨° مع خط الطول الشرقى ٢′ ٣١° على مسافة تقل قليلا عن خمسة كيلو مترات من ترعة وهبى على مقربة من عزبة زنانيرى .

أ . پوشان خمس صور فوتوغرافية لهذا الهرم[١٧] ، ولكن هذه الصور رغم أهميتها لم تضف من وجهة نظر رجل الآثار شيئاً جديداً إلى ما كتبه بورخارت من قبل .

ويظهر هرم سيلا للرائى كأنه مصطبة مشيدة من كتل كبيرة من الحجر الجيرى طولها ٢٢,٥٠ متراً فى أحد جوانبه ، ولكنا لا نستطيع إعطاء مقاييس الأضلاع الأخرى على وجه الدقة قبل القيام بتنظيف جدران هذا الهرم ، ولهذا لا يمكننا القول إذا كان مربع القاعدة أو أنه غير مربع . وعلى أى حال فلدينا ما يكفى من الأدلة على أنه شيد ليكون هرماً مدرجاً ولكن ، كما سبق القول ، لم يقم أحد بالعمل فيه ولا نعرف شيئاً على الإطلاق عن حجرة الدفن أو غير ذلك مما عساه أن يكون تحت سطح الأرض من دهاليز أو غيرها .

أما عن تاريخه فإنه ينسب عادة إلى الأسرة الثالثة ، ولكن هذا الرأى راجع إلى ما كتبه بورخارت منذ أكثر من خمسة وستين عاماً . ولا نجد فى الناحية الشرقية من هذا الهرم أى بقايا من معبد أو هيكل ، كما أنه لا توجد أيضاً مساحة كافية فى هذه الناحية لمعبد الوادى لأن الهرم نفسه مشيد قريباً جداً من حافة الهضبة ، وأمامه فى الناحية الشرقية منحدر عميق ، ولم يسبق لأى أحد أن لاحظ وجود مقابر على مقربة منه ، ولا يوجد حوله إلا بعض قطع متناثرة من الفخار وشظايا من الحجر الجيرى ، وقد أشار بورخارت إلى رؤيته قطعة من حجر البازلت مما يدل على وجود تماثيل أو معبد هناك .

---

(١٧) A. Pochan, "*Pyramide de Seila (au Fayoum)*," *Bulletin de l'Institut francais d'Archéologie orientale*, XXXVII (1937) 161.

لقد زرت هذا الموقع عدة مرات كان آخرها فى شهر أكتوبر ١٩٥٤ ، وفى كل مرة من هذه الزيارات حاولت أن أفهم السبب فى نسبة هذا الهرم إلى الأسرة الثالثة فلم أجد أى تعليل مقبول نوعا ما إلاّ وجوده على مقربة من هرم ميدوم ، وأن طريقة تشييده تدل على أنه بنى ليكون هرما مدرجا . ولكن هاتين الحقيقتين غير كافيتين لجعل هذا التاريخ حقيقة نهائية ، وعلينا أن ننتظر حتى يأتى اليوم الذى تجرى فيه الحفائر فى هذه المنطقة .

وقد أشار « ريزنر » إلى هذا الهرم فى بحثه عن تطور المصطبة ذات الطبقات إلى الهرم الصحيح ، ولكنه يقول إن تشييد هذا الهرم كمصطبة ذات طبقات أمر مشكوك فيه[١٨] ، ويصفه بأنه « رديم وحوله كساء من الحجر ، ويتكون من نواة وطبقة واحدة » . وفى فهرست كتابه يضع بعد هذا الوصف علامة استفهام مما يدل على تردده فى قبول هذا الأثر كهرم من الأهرام[١٩] .

نجد هرم سيلا فى مكانه وحيداً دون أن يكون حوله مبان قديمة أخرى أو مقابر ، ولكن هرم زاوية الأموات نجده محاطاً بجبانة كبيرة فيها مقابر من معظم عصور الحضارة المصرية[٢٠] . فهو فى وسط جبانة

---

(١٨) G. A. Reisner, *The Development of the Egyptian Tomb*, *P.* 339.

يؤرخ ريزنر هذا الأثر فى الأسرة الثانية أو الثالثة ويقول بأنه من المستحيل أن يقول الإنسان على وجه التأكيد إنه كان مقبرة لأحد الملوك .

(١٩) يصف « جرنزل » هذا الهرم ، ولكنه يقول إن كل معلوماته مستمدة من مقال بورخارت وصوره الفوتوغرافية .

L. Grinsell, *Egyptian Pyramids*, (*Gloucester*, 1947), *p.* 176.

(٢٠) ويذكرها البعض ، فى بعض الأحيان ، تحت اسم « زاوية الميتين » وكلتا الكلمتين « الأموات » و « الميتين » تؤديان نفس المعنى فى اللغة العربية لأنها جمع كلمة « ميت » وتقع جبانة زاوية الأموات على الضفة الشرقية من النيل على مسافة ثمانية كيلو مترات شمالى مدينة المنيا .

مدينة « حبنو » ، وهى من أهم المدن القديمة فى مصر الوسطى . وما زال الجزء الأسفل من هذا الهرم باقياً حتى الآن وهو مشيد من كتل الأحجار الموضوعة بميل إلى الداخل ، ويدل البناء بوجه عام على أنه بنى ليكون هرماً مدرجاً . ومصدرنا الوحيد عن هذا الأثر هو ما كتبه ر. ڤى (R Weill) قبل الحرب العالمية الأولى(٢١) ؛ إذ نظف جوانبه ولكنه لم يعثر على أى دليل لتحديد تاريخه ، بل فشل حتى فى العثور على مدخله ، ولم يجده نفعا ذلك النفق الذى قطعه مخترقا وسط البناء من ناحيته الشمالية إلى الناحية الجنوبية أملا فى العثور على حجرة الدفن ، ويلوح أنه لم يكن ملحقاً به أى هيكل . وقد ذكر « ريزنر » هذا الهرم فى مؤلفه وعقد مقارنة بينه وبين الهرم ذى الطبقات فى زاوية العريان(٢٢) ، ولكن لم يتحدث عنه « لوير » أو « جرنزل » أو « ادواردز » فى كتبهم عن الأهرام .

أما هرم « الكولة » فهو على الضفة الغربية من النيل ، على مقربة من قرية البصيلية أمام بلدة الكاب ، فى محافظة أسوان . ونرى هذا الأثر مذكورا فى بعض الكتب التى كتبها أصحابها كدليل للآثار ولكنها لا تحدد له غرضا أو تاريخا(٢٣) .

---

(٢١) R. Weill, "Fouilles a Tounah et a Zaouiet - el - Maietin." in Comptes Rendus (Académie des inscriptions et belles — lettres, 1912), p. 488. Porter & Moss, Topographical Bibliography, IV, 134.

ولا تزيد المؤلفتان على ذلك مصدراً آخر ، وفى مقال لوير عن الأهرام المدرجة نجد صورة فوتوغرافية بها سهام تشير إلى الطبقات المتعاقبة :

J. P. Lauer, "*Les Pyramides a degrés. monuments typiques de la III a dynastie*," *Revue Archéologique*, *XLVII* (1956), 6 (Fig, 3.).

(٢٢) G. A. Reisner, *The Development of the Egyptian Tomb*, *P*. 339.

ونجد فى فهرس هذا الكتاب أنه يضع عند ذكره لهذا الأثر علامة استفهام بعد كلمة « هرم » .

(٢٣) لمعرفة المراجع الخاصة بهذا الأثر ارجع إلى مؤلف :

Porter and Moss, *Topographical* Bibliography, V, 167.

وإذا رجعنا إلى المؤلفات الرئيسية عن هذا الموضوع نجد « ريزنر » يتردد فى تسميته هرما ، وقد حفرت بعثة من « مؤسسة الملكة » إلزابث للدراسات المصرية القديمة برئاسة چان كاپار Capart عام ١٩٤٦ فى هذا الموقع أملا فى العثور على مدخل الهرم ، ولكنها لم تنجح فى عملها ، وقد قام چان ستينون مهندس البعثة بعد ذلك بعدة سنوات بعمل دراسة عن الجزء الذى فوق سطح الأرض من هذا الأثر(٢٤) ، ونخرج من دراسته بالنتائج الآتية :

إنه شيد ليكون هرماً ذا طبقـــات ويتكون من نواة وثلاث طبقات (شكل ٣٢) وأنه ذو ثلاث درجات أولاها مكونة من اثنى عشر مدماكا من الأحجار وارتفاعها ٤ر٣٠ أمتار ، والثانية من عشرة مداميك ، أما الثالثة فقد تهدمت ولم يبق منها إلا الشىء القليل(٢٥) ؛ وقد حصل البناؤون القدماء على الأحجار الصغيرة التى شيد بها هذا الهرم من محجر قريب منه وأن تلك الأحجار موضوعة مائلة إلى الداخل ، أما المونة فكانت من الطين المخلوط بالتبن والقليل من الجير. وطول الضلع التى فى الناحية الشمالية البحرية

= وانظر أيضاً ما كتبه چورج شتيندورف فى :

Guide to Egypt and the Sudan (English, eighth edition, 1929), p. 364.

وقد حاول ماسپرو منذ أكثر من خمس وستين سنة أن يصل إلى حجرة الدفن فى هذا الهرم ، ولكن النفق الذى قطعه فى أحد جوانبه لم يأت بالنتيجة المرجوة كما ذكر فى كتابه :

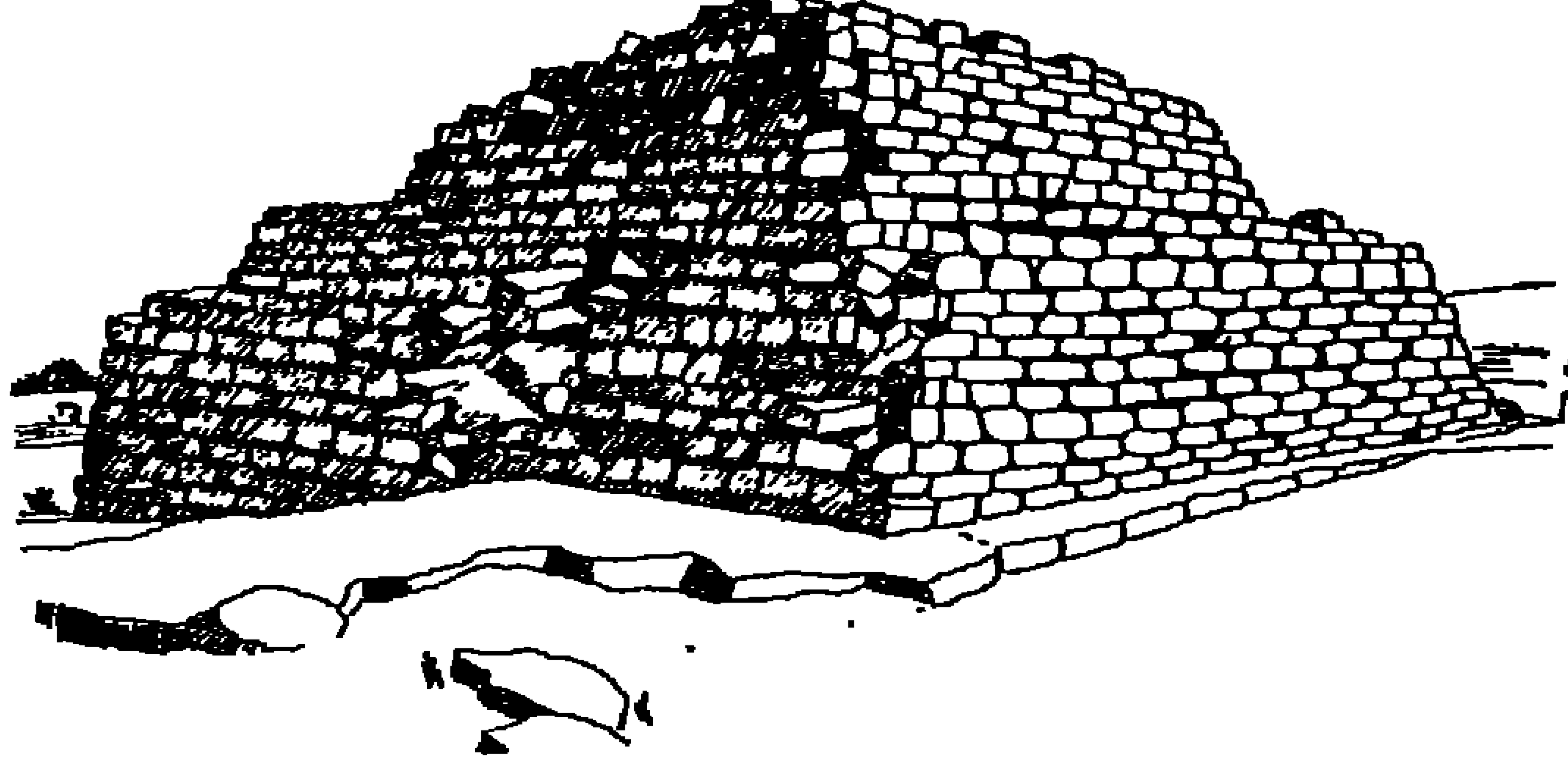
***Histoire ancienne des peuples de l' Orient, II,* 58.**

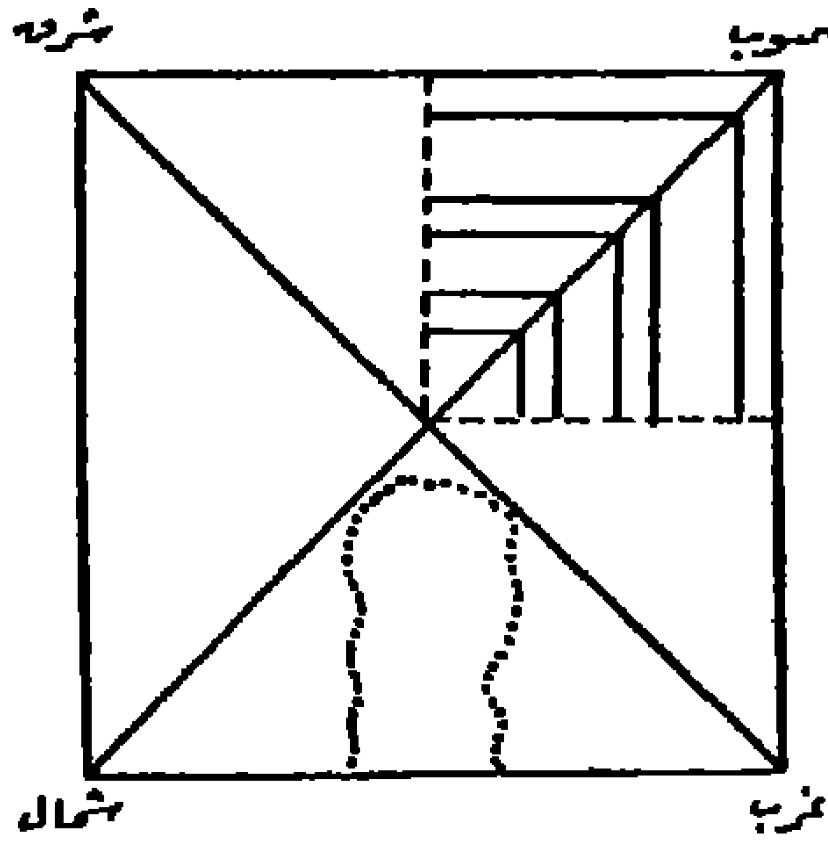
وكثيراً ما يحاول بعض الباحثين عن الكنوز الحفر فيه لاعتقادهم أنه يحوى كنزاً فى داخله لم يعثر عليه أحد بعد .

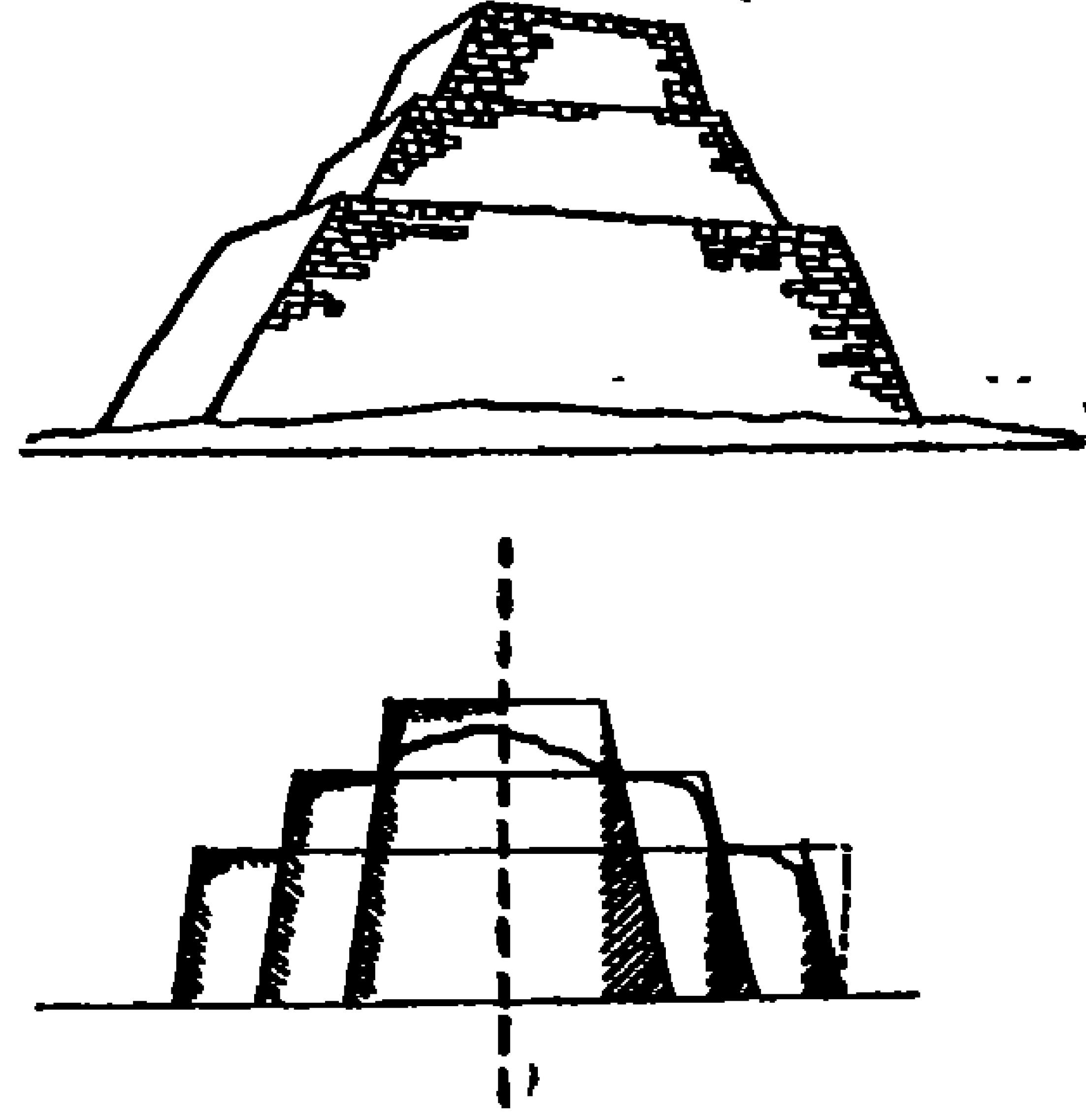
(٢٤) **Jean Stiénon, "*El Kôlah*", *Chronique. d' Egypte*, XLIX *(January*, 1950*)* 42—45,**

(٢٥) نجد إشارة إلى هذا الهرم فى كتاب: **Vyse, *Operations Carried On at the Pyramids of Gizeh*, III. 85.**

إذ يذكر أنه كان مكونا من سبعة وعشرين مدماكا مشيدة فى ثلاث درجات ، وأن ارتفاعه فى عام ١٨٣٩ كان ثمانياً وثلاثين قدماً وست بوصات ، أى ٧٤ر١١ متراً .







(شكل رقم ٣٢) هرم الكولة (نقلا عن ستينون) .

٦٠ر١٨ مترا ولايعطينا ستينون مقاييس الأضلاع الأخر ولكنا نرى من رسمه أن القاعدة مربعة ، وأن ارتفاعه فى الأصل كان ٤٠ر٩ أمتار(٢٦) . وفى هذا الهرم ظاهرة غير عادية وهى أن زواياه (وليست أضلاع قاعدته) هى

---

(٢٦) نشر « ريزنر » فى كتابه : *The Development of the Egyptian Tomb,* **p. 339.**
الأبعاد التى قدمها له بورخارت ، وهى المقاييس التى أخذها قبل تنظيف جوانب هذا الهرم فى عام ١٩٤٦ ، وهى ٥٠ر١٣ × ١٢ مترا .

التى تتجه نحو الجهات الأربع الأصلية ، وربما كان ذلك راجعا إلى الاتجاه الذى يسير فيه نهر النيل فى هذه المنطقة ، ولم يعثر « ستينون » على أثر لأى كساء خارجى لأحجار هذا الهرم[٢٧] .

ومن المعتقد ، بوجه عام ، أن تاريخ هذا الهرم يرجع إلى الأسرة الثالثة ، بالرغم من أن « ستينون » لا يريد أن يقطع برأى جازم ويقول فقط إنه من عصر مبكر جدا . وأحب أخيرا أن أشير إلى نقطة أخرى وهى أن هذا الهرم يقع على مسافة قريبة من الكوم الأحمر موقع مدينة هيراكونپوليس أقدم عواصم الجنوب ، حيث عثر على آثار هامة كثيرة ، وبخاصة من أقدم الأسر .

والآن ، بعد هذا الحديث عن تلك الأهرام ، يمكننا تلخيص الحقائق المتعلقة بهذه المبانى الثلاثة بأنها جميعا صغيرة الحجم وليس لها هياكل ملحقة بها ؛ كما أن اثنين منها مشيدان فى مواقع غير متصلة بأى جبانة قديمة . وأحد هذه الأهرام — وهو هرم سيلا — لم يفحص بعد ، ولكن الهرمين الثانيين قد فحصا ولكن جميع الجهود التى بذلت للوصول إلى الجزء الواقع تحت الأرض أو إلى حجرة الدفن كانت دون جدوى . وهنا يحق لنا أن نتساءل عما إذا كانت هذه الأهرام الصغيرة قد شيدت لتكون مقابر دفن فيها بعض الملوك أو استعملت كمدافن على الإطلاق ؟ ولنا أن نتساءل أيضا عما إذا كان تاريخها يرجع حقا إلى الأسرة الثالثة ، أو إلى زمن قبل ذلك أو بعد ذلك فى الدولة القديمة . ولا نستطيع أن نجيب عن هذين السؤالين الهامين حتى الآن .

---

(٢٧) من الممكن أن نضيف إلى هذه الأهرام أثراً آخر وهو الذى يوجد فى خرائب مدينة « نوبت » على مقربة من بلدة نقادة فى محافظة قنا . وقد فحص « پترى » هذا الأثر فى عام ١٨٩٢ .

Petrie, *Nagada and Ballas*, *pp*. 65—70.

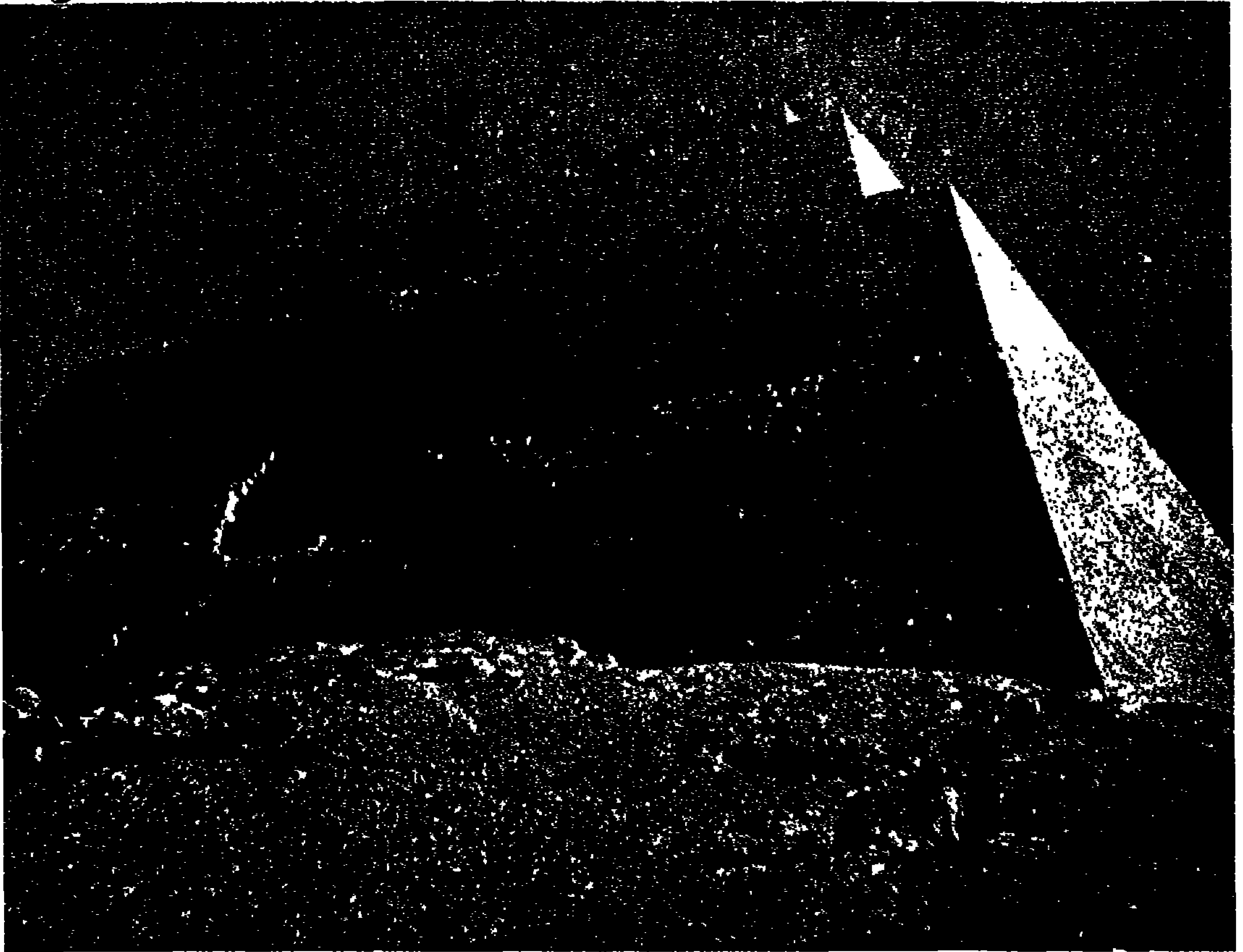
وهو أيضاً نوع من المصطبة ذات الطبقات ومداميكه متجهة نحو الداخل وله نواة وثلاث طبقات ، ولكنا لا نجد أى أثر لمصاطب فوق المصطبة السفلى حتى يمكننا القول بأنه هرم مدرج .

وكل ما يسعنا أن نقوله هو أن المصريين القدماء لم يشيدوا أى مبان كبيرة هامة من الحجر قبل أيام زوسر عندما شيد « إيمحوتب » الهرم المدرج فى سقارة ، ولكن هذه الأهرام الثلاثة مشيدة من أحجار صغيرة الحجم نسبيا حصلوا عليها من محاجر محلية قريبة من مواقعها ، وإنها فى الناحية الفنية لا تزيد على مبانى الأسرة الأولى ، أو مبانى الأسرة الثانية المشيدة بالحجر ، كما أن المصاطب ذات الطبقات أو المدرجة التى كانت تبنى « بالطوب النيء » — اللبن — كانت معروفة قبل أيام الأسرة الثالثة .

وهناك مشكلة أخرى لا تقل عن المشاكل السابقة . لو كانت هذه الأهرام قد شيدت حقا لتكون أهراما مدرجة ليدفن فيها أصحابها فما هو السبب الذى دعا إلى تشييدها فى أماكن بعيدة عن جبانات هذا العصر ؟ أمن الممكن اعتبارها أضرحة ، ولم يدفن فيها أحد ؟ وهنا نجد أنفسنا مرة أخرى عاجزين عن تقديم أى تفسير يمكن أن نطمئن إليه .

هرم ميدوم

يظهر هرم ميدوم لمن يقترب من المنطقة من مسافة كيلومترات كثيرة ، يظهر رابضاً على سطح الصحراء ، كبرج كبير فوق تل مرتفع يشرف على ما حوله (شكل رقم ٣٣) . وإذا تصفحنا كتب التاريخ أو الآثار التى صدرت قبل عام ١٩٤٥ نجدها تنسب هذا الهرم إلى الملك « سنفرو » ولكن المشتغلين بالدراسات الأثرية ، بعد حفائر دهشور ، يعرفون على وجه التحقيق أن هرم سنفرو الجنوبى ، الذى كانوا يظنون فى وقت من الأوقات أنه هرم ميدوم ، ليس إلا الهرم المنحنى فى دهشور ، ولهذا السبب أصبحت ملكية هرم ميدوم ، أو بعبارة أخرى اسم الملك الذى شيده ليكون مدفنا له ، موضوعا يحتاج إلى شيء من الإيضاح . ومهما يكن من أمر فإنه يمكن القول بأن هذا الهرم يمثل المرحلة النهائية فى تطور طراز الهرم المدرج ، وأنه يكاد يكون من المؤكد أنه يسبق مباشرة أهرام سنفرو .



(شكل رقم ٣٣) هرم ميدوم

وقد استرعى هذا الهرم أنظار كثير من الباحثين منذ أقدم أيام الدراسات المصرية القديمة ، ونرى كثيرا من الرسوم التى عملت له أيام القرن الثامن عشر ، وكان بين الأهرام التى عنى بفحصها « پرنج » و « ڤيز » فى عام ١٨٣٩[٢٨].

(٢٨) Vyse, *Operations Carried On at the Pyramids of Gizeh*, III, 78—80.

وجذب هذا الموقع الأثرى إليه عناية « ماريت » الذى عثر هناك على عدد من المقابر الهامة ، وبخاصة تلك التى كان فيها تمثالا الأمير « رع - حوتپ » (شكل رقم ٣٤) وزوجته الجميلة « نفرت » وهما من أشهر تماثيل المتحف المصرى .

وقام « پترى » بالحفر فى منطقة ميدوم فى عام ١٨٩٠ ثم عاد لاستئناف العمل فيها فيما بعد يساعده « وينرايت » (G. Wainwright) وقد نشر « پترى » كتابين عن تلك الحفائر ظلا أعواما طويلة المصدر الرئيسى لكل ما نعرفه من معلومات عن الهرم ومعبده ، والجبانات التى حوله (٢٩) . وقام بورخارت بفحص هذا الهرم عام ١٩٢٧ وكتب عنه مقالا يحوى أدق الرسوم التخطيطية لهذا الهرم حتى ذلك الوقت (٣٠) . وبعد ذلك بسنوات قليلة استأنفت بعثة متحف الجامعة بجامعة پنسلفانيا حفر هذه المنطقة ولكنها ركزت أعمالها فى المعبد والجبانات التى حول الهرم ، ولكنها لم تعن كثيرا بالهرم نفسه . وقد نشر « ألن رو » Alan Rowe تقريرا تمهيدياً عام ١٩٣١ (٣١) ، ولكن المؤلف النهائى عن تلك الحفائر لم يظهر حتى الآن . وبالرغم من أن البعثة انتهت من عملها فى ميدوم عام ١٩٣٤ فإن المنطقة ما زالت فى حاجة إلى إتمام الحفر ، وما زال فيها الشىء الكثير مما لم يتم الكشف عنه . وربما كانت فى مستقبل الأيام من أعظم المصادر التى ستمدنا بالكثير من المعلومات للإلمام بحضارة الدولة القديمة (٣٢) .

---

(٢٩) W. M. F. Petrie and others, *Meydum and Memphis (London,* 1910), Vol. III; W. *M. F. Petrie, Medum (London,* 1889*).*

(٣٠) Borchardt, *Die Entstehung der Pyramide, an der Baugeschichte der Pyramide bei Meidum nachgewiesen (Berlin,* 1928*).*

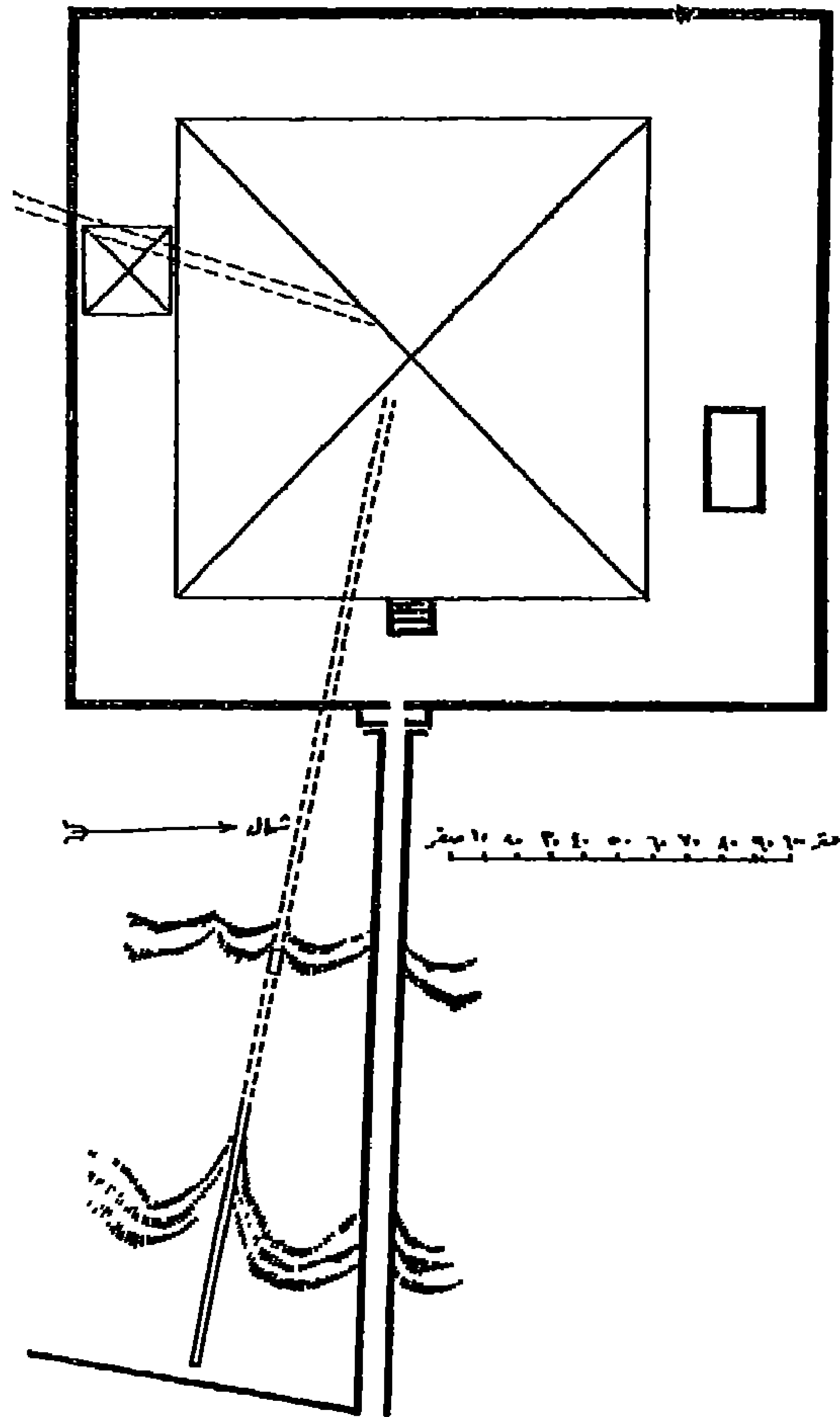
(٣١) *University of Pennsylvania Museum Journal,* XXII (1931), 5—46.

(٣٢) Porter and Moss, *Topographical Bibliography, IV,* 88-96



(شكل رقم ٣٤) تمثال الأمير «رع — حوتب» الذى كان مدفونا فى قبره بميدوم على مقربة من الهرم .

ونجد حول هذا الهرم أقدم مجموعة هرمية كاملة تم الكشف عنها حتى ذلك الوقت (شكل رقم ٣٥) . والهرم مشيد على حافة الهضبة ويحيط به سور خارجي أصبح الآن مهدماً . ونرى فى الجهة الشرقية منه طريقاً صاعداً له جداران ، وليس له سقف ، يوصل بين حافة الوادى وبين مدخل فى الناحية الشرقية من سور الهرم الذى أشرنا إليه . كان هذا الطريق الصاعد مرصوفاً بالحجر ، وكان أعلى الجدارين الجانبيين مقوساً ، وكان فى نهاية هذا الطريق ، على حافة الزراعة ، معبد من النوع الذى يطلق



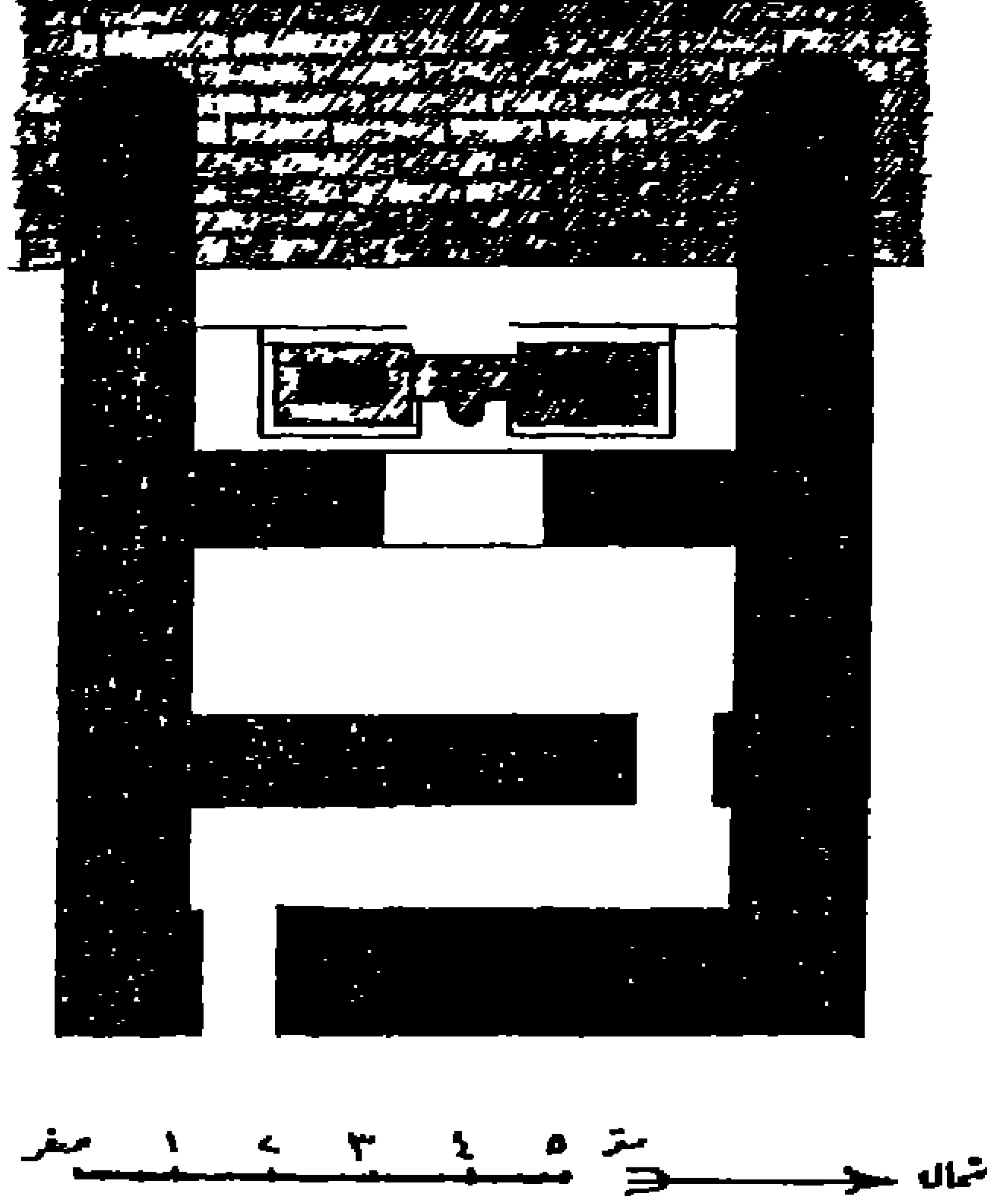
(شكل رقم ٣٥) المجموعة الهرمية فى ميدوم

عليه علماء الدراسات المصرية اسم معبد الوادى ، ولكنه موجود الآن تحت الزراعة تحت منسوب المياه الجوفية فى الحقول ، ولكنه بوجه عام لا يمكن القول بأنه ميئوس من حفره .

وفى الجهة الجنوبية من الهرم نفسه نجد بقايا هرم صغير ، وفى الجهة الشرقية منه (أى من هرم ميدوم) معبد جنازى صغير له سور خارجى (شكل رقم ٣٦) . كان هذا المعبد عندما عثر عليه « پترى » يكاد يكون كاملا ، وما زال سقفه فى حالة جيدة جداً . ونرى فى هذا المعبد مائدة قرابين يحف بها فى كل ناحية منها لوحة مرتفعة من الحجر مقوسة السطح العلوى ، وهذه المائدة واللوحتان فى فناء مفتوح ملاصق للهرم مباشرة ، وإلى الشرق من هذا الفناء حجرتان صغيرتان مسقفتان ، ويحيط بالمبنى كله السور الخارجى للهرم (شكل رقم ٣٧) .



(شكل رقم ٣٦) المعبد الجنازى لهرم ميدوم .



(شكل رقم ٣٧) رسم تخطيطي للمعبد الجنازي لهرم ميدوم .

وعلى الجدران الداخلية لهذا المعبد كتابات ، تركها بعض من زاروا هذا الموقع في العصور القديمة ، وبعضها يشير إلى الملك « سنفرو » ومن المحتمل أن تاريخ أحدها يرجع إلى أواخر أيام الدولة القديمة ولكن أكثرها من أيام الأسرة الثامنة عشرة .

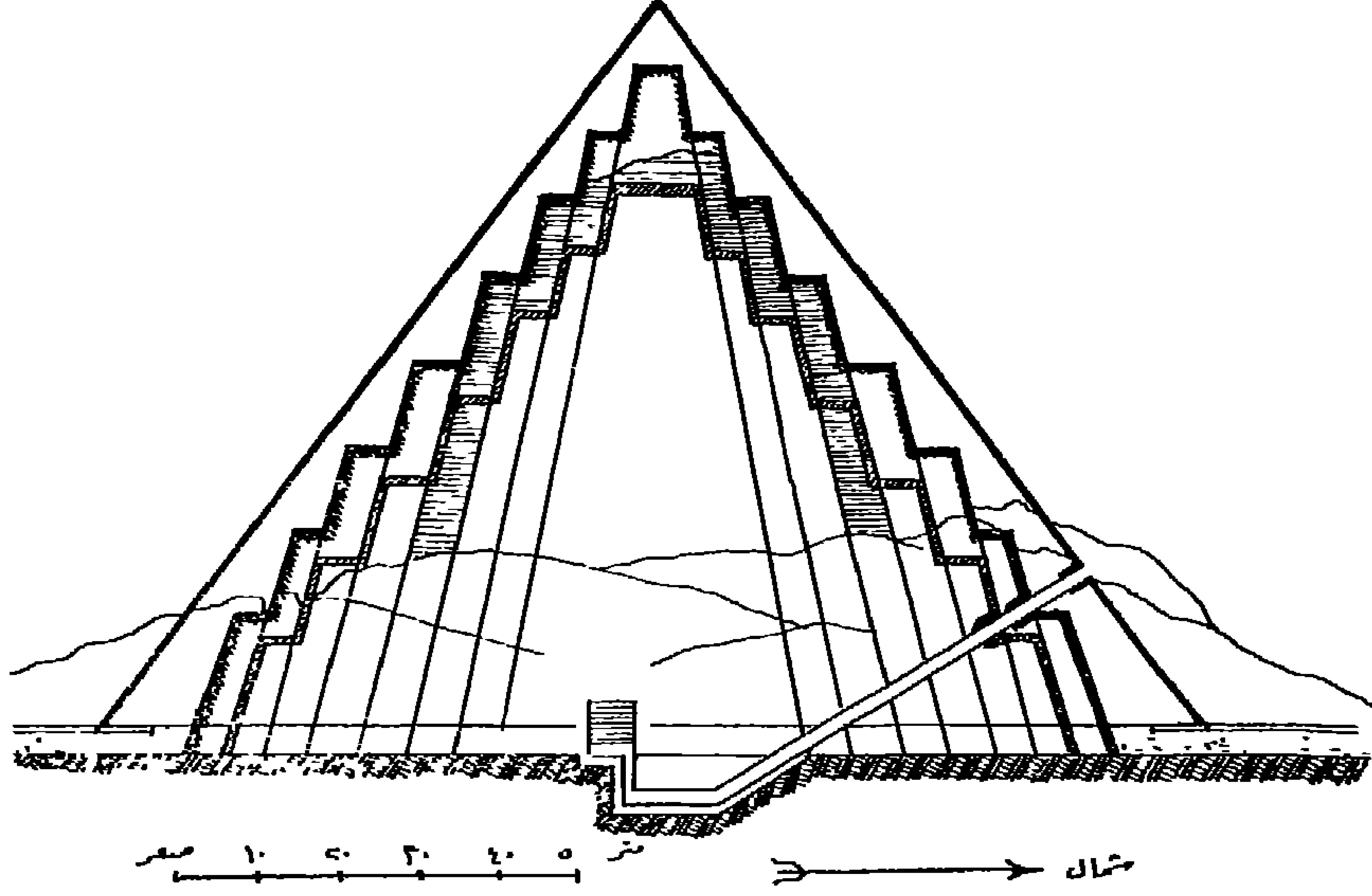
وأحد هذه النقوش ، وهو مؤرخ في العام ٤١ من حكم الملك « تحوتمس الثالث » . كتبه الكاتب « عاخبر كا رع — سنب » ، ويذكر أنه أتى إلى هنا ليرى معبد « سنفرو » الجميل . وفي آخر نقشه يطلب الرحمة لروح الملك « سنفرو » والملكة « مرسعنخ » التي يرجح أنها كانت أم ذلك الملك . ويحتم علينا هذا النقش ، والكتابات الأخرى أيضاً ، أن نفكر ملياً متسائلين عمن يكون مشيد هذا الهرم . لم يكن الكتاب القدماء جاهلين ولا بد أن بعضهم قرأ اسم « سنفرو » مكتوباً على الآثار القريبة من المكان . ونعرف من المصادر القديمة أنه كان للملك سنفرو هرمان

تحدد موضعهما الآن فى دهشور ، ولم تجر العادة بأن يكون لأى ملك من الملوك ثلاثة أهرام .

لقد حكم الملك « حو » الذى سبق « سنفرو » على العرش أربعة وعشرين عاماً على أقل تقدير ، وفى رأيى أنه بنى هرمه فى ميدوم ولكن هذا الهرم عند موته إما أنه كان ناقصاً لم يتم تشييده ، وإما أن « سنفرو » أحس بأنه كان أقل مما يليق بصاحبه : وفى خلال حكم الملك « سنفرو » أضافوا الكثير إلى ذلك البناء الذى لم يتم ، أو ذلك البناء المتواضع ، وأتموا تشييده ، ولهذا السبب يمكننا أن نعتبر إتمام هرم ميدوم ومجموعته الجنازية من الآثار التى يمكن نسبتها إلى عهد الملك « سنفرو » :

كان ارتفاع هذا الهرم فى الأصل ٩٢ مترا ، وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته ١٤٤ مترا ، وزاويته ٥٣ʹ ٥١° . ونعرف مما قام به پترى من بحوث فى هذه المنطقة أن الهرم مشيد فوق رصيف لا نراه الآن لأن أحجار كساء الهرم تخفيه عن الأنظار . ويتكون الجزء الواقع فوق سطح الأرض من نواة للهرم أضيفت إليها ثمان طبقات من المبانى فى كل جهة من الجهات الأربع جعلت منه هرماً مدرجاً ذا ثمان درجات من طراز الهرم ذى الطبقات (شكل رقم ٣٨) . وعندما أضافوا الزيادات إلى المبنى الأصلى زادوا فى ارتفاعه ، وفى الوقت ذاته كسوا كل درجة من درجاته بكساء من الحجر المنحوت . وبعد أن انتهى البناؤون من تشييد ذلك الهرم المدرج ذى الثمان الدرجات ملأوا ما بين الدرجات ثم كسوا البناء كله من الخارج مرة ثانية وبهذا أصبح هرما صحيحاً بعد أن كان هرماً مدرجا .

ويقع مدخل هذا الهرم فى منتصف الضلع الشمالى على ارتفاع يقرب من ثلاثين مترا من الأرض ، ويؤدى هذا المدخل إلى ممر طوله ٥٧ مترا ،



(شكل رقم ٣٨) مقطع فى هرم ميدوم تتضح فيه مراحل بنائه .

وينحدر إلى أسفل إلى أن يصل إلى الصخر . ومن المحتمل جدا أنه كان لذلك الممر باب خشبى لإغلاقه عند نهايته السفلى ما زلنا نرى مكانه واضحا هناك . ثم نجد فى نهاية الممر بهوين صغيرين على صورة دهليز ، وأخيراً نجد بئرا عمودية متجهة إلى أعلى ، وفى أعلاها توجد حجرة الدفن ومقاييسها ٥٫٩٠ × ٢٫٦٥ من الأمتار . وأرضية حجرة الدفن فى مستوى قاعدة الهرم . أما الحجرة نفسها فإن جدرانها من الحجر الجيرى ، ولها سقف من طراز الـ « كوربل » أى ذى الدرجات التى تتقارب بعضها من بعض ، ويتكون هذا السقف من سبع درجات ، وقد عثر « پترى » فى هذه الحجرة على بقايا تابوت من الخشب اعتقد يومئذ أنه كان للملك « سنفرو » نفسه .

ونجد فى السقف الثقوب التى عملت لوضع عروق الأخشاب التى كانت

مستخدمة أثناء البناء ، وما زلنا نجد فى واحد منها جزءاً من أحد هذه العروق الخشبية ، وهذا يشابه أخشاب الأرز التى عثر عليها فى داخل هرم « سنفرو » المنحنى فى دهشور ، وهى على الأرجح معاصرة لأخشاب هذا الهرم .

وقد عدت الأيدى وحطمت الكساء الخارجى للهرم فى أيام القدماء ، ربما فى أيام الدولة الحديثة ، وما زالت مخلفات هذا التهديم حتى الآن متراكمة حول الهرم ، وتغطى جزءه الأسفل وتجعل الناظر إليه يراه كما لو كان مشيدا فوق تل مخروطى الشكل . وهناك أمل فى أنه إذا ما أزيل ذلك الكوم الكبير من الأتربة تتضح لنا حقائق مثيرة ، بل وربما أصبح ميسورا لنا عند ذلك أن نعرف على وجه التحقيق اسم الملك الذى دفن فيه .



٥

أهرام "سنفرو" بدهشور

على مسيرة عشرة كيلومترات تقريبا ، إلى الجنوب من أهرام سقارة وفوق إحدى ربوات الهضبة الليبية التى تشرف على خرائب مدينة منف ، نجد هرمى دهشور المشيدين من الحجر يرتفعان شامخين فى الأفق (شكل رقم ٣٩ ، شكل رقم ٤٠) . ففى هذا المكان شيد الملك « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة هاتين المقبرتين الملكيتين اللتين تمتازان عما حولهما بعظيم حجمهما .

وشيد بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة ، فى العصور التالية ، أهرامهم المشيدة بالطوب اللبن على حافة الزراعة قريبا منهما ، وكان هذان الهرمان الحجريان منذ وقت طويل ، موضوع تساؤل الكثيرين ، وقد اتضح من البحوث والحفائر التى تمت خلال الأعوام القليلة الماضية أن هذه المنطقة الأثرية ، وهى منطقة دهشور ، ذات أهمية بالغة لدراسة موضوع الأهرام سواء من الناحية المعمارية ، أو من الناحية التاريخية (شكل رقم ٤١) .

أسس الملك « سنفرو » أسرة مالكة جديدة ، وأصبح مركزه شرعيا لاعتلاء عرش البلاد بزواجه من الأميرة « حتپ — حرس » التى كان لها حق وراثة العرش ، وقد عثرت بعثة متحف بوسطن على مخبأ أثاثها الجنازى فى جبانة الجيزة عام ١٩٢٦ ، ويحتل هذا الأثاث حجرة كاملة بالمتحف المصرى .

والمعروف أن الملك « حو » تولى عرش مصر قبل الملك « سنفرو » ،

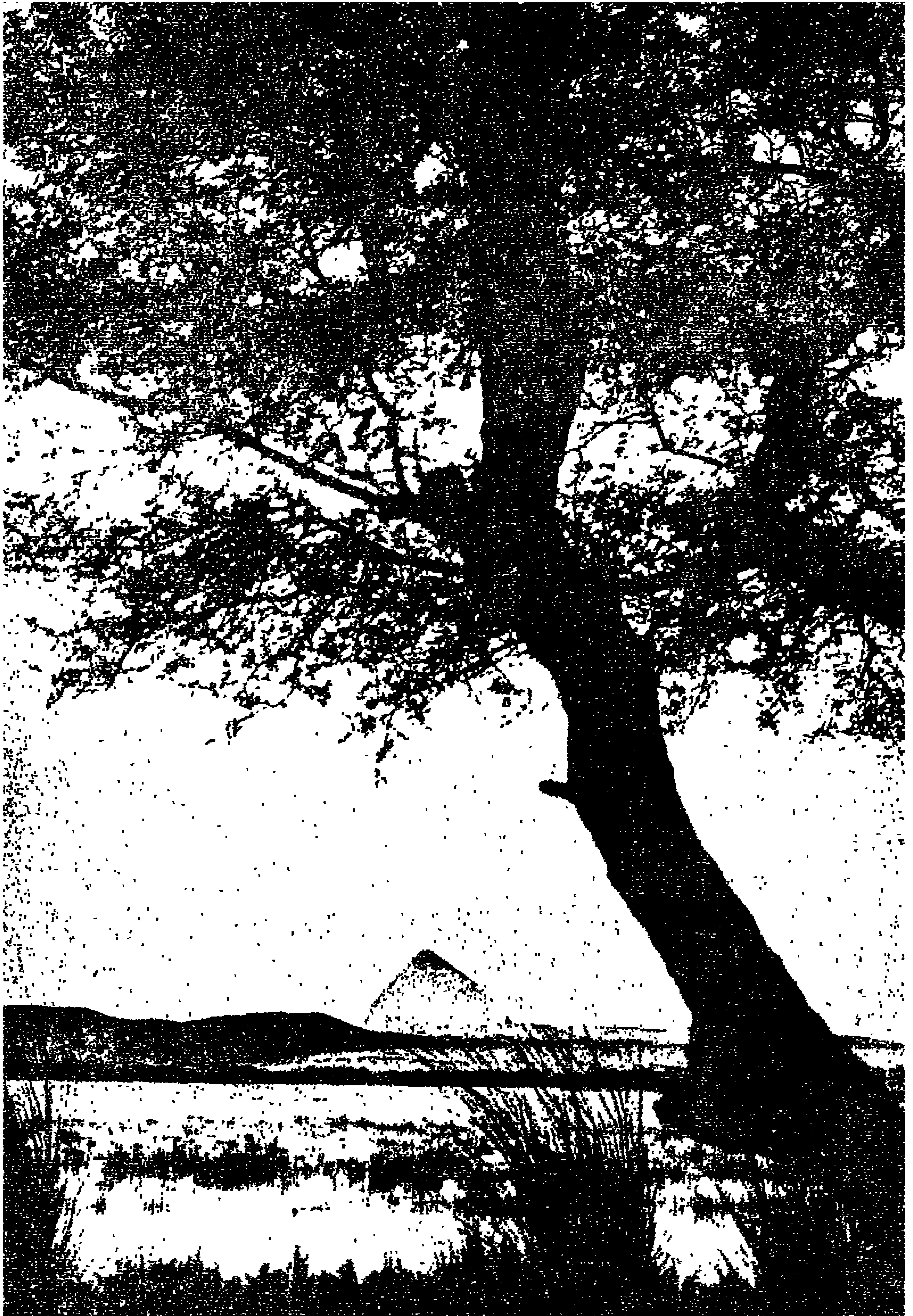


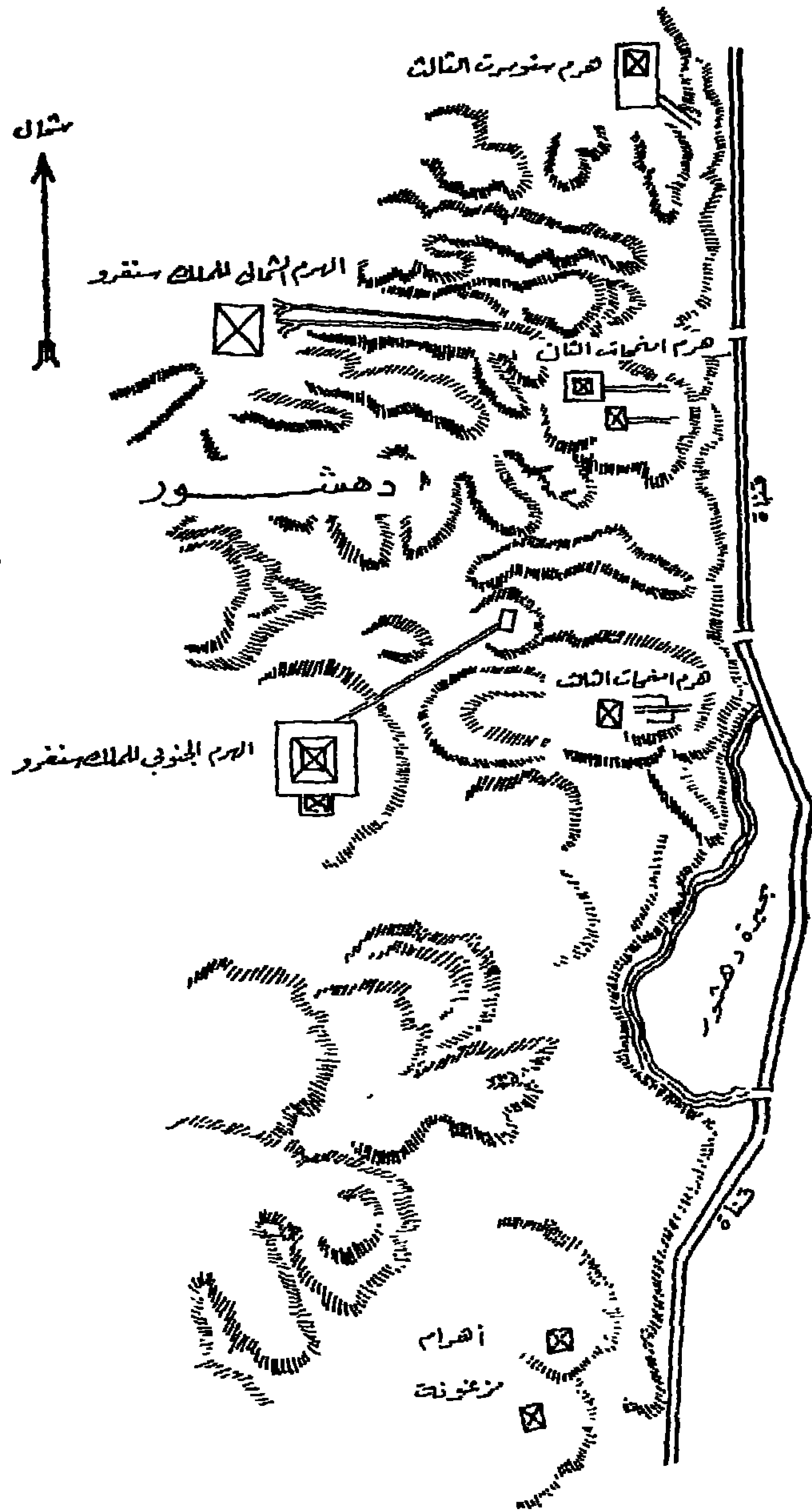
(شكل رقم ٣٩) هرما سنفرو بدهشور ، وهما مشيدان بكتل الحجر الجيرى .

ولكن كل ما نعرفه على وجه اليقين هو أن الملك « سنفرو » حكم مصر بعد « حو » ولا شيء أكثر من ذلك ، أما انتماء « سنفرو » إلى البيت الملكى نفسه فهو أمر يدخل فى حد الاحتمالات ، كما نعرف أيضا أنه بالرغم من أن الملك « سنفرو » قد قام بتشييد بعض المبانى الملكية فى ميدوم إلا أنه اختار لمقبرته مكانا أكثر قربا من العاصمة ، وهو المكان الذى نعرفه اليوم باسم دهشور .

ونعرف من دراستنا لحجر « بالرمو »(*) وهو من أهم المصادر لدراسة تاريخ مصر القديمة وبخاصة لملوك الأسر الخمس الأوليات ، شيئا كثيرا عن نشاطه وعن معابده التى شيدها فى كثير من أنحاء البلاد . فقد أرسل

(*) لوحة أثرية يرجع تاريخها إلى آخر أيام الأسرة الخامسة وعليها حوليات بأهم ما قام به الملوك الذين حكموا مصر منذ بداية التاريخ المصرى حتى تلك الأسرة . ومن سوء الحظ أن اللوحة الأصلية تحطمت ولم تبق منها إلا بضع قطع صغيرة أكبرها فى « پالرمو » منذ عهد طويل ، وبعض القطع الصغيرة فى متحف القاهرة وواحدة فى لندن . (تعليق : أ . ف .)





(شكل رقم ٤١) منطقة أهرام دهشور .

أسطولا بحريا مكونا من أربعين سفينة إلى شواطئ لبنان لإحضار خشب الأرز ، ومازال الكثير من هذه الأخشاب باقيا فى حالة جيـــدة داخل

هرمه الجنوبى . واشتهر «سنفرو» أيضا بحملته التى أرسلها إلى الجنوب ليعيد الأمن والنظام إلى حدود مصر الجنوبية ، وقد عادت تلك الحملة ومعها سبعة آلاف من الأسرى ومائتا ألف رأس من الماشية والأغنام ، كما عُثر على اسمه فى مناجم سيناء مما يثبت اهتمامه بالتعدين فى تلك المنطقة .

وظلت ذكراه عدة قرون بين المصريين ، وكانوا يشيرون إليه بقولهم : «الملك المحسن» ، و «الملك الرحيم» و «الملك المحبوب»[1] ، كما اختار بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة ، بعد وفاته بحوالى سبعة قرون ، نفس المنطقة ليدفنوا على مقربة منه ، وألّهوه ، وكانوا يعبدونه جنباً إلى جنب مع الآلهة الأخرى مثل «رع» و «أوزيريس» و «سوكر» وغيرهم .

وشاركت منطقة دهشور باقى مناطق منف الأثرية فى المصير الذى تعرضت له ، إذ دمرت الأجيال معابدها وأهرامها ومقابرها ونهبت محتوياتها ، بل إن لصوص المقابر فى العصور الحديثة هم الذين جذبوا الأنظار إلى أهمية هذه المنطقة .

لقد أثار هرما «سنفرو» المشيدان بالحجر ، وبعض الأهرام الأخرى المشيدة باللبن «الطوب النيء» ، انتباه المهتمين بالآثار المصرية فى بداية القرن التاسع عشر ، وبخاصة الأثريين البريطانيين «پرنج» و «ڤيز» اللذين نظفا الأجزاء الداخلية من هذين الهرمين فى عام ١٨٣٩[2] ثم جاءت بعد ذلك بعثة «دى مورجان» وكانت أول بعثة علمية تحفر فى هذه المنطقة وذلك بين عامى ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ :

كشفت هذه البعثة عن هرمى «أمنمحات الثانى» و «سنوسرت الثالث»

---

(١) B. Gunn, *Concerning King Snefery, Journal of Egyptian Archaeology*, XII (1926) 250—51.

(٢) Vyse, *Operations Carried On at the Pyramids of* Gizeh III, 65 ff.

وغيرهما بالقرب من حافة الزراعة(٣) كما كشفت حفائرها عن عدد من المقابر التى يرجع تاريخها إلى أيام الدولتين القديمة والحديثة . وقد ظهر اسم « سنفرو » مراراً ، وبخاصة فى الجبانة القريبة من الهرم الشمالى المشيد بالحجر ، كما عثر « دى مورجان » على مجموعة الحلى المشهورة التى تملأ الآن عدداً من خزانات المتحف المصرى فى مقابر لأميرات من الدولة الوسطى فى هذه الجبانة .

ومنذ حفائر « دى مورجان » أصبحت نسبة الهرم الشمالى إلى « سنفرو » أمراً مؤكداً ، كما عرف العلماء مما ورد فى النصوص الهيروغليفية التى عُثر عليها فى تلك المقابر ، وعلى الآثار الأخرى ، أن « سنفرو » شيد هرمين : الشمالى والجنوبى ، وكان هذا هو السبب فى توحيد الهرم الشمالى بدهشور مع هرم سنفرو الشمالى ، أما الهرم الجنوبى فقد اعتقد العلماء أنه يجب أن يكون هو الهرم الذى فى منطقة ميدوم التى تقع إلى الجنوب من دهشور ، أما الهرم المنحنى فى دهشور ، ويبعد نحو كيلو متر ونصف كيلو إلى الجنوب من الهرم الشمالى فقد ظل أمره معضلة تحير العلماء ، وقد حاول بعض من خاطروا بإبداء رأيهم أن ينسبوه إلى الملك « حو » .

ومضت ثلاثون سنة دون أن يقوم أحـــد بالحفر فى دهشور بعد « دى مورجان » نظراً للصعاب الكبيرة التى يلاقيها رجال الآثار إذا ما أرادوا حفر تلك المنطقة ، إلى أن جاء عام ١٩٢٤ وحاول جوستاف جيكييه (G. Jéquier) أن يفحص المنطقة الواقعة حول الهرم الجنوبى ، ولكنه بعد عمله لمدة شهر واحد فقط نقل حفائره إلى منطقة أخرى وهى منطقة « مصطبة فرعون » التى تقع إلى شمال منطقة دهشور ، والمجموعة الهرمية للملك « ببى الثانى » .

---

(٣) J. de Morgan, *Fouilles à Dahchour, Mars–Juin*, 1894 (*Vienna* 1895); *Fouilles à Dahchour en 1894–95* (*Vienna*, 1903).

وخيم بعد ذلك سكون تام على منطقة دهشور استمر عشرين عاماً . ثم حدث فى عام ١٩٤٥ أن الحكومة المصرية أنشأت قسماً جديداً فى مصلحة الآثار لدراسة الأهرام دراسة علمية مفصلة وعهدت بهذا العمل إلى المرحوم المهندس عبد السلام حسين الذى قام بأعمال موفقة حول الهرم الجنوبى ، وعثر على اسم « سنفرو » أكثر من مرة مكتوباً مع العلامات التى كان يكتبها عمال المحاجر على كتل الأحجار ، وبخاصة على الكتل التى كانت فى أركان الهرم ؛ وكان هذا الاكتشاف دليلا قاطعاً على أن الهرمين الحجريين فى دهشور هما هرما « سنفرو » اللذان ورد ذكرهما فى النصوص القديمة . وقد خلق لنا هذا الاكتشاف بطبيعة الحال مشكلة أخرى وهى : من يكون إذن مشيد هرم ميدوم ؟ وعلينا أن ننتظر جواب مثل هذا التساؤل عند ما يأتى اليوم الذى تبدأ فيه حفائر جديدة حول هرم ميدوم .

ووضعت وفاة المرحوم عبد السلام حسين فى ١٩٤٩ نهاية لعمله فى دهشور ومرت فترة من الزمن حتى عُينتُ مديراً لمشروع دراسة الأهرام فى عام ١٩٥١ . ووضعت فى ذهنى منذ البداية أنه لا توجد فى مصر كلها منطقة أهرام أجدر بالبحث والدراسة من منطقة دهشور ، وشعرت منذ بداية عملى هناك أن من الأفضل حفر ما حول الهرم بدلاً من الاقتصار على فحص أجزائه الداخلية . ولهذا قررت البدء فى الحفر شرقى الهرم الجنوبى ، أى الهرم المنحنى ، أملا فى العثور على المعبد الجنازى ، وكان « چيكييه » قد قام فى عام ١٩٢٤ بعمل مجسات للبحث عن هذا المعبد ولكنه لم يتعمق إلى حد كاف حتى تصادف مجساته ما عساه أن يكون هناك من مبان تحت سطح الأرض(٤) .

---

(٤) من أراد معرفة أسماء المراجع الخاصة بما سبق القيام به من حفائر فى هذه المنطقة بما فى ذلك ما نشرته من تقارير تمهيدية عن حفائرى فليرجع إلى كتابى :

Ahmed Fakhry, *The Bent Pyramid of Dahshur (Cairo* 1954 *)*.

أما المؤلف النهائى عن هذه الحفائر فقد صدر منه ما يأتى : =

وبدأت عملى فى مارس ١٩٥١ ، وأتممنا فحص الأجزاء الداخلية من الهرم فى وقت قصير ، ونظفنا كل ممراته ، كما اكتشفنا أيضاً المدخل الغربى للهرم . أما فى خارج الهرم فقد عثرت على المعبد الجنازى كما عثرت أيضاً على بعض مبان مشيدة داخل السور المحيط بالهرم ، كما تم تنظيف جزء من الطريق الصاعد الذى يوصل بين معبد الوادى وأعلى الهضبة .

وفى الموسم التالى الذى بدأ فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ واستمر حتى صيف ١٩٥٣ تمت عدة اكتشافات أخرى . كانت آثار الطريق الصاعد واضحة فوق رمال الصحراء ، وكانت هناك مساحة كبيرة مغطاة بالرمال المختلطة بقطع صغيرة من الحجر الجيرى فى مدخل الوادى الذى يؤدى إلى حافة الزراعة . وكان الطريق الصاعد ينتهى فى مكان ما فى ذلك المكان ، وربما استطعنا العثور على معبد الوادى هنا . فقد تعرضت المعابد فى هذه المنطقة ، وفى غيرها من المناطق الأثرية ، لاستخدامها محاجر تؤخذ منها الأحجار فى العصور الفرعونية ذاتها ، كما احتاجت القاهرة فى خلال العصور الوسطى إلى الحجر لتشييد حصونها وأسوارها ومساجدها ، بل وفى أيام محمد على ، فى عام ١٨١٥ ، كان أحد أقاربه يأخذ الأحجار اللازمة لتشييد قصره من منطقة دهشور بالذات ، ولهذا السبب اختفت معظم أحجار السور المحيط بالهرم ، وأحجار المعبد الجنازى ، بل والكثير من أحجار الكساء الخارجى للهرم . ومن المعقول جداً أن نفترض أن العمال المكلفين بمثل هذا العمل لم يأخذوا الأحجار من أعلى الهضبة إلا بعد أن انتهوا من أخذ الأحجار التى وجدوها فى متناول أيديهم بالقرب من حافة الزراعة . وكان أملى الوحيد هو العثور على بقايا من معبد الوادى تكفى للمساعدة على فهم أو معرفة رسمه التخطيطى .

= Ahmed Fakhry, *The Monuments of Sneferu at Dahshur*, Vol. I. : *The Bent Pyramid* (Cairo, 1959) ; Vol. 11 ; Part 1 : The Reliefs (Cairo, 1960) ; Vol. 11, Part 11 : *The Finds* (Cairo 1961).

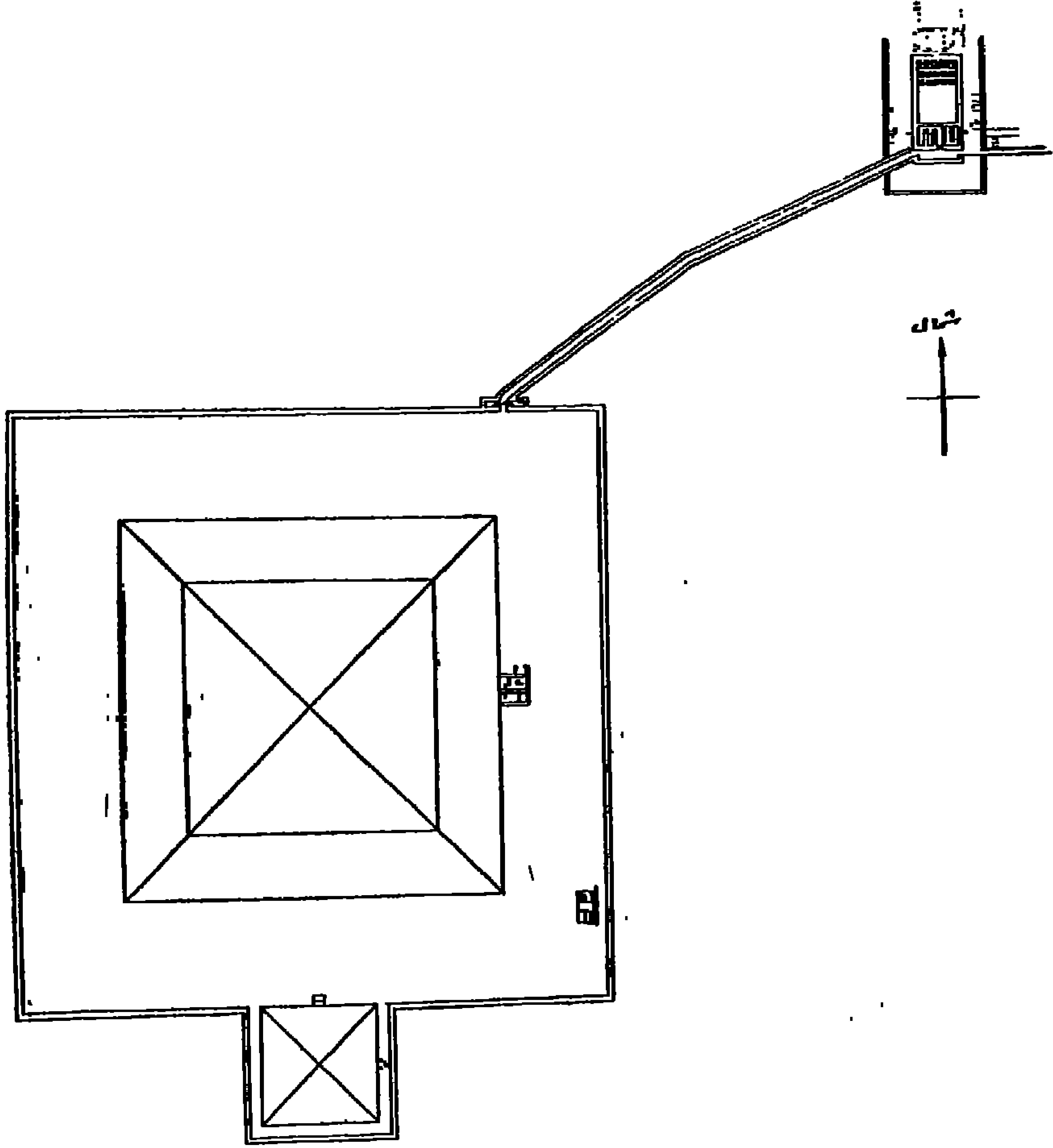


(شكل رقم ٤٢) جزء من معبد الوادى أثناء الحفائر ، هرم دهشور الجنوبى .

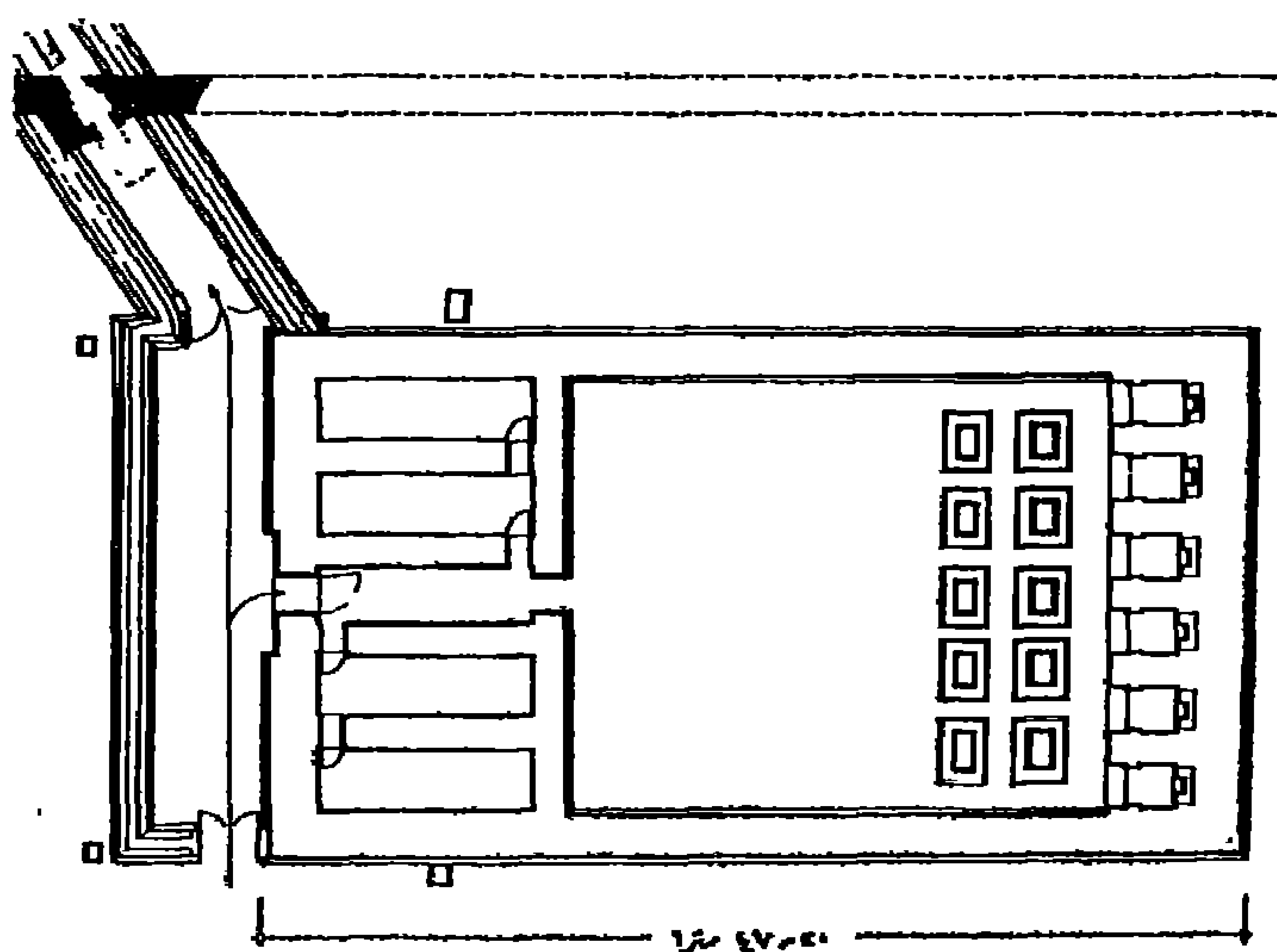
لم أكن أتوقع العثور على شيء أكثر من ذلك ، وأخبرت من كانوا يعاونوننى فى العمل عند بدء الحفائر ألا يتوقعوا العثور على شيء هام لأن الرمال كانت متراكمة بعضها فوق بعض إلى ارتفاع كبير ، وأنه سيمضى أسبوعان على الأقل قبل العثور على بقايا المعبد .

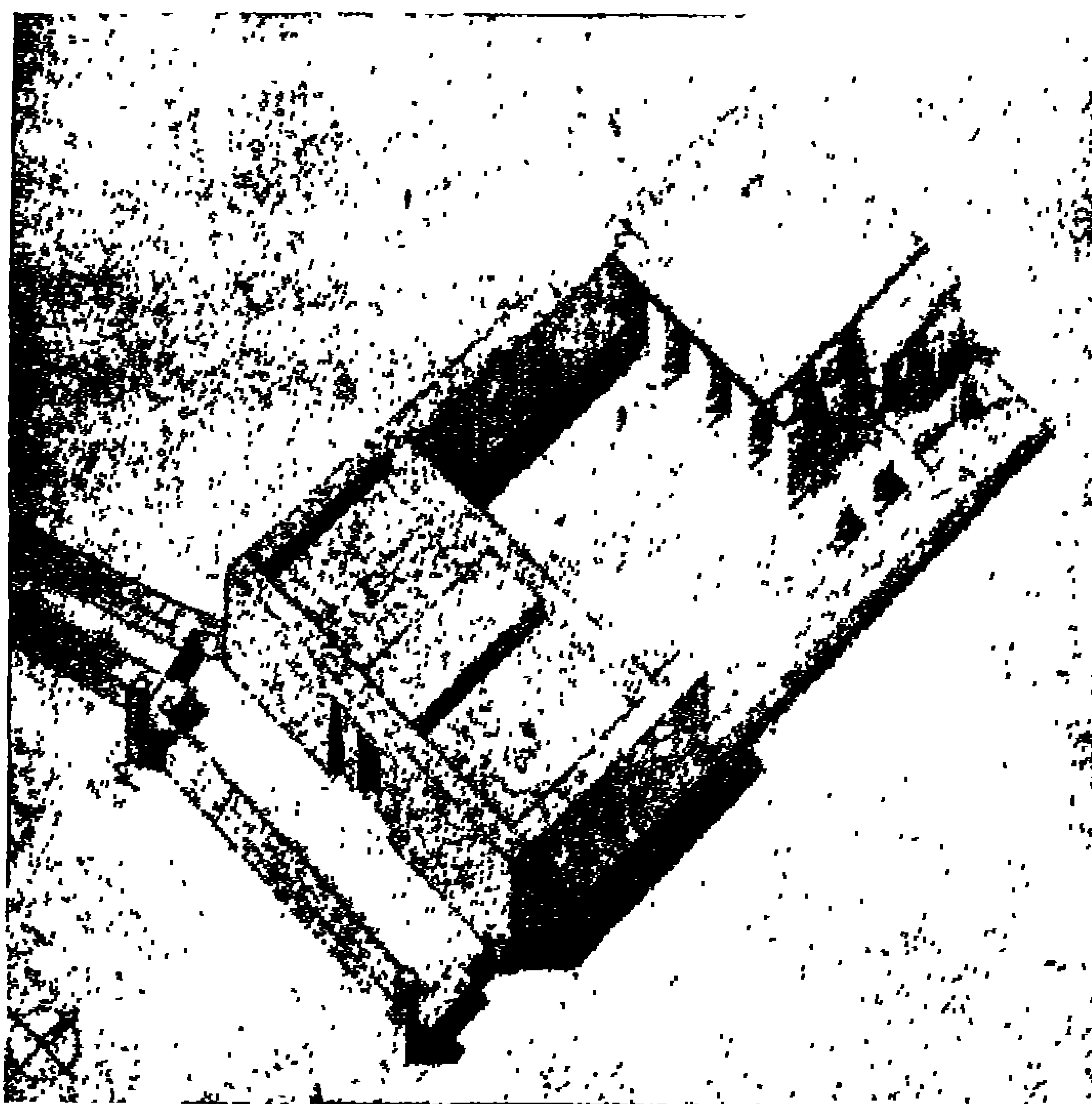
كان النظام السارى فى الحفائر هو البدء فى الساعة السابعة صباحاً ، والتوقف فى الساعة التاسعة لمدة نصف ساعة للإفطار . وفى يوم ١٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ — وهو اليوم الأول فى الموسم — قسمت العمال إلى

فريقين يبعد كل فريق منهما عن الآخر بمسافة عشرين متراً تقريباً . وبعد مضى ساعة وعشرين دقيقة على وجه التحديد عثر أحد الفريقين على الجزء العلوى من جدار من الحجر الجيرى ، وبعد مضى بضع دقائق أخرى ظهر جزء من تمثال من الجرانيت وبعض قطع من الأحجار المكتوبة أو المنقوشة . وفى الساعة التاسعة صباحاً كنت أجلس بالقرب من الجدار المكتشف حديثاً وأفحص الأحجار المنقوشة وأنا لا أكاد أصدق عينى ، وأخذت أسائل نفسى عما تعنيه هذه النقوش ، وكيف نجا هذا الجدار الضخم من تخريب



(شكل رقم ٤٣) رسم تخطيطى للمجموعة الهرمية للهرم المنحنى فى دهشور .





(شكل رقم ٤٤) رسم تخطيطى ورسم ايزومترى لمعبد الوادى فى دهشور
(من عمل ريكه Ricke) .

عمال المحاجر القدماء ، وهل من الممكن أن يكون جزء من معبد الوادى قد نجا من التخريب ؟

كان الاعتقاد السائد بين علماء الآثار المصرية منذ زمن طويل أن جدران المعابد المصرية لم تزين بالنقوش قبل نهاية الأسرة الرابعة ، فإذا كان هذا مؤكداً وصحيحاً فمن أين أتت هذه النقوش ؟ وجاءت الأيام التالية باكتشافات جديدة ، وأصبح مؤكداً أن هذه النقوش والجدران ليست إلا جزءاً من معبد الوادى . وتم الكشف عن المعبد فى ذلك الموسم وخرجت إلى النور حوالى ١٤٠٠ (ألف وأربعمائة) قطعة من النقوش ، كما كانت أكثر جدران المعبد ما زالت قائمة إلى ارتفاع كاف لمعرفة الرسم التخطيطى للمعبد بوضوح (شكل رقم ٤٢) .

وعثرنا على تماثيل ولوحات وأشياء أخرى ، ولكن ذلك كله تتضاءل أهميته إذا قارناه بروعة النقوش التى تمثل الملك « سنفرو » وهو يقوم ببعض الطقوس القديمة ، كما كشفت الحفائر حول الهرم الصغير الذى يوجد فى الجهة الجنوبية من الهرم المنحنى عن لوحة كبيرة من الحجر الجيرى عليها أسماء الملك « سنفرو » . ولكن بالرغم من ذلك كله فإنه لا يمكن القول بأن الحفائر حول الهرم المنحنى قد تمت نهائياً ؛ وفيما يلى وصف موجز لما تم من حفائر وما وقفنا عليه الآن من تاريخ هذا الهرم ، ومعابد ذلك الملك العظيم .

الهرم الجنوبى أو الهرم المنحنى

كان الزائر فى العصور القديمة يصل إلى مجموعة الهرم الجنوبى للملك « سنفرو » فى دهشور عن طريق معبد الوادى الذى يقع بالقرب من حافة الزراعة (شكل ٤٣) ، ويعتبر هذا المعبد أقدم معابد الوادى التى تم الكشف عنها حتى الآن ؛ إذ سبق أن ذكرنا أنه لايوجد معبد من هذا النوع إلى جانب هرم زوسر المدرج فى سقارة ، بل ولاتوجد أى بقايا من طريق صاعد

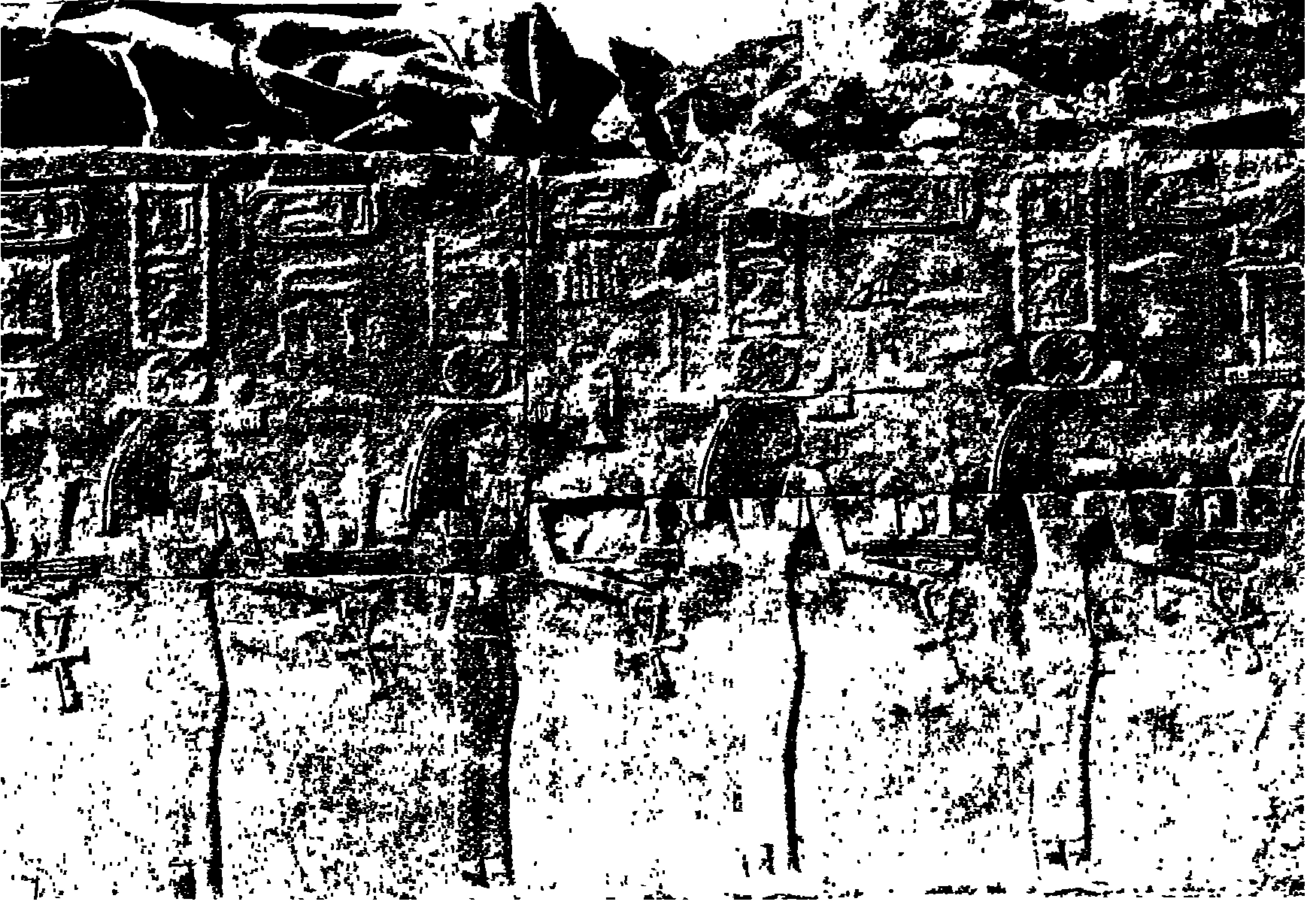
تجعلنا نعتقد أنه ربما كان يوجد مثل هذا المعبد هناك ، كما لم يعثر أيضا على معابد للوادى أو طرق صاعدة لأى هرم من أهرام الأسرة الثالثة .

أما هرم « ميدوم » الذى ترجح نسبته إلى « جو » ، فله طريق صاعدة ومعبد وادٍ لم يتم الكشف عنه بعد ، والأرجح أن الملك « سنفرو » هو الذى أتمه ؛ إذا لم يكن هو الذى قام ببنائه . ولا نستطيع ، حتى الآن ، أن نجزم بأن « سنفرو » هو الذى أدخل فكرة تشييد معبد الوادى ، أو أنه قد سار على تقليد معمارى كان معروفا فى عصور سابقة ولم نعثر حتى الآن على بقايا لها ؟

ومعبد الوادى لهرم الملك « سنفرو » مبنى بسيط مستطيل الشكل أبعاده ٤٧ر١٦ مترا × ٢٠ر٢٦ مترا (٩٠ × ٥٠ ذراعا مصرية قديمة) ، ويمتد محوره الطويل من الشمال إلى الجنوب (شكل رقم ٤٤) ، وكان هذا المعبد محاطا بسور سميك من اللبن « الطوب النيء » له بوابة ضخمة تتوسط الجدار الشرقى الذى يواجه حافة الزراعة .

ومن حافة الزراعة كان يبدأ طريق صاعد له سور من اللبن على جانبيه يوصل إلى مدخل المعبد ، وقد سدوا فى عصور تالية هذا الطريق الصاعد وجعلوا له مدخلا صغيرا بالقرب من الركن الجنوبى الشرقى للسور الخارجى ، وكان هذا الطريق الصاعد الذى يقود إلى المدخل الأصلى يؤدى على الأرجح ، إلى رصيف ميناء ، ولكن موقع هذا الرصيف لم يكتشف حتى الآن . وعلى جانبى المدخل الجنوبى للسور أقيمت لوحتان كبيرتان من الحجر الجيرى تزين كلا منهما أسماء الملك مع رسم له .

ويقع مدخل المعبد الرئيسى فى وسط جداره الجنوبى ويؤدى إلى بهو طويل ضيق ، على جداريه الغربى والشرقى رسوم ونقوش مختلفة . فعلى الجدار الغربى رسوم تمثل ضياع الملك ، ويرمز لها بفتيات تحمل كل واحدة



(شكل رقم ٤٥) جزء من جدول أسماء الأقاليم فى مصر العليا ، معبد الوادى لهرم سنفرو فى دهشور

، منهن اسم الضيعة أو اسم الإقليم الذى توجد فيه[٥] (شكل ٤٥) .

وعلى الجدار الشرقى رسوم مشابهة ولكنها أكثر تهشما ، وكانت تمثل ضياع الملك فى مصر السفلى . أما بقية سطوح الجدران ؛ أى المساحة التى فوق النساء اللاتى يمثلن الضياع ، فقد تهدمت وضاع الجزء الأكبر منها ، ولكن ظل باقيا منها ما يكفى للدلالة على أنها كانت منقوشة وملونة ، وعليها مناظر تمثل الملك أمام الآلهة المختلفة .

وعلى كل من جانبى البهو ، الذى يمكننا أن نطلق عليه « بهو الأقاليم »

(٥) كانت مصر مقسمة إلى أقاليم وهى أشبه بما نطلق عليه الآن اسم المحافظات ، ولكن عددها القديم وحدودها تختلف عن عدد وحدود المحافظات الحالية .

حجرتان كانتا تستخدمان كمخازن ، وقد عثر فى إحدى الحجرتين اللتين فى الجانب الشرقى على حجرة صغيرة أو مخبأ تحت أرضية الحجرة ، وعثر فى داخل هذا المخبأ على حبة من الذهب وبقايا قشرة من الذهب مما يحملنا على الاعتقاد بأن هذا المكان كان مستخدما كمخزن سرى للأشياء الثمينة .

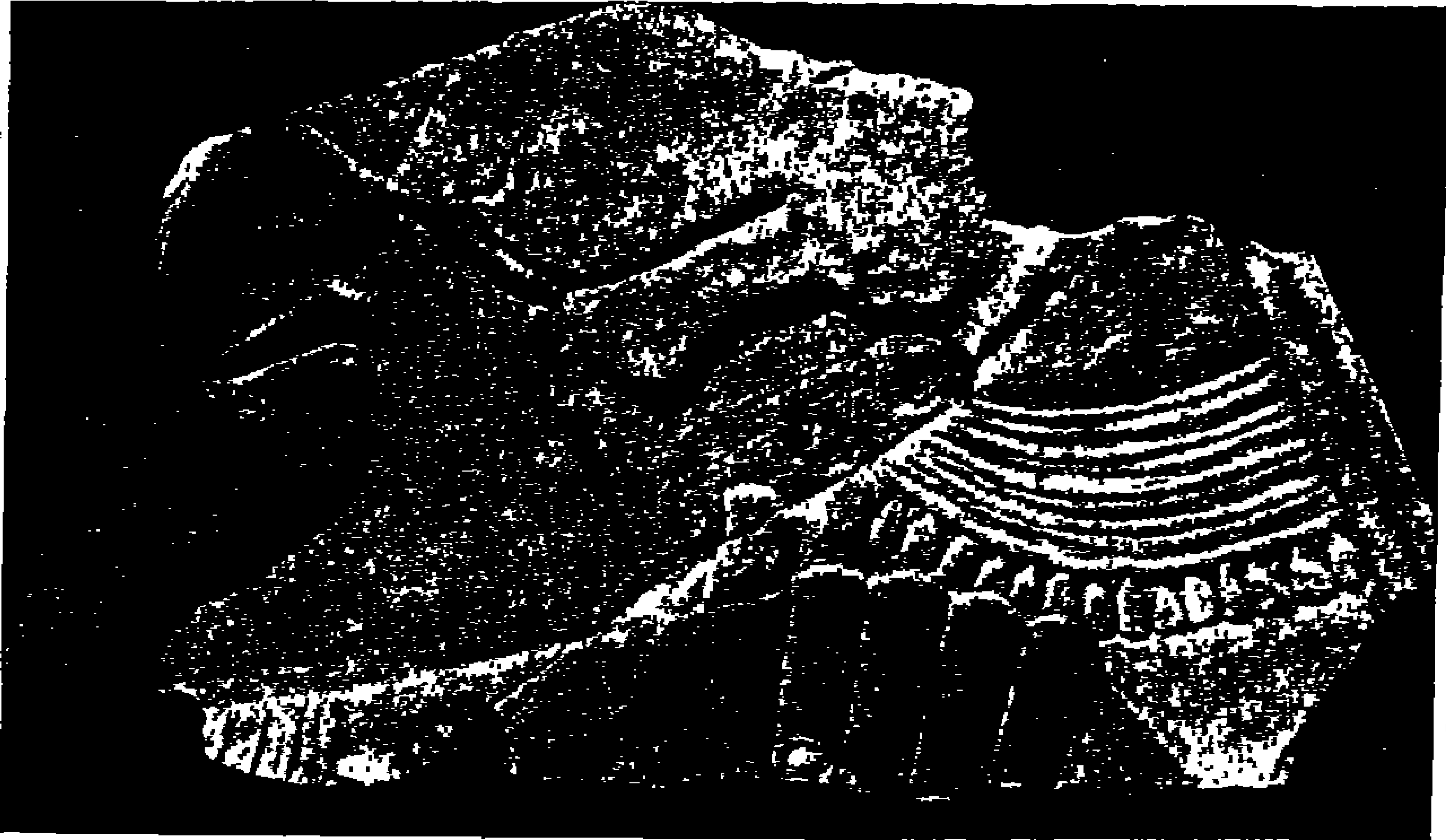
وفى أقصى الناحية الشمالية من البهو باب يؤدى إلى فناء مكشوف يحيط به سور ، وفى الجهة الشمالية من هذا الفناء توجد ست مقاصير أو هياكل فوق صفة مرتفعة عن الفناء ، وأمام تلك المقاصير سقيفة (بورتيكو) فوق صفين من الأعمدة المربعة ، وفى كل صف منها خمسة أعمدة .

وكان الجزء الواقع تحت هذه السقيفة منقوشا ، فعلى كل من الجدارين الشرقى والغربى صفوف من الفتيات اللاتى يمثلن الضياع الملكية ، أما الأعمدة فكانت هى الأخرى منقوشة على الأقل على وجهين منها :

ومما يدعو إلى الأسف أن هذا المعبد استُخدم كمحجر فى وقت من الأوقات ، ولم يبق منه عمود واحد فى مكانه الأصلى ، فقد هشموها جميعا إلى قطع صغيرة ، قاموا بعمل ذلك فى الفناء المكشوف إذ استخدموه « ورشة » لتقطيع الأحجار . ومهما يكن من أمر فقد عثرنا على جزء كبير من قطع هذه الأعمدة وأصبح من السهل علينا ضمها بعضها إلى بعض ، وتمثل معظم المناظر التى كان عليها الملك « سنفرو » وهو يقوم بالطقوس المختلفة مثل « عيد السد » ، وزيارة الملك لهياكل مدينة « بوتو »(*) ووضع أساس المعبد ، كما يمثله البعض الآخر وهو يقف أمام الآلهة أو يمثل بعض الآلهة وهم يعانقونه (شكل رقم ٤٦) .

ولم يبق من جدران الهياكل الستة جدار واحد سليم من التهشيم ،

(*) كانت أقدم عاصمة للدلتا وظلت فى جميع العصور الفرعونية مركزا دينيا هاما ، ونجد خرائبها الآن فى المنطقة المعروفة باسم تل الفراعين على مقربة من دسوق (تعليق : أ . ف)



(شكل رقم ٤٦) الإلهة « سخمت » (ولها رأس أسد) تعانق الملك « سنفرو » .





(شكل رقم ٤٧) رأس أحد التماثيل الكبيرة من الحجر الجيرى ، وهى للملك « سنفرو »
ويد من تمثال آخر نرى فيها رسم سوار مزخرف .

ومع ذلك فقد استطعنا أن نعرف على وجه التقريب كيف كانت عند تشييدها : كان الجزء الداخلى من كل هيكل منها مكونا من قطعة واحدة من أحسن أنواع الحجر الجيرى ، وفى كل منها تمثال كبير للملك نحت فى قطعة الحجر ذاتها . وقد عثرنا على أجزاء من ثلاثة تماثيل كانت بالحجم الطبيعى أو أكبر منه بقليل ، وكانت تختلف بعضها عن بعض ، ليس فى الحجم فقط بل فى شكلها بصفة عامة ، وفى الملابس التى كانت ترتديها (شكل رقم ٤٧) .

ويمثل واحد من هذه التماثيل ، وقد عثرنا على الكثير من أجزائه ، الملك « سنفرو » وفوق رأسه تاج الوجه القبلى ويرتدى نقبة من الكتان . نجح الفنان القديم فى إظهار ثنياتها ، وللنقبة حزام عليه اسم « سنفرو » وتتدلى الذراعان إلى جانبيه ملتصقتين بالجسم ، وحول معصمه أساور عريضة مزينة برسوم تمثل وريدات صغيرة ورمز الإله « مين » .

وعلى واجهات الهياكل رسوم بارزة أبدع الفنان القديم أيما إبداع فى نحتها ، وفوق كل مدخل من مداخل هذه الهياكل نقشوا أسماء الملك محاطة بالرموز الملكية ، ويعلوها شريط من نجوم خماسية تمثل السماء وعلى جانب كل منها رسم كبير للملك « سنفرو » ، ويمثله واحد منها وهو يرتدى الملابس التى يرتديها التمثال الكبير الذى عثرنا عليه فى أحد الهياكل ، ويتحلى بالأساور نفسها .

وظلت عبادة « سنفرو » مزدهرة بعد موته بعدة قرون كما ذكرنا من قبل ، وقد عثرنا فى معبد الوادى على أدلة كثيرة على تلك المكانة العظيمة والتبجيل الذى كان يتمتع به . وأثناء الحفائر عثرنا تحت السقيفة ، أى أمام الهياكل ، على تماثيل ولوحات وموائد قرابين لأشخاص مختلفين ، ويرجع تاريخها إلى أيام الدولتين القديمة والوسطى .

ومن المرجح أن تحطيم جدران هذا المعبد وأعمدته قد حدثت فى أواخر أيام الأسرة الثامنة عشرة أو أوائل التاسعة عشرة كما يتضح من

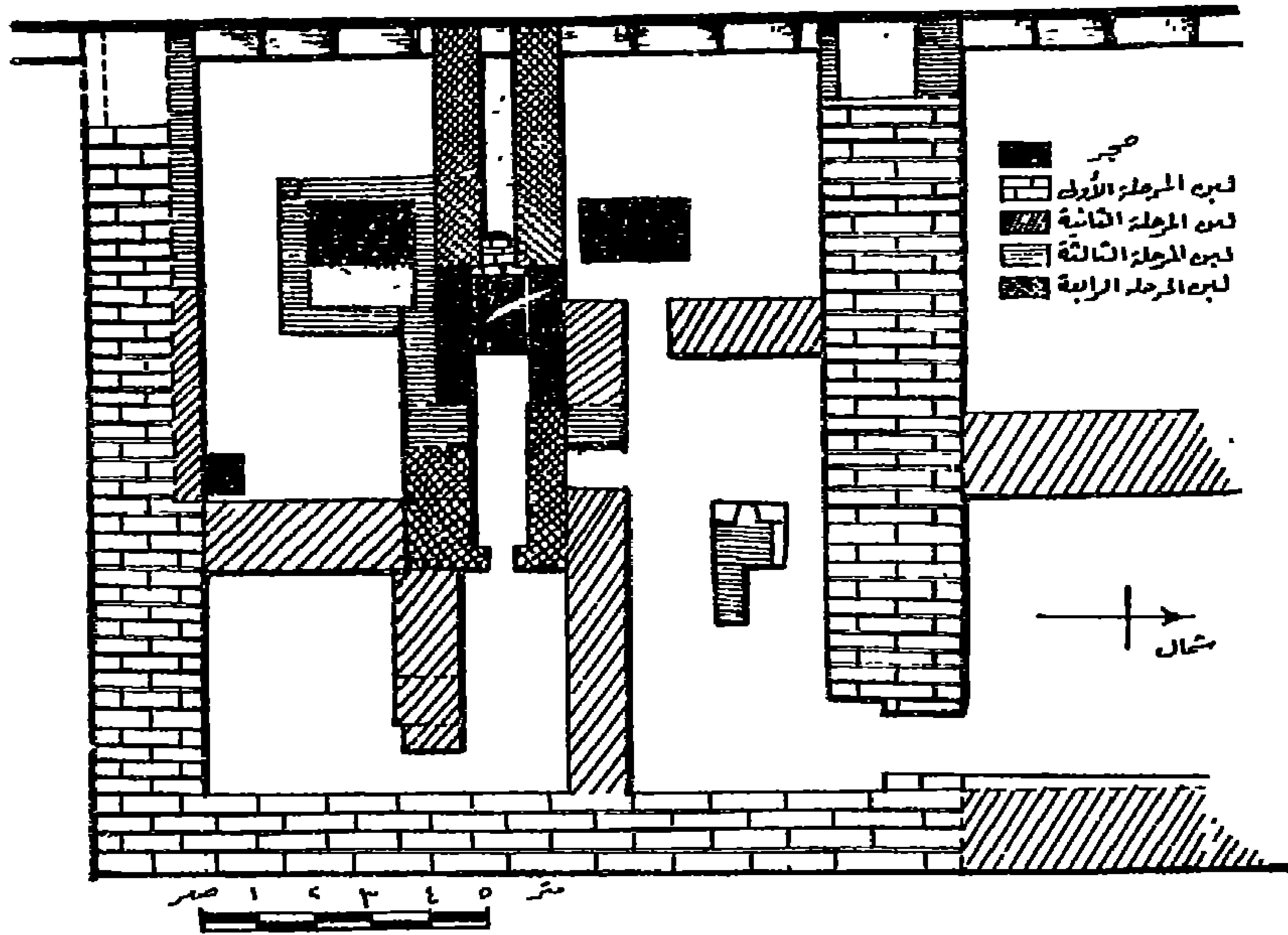
الأوانى الفخارية التى عثرنا عليها داخل المبانى المشيدة من اللبن التى كانت داخل المعبد وخارجه .

ونجد فى جميع معابد الوادى أن الطريق الصاعد يبدأ من الباب الغربى للمعبد ، ولكننا نجد أن الطريق الصاعد لهذا المعبد يبدأ خارج مبنى المعبد نفسه ، وفى الركن الجنوبى الغربى من السور الحجرى الذى كان يحيط بالبناء .

لقد قام الحجارون فى الدولة الحديثة بتكسير أكثر جدرانه اللهم إلا أجزاء قليلة فى بداية الطريق . ويميل كل من جدارى الطريق الصاعد نحو الخارج ، والجزء العلوى من كل منهما مقوس والطريق الصاعد نفسه غير مسقوف . ومما يدعو إلى الدهشة أنه كان مغطى بطبقة من الطين فوق الأرضية الأصلية المرصوفة بكتل الحجر الجيرى .

وبعد مسافة تزيد قليلا عن سبعمائة متر ينحنى الطريق الصاعد نحو اليسار ليلتقى بالسور المحيط بالهرم ثم يسير إلى الساحة المحيطة بالهرم ، فإذا ما واصلنا السير نجد المعبد الجنازى فى منتصف الضلع الشرقى من الهرم للملك « سنفرو » ، وقد تعرض هذا المعبد الصغير لتعديلات وإضافات معمارية متعددة (شكل رقم ٤٨) وتصميمه بسيط ، بل هو أبسط من معبد « ميدوم » ، ويتكون من مقصورة صغيرة مفتوحة فى ناحيتها الشرقية والغربية ، وفى داخل المقصورة قطعة كبيرة من الحجر الجيرى وضعت فوقها مائدة قرابين من المرمر ، وعلى جانبى المقصورة لوحتان كبيرتا الحجم ، تشبهان اللوحتين اللتين عثر عليهما خارج معبد الوادى ، ولكنهما أكبر حجما ، وقد أحاط بكل من هاتين اللوحتين والمقصورة جدار من اللبن « الطوب النيئ » .

كان التصميم الأصلى لهذا المعبد أن يكون مدخله فى الناحية الشمالية ولا يحتوى على أى مبان أخرى . ولكن حدث فيما بعد ، ربما فى أواخر



(شكل رقم ٤٨) رسم تخطيطى لمعبد الملك سنفرو الجنازى فى دهشور .

أيام الدولة القديمة ، أنهم أضافوا أجزاء أخرى إليه ، وشيدوا أمام مدخله جدرانا من اللبن وقسموا الفناء الذى يحيط بمائدة القرابين واللوحتين إلى حجرات . وليس من المستبعد أن يكونوا قد أقاموا فوقها سقفا ، وفى تعديل آخر ، وربما كان فى الدولة الوسطى ، أقام البناؤون جدارا حول اللوحة الجنوبية وأضافوا ، فى داخل الردهة الرئيسية ، مائدة قرابين من اللبن لها بضع درجات . وفى عصر متأخر جداً ، ربما فى العصر البطلمى ، شيدوا حجرة مستطيلة ضيقة ذات سقف بين المقصورة الأصلية وواجهة الهرم ، وفى الوقت ذاته شيدوا جدرانا من اللبن امتدت شرقا من الواجهة الشرقية بمثابة بهو خارجى لها .

وتعطينا هذه الإضافات الجديدة فكرة عما بذلته جماعة صغيرة من الكهنة لإحياء عبادة الملك الصالح « سنفرو » ، ولهذا السبب عمدوا إلى البحث عن مذابح حجرية من العصور القديمة وضعوها فوق مائدة القرابين

المرمرية ، وقد عثرنا على هذه المذابح حيث تركوها ، وعثرنا فوق مذبح من الفخار على إناء به فحم نباتى كأنما ينتظر الكاهن عندما يأتى ليوقد النار ويحرق البخور ، وقد نجت هذه المذابح بأعجوبة من التدمير .

ويرجع تاريخ اثنين منها ، وهما من الحجر الجيرى ، إلى الدولة الوسطى . أما الثالث الذى كان يتوسطهما فمن الفخار الأحمر . والمذبحان الحجريان مدون عليهما أنهما صنعا لأجل الملك « سنفرو » قدم كلا منهما أسرة من الكهنة الذين كان يتسمى أكثرهم باسم ذلك الملك .

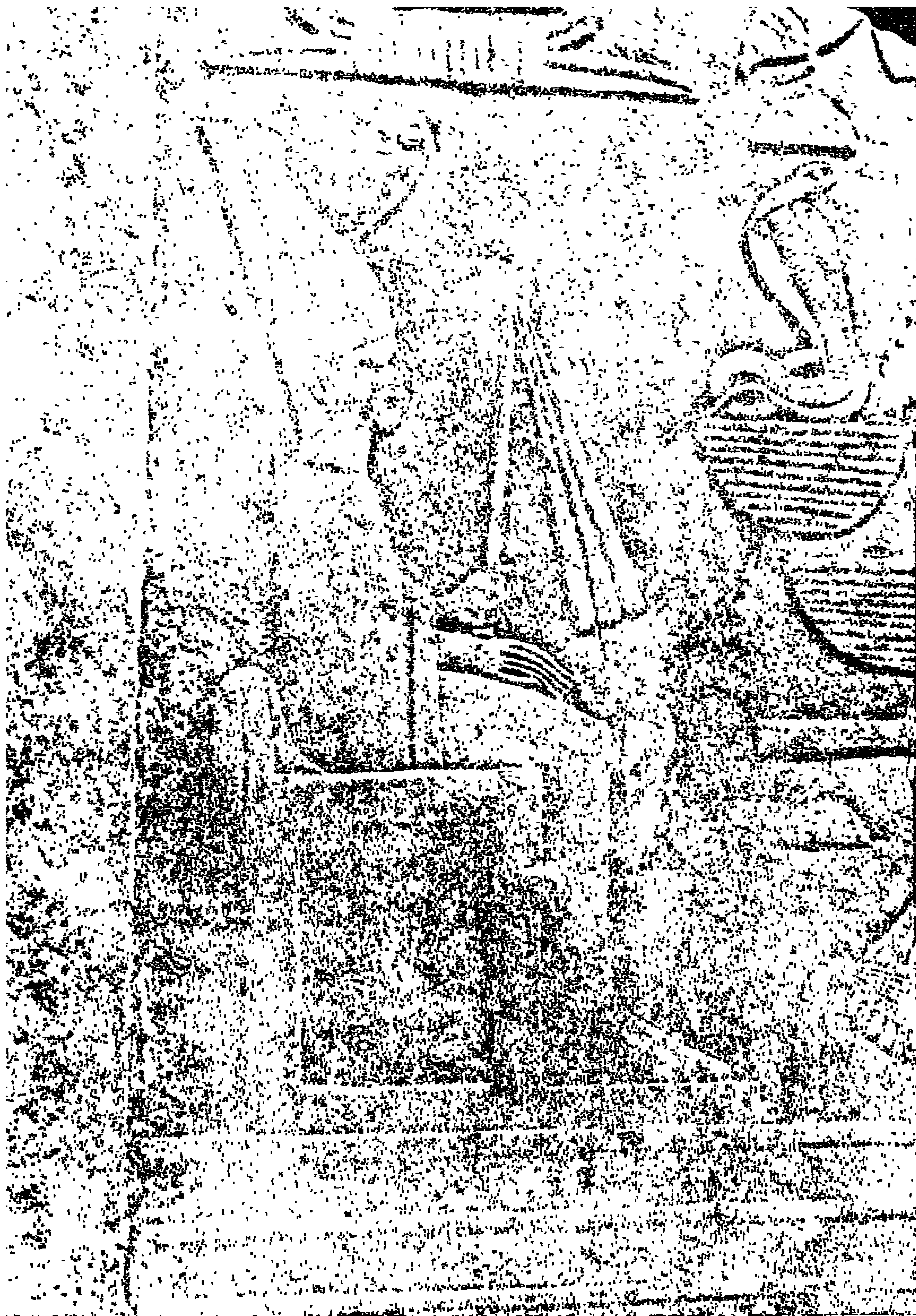
وفى الركن الجنوبى الشرقى من فناء الهرم كان يقوم منخفض من الأتربة ثبت من حفره أنه مجموعة من المبانى المشيدة باللبن وتشمل مخازن للغلال .

وإلى الجنوب من الهرم الكبير يوجد هرم صغير آخر . ونجد منذ تشييد أهرام ميدوم ودهشور أن البنائين القدماء كانوا يشيدون دائما هرما صغيرا جانبيا أو أكثر فى الجهة الجنوبية من الهرم الأصلى . وأراد بعض علماء الآثار تفسير وظيفة هذه الأهرام الجانبية بمقارنتها بالمقبرة الجنوبية للملك « زوسر » فى مجموعة الهرم المدرج ، وأنها كانت « مدافن » للأوانى التى تحتوى على أحشاء الملك ، كما فسرها البعض الآخر بأنها كانت مدافن لـ « كا » الملك ، وهذا هو السبب فى تسميتها فى بعض المؤلفات باسم « أهرام الـ « كا » . ولكن ليس لدينا ما يثبت أحد هذين الرأيين أو النظريتين ، بل هناك أدلة كثيرة تكفى لعدم قبولهما ورفضهما ، والواقع أننا نجهل تمام الجهل حتى الآن حقيقة معناها ، وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن المصريين القدماء اعتبروها عنصرا هاما وضروريا فى كل مجموعة هرمية .

ويقوم الهرم الجانبى لسنفرو على مسافة ٥٥ مترا من منتصف الضلع الجنوبى لهرمه الكبير . وقد نظف المرحوم عبد السلام حسين داخله ولم

يجد فيه شيئا ، وقد عثر أثناء عمله هناك عام ١٩٤٦ — ١٩٤٧ على كتابة من كتابات المحاجر على أحد أحجار الهرم قرئت خطأ على أنها تحتوى جزءا من اسم الملكة « حتب — حرس » زوجة « سنفرو » ، ولهذا نسب البعض هذا الهرم إليها ، ولكن القراءة كانت خاطئة كما أن الحجرة الداخلية فى هذا الهرم صغيرة إلى حد أنها من المستحيل أن تكفى لتكون مدفنا ؛ فضلا عن أنها لا يمكن أن تتسع مطلقا لذلك الأثاث الجنازى الفخم الذى نقلوه بعد فترة من الزمن من مدفنها الأصلى ، الذى ما زلنا نجهل مكانه حتى الآن ، إلى ذلك المدفن الجديد على مقربة من الهرم الأكبر فى الجيزة ، وهو هرم ابنها « خوفو » ، ولم يعثر فى هذا الهرم الجانبى إلا على بعض قطع فخارية مكسورة ، ولم يعثر على أى بقايا لمدفن فيه .

قام المرحوم المهندس عبد السلام حسين بتنظيف الضلع الشمالية من الهرم الجانبى وقد قررت أن أتم تنظيف جميع الأضلاع ، وقد عثرت عند قيامى بهذا العمل على بقايا هيكل أمام مدخل الهرم ، أى فى منتصف الضلع الشمالية ، وعلى لوحتين كبيرتين من الحجر الجيرى قريبا من الضلع الشرقية فى داخل السور الخارجى لهذا الهرم . وكانت إحدى هاتين اللوحتين ما زالت قائمة فى مكانها ولكن جزؤها العلوى قد تحطم وزال . أما اللوحة الثانية فقد وقعت على الأرض وعثر عليها فى مكانها وهى مكسورة إلى ثلاث قطع وقد أمكن ضم بعضها إلى بعض وعليها نقوش تكاد تكون محفوظة حفظا تاما (شكل رقم ٤٩) ،وهذه النقوش تشبه شبها يكاد يكون تاما ما على اللوحتين اللتين عثر عليهما قريباً من الوادى واللوحتين اللتين فى المعبد الجنازى ، كما أن العثور عليهما فى هذا المكان يضع حدا نهائيا لمشكلة اسم صاحب هذا الهرم الصغير ، فمهما كان الغرض الذى شيد من أجله فإن صاحبه هو الملك « سنفرو » نفسه . أما المقبرة التى كانت الملكة « حتب — حرس » مدفونة فيها فهى ما زالت موضوعا من الموضوعات

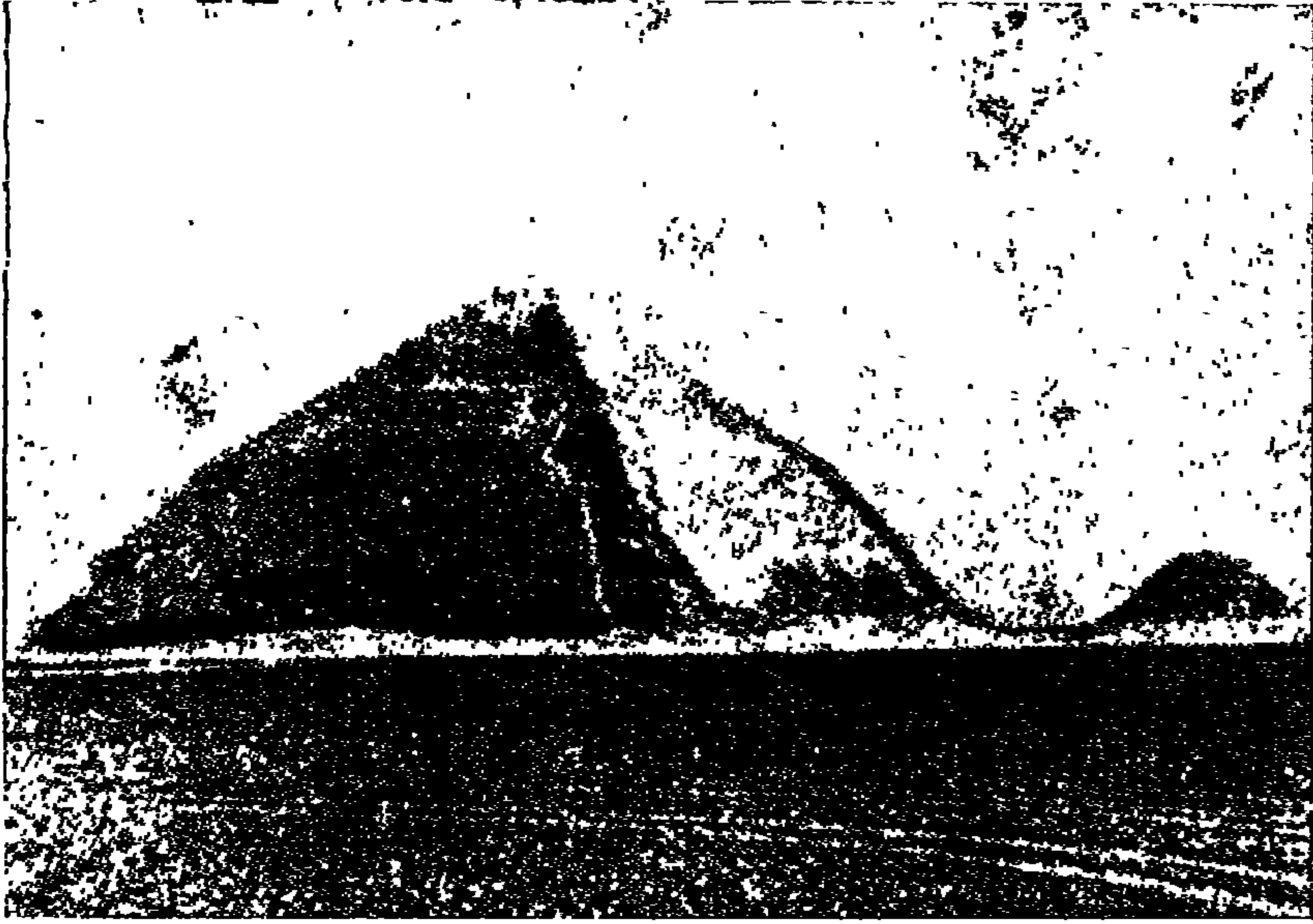


الشائقة التى يتحتم على من يعمل فى دهشـــور فى مستقبل الأيام أن يجد حلا لها .

والهرم المنحنى مشيد بكتل من الحجر الجيرى المحلى ، وله كساء من الحجر الجيرى الجيد الأبيض اللون (شكل رقم ٥٠) . وأحجار هـــذا الكساء موضوعة فى مداميك مائلة ، تميل نحو الداخل مثل كساء أهرام الأسرة الثالثة ، وقد احتفظ هذا الهرم بكثير من أحجار كسائه الخارجى لصعوبة قلع مثل هذه الأحجار التى تميل بزاوية نحو الداخل من أماكنها . والهرم مربع القاعدة وطول كل ضلع من أضلاعه ١٨٨ر٦٠ مترا. وارتفاعه ١٠١ر١٥ متر وزاوية ميله هى ١٣″ ٣١′ ٥٤° إلى ارتفاع ٤٩ر٠٧ مترا ثم تتغير إلى ٢١′ ٤٣° (شكل رقم ٥١) ، وهذا التغيير فى الزاوية هو السبب فى شكله غير المألوف ، والسبب الذى من أجله أطلق عليه اسم الهرم المنحنى وأحيانا اسم الهرم المقوس أو الهرم المنبعج .

وقد حاول بعض العلماء تفسير سبب تغيير الزاوية . يرى البعض أنه لو استمر البناؤون القدماء فى تشييد الهرم حسب زاويته الأصلية لأصبح البناء ثقيل الوزن إلى حد يتسبب عنه تحطيم سقف الحجرات الداخليـــة والدهاليز ، وقد ظهرت بالفعل بعض تشرخات فى تلك الأماكن ملأوها قديما بالجبس . ويقترح البعض الآخر أن البنائين القدماء غيروا زاوية الهرم لينتهوا من بنائه سريعا أو لخوفهم من وقوع أو انزلاق أحجار الكساء من أماكنها لو بقيت الزاوية على ما هى عليه ، ولكن وضع أحجار الكساء بالميل يحول تماما دون حدوث ما ذكروه عن الخوف من عدم بقائها فى أماكنها .

ومدخل الهرم الذى فى الضلع الشمالية يرتفع ١١ر٨٠ مترا عن مستوى الأرض ، وعلى كل من جانبيه ، فى أعلاه ، يوجد تجويف لأجل الباب الحجرى الذى كان يغلقه . ويبدأ بعد المدخل ممر هابط طوله ٧٩ر٥٣ مترا

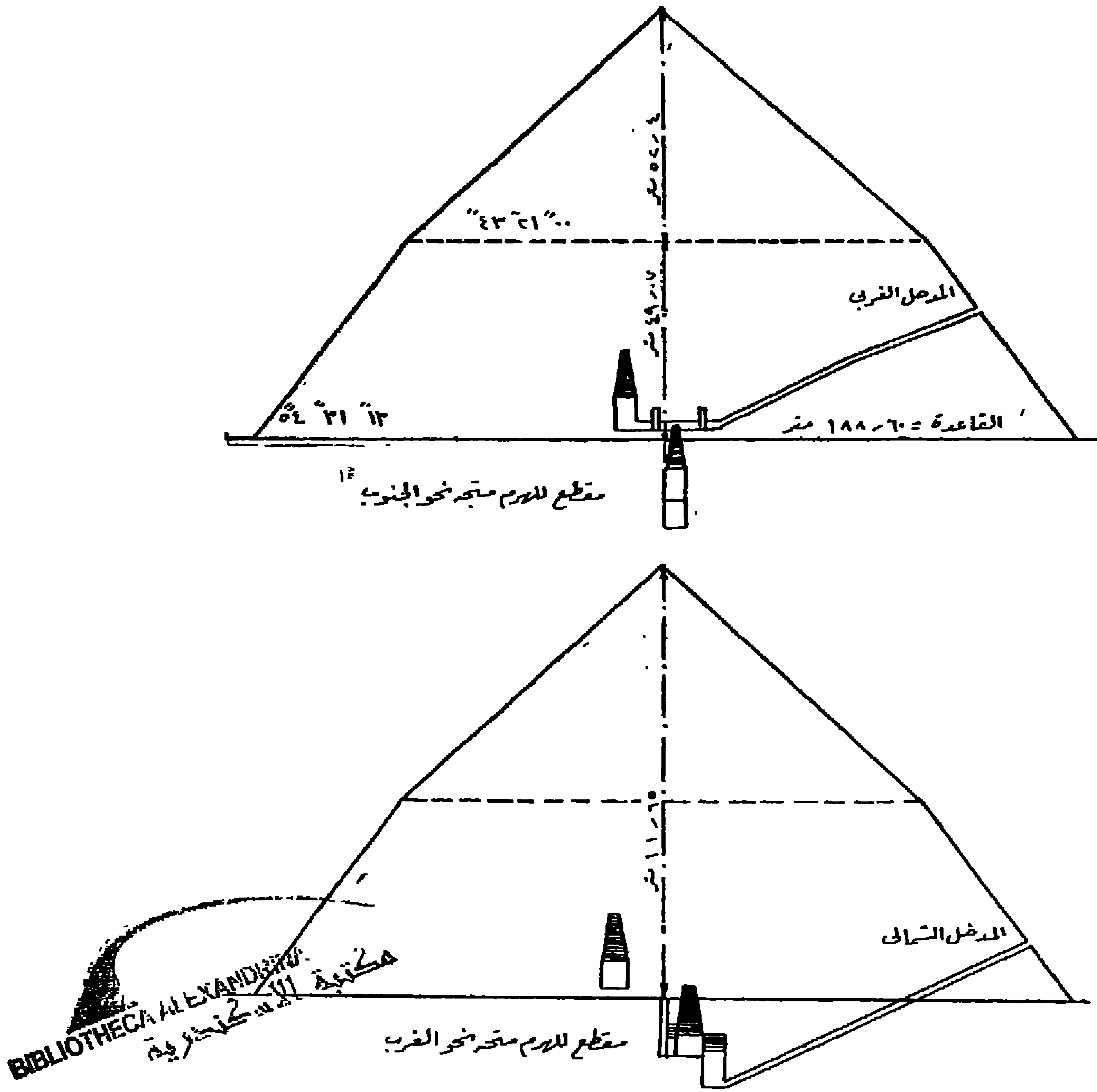


(شكل رقم ٥٠) الهرم المنحنى – توضح لنا الدائرة مكان المدخل الغربى للهرم الذى كان مغطى تماماً بالكساء الخارجى ، وإلى يمين الصورة نرى الهرم الجانبى الصغير .

وارتفاعه ١٠ر١ متر ينتهى بطرقة أفقية لها سقف متدرج (Corbelled) ارتفاعه ١٢ر٦٠ مترا ؛ وعلى الزائر ، إذا أراد الاستمرار فى زيارة باقى أجزاء الهرم ، أن يصعد إلى ارتفاع ٦ر٢٥ أمتار أمام الجدار الجنوبى فى هذه الطرقة ليصل إلى أرضية الحجرة السفلى فى الهرم (شكل رقم ٥٢) .

وتبدأ جدران هذه الحجرة فى عمل السقف المتدرج فى الجدران الأربعة ابتداء من ارتفاع ١٢ر٣٠ مترا من أرضيتها ، وكل تدرج منها يزيد ١٥ سنتيمترا عن الذى تحته حتى يصبح سقف الحجرة ٣٠ سم × ١ر١٦ متر فقط (شكل رقم ٥٣) .

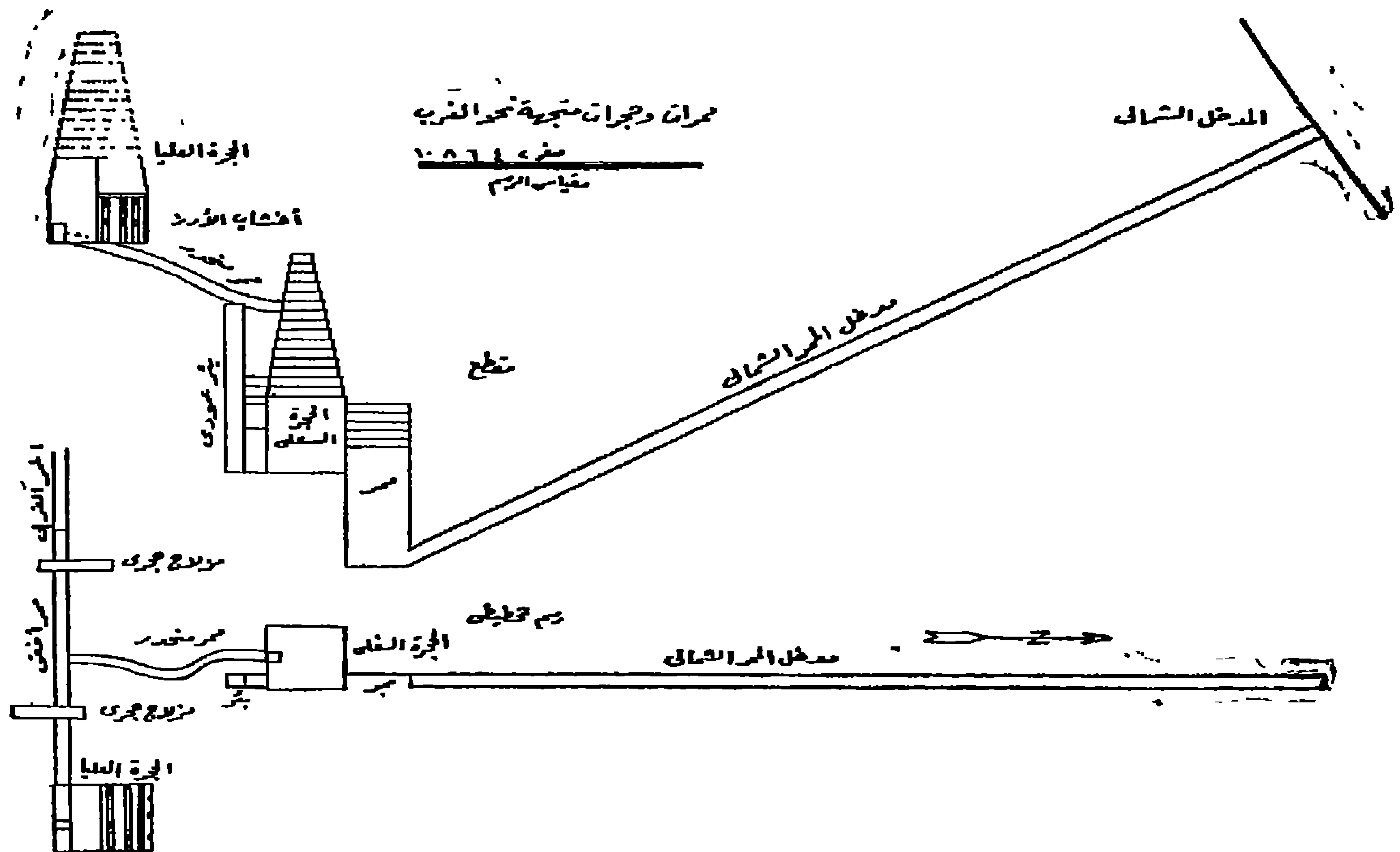
ويفتح من الجدار الجنوبى لهذه الفتحة ممران يؤدى أحدهما إلى « بئر » ترتفع رأسياً ولكن لا تتصل ، على ما يظهر ، بأى واحد من الممرات أو الحجرات المعروفة . وعلى ارتفاع ١٢ر٦٠ متراً من أرضية الغرفة وعلى مقربة من سقفها يوجد ممر آخر يرتفع تدريجياً إلى أعلى ثم ينتهى هذا الممر



(شكل رقم ٥١) رسم يبين أبعاد وزوايا الهرم المنحنى فى دهشور .
(من عمل الدكتور حسن مصطفى)

غير المستقيم ، والذى لم يحسنوا قطع جدرانه ، إلى ممر آخر أفقى يتجه من الشرق إلى الغرب ، فإذا ما اتجهنا شرقاً وجدنا متراساً حجرياً (portcullis) وراءه حجرة دفن ثانية .

وجدران وسقف الحجرة العليا مشيدة بنفس الطريقة التى شيدت بها



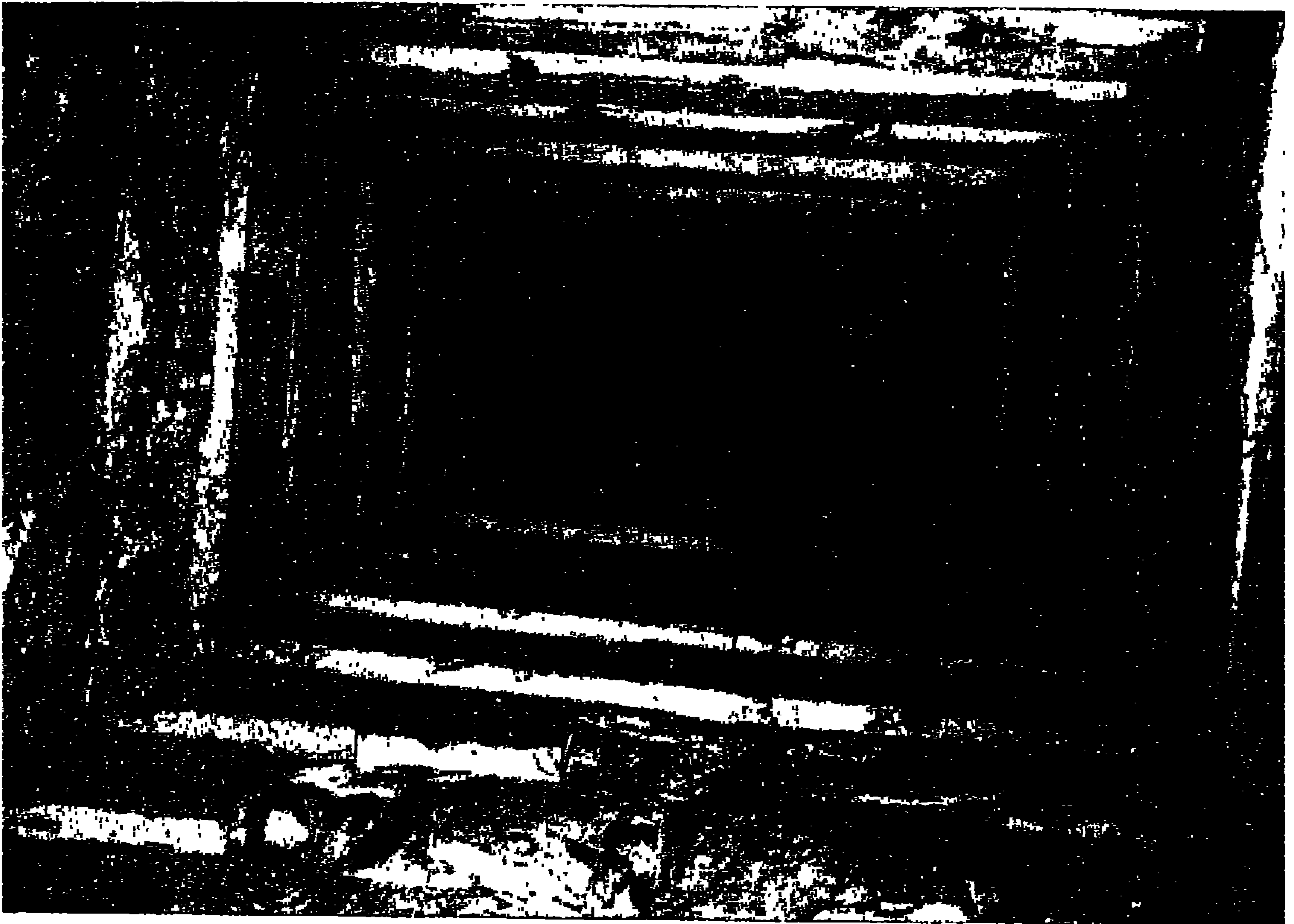
(شكل رقم ٥٢) الممرات والحجرات التى فى داخل الهرم المنحنى فى دهشور .
(من عمل الدكتور حسن مصطفى)

الحجرة السفلى ، ولكننا نجد فيها أحجار السقف مهشمة . والأمر الذى يستوقف النظر فى هذه الحجرة هو وجود عدد من عروق كبيرة من خشب الأرز ملتصقة بالجدران (شكل رقم ٥٤) .

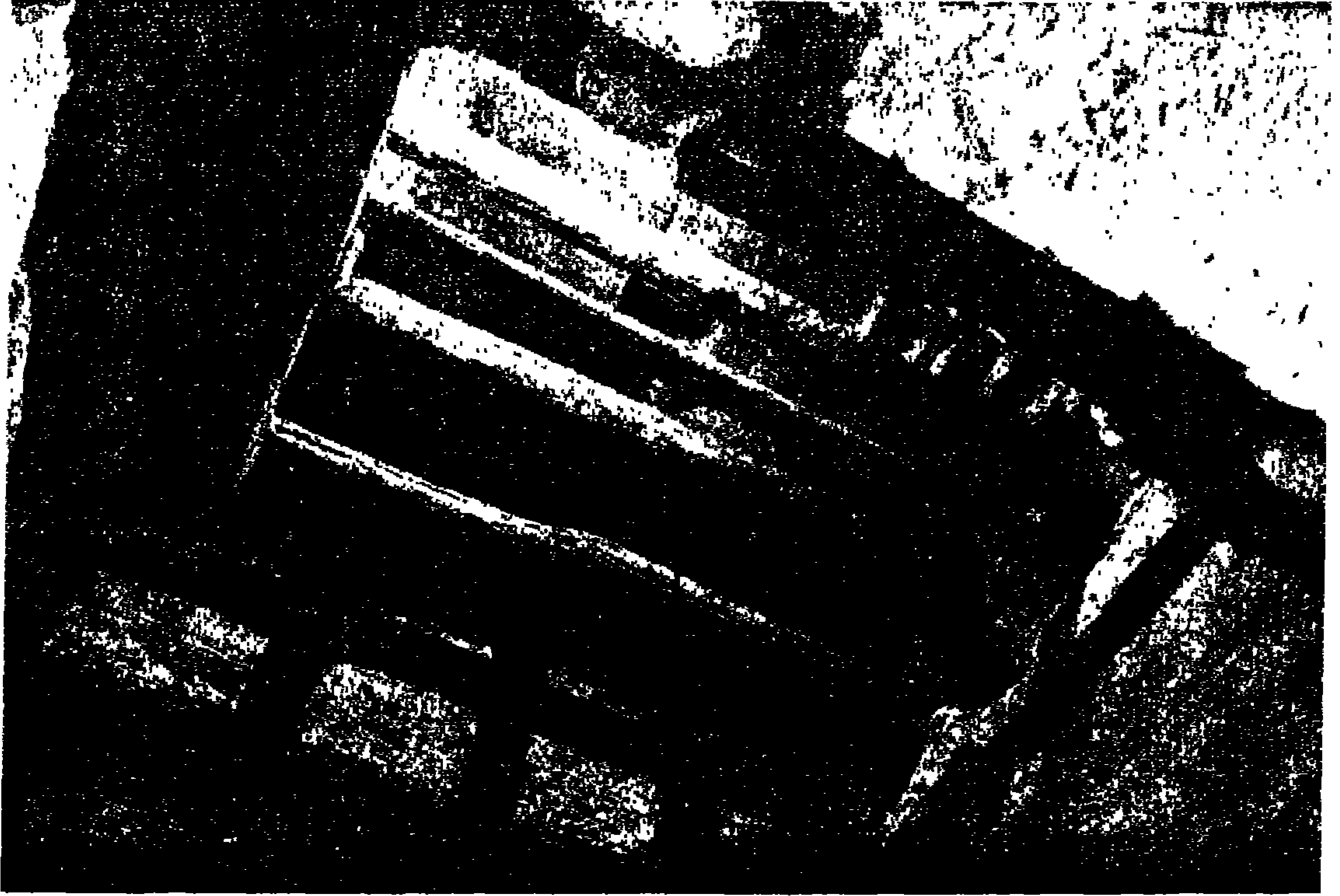
ويعتقد الزائر لأول وهلة أن هذه الأخشاب قد وضعت فى أماكنها لتكون سقالة استخدمها البناؤون ، ولكن الفحص الدقيق يثبت أنها لم توضع فى أماكنها لهذا الغرض . فعندما قام « پرنج » و « ڤيز » ببحوثهما فى هذا الهرم وجدا كلتا الحجرتين السفلى والعليا مملوءتين بأحجار مستوية صغيرة الحجم من الحجر الجيرى ، وبينها عروق أخشاب الأرز . ولا شك أن وجود هذه الأخشاب ، وهذه الأحجار ، لغز محير ، ومن الجائز أن التابوت كان مشيداً بالحجر (ولدينا أمثلة من هذا النوع) وأن هـــذه

الأخشاب ربما كانت تكون نوعاً من مظلة فوق التابوت ، ومن المحتمل جداً أن تكون هذه الأخشاب التى أبقى عليها الزمن سليمة فى أحسن حالة جزءاً من حمولة خشب الأرز التى أحضرها أسطول « سنفرو » من لبنان .

فإذا ما عدنا أدراجنا إلى الممر الأفقى ومررنا تحت متراس حجرى آخر ، تواصل تقدمنا نحو الغرب فى ممر طوله ٦٣ر٦٤ متراً وارتفاعه ١٠ر١ متر (شكل رقم ٥٥) متجهاً إلى أعلى بزاوية مقدارها ١٧َ ٢٤° ، ثم تتغير إلى زاوية ٩َ ٣٠° وينتهى فجأة عند سطح ضلع الهرم الغربى على ارتفاع ٣٢ر٣٣ متراً من القاعدة . وعلى بعد ٧٠ر١٣ متراً إلى الجنوب من خط منتصف هذه الضلع ، وهذا هو الهرم الوحيد الذى نعرف أن له



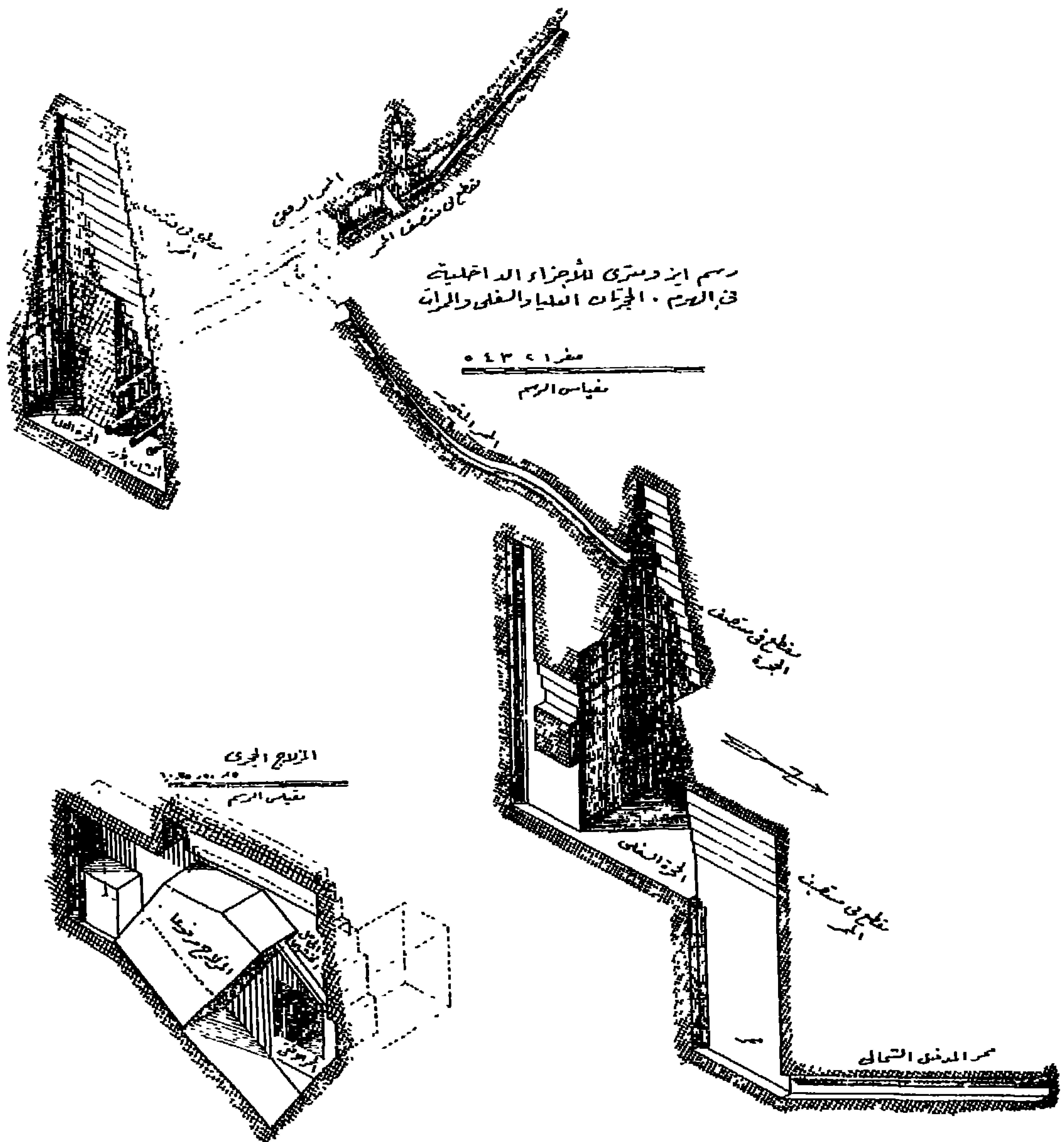
(شكل رقم ٥٣) السقف المتدرج للحجرة السفلى فى هرم سنفرو الجنوبى فى دهشور .



(شكل رقم ٥٤) أخشاب الأرز داخل الحجرة العلوية من هرم سنفرو الجنوبي فى دهشور .

مدخلا ثانياً فى الجهة الغربية منه . زد على ذلك فإن البنائين القدماء ملأوا الممر كله بكتل كبيرة من الحجر لا يسهل تحريكها من مكانها مما يدل على أنهم اعتبروا أن هذا الممر كان يقود إلى شيء ذى أهمية خاصة . وعلى أى حال ، فإن العمل فى داخل الهرم المنحنى كان دائماً عملا مضنياً لكل من حاولوا ذلك ، وليس من المستبعد أنه ما زال حتى الآن محتفظاً ببعض أسراره .

يقص علينا « برنج » و « ڤيز » فيما كتباه عن عملهما فى هذا الهرم قصة حدثت لهما تحمل فى ثناياها أشياء تدعو إلى التساؤل والتفكير . يذكران أنه أثناء عمل رجالهما فى تنظيف أحد الممرات اشتدت الحرارة ووطأة العمل بسبب قلة الهواء .



(شكل رقم ٥٥) رسم إيزومترى يمثل الحجرات العلوية والسفلية والممرات
فى هرم سنفرو الجنوبى فى دهشور .

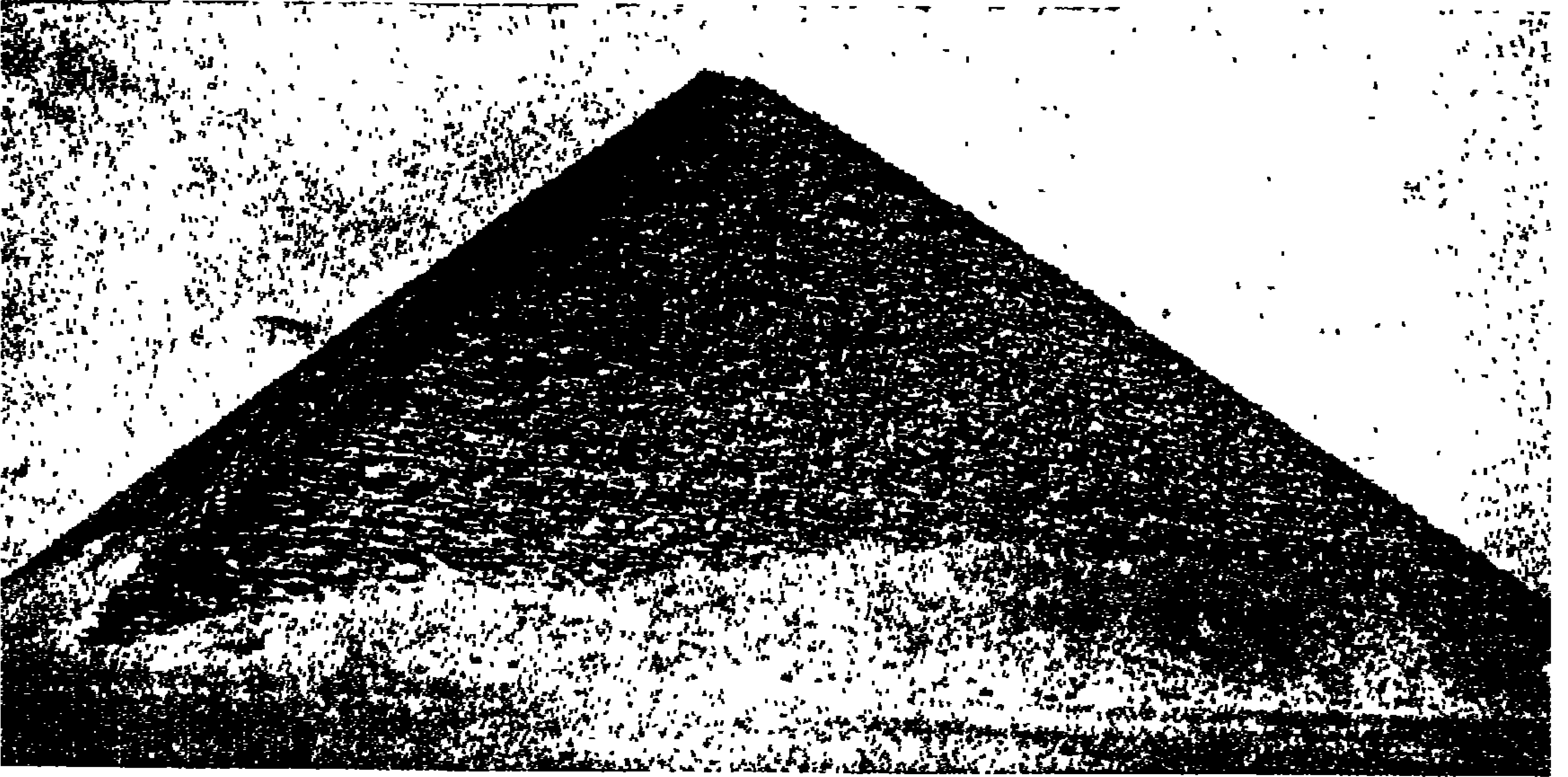
وفى يوم ١٥ من أكتوبر ١٨٣٩ وصلت وطأة العمل إلى درجة جعلت الاستمرار يكاد يكون مستحيلا ، ولكن الرجال وصلوا فى عملهم إلى فتح ممر موصل إلى إحدى الحجرات ، وعند ذلك بدأ هواء قوى بارد يهب من داخل الهرم فى طريقه إلى الخارج . كان هذا الهواء البارد يهب بشدة جعلتهم يحتفظون بصعوبة بما كان معهم من ضوء يعملون عليه ، واستمر هبوب هذا الهواء الشديد يومين ولكنه توقف فجأة كما بدأ دون معرفة مصدره . وقد فسر « پرنج » ذلك بأنه لا بد أن يكون هناك اتصال بين إحدى حجرات الهرم وخارج الهرم[٦] ، ومن المؤكد أن ذلك لم يكن على الإطلاق عن طريق الممر الغربى لأنه لم يفتح إلا فى عام ١٩٥١ .

وقد لاحظت عند عملى فى داخل هذا الهرم فى السنوات الماضية أنه فى بعض الأيام التى تهب فيها الرياح فى صحراء دهشور أنه كانت تحدث ضوضاء يمكن سماعها ، وعلى الأخص فى الممر الأفقى بين المتراسين الحجريين ، عند نهاية ممر المدخل الغربى ، وأن هذه الضوضاء تستمر لمدة قد تصل إلى عشر ثوان ، وقد تكرر حدوثها أكثر من مرة . والتفسير الوحيد الذى يمكننى تقديمه لفهم هذه الظاهرة هو أنه ما زال يوجد حتى الآن جزء فى داخل هذا الهرم لم يتم الكشف عنه ، وأن هذا الجزء متصل بالخارج ، ومثل هذا الأمر لا يمكن تقديم جواب شاف عنه إلا عند القيام ببحوث أخرى فى المستقبل .

ونرى مما سبق أن الأجزاء الداخلية فى الهرم المنحنى تختلف عن مثيلاتها فى الأهرام الأخرى ، وزيارتها تؤثر فى نفس الزائر تأثيراً قوياً وتترك جدران الممرات والحجرات الداخلية وسقوفها المتدرجة فى نفسه ذكريات لا يمكن أن تمحوها الأيام .

---

(٦) Vyse, *Operations Carried On at the Pyramids of Gizeh.* III, 67.



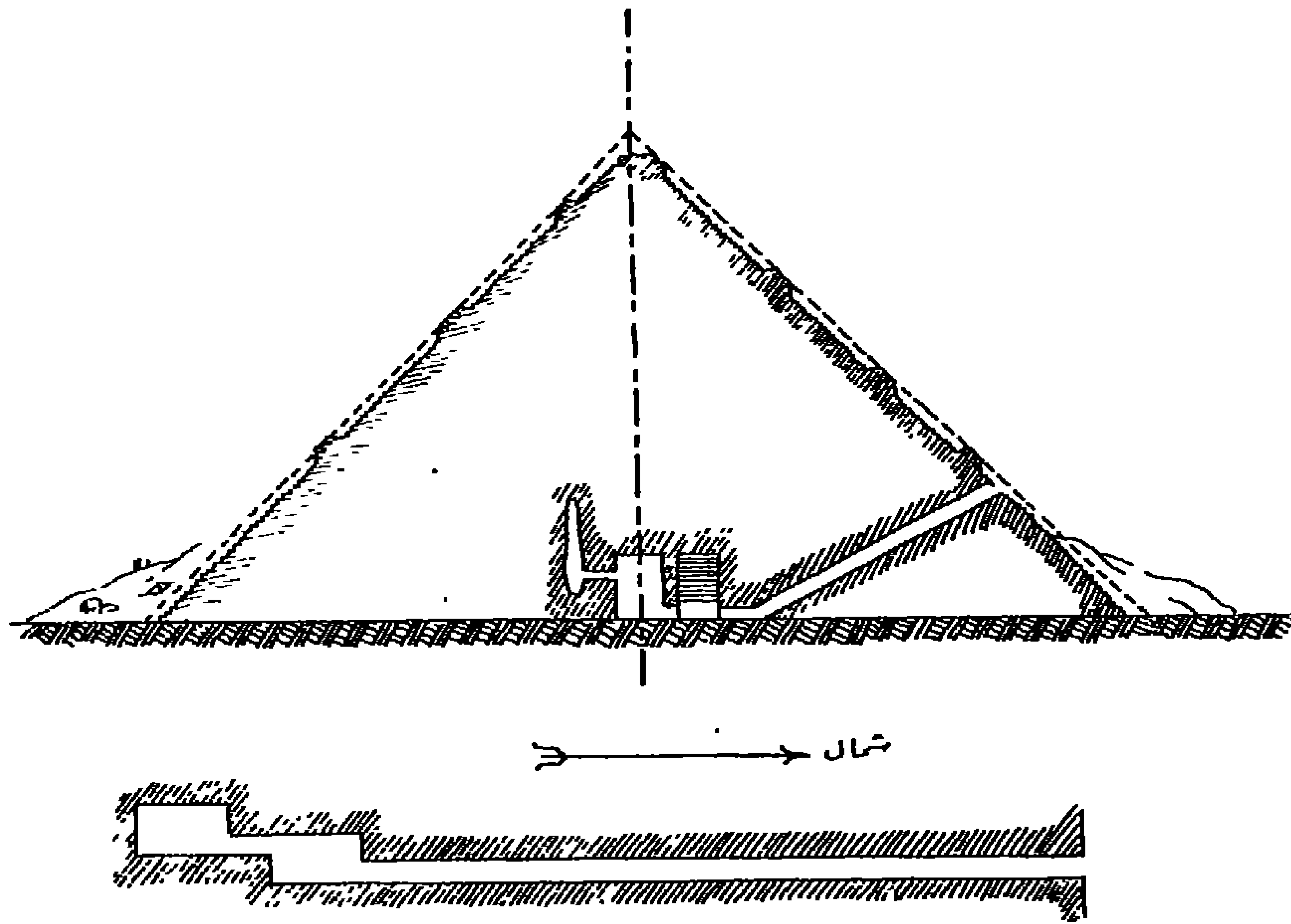
(شكل رقم ٥٦) هرم سنفرو الشمالى فى دهشور .

الهرم الشمالى

يرى زائر المنطقة حول هرم سنفرو الشمالى فى دهشور كثيراً من مقابر الدولة القديمة وما بعدها من عصور ، وهى تملأ الربوات التى تغطى سطح الصحراء فى تلك المنطقة . وقد خرب اللصوص كثيراً منها ولكنها لم تفحص فحصاً علمياً حتى الآن أو تجرى فيها حفائر منظمة ، كما أن هرم سنفرو الشمالى نفسه ما زال ينتظر من يقوم بالحفر حوله . حاولت فى عام ١٩٥٣ فحص الجهة الشرقية من هذا الهرم ولكنى اضطررت لترك العمل هناك مؤقتاً نظراً لوجود عدد كبير جداً من كتل الأحجار المتراكمة فوق بعضها ، من الأحجار التى سقطت من الهرم ومن كسائه وتكدست هناك . وربما كان هناك أمل فى العثور على معبد الوادى والطريق الموصل إليه ، وعند ذلك نعرف المزيد عن العقيدة الدينية الخاصة بالملك « سنفرو » .

شرع البناؤون القدماء على الأرجح ، فى تشييد هذا الهرم قبل الانتهاء من تشييد الهرم الجنوبى . وهو مشيد مثله بكتل الأحجار الجيرية المستخرجة من المحاجر المحلية ، وكان كساؤه الخارجى ، الذى اختفى أكثره ، من الأحجار الجيرية التى من نوع جيد . أما من ناحية الحجم فإن هذا الهرم يكاد ينافس هرم الجيزة الأكبر الذى شيده « خوفو » إذ يبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدته نحو ٢٢٠ متراً ، أى إنه يقل فقط عشرة أمتار عن طول قاعدة الهرم الأكبر ، كما يبلغ ارتفاعه ٩٩ متراً ، وزاوية ميله ٤٣° ٤٠′ ، وهى زاوية تقل كثيراً عن زاوية معظم الأهرام الأخرى ، وتجعل له مظهراً خاصاً به إذ أنه يظهر أكثر انبساطاً نظراً لصغر زاويته (شكل رقم ٥٦) .

ومدخل الهرم فى الناحية الشمالية منه ، لا فى الوسط بالضبط ، ولكن على بعد أربعة أمتار شرقى خط الوسط ، وهو يرتفع عن سطح الأرض عند



(شكل رقم ٥٧) رسم تخطيطى ومقطع لهرم دهشور الشمالى .



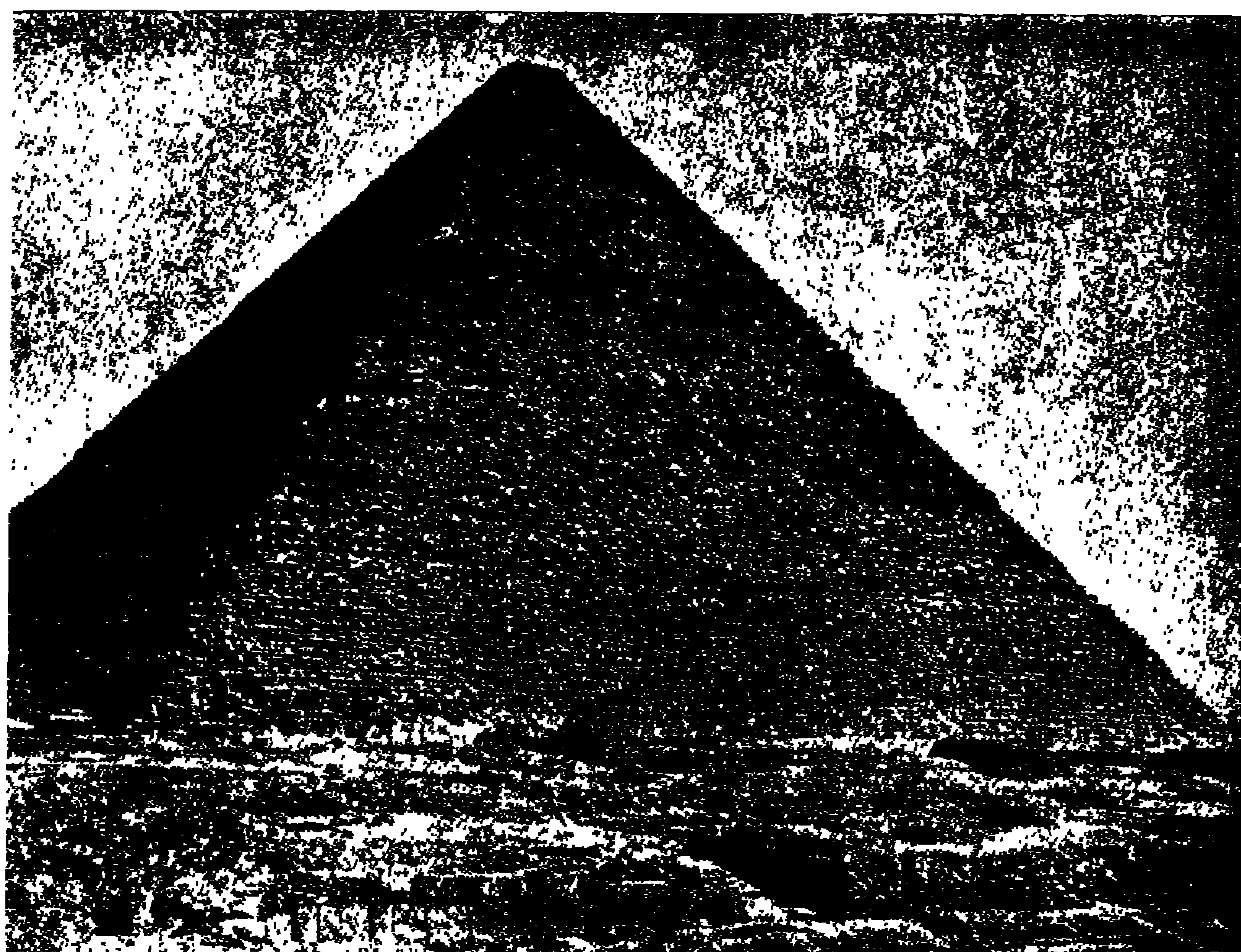
القاعدة بمقدار ٢٨ متراً . وأحجار المدخل ليست من الحجر المحلى وإنما من الحجر الجيرى الجيد الأبيض اللون . ويؤدى المدخل إلى ممر طوله حوالى ٦٠ متراً ينحدر بزاوية مقدارها ٥٦′ ٢٧° وينتهى بدهليز أفقى طوله ٧ أمتار ، وارتفاعه ٢٠ر١ متر (شكل رقم ٥٧) .

ويؤدى الدهليز الأفقى إلى ثلاث حجرات لكل منها سقف متدرج (مكربل corbelled) مثل سقوف الهرم المنحنى ، وتكاد الحجرة الأولى تتشابه مع الحجرة الثانية فى حجمها ومظهرها العام ، ومقاييس كل منهما ٣٠ر٩ × ٦٠ر٣ أمتار ، وهما فى مستوى واحـــد . أما الحجرة الثالثة فلا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق فتحة فى الجدار الجنوبى تعلو أرضية الحجرة الثانية بمسافة ٥٠ر٧ أمتار ، وهى أكثر اتساعاً من الحجرتين السابقتين ، إذ أنها ٣٠ر٩ × ٠٥ر٤ أمتار وارتفاعها ١٥ متراً (شكل رقم ٥٨) .

ولم يُعثر على أى أثر يدل على استخدام هذا الهرم ليكون مدفناً ملكياً ، سواء عند ما قام « پرنج » و « ڤيز » بفحصه وتنظيف داخله أو عند ما أعيد تنظيفه فى عام ١٩٤٧ ، ولكن من يدرى ؟ فلعل المستقبل يخبئ لنا بعض المفاجآت إذا ما تم فحصه وفحص المنطقة التى حوله بطريقة علمية منظمة كما حدث فى الهرم المنحنى .

وقبل أن أختتم هذا الفصل الخاص بأهرام سنفرو أحب أن أضيف بضع جمل أخرى ؛ فلدينا فى الجبانة المنفية ثلاثة أهرام ترتبط باسم « سنفرو » : أحدها فى ميدوم ، والثانى والثالث ، فى دهشور . ولا شك أن القارئ تحدوه رغبة ملحة فى أن يعرف فى أى واحد من هذه الأهرام الثلاثة دفن الملك « سنفرو » . وإنى شخصياً مقتنع اقتناعاً تاماً بأن هذا الملك دفن فى الهرم المنحنى فى دهشور ، وفى الحجرة العليا التى تقع فى نهاية

الممر الغربى ، وليس من المستبعد أن نعثر فى المستقبل على ما عساه أن يكون هناك من مبان جنازية على مقربة من الهرم الشمالى فى دهشور ، ولكن المبانى الرئيسية هى التى تم الكشف عنها على مقربة من الهـــرم الجنوبى ، أى الهرم المنحنى ، بين أعـــوام ١٩٥١ ، ١٩٥٥ وأن ذلك الهرم دون غيره من الأهرام كان المقر الأبدى الذى أودعوا فيا جثمان ذلك الملك .



(شكل رقم ٥٩) هرم الجيزة الأكبر



٦

هرم الجيزة الأكبر

يمثل هرم الجيزة الأكبر أقصى ما وصلت إليه مجهودات وتجارب بناة الأهرام . فليس هذا الهرم هو أعظم ما شـــيده المصريون من نوعه فحسب ، بل يمتاز أيضاً بذلك الإتقان المعجز فى هندسته والدقة فى تخطيطه وجمال نسبه ، ولا غرو أنه كان ومازال أهم عجائب الدنيا السبع(*) (شكل رقم ٥٩ ، شكل رقم ٦٠) .

وقد أثار هذا الهرم اهتمام الناس منذ أقدم العصور ، ومن المرجح أنه قد وصل النهابون إلى داخله ، وسرقوا محتوياته عند سقوط الدولة القديمة خلال تلك الفترة التى ساد فيها الضعف وعمت القلاقل ، وهى

(*) بدأ كتاب اليونان يتحدثون عن عجائب الدنيا السبع منذ القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد حدث بعض التغيير فيها على مر العصور ، وها هى ذى حسب أهميتها كما ذكرها المؤرخ فيلو البيزنطى :

١ — أهرام مصر . ٢ — حدائق سيميراميس فى بابل .
٣ — تمثال الإله « زيوس » فى أوليمبيا . ٤ — معبد الإلهة « أرتيميس » فى إفسوس
٥ — ضريح هاليكارناس . ٦ — تمثال رودس .
٧ — منارة الإسكندرية . (تعليق : أ . ف .)

(شكل رقم ٦٠) جبانة الجيزة

ما نسميها عصر الفترة الأولى . وربما كان ذلك هو السبب الذى جعل المؤرخ الرومانى « ديودوروس » يقص قصته التى يذكر فيها أن المصريين كرهوا بناة الأهرام إلى الحد الذى جعلهم ينهبون المقابر الكبيرة ، ويحطمون موميات الملوك .

ونحن لا نكاد نعرف شيئا عن الهرم الأكبر خلال أيام الدولة الوسطى ، بل لم تصل إلينا أى وثيقة قديمة تجعلنا نجزم بشىء مما إذا كان ذلك الهرم ظل مفتوحا أو أن أحد الملوك الأتقياء اهتم بإغلاقه بعد أن دخله الناهبون . ولكنا نعلم أن المصريين فى ذلك العهـد لم يظهروا احتراما كبيرا تجاه معابد الأهرام ، بل واستخدموا معابد الجيزة كمحاجر عند تشييدهم للهرم الشمالى قريباً من بلدة اللشت الحالية ، ويرجع تاريخه إلى أوائل أيام الأسرة الثانية عشرة إذ كشفت حفائر متحف المتروپوليتان فى نيويورك عن كثير من الأحجار المكتوبة والمنقوشة مستخدمة فى بنائه . ومن المرجح أن كثيرا غيرها ما زال فى مكانه فى جدران آثار تلك المنطقة ، وبعض هذه الأحجار منقول من جدران مقابر من الدولة القديمة ، ولكن عددا كبيرا منها مأخوذ دون أى شك من معابد أهرام الجيزة والطرق الصاعدة الموصلة بين معابدها الجنازية ومعابد الوادى .

وساد الصمت نفسه خلال أيام الدولة الحديثة ولم نسمع شيئا عن الهرم الأكبر ، وكل ما وصل إلينا ما أشاروا به فى بعض اللوحات إلى هيكلى « خوفو وخفرع » فى هذه المنطقة . كما نعرف أيضا أن الأمير « خعمواس » ابن رمسيس الثانى اهتم اهتماما خاصا بجبانة منف ، ومن المحتمل جدا أنه قام ببعض الترميمات فى الهرم الأكبر كما قام بنفس العمل فى كثير من آثار أبو صير وسقارة . وإذا كان مثل هذا الترميم قد حدث حقا فإنه كان مدونا على أحجار الكساء الخارجى للهرم التى نزعت من أماكنها منذ وقت بعيد .

وفى الأسرة السادسة والعشرين ظهرت فى مصر نهضة كبيرة لإحياء التقاليد القديمة ، واهتم الناس اهتماما خاصا باحترام آثار الدولتين القديمة والوسطى . ولسنا نعرف على وجه التحديد ما الذى فعله ملوك تلك الأسرة نحو الهرم الأكبر ومعابده ولكن المعتقد بوجه عام أن إحياء الذكرى الدينية للملك « خوفو » قد استمرت ، وأن كهنته استمروا فى العناية بمعابده وعبادته .

ومن الثابت أن هذا الهرم كان مفتوحا فى أيام العصر الرومانى ، وأن الزائرين كانوا يستطيعون الوصول إلى بعض أجزائه الداخلية ، كما أن الأتربة كانت تملأ أجزاءً من بعض أبهائه وحجراته ، وأنها استخدمت لدفن الموتى فى ذلك العصر . ولم يلبث الرديم والرمال المتراكمة أن غطت المدخل وأخفته عمن كانوا يبحثون عنه . ولكن حدث فى القرن التاسع الميلادى ، وكان ذلك فى أيام الخليفة المأمون بن هارون الرشيد أن رجاله لم ينجحوا فى العثور على مدخل الهرم فقطعوا فى أحجار الهرم ممرا أوصلهم إلى داخله . وقد قص علينا كتاب ذلك العصر قصصا ملؤها الخيال عما حدث وعما عثروا عليه ، وإذا حللنا كل تلك القصص نخرج منها ببعض الحقائق ، ومنها أن المدفن الأصلى كان قد سرق فى عصور أقدم ، وأن التوابيت والموميات التى عثروا عليها فى داخله كانت من عصور أخرى .

وأشار « هيرودوت » وغيره من الكتاب القدماء إلى تلك النقوش التى قالوا عنها بأنها كانت تغطى سطوح أحجار الهرم الخارجية ، كما نعرف أيضا مما قصه عبد اللطيف البغدادى (ولد حوالى عام ١١٧٩ ميلادية) أنه لو استطاع أحد نقل الكتابات التى على الهرم لملأت ١٠٫٠٠٠ صفحة من صفحات الكتب ، ولكن هذه الكتابات والمخربشات التى كتبها الزائرون اختفت لسوء الحظ عندما بدأ الناس خلال القرن الثالث عشر الميلادى ،

وما بعده فى نزع أحجار الكساء الخارجى . ومنذ ذلك العصر حتى الآن ظل مظهر الهرم كما هو الآن تقريبا ، اللهم إلا فيما يختص بأجزائه الداخلية التى نظفت تماما مما كان متراكما فيها من الأتربة ، كما رفعت أكوام الرمال والرديم والأحجار التى كانت متراكمة حول قاعدته .

ولدينا من العصور الحديثة نسبياً بعض أوصاف ومقاييس ورسوم تخطيطية لهذا الهرم قام بعملها الرحالة الأوروبيون ، ولكن لم يبدأ أى فحص علمى لهذا الهرم قبل حلول القرن التاسع عشر . ففى عام ١٨١١ قام إيطالى يسمى ت . ب . كاڤيليا (T. B. Caviglia)[1] بفحص الأجزاء الداخلية لهذا الهرم . كان « كاڤيليا » ضابطاً بحرياً شجاعاً ولكنه لم يكن على قدر كبير من العلم ، وكان يقوم بالحفر بحثاً عن الآثار لحساب بعض الأوروبيين فى مصر الذين أمدوه بالمال لكى يحصل لهم على آثار مصرية يضيفونها إلى ما كان لديهم منها من مجموعات .

وبعد ذلك بسنوات قليلة بين أعوام ١٨٣٧ ، ١٨٣٩ قام « پرنج » و « ڤيز » بفحص شامل للهرم الأكبر ، وأخذوا بعناية مقاييس صحيحة له ، ولم يتفوق عليهما فى هذا العمل إلا ما قام به « پترى » فى عام ١٨٨١ — ١٨٨٢[2] . وفى أواخر سنى القرن التاسع عشر قامت مصلحة الآثار المصرية بتنظيف الأجزاء الداخلية فى هذا الهرم وأضاءتها بالكهرباء ، كما قامت بعمل درجات سلالم . وثبتت فى الدهاليز المنحدرة من القوائم وغيرها ما يساعد الزائرين أثناء زيارتهم ، ويمكن للزائرين الآن زيارة جميع تلك الأجزاء ما عدا الحجرة التى تحت سطح الأرض .

ومما يدعو إلى الدهشة أننا لا نعرف إلا الشىء القليل عن الملك

---

(١) نجد ملخصا لما قام به « كاڤيليا » من أعمال فى كتاب :

Vyse, *Operation Carried On at the Pyramids of Gizeh*, II, 152 ff.

(٢) W. M. F. Petrie, *The Pyramids and Temples of Giza.*

« خوفو » صاحب هذا الهرم ، والذى أمر ببنائه ليكون مستقراً أبدياً لجثمانه . فهو ابن « سنفرو » وأمه هى الملكة « حتپ – حرس » ابنة ووريثة الملك « حو » . وأكبر الظن أن أمه كانت مدفونة على مقربة من أحد هرمى « سنفرو » فى دهشور ، ولكن يظهر أن اللصوص استطاعوا الوصول إلى قبرها فى أيام حكم ابنها ، ولهذا استقر الرأى على نقل أثاثها الجنازى بما فى ذلك التابوت المصنوع من المرمر لتدفن مرة أخرى فى قاع بئر عميقة شرقى الهرم الأكبر ، أما مومياء الملكة وحليها فقد فر بها اللصوص ، ولهذا لم يوجد أثر لها فى المدفن الجديد .

ونعرف من الوثائق القديمة أن « خوفو » حكم ثلاثة وعشرين عاماً ، وتزوج أكثر من واحدة وكان له أبناء وبنات كثيرون ، وأقيمت فى عهده مبان كثيرة فى أماكن شتى فى كثير من أرجاء مصر . ونعرف أيضاً أن « خوفو » كان ممن عنوا باستغلال ما فى مناجم سيناء والنوبة والصحراء الشرقية من ثروات معدنية .

وعثر الأثريون على كثير من مقابر أسرته وكهنته وموظفيه ، وبالرغم من أن ما فيها من نقوش لا يتحدث عن أى تفصيلات للحوادث التى حدثت فى عهده أو يلقى ضوءاً على شخصيته ، فإنها دليل صريح ناطق على التقدم الفنى فى أيامه ، ونرى هذا الدليل نفسه فى تقدم وإتقان الأعمال الفنية والمعمارية التى نراها فى بناء الهرم الأكبر .

وفى العصور التالية كان اسم « خوفو » تميمة قوية لمن يحملها ، ونرى هذا الاسم مذكوراً على جُعلان « جعارين » كثيرة كان يحملها المصريون القـــدماء كتمائم تحميهم ، كما ارتبط اسمه أيضاً بكثير من الأساطير . وأشهر تلك الأساطير ما تقصه علينا بردية « وستكار » ، وهى وثيقة مسطرة على البردى ، وهى نسخة يرجع تاريخ كتابتها إلى عصر الهكسوس نقلا عن الأصل الذى كتب فى وقت لا يمكن أن يكون أحدث

من أيام الأسرة الثانية عشرة . وفى هذه البردية نقرأ بعض القصص عن الأعاجيب التى استطاع بعض السحرة القدماء عملها ، وكذلك بعض الحكماء الذين كان فى استطاعتهم الإنباء بما سيحدث فى المستقبل كما رواها أبناء الملك « خوفو » لأبيهم . وأولى هذه القصص حدثت فى أيام الملك « زوسر » والثانية يقصها الأمير « خفرع » يتحدث فيها عن أشياء حدثت فى عهد الملك « نب – كا » والثالثة يقصها الأمير « باووف – رع » عن أشياء حدثت فى أيام الملك « سنفرو » ، أما القصة الرابعة والأخيرة فقد قصها الأمير « حور – ددف » وحدثت وقائعها فى أيام « خوفو » نفسه ، وقد تنبأ فيها الساحر بانتهاء أسرة « خوفو » ، وسنتحدث عن هذه القصة فى فصل قادم .

كتب بعض المؤلفين الكلاسيكيين (اليونان والرومان) أن « خوفو » كان ظالما عاتيا ، وأن شعبه كان يكرهه لأنه استعبد الأمة كلها فى تشييد قبره الفخم ، ومن المؤسف أن مثل هذه الآراء ما زال يرددها بعض الناس حتى الآن . والتاريخ المصرى القديم خال من أى دليل يؤيد مثل هذه الادعاءات . كان « خوفو » على ما يظهر حاكما قديرا نشيطا ازدهرت البلاد فى أيامه ، ووصل الفن إلى أعلى الدرجات ، كما أن دارس التاريخ يجب ألا ينسى أنه من الخطأ الكبير أن نحكم على ما حدث فى العصور الماضية بآرائنا الحالية ، أو ما نؤمن به الآن من قيم أخلاقية أو مبادئ . كان « خوفو » ملكا مقدسا ، ولا شك أن رعاياه كان يسعدهم أن يشتركوا فى إقامة مبانيه الخالدة ، وقد شيدت فى أيامه كثير من آيات العمارة والفن . فإذا كان هذا الشخص حقيقة ملكا ظالما متسلطا عاتيا فمن غير المعقول أن يكون فى استطاعته ترك البلاد فى حالة اقتصادية مستقرة ساعدت ابنه « خفرع » على بناء الهرم الثانى ، وهو بناء يكاد يماثل هرم أبيه فى عظمته ؛ وإذا كان لادعاءات أولئك الكتاب أى نصيب من الحقيقة لاستحال

الاستمرار فى حفظ الطقوس الدينية الخاصة بالملك « خوفو » قروناً كثيرة ، فلدينا من العصر البطلمى ، أى أكثر من ألفى سنة بعد موته ، آثار تشير إلى استمرار وجود كهنة « خوفو » حتى ذلك العهد .

لقد تطورت فكرة المجموعة الهرمية فى أيام حكم « سنفرو » ، ولكن هناك اختلافات جوهرية بين معابده وبين معابد « خفرع » مما يدل على حدوث تعديلات فى العقائد الجنازية الخاصة بالملك . وما من شك فى أن مجموعة « خوفو » الهرمية هى الحلقة التى تربط بين تلك التعديلات أو التغييرات ، ولكن الأدلة التى توافرت لدينا حتى الآن قليلة جدا لسوء الحظ ؛ وذلك لأن جزءا كبيرا من المجموعة الهرمية لخوفو لم يتم الكشف عنه حتى الآن ، وجزءاً آخر تخرب تخريبا كاد يقضى على كل تفصيلاته .

لم يتم حفر معبد الوادى للهرم الأكبر حتى الآن ، وهو يقع على الأرجح تحت منازل بلدة نزلة السمان عند نهاية الطريق الصاعد أو ربما إلى الشرق قليلا من منازل البلدة . لقد استخدم أحد ملوك الدولة الوسطى المبانى الدينية التى شيدها « خوفو » كمحجر يأخذ منه ما يلزم لمبانيه ، ولهذا لا يوجد أمل فى العثور على معبد الوادى سليما كامل البنيان . ولكن بالرغم من ذلك فإنه يتحتم حفره حتى يمكننا على الأقل معرفة رسمه التخطيطى ، ويستطيع الأثريون أن يدرسوه لأنه ، كما سبق القول ، هو الحلقة التى تربط بين معبد الوادى فى دهشور ومعبد الوادى لخفرع فى الجيزة .

عندما زار « لپسيوس » مصر منذ أكثر من مائة سنة وجد الطريق الصاعد يكاد يكون كاملا ، ولم يؤخذ منه إلا الكتل الحجرية الجيرية البيضاء التى كانت ترصف أرضيته ؛ كما رأى أيضا نفقا ، أو ممرا ، تحت الطريق الصاعد لكى يساعد الناس فى العصور القديمة على الوصول إلى الناحية الأخرى من الطريق دون أن يضطروا للدوران حول المجموعة الهرمية كلها .

وقد أعجب « هيرودوت » إعجابا كبيرا بهذا الطريق وقال عنه إنه عمل لا يقل عن تشـييد الهرم نفسه ، كما ذكر أيضا أنه كان مزينا بالنقوش . وما زال يوجد حتى الآن جزء غير قليل من هذا الطريق فى مكانه القديم ، وهو يدل دلالة واضحة على عظمة هذا العمل ومدى قوته وإتقانه .

وفى عام ١٩٣٨ كشفت حفائر المرحوم الأستاذ سليم حسن التى قام بها شرقى هذا الهرم عن بعض أحجار مزينة بالنقوش ، وهى أصلا من الجزء الأعلى من الطريق الصاعد . كانت النظرية السائدة حتى وقت هذا الكشف أن جدران معابد الدولة القديمة لم تكن تزخرف بالنقوش قبل أواخر أيام الأسرة الرابعة . وكان علماء الآثار يفسرون ما ذكره « هيرودوت » بأنه يشير إلى ما خلفه الزوار من كتابات ، ولهذا اعتقد بعض الأثريين أن ما تم الكشف عنه فى عام ١٩٣٨ إنما هو من أعمال الترميمات فى الأسرة السادسة والعشرين . ولم يقتنع علماء الدراسات المصرية القديمة بأن جدران المعابد كانت تزين بالنقوش قبل أيام « خوفو » إلا فى عام ١٩٥١ عندما كشفت حفائر دهشور عن جدران معبد الوادى هناك ، وهو من أيام الملك « سنفرو » وعند ذلك آمنوا بأن تلك الأحجار المنقوشة ، وهى من الطريق الصاعد ، إنما هى من أيام « خوفو » نفسه ، وأنها جزء من مجموعته الهرمية .

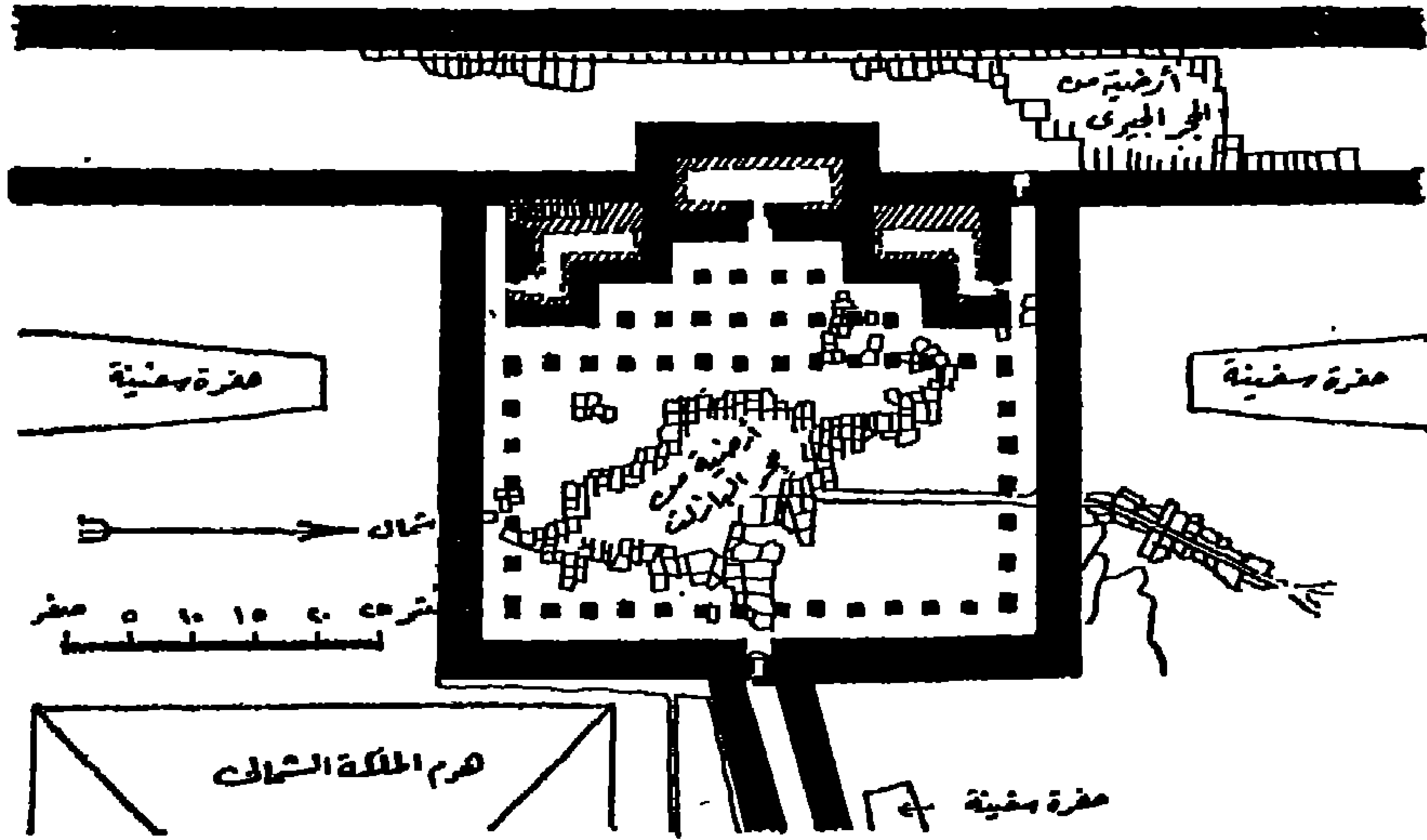
وفى الجهة الشرقية من الهرم شيد « خوفو » معبده الجنازى ، ولكن لم يبق منه إلا مكان بعض أساسات الجدران واضحة فوق الصخر ، وجزء من أرضية بهو المعبد وهى من حجر البازلت . وهذه البقايا القليلة رغم ضآلتها أمدت علماء الآثار بأدلة كافية لمحاولة عمل رسم تخطيطى للجزء الشرقى من المعبد (شكل رقم ٦١) ، وهو يختلف اختلافا تاما عن المعابد الجنازية التى كانت قبله أو بنيت بعده . ويؤدى مدخل هذا المعبد إلى

بهو كبير ذى أعمدة ، وهو مستطيل ومحوره الطويل من الشرق إلى الغرب ، كما أن سقف البورتيكو (السقيفة) كان محمولا على أعمدة من الجرانيت عثر على قطع صغيرة منها . أما الجزء الغربى من هذا المعبد فقد تخرب تخريبا يكاد يكون تاما ، وهو على أى حال لم يكن كبيراً لأن الحيز الذى كان يشغله صغير وضيق . وقد حاول « ريكه » Ricke إعطاءنا رسما تخيليا لما كان عليه هذا المعبد ، وهو يظن أنه كان فى الجزء الغربى منه خمس فجوات (نيشات) للتماثيل(٢)، ولكن لا يوجد لدينا أى دليل يثبت وجودها . ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن عدد تلك الهياكل أو النيشات فى المجموعة الهرمية فى دهشور كانت ستا ، وأنها فى معبد الوادى ، وليست فى الجنازى . ومن البقايا القليلة التى عثر عليها فى هذا المعبد نعرف أن جدرانه كانت من الحجر الجيرى ، ولا شك أن تلك الجدران البيضاء و الأرضية السوداء من أحجار البازلت والأعمدة الجرانيتية الحمراء اللون جعلت مظهر المعبد جميلا ذا أثر فى النفس ، وربما هذا الاتجاه فى الجمع بين الألوان كان مصدر إلهام لمعمارى أهرام أبو صير .

وكان يحيط بالهرم الأكبر سور لم يبق منه إلا أجزاء من أساساته ، وكان جانباه الشمالى والغربى على مسافة ٢٣٫٦٠ مترا من قاعدة الهرم ، أما فى الناحية الجنوبية فكان على مسافة ١٨٫٥٠ مترا من القاعدة .

أعلنت الصحافة فى شهر مايو سنة ١٩٥٤ إلى الجمهور المتعطش خبر اكتشاف سفينة من خشب الأرز لم يسبق الكشف عنها من قبل ، وقد تم ذلك الاكتشاف على يد المهندس المصرى كمال الملاخ عندما كان يشرف على عملية تنظيف الجهة الجنوبية من هرم الجيزة الأكبر مما كان متراكما فيها من أتربة وأحجار . وذكرت الصحف أيضا أن تلك السفينة كانت فى حفرة فى الصخر طولها ٣٠ مترا وأن هناك سفينة أخرى إلى الغرب

(٢) Ricke, *Bemerkungen*, 1, 37, *Fig.* 10.



(شكل رقم ٦١) رسم تخطيطى للمعبد الجنازى للهرم الأكبر (نقلا عن لوير)

منها . ولكن مما يدعو إلى الأسف أن أنباء هذا الكشف الأثرى كانت مصحوبة منذ البداية بتكهنات كثيرة ، كما كانت مصحوبة أيضا بمنافسة بعيدة عن الروح العلمية ، ولكن بالرغم من هذا وذاك فلا شك أن اكتشاف هذه السفينة والسفينة الأخرى التى إلى جوارها من أهم الاكتشافات الأثرية فى السنوات الحديثة .

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن الأثريين كانوا يعرفون منذ وقت طويل بوجود مثل هذه السفن إلى جانب مقابر الملوك ، بل وبعض الأفراد ، وقد عثر فى حلوان(٤) على حفرات تشبه السفن فى شكلها مبنية باللبن ، وملطوسة من الداخل ، على مقربة من كثير من مقابر الأسرتين الأولى والثانية ، كما عثر أيضاً على بعضها على مقربة من مقابر الأسرة الأولى فى سقارة(٥) . وكان معروفاً أيضاً أن بعض السفن كانت مدفونة على مقربة

---

(٤) Zaki Saad, *Royal Excavation of Saqqara and Helwan* (Cairo, 1947).

(٥) W. B. Emery, *The Tomb of Hor—Aha* (Cairo, 1939).

من هرم الجيزة الأكبر ، وأن ثلاثا من الحفرات التي كانت موضوعة فيها قد تم الكشف عنها منذ عدة سنوات وكان بعضها يمكن زيارته ورؤيته في الناحية الشرقية من الهرم ، كما يمكن رؤية خمس من هذه الحفرات على مقربة من الهرم الثاني على مسافة قليلة من المكان الذي عثر فيه على هذه السفينة ، وكانت هذه السفن كلها موضع دراسة مستفيضة نشرها سليم حسن(٦) في عام ١٩٤٦ ، عندما نشر نتائج حفائر موسمه السادس في منطقة أهرام الجيزة وهو موسم ١٩٣٤ — ١٩٣٥ .

قام « ريزنر Reisner » بتنظيف حفرات السفن التي على مقربة من الهرم الأكبر عند قيامه بالحفر شرقي ذلك الهرم في السنوات التالية لعام ١٩٢٠ وعثر في واحد منها على قطع من خشب مذهب ، وبعض أجزاء من الحبال . وعلى أي حال فلم يعثر أحد على أي سفينة خشبية كبيرة من أيام الدولة القديمة قبل عام ١٩٥٤ ، وإن السفن الوحيدة التي عثر عليها في منطقة دهشور منذ أكثر من ستين سنة يرجع تاريخها إلى أيام الأسرة الثانية عشرة ، واثنتان منها معروضتان في المتحف المصري بالقاهرة ، والثالثة معروضة في متحف التاريخ الطبيعي بشيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن أهمية هذا الكشف العظيم تكمن في ذلك الضوء الذي ستلقيه السفينة المكتشفة على صناعة بناء السفن في الدولة القديمة ، فضلا عن أنها أقدم السفن الكبيرة التي عثر عليها حتى الآن .

وتسمى السفن التي عثر عليها بجوار الأهرام عادة باسم « مراكب الشمس » ، ولكن هذه التسمية ليست دقيقة على أي حال . كانت لدى المصريين القدماء عدة أنواع من السفن كان القصد منها إمداد الملك المتوفى ببديل مادي عن السفن التي عساه يحتاج إليها في الحياة الأخرى . ومن دراسة نصوص الأهرام نجد أنه كان يوجد على الأقل ثمانية أنواع من

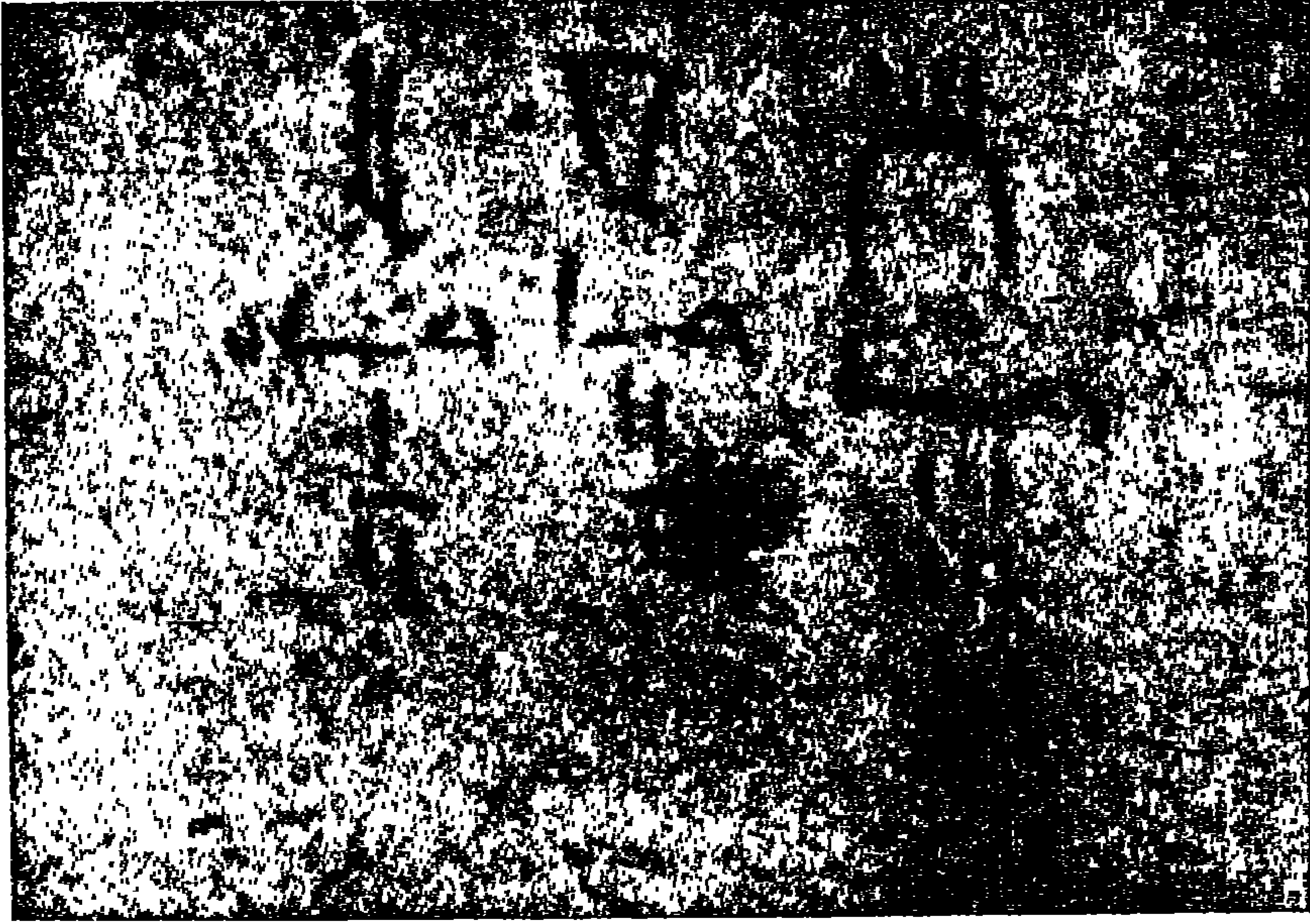
---

(٦) Selim Hassan, *Excavations of Giza*, Vol. VI, Part 1.

السفن كان الملك يستخدمها فى أسفاره السماوية ، وكانت اثنتان منها لأجل عبور السماء ، يركب إله الشمس إحداهما لرحلة النهار والأخرى لرحلة الليل . ولهذا فإن اثنتين فقط من هذه السفن يمكننا أن نطلق عليهما سفن الشمس ، وليستا لغرض آخر . ولهذا فمن الأفضل أن نسمى هاتين السفينتين سفناً جنازية أو طقسية ، فقد كانت دون شك ذات صلة وثيقة بالمعتقدات الدينية الخاصة بالبعث بعد الموت . ولسنا نعرف أيضاً فى أى مكان فى المجموعة الهرمية يجب أن توضع سفينتا الشمس أو ما إذا كان لهما شكل خاص يميزهما عن سواهما من السفن . ونحن نعرف أنه قد عثر حتى الآن على خمس سفن للملك « خوفو » : اثنتان منها فى الجهة الجنوبية ، واثنتان فى الجهة الشرقية ، وخامسة إلى جانب الطريق الصاعد ، علماً بأن جهتين أخريين من الهرم ، وهما : الجهة الشمالية ، والجهة الغربية ، لم تفحصا فحصاً تاماً حتى الآن ، ولن يكون مستغرباً إذا عثر فى يوم من الأيام على سفن أخرى فيهما أو إلى جانب الطريق الصاعد .

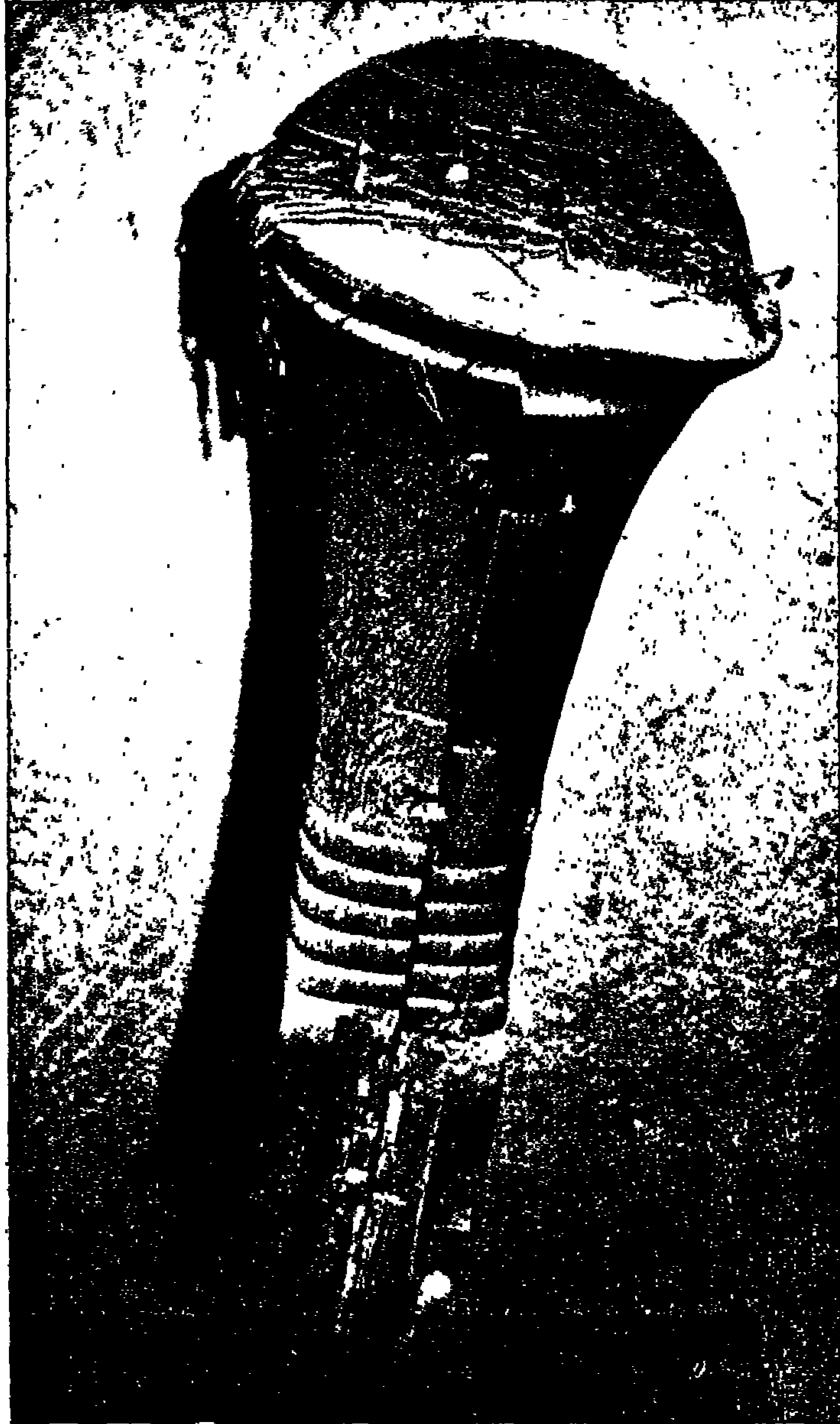
ولا جدال فى أن حفرتى السفينتين المكتشفتين حديثاً إنما صنعتا من أجل « خوفو » . ومن الواضح طبعاً أنهما لم توضعا فى مكانهما وتغلق حفرتاهما إلا بعد موته ،وأن الذى أتم هذا العمل هو الملك الذى حكم من بعده . وعلى كل حجر من الأحجار التى سقفوا بها الحفرة نجد بعض علامات المحاجر أو كتابات أخرى (شكل رقم ٦٢) ، كما كانت العادة فى مصر القديمة . والاسم الملكى الوحيد الذى عثر عليه بين تلك الكتابات هو اسم الملك « رع — ددف » ، وهو الذى تولى العرش بعد أبيه ، وكان من واجبه الإشراف على دفن « خوفو » وإتمام ما لم يتمه من عمائر .

عثر على السفينة المكتشفة حديثاً فى حفرة منحوتة فى الصخر تبعد ١٧٫٨٥ متراً عن قاعدة الهرم ، وطولها ٣١٫٢٠ متراً ، وعرضها ٢٫٦٠ متر ، وعمقها ٣٫٥٠ أمتار ، وكانت مسقوفة بإحدى وأربعين كتلة كبيرة من الحجر الجيرى وكتلة واحدة



(شكل رقم ٦٢ – نماذج من كتابات عمال المحاجر التي كتبوها في سقف حفرة سفينة خوفو بالجيزة .

صغيرة . وطول كل حجر من الأحجار الكبيرة ٨٠ر٤ أمتار وعرضه ٨٥ر٠ متر ، وارتفاعه ٦٠ر١ متر ، ومتوسط الوزن ستة عشر طناً . وكانت أطرافها مرتكزة على شفة خاصة على كل من جانبي الحفرة ، كما وضعوا المونة بين كل حجر وآخر . وعندما بدأ العمال في رفع تلك الأحجار من أماكنها بعد مضي ستة أشهر على هذا الاكتشاف اتضح أن السفينة لم توضع في الحفرة كما هي ، وإنما فككوها قبل وضعها وحاولوا قدر المستطاع وضع أجزائها قريباً من أماكنها الأصلية لتظهر كما لو كانت سفينة كاملة . ولكنهم وضعوا بعض أجزائها ، مثل مقدمتها (شكل رقم ٦٣) ، في الحفرة دون عناية كما ألقوا بأعمدة حجرة السفينة ومجدافيها الكبيرين ، اللذين كانا يستخدمان بدلا من الدفة لتحريكها ذات اليمين وذات الشمال ، والمجاديف الصغيرة الأخرى متناثرة فوق سطحها . وكانت أبواب الحجرة أو الحجرات التي في السفينة موضوعة أيضاً فوق سطحها ،



(شكل رقم ٦٣) مقدمة السفينة .

كما وُضِعت أيضاً بعض ربطات الحبال والحصير (شكل رقم ٦٤) ، كما اتضح أن أخشاب السفينة كانت تثبت بعضها مع بعض بألسنة تعشيق وخوابير خشبية ومسامير عروية ومشابك من النحاس .

وأهم واجب تواجهه مصلحة الآثار المصرية الآن هو واجب المحافظة على هذه السفينة المصنوعة من خشب الأرز ، مع القليل من الأجزاء الصغيرة المصنوعة من خشب الجميز ، وبعض الأخشاب الأخرى من مصرية وأجنبية . وبرنامج العمل يقتضى تقوية كل قطعة من قطع السفينة ، ثم نقلها من مكانها ، وتجميعها معاً ، ووضعها فى مبنى خاص أقيم بين الحفرة التى عثر عليها فى داخلها وبين الضلع الجنوبية من الهرم الأكبر ، ولن يمكن البدء فى الكشف عن السفينة الثانية قبل الانتهاء من عمل جميع الاحتياطات والدراسات .

وفى يناير ١٩٦١ كانت أجزاء السفينة كلها ما زالت موجودة على مقربة من الحفرة فى ذلك البناء الخاص بعد صيانتها كيماوياً للمحافظة عليها . ويعرف القائمون بالعمل فيها الآن مكان كل قطعة فيها ، والسفينة معدة لإعادة تركيبها فى المتحف الخاص الذى سينتهى تشييده على الأرجح فى عام ١٩٦٢(*) . وقد تم تركيب أجزاء السفينة بصفة مؤقتة لمعرفة مقاييسها وها هى ذى مقاييسها النهائية : طولها من المقدمة إلى النهاية ٤٣,٥٥ متراً ، وارتفاعها عند المقدمة ٥ أمتار وعند المؤخرة ٧ أمتار . وتتكون أجزاؤها من ٦٥١ قطعة من الخشب غالبيتها العظمى من أرز لبنان تضاف إليها بضع مئات من قطع صغيرة من الحبال والمسامير والحصير وغير ذلك . كما نعرف الآن أن حجرة كبيرة تحتل وسط السفينة ويحمل سقفها ثلاثة

(*) كان هذا هو المعتقد فى أوائل عام ١٩٦١ ولكن كل شىء ما زال فى مكانه ولم تبدأ مصلحة الآثار فى تشييد المتحف حتى الآن ، فى عام ١٩٦٣ (تعليق : أ . ف .) .





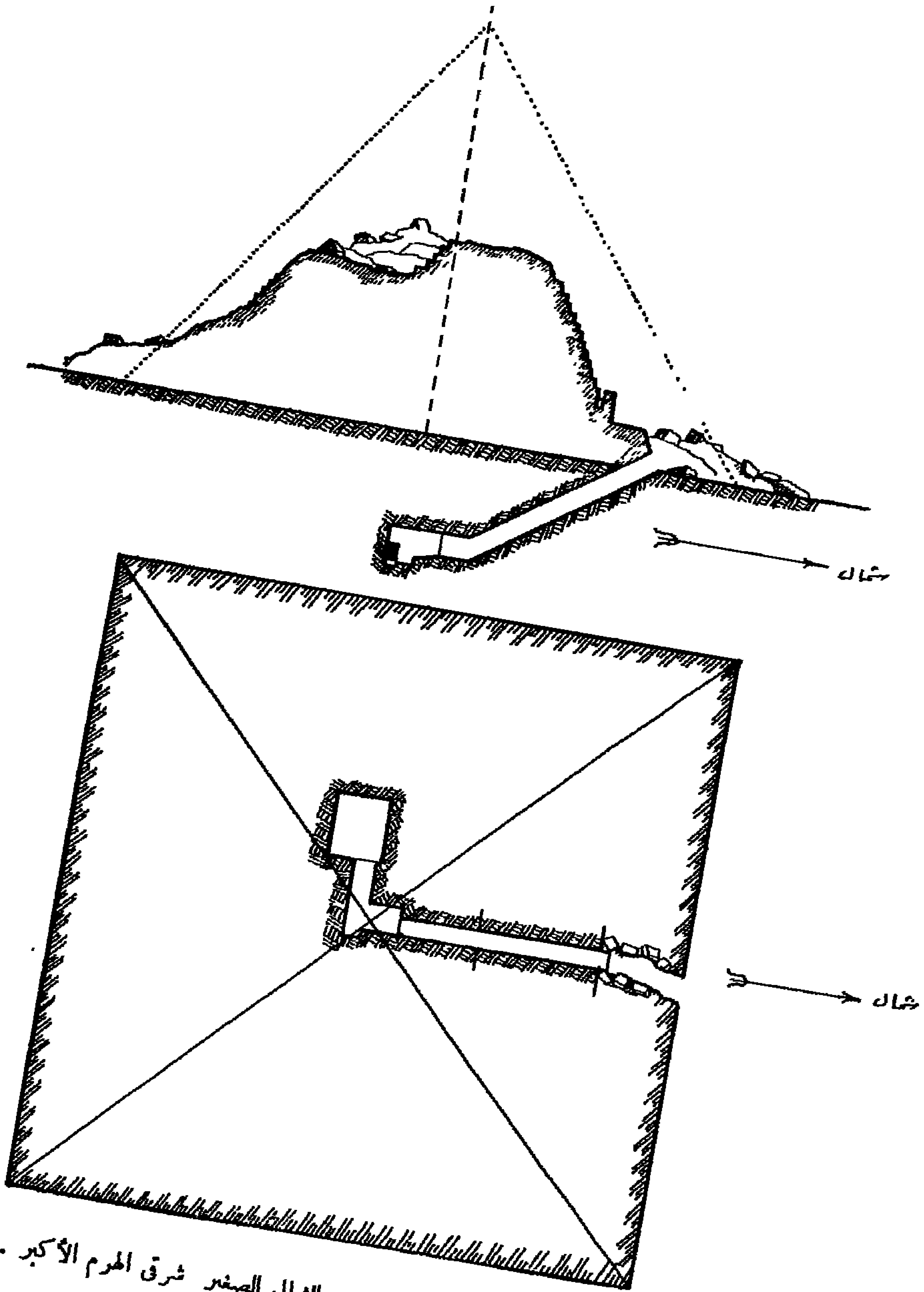
(شكل رقم ٦٤) أجزاء من سفينة « خوفو » التي وضعت مفككة في الحفرة التي أعدت لها .

أعمدة من الخشب تيجانها من النوع المعروف فى الفن المصرى باسم الطراز النخيلى .

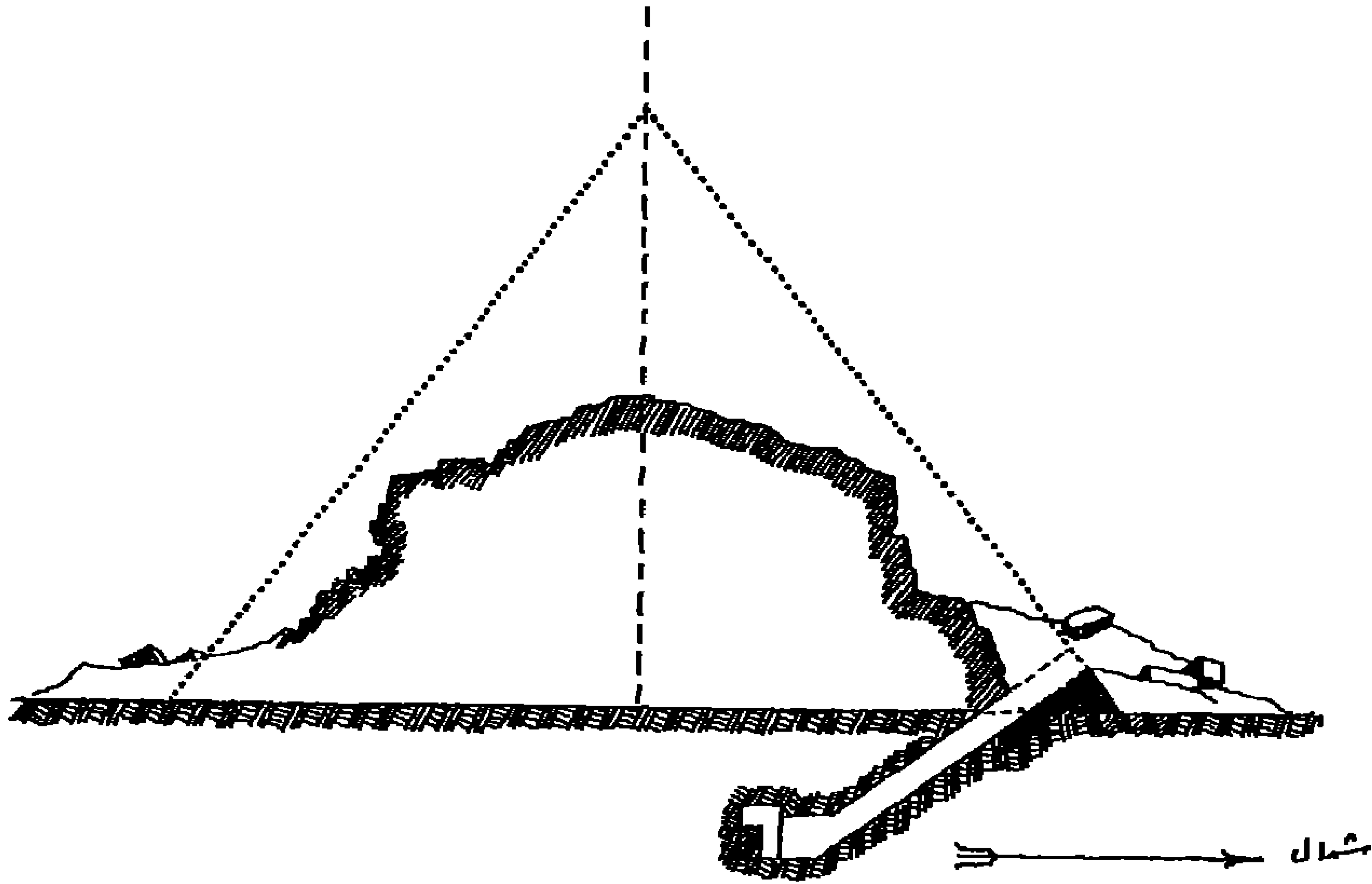
وإلى الشرق من الهرم الأكبر نرى ثلاثة أهرام صغيرة من المحتمل جدا أنها بنيت لتكون مدافن لثلاث من زوجات « خوفو » ، وذلك بالرغم من وجود قصة قديمة تنسب اثنين منها إلى ابنتين له . ذكر لنا « هيرودوت » قصة كانت تروى فى أيامه وهى أن الهرم الأوسط بنته ابنة لخوفو دفعها أبوها إلى الدعارة لتحصل على الأموال اللازمة لإتمام هرمه . وذكر هيرودوت أن تلك السيدة كانت تسأل كل واحد من عشاقها أن يقدم لها حجرا حتى تستطيع بناء هرم لنفسها ، ولا حاجة إلى القول أنه لايوجد أى سند تاريخى لهذه القصة . والهرم الذى فى الطرف الجنوبى من بين هذه الأهرام الثلاثة الصغيرة هو هرم الأميرة « حنوتسن » كما نعرف ذلك من الكتابات التى وردت على لوحة عثر عليها فى معبد إيزيس الذى يوجد إلى جانب هذا الهرم . وبالرغم من أن هذه اللوحة ليست أصيلة بل لوحة « مزيفة » ادعى من كتبها فى العصور المتأخرة أنها صورة من لوحة قديمة ، فربما كانت الإشارة إلى الهرم صحيحة ، فاسم « حنوتسن » اسم عادى من أسماء الدولة القديمة وترجمته « سيدتهم » ، وربما كانت إحدى بنات سنفرو ، وتزوجت من أخيها الشقيق أو غير الشقيق « خوفو » ومن المستبعد جدا أن تكون ابنة له ؛ لأن جميع أولاد الملك ، بما فيهم ابنه الأكبر ، مدفونون جميعا فى مقابر على هيئة المصاطب . ويظهر أن الهرم الشمالى منها وضع تصميمه ليبنى فى مكان يبعد بضعة أمتار إلى الشرق من مكانه الذى يوجد فيه الآن . فقد مهدوا الصخر وبدأوا فى عمل الجزء الذى تحت مستوى سطح الأرض ، ولكن اتضح أن ذلك يتعارض مع تصميم « البئر » التى أرادوا أن يعدوها لإعادة دفن الأثاث الجنازى للملكة « حتب — حرس » ، ولهذا غيروا مكان بناء الهرم قليلا نحو

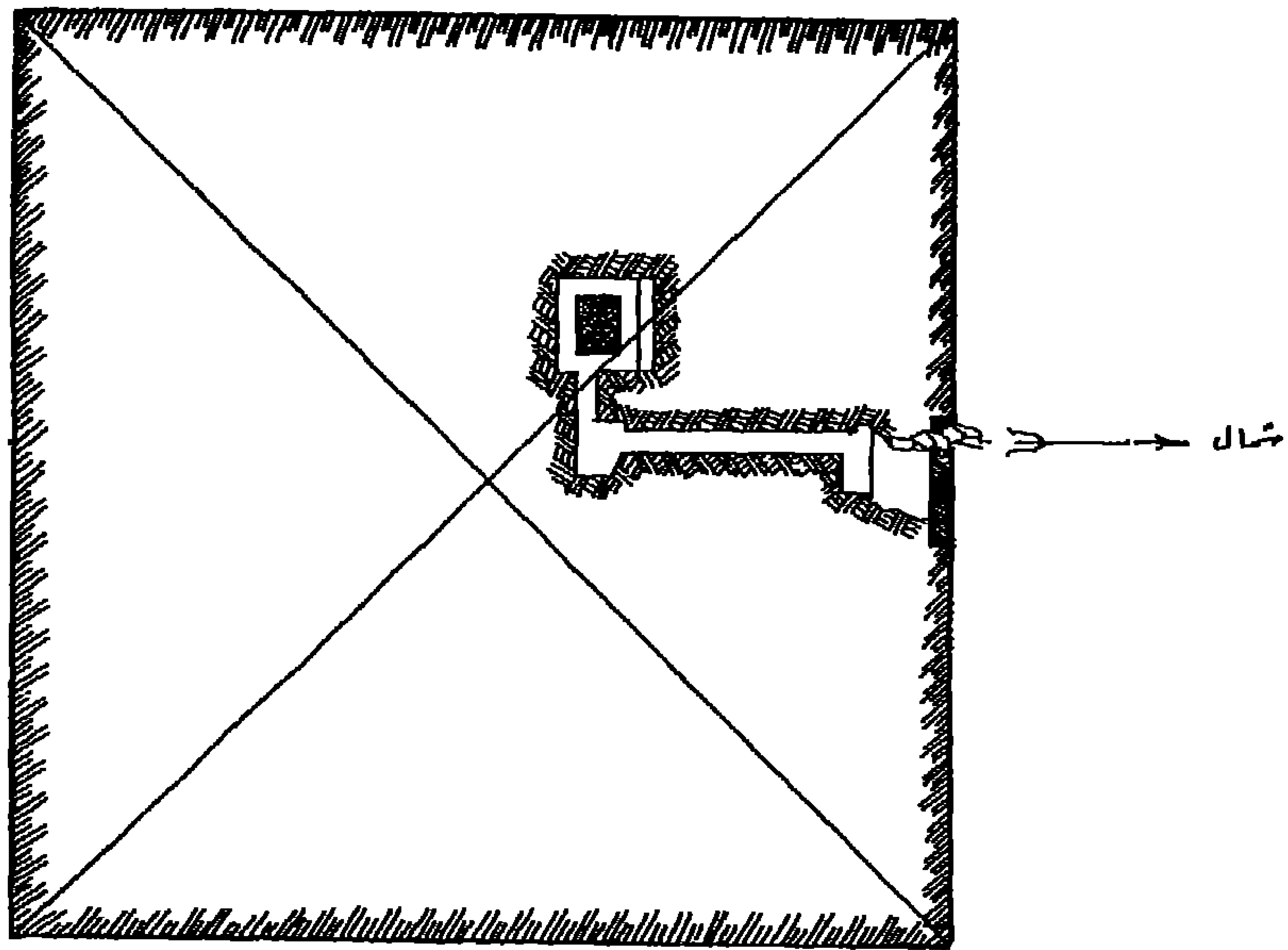
الغرب . وقاعدة هذا الهرم مربعة وطول كل ضلع منها ٤٥ مترا ، أما ارتفاعه الحالى فهو حوالى ٦ أمتار ، وزاويته حوالى ٥١° (شكل رقم ٦٥) . ومدخله فى منتصف الضلع الشمالية وهو فى مستوى أعلى من مستوى الأرض ومسقف بكتلة كبيرة من الحجر الجيرى ، ويؤدى هذا المدخل إلى ممر طوله ١٦٫٥٠ مترا يوصل إلى قاعة بعدها ممر يهبط إلى حجرة الدفن . وفى الجهة الشرقية من هذا الهرم بقايا معبد جنازى ، وفى الناحية الجنوبية منه حفرة كبيرة منحوته فى الصخر أعدت لإيواء سفينة فيها ، ولكن حدث فى عصور تالية أن قام البعض بتحويلها ، على ما يظهر ، إلى مخازن وقسموها إلى أجزاء ، وذلك بتشييد جدران من الطين والأحجار الصغيرة فى داخلها . أما الهرم الأوسط فإنه مشيد من الحجر الجيرى المحلى ، وكساؤه الخارجى من الأحجار الجيرية البيضاء الجيدة ، وما زالت بعض مداميك من هـــذا الكساء الخارجى باقية فى مكانها فى الجهة الشرقية من الهرم . وإذا نظرنا نظرة فاحصة إلى هذا الهرم نستطيع أن نرى بوضوح أنه شيد على طريقة بناء نواة وسطى للهرم ثم إضافة طبقات جانبية إليها ، ونرى فى هـــذا الهرم بالذات ثلاث طبقات منها ، وهو مشيد فوق رصيف من الحجر الجيرى مثل الهرم الشمالى ، وهو مربع القاعدة وطول كل ضلع من أضلاعه ٤٥ مترا ، ولكن ارتفاعه الحالى لا يزيد عن تسعة أمتار ، وزاوية ميله حوالى ٥٢° (شكل رقم ٦٦) . ومدخل هذا الهرم فى الجهة الشمالية منه ، وهو مربع وضلعه نحو متر واحد ، وأجزاؤه الداخلية شبيهة بالهرم الشمالى . وفى الناحية الشرقية منه بقايا هيكل صغير مازلنا نرى فيه المكان المعد لباب وهمى ، كما نرى أيضا حفرة سفينة فى الجهة الجنوبية من الهرم ، وقد نظفت هذه الحفرة فى عام ١٩٥٢ ولكن أعيد ردمها لأنها تعترض الطريق .

والهرم الجنوبى من تلك الأهرام لم يصبه من التخريب ما أصاب الهرمين الآخرين ، وهو مبنى من أحجار جيرية محلية ، وكان له كساء خارجى من الحجر الجيرى الجيد ، ما زالت بعض مداميك منه فى مكانها فى الجهتين



(شكل رقم ٦٥) رسم تخطيطى ومقطع للهرم الشمالى الصغير شرق الهرم الأكبر.





(شكل رقم ٦٦) الهرم الأوسط من الأهرام الثلاثة الصغيرة شرقي الهرم الأكبر .

الشرقية والجنوبية منه . وكان مشيداً على طراز الأهرام ذى الدرجات (المدرجة) نرى ثلاثاً منها واضحة فى بنائه ، وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته المربعة ٤٥ متراً ، وارتفاعه الحالى ١١ متراً ، وزاويته ٥١° (شكل رقم ٦٧) ، أما مدخله وتنظيمه الداخلى فيشبهان الهرمين الآخرين . وعلى يسار الممر الهابط (أى على الجدار الشرقى) نجد كتابة بالإنجليزية نصها « فتح مرة ثانية عام ١٨٣٧ » ، وهذا يشير على ما يظهر إلى عمل « پرنج » و « ڤيز » فى هذه المنطقة .

وفى الناحية الشرقية منه بقايا معبد جنازى وزخرفة تمثل الباب الوهمى و واجهة القصر ، لأن الهرم ، كان هو المنزل الأبدى لتلك الملكة ، وكان فى استطاعه روحها ، من الناحية النظرية ، أن تخرج وأن تعود ثانية عن طريق هذا الباب الوهمى . وفى العصور التالية أصبح هذا المعبد الجنازى نواة لمعبد « إيزيس » الذى أشرنا إليه من قبل . ولم يتم حتى الآن تنظيف الجهة الجنوبية من هذا الهرم حتى نستطيع القول إذا كان يوجد فيها أثر لحفرة سفينة كالهرمين الآخرين أو لا يوجد فيها شىء .

والارتفاع الحالى للهرم الأكبر ١٣٧ متراً ، ولكن ارتفاعه الأصلى كان ١٤٦ متراً ، كما تدل عليه القائمة الحديدية الموضوعة فوق قمة الهرم . وقاعدته مربعة طول كل ضلع منها كان فى الأصل ٢٣٠ متراً (٤٤٠ ذراعا مصرية) ، وزاويته ٥٠′ ٥١° ، أما طول الضلع الآن فهو ٢٢٧ متراً نظراً لنزع أحجار الكساء الخارجى .

وكان يحيط بهذا الهرم رصيف من كتل الأحجار الجيرية ، كما شيدوا جزءاً منه فوق ذلك الرصيف الذى ما زلنا نرى بعض أجزائه فى الجهتين الشمالية والشرقية ، كما نرى أيضاً عدداً من أحجار الكساء الخارجى فى مكانها الأصلى فى الجهة الشمالية على الأخص ، وهى من الأحجار الجيرية

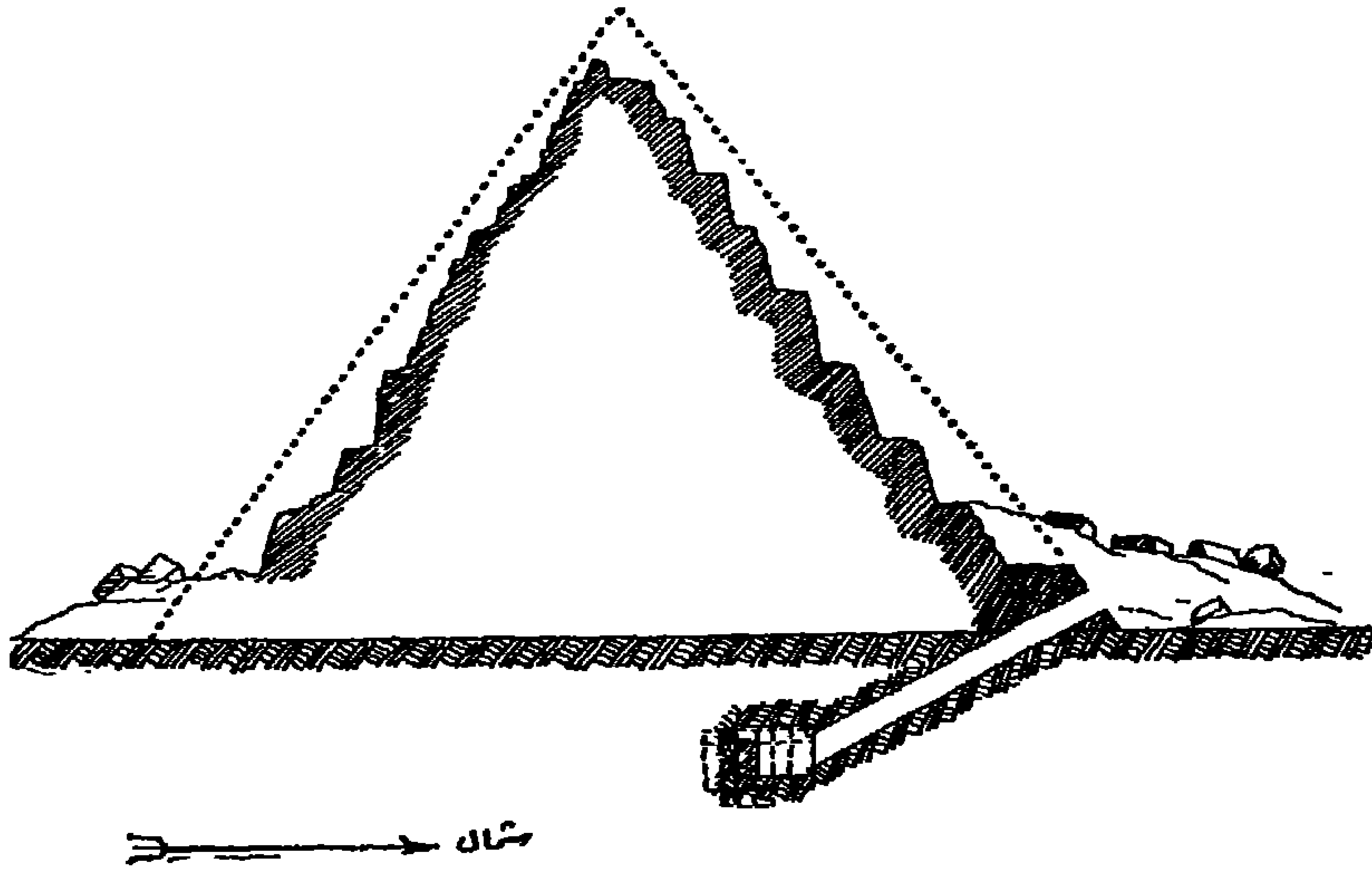
الجيدة ، وتعطينا فكرة عن عناية البنائين القدماء بنحت تلك الأحجار وإتقان وضعها إلى جوار بعضها البعض .

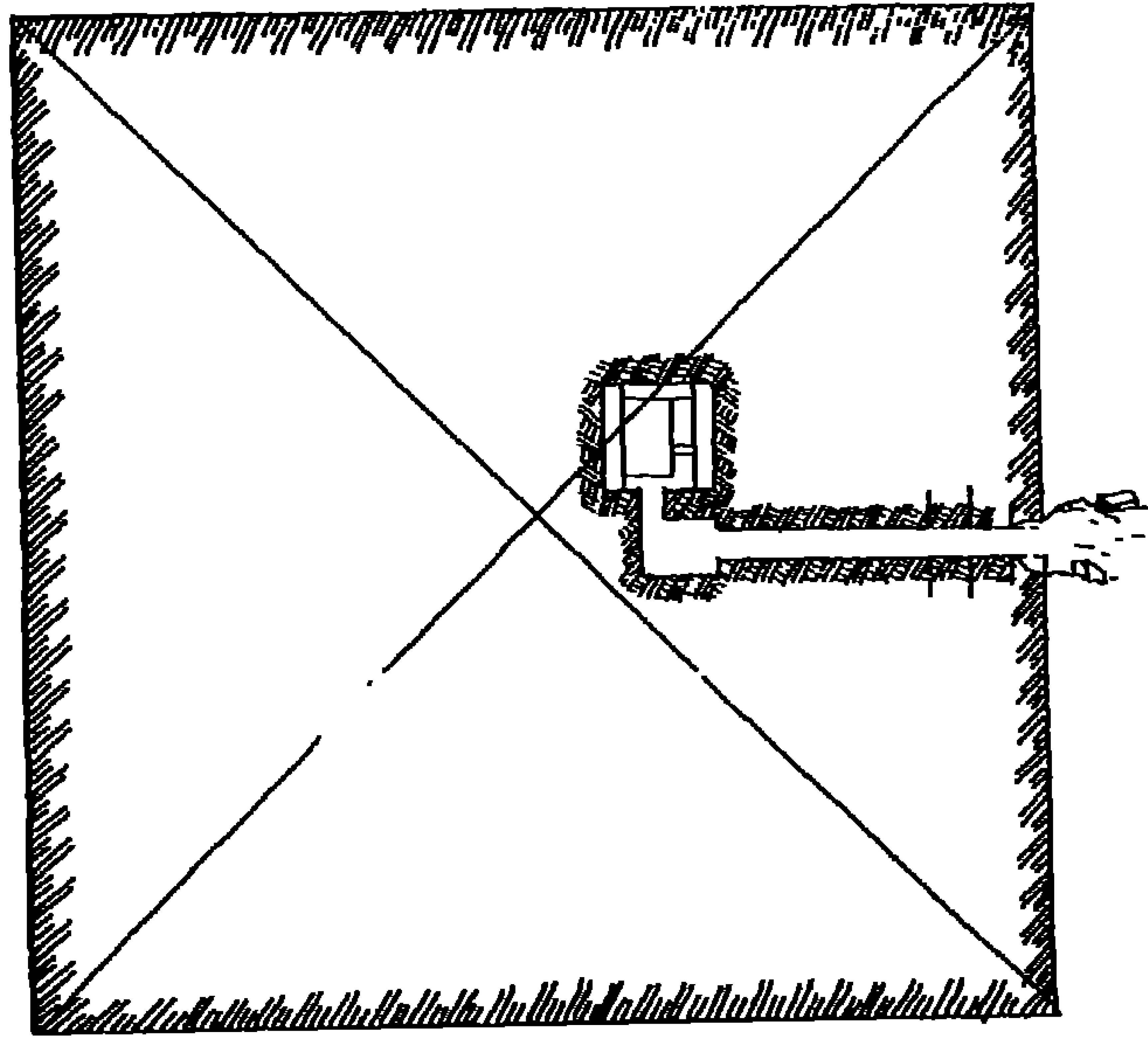
ويتكون صلب بناء الهرم من كتل كبيرة من الحجر الجيرى المحلى الذى استخرجوه من محاجر قريبة فى الهضبة نفسها ، ووضعوها حول وفوق مرتفع صخرى تركوه فى مكانه ولم يجدوا حاجة إلى إزالته . ولا نستطيع تحديد حجم هذا المرتفع الصخرى لأنه مغطى تماماً بأحجار الهرم نفسه ، وقد قدر بعض من عنوا بدراسة هذا الهرم أن عدد أحجاره بما فى ذلك أحجار الكساء الخارجى ، تقرب من ٣٠٠ر٢٠٠٠ كتلة من الحجر ، متوسط وزن كل منها ٥ر٢ طن ، على أن بعضها يزن نحو ١٥ طناً .

ويشعر الكثيرون أنه لا يمكن لأى شخص أن يوفى الهرم الأكبر حقه من الوصف أو يستطيع أن ينقل إلى القارئ فكرة عن حجمه الجبار . وقد قدم لنا بعض المغرمين بالإحصائيات كثيراً من العمليات الحسابية المضنية ليعقدوا مقارنات بين ارتفاعه وحجمه وبين الآثار الأخرى الشهيرة . واستنادا إلى تلك التقديرات نستطيع القول بأن مساحة قاعدة الهرم الأكبر يمكن أن تتسع لمجلسى البرلمان وكاتدرائية القديس بولس فى إنجلترا ، ويبقى منها بعد ذلك مكان كبير غير مشغول . وهناك حسبة أخرى يتضح منها أن المساحة التى تشغلها قاعدة الهرم تكفى لأن تشيد فيها كاتدرائيات فلورنسا وميلانو والقديس بطرس فى روما ، وكذلك كاتدرائية القديس بولس ودير وستمنستر فى لندن .

ولو أننا قطعنا جميع أحجار الهرم إلى أحجار صغيرة ، حجم كل منها قدم مربعة واحدة ، ووضعنا هذه الأحجار كل منها إلى جانب الآخر لأصبح طولها ثلثى طول الكرة الأرضية عند خط الاستواء . وعندما كان نابليون فى مصر حسب أنه يوجد فى الهرم الأكبر ، وما جاوره من أهرام ،

أحجار تكفى لإقامة سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وسمكه متر واحد ، وقد أيد أحد الرياضيين الذين كانوا بين علماء الحملة الفرنسية هذا التقدير الذى حسبه نابليون .





(شكل رقم ٦٧) رسم تخطيطى ومقطع للهرم الجنوبى من الأهرام الصغيرة الثلاثة .

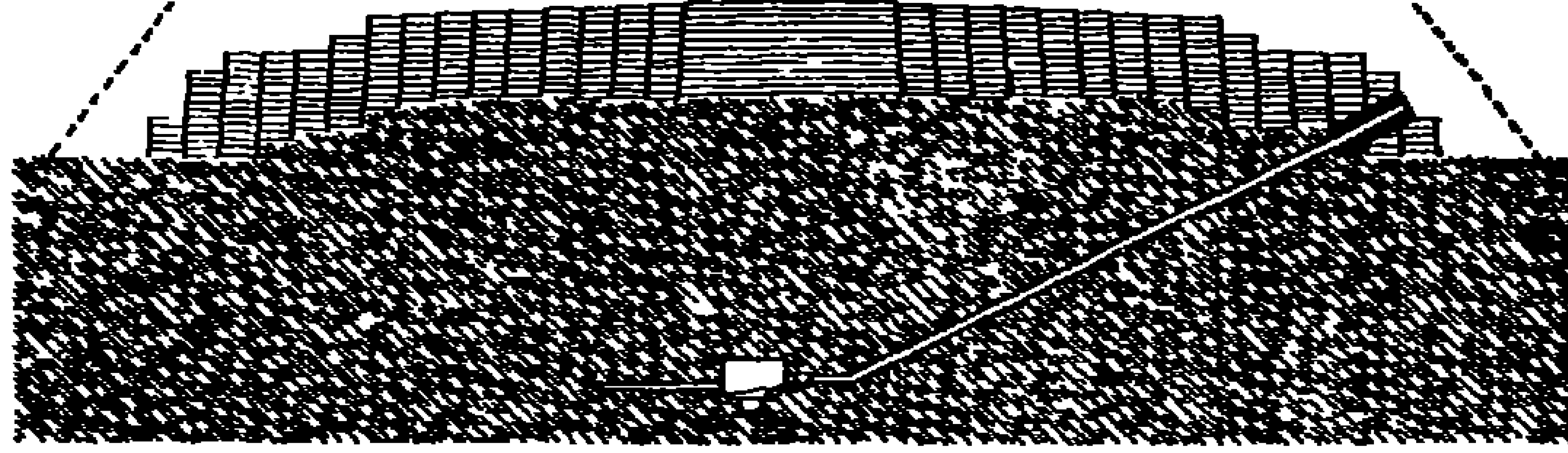
ويقع مدخل الهرم فى منتصف الجهة الشمالية منه (شكل رقم ٦٨) وهو فى المدماك الثالث عشر من الهرم ، ويرتفع نحو ٢٠ متراً عن الأرض . والمدخل غير مستخدم فى الوقت الحاضر ، وله سقف جمالونى مثلث مبنى بكتل ضخمة من الحجر الجيرى المحلى ويؤدى إلى ممر طويل منحدر[٧] .

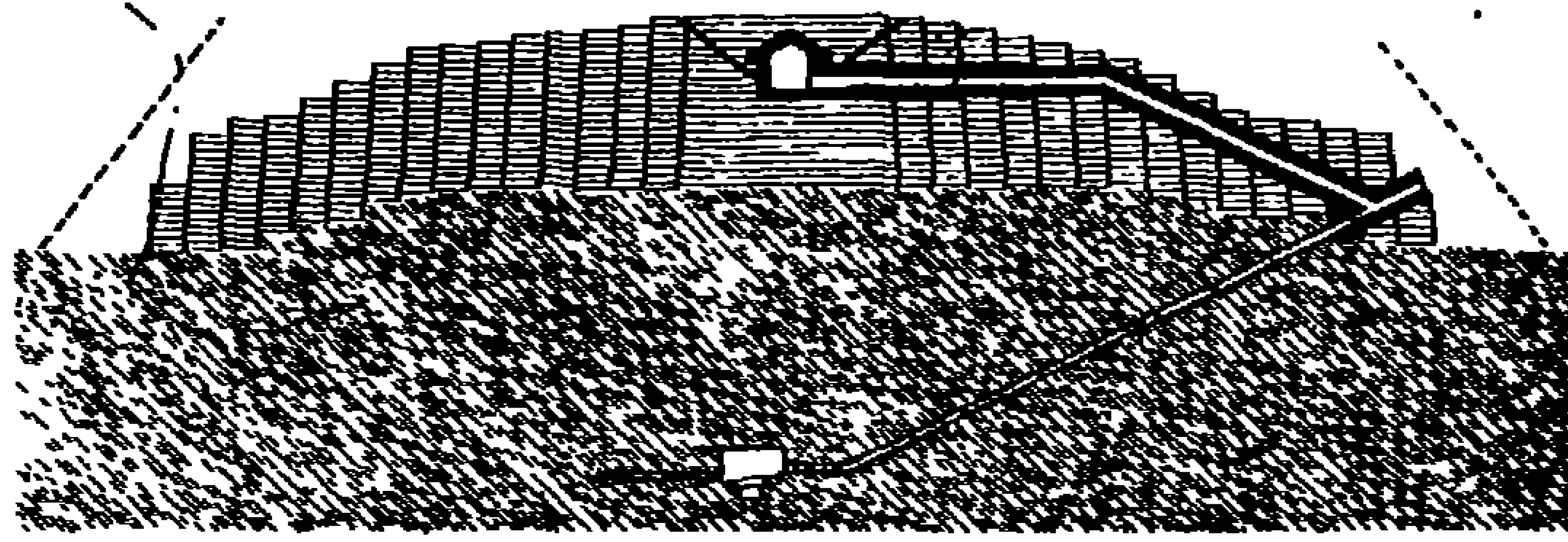
ويدخل زائر الهرم الآن من الممر المعروف باسم « مدخل المأمون » « أو ثقب المأمون » وهو الكسر الذى أحدثه عمال هذا الخليفة فى القرن التاسع الميلادى للوصول إلى داخله ، وقد قطعوه فى المدماك السادس وهو أوطأ من المدخل الأصلى ، ثم ينحرف قليلا إلى جهة الغرب ، وبعد مسافة قدرها ٣٦ متراً يتصل هذا الممر بالممر الأصلى والممرات الأخرى للهرم (شكل رقم ٦٨) .

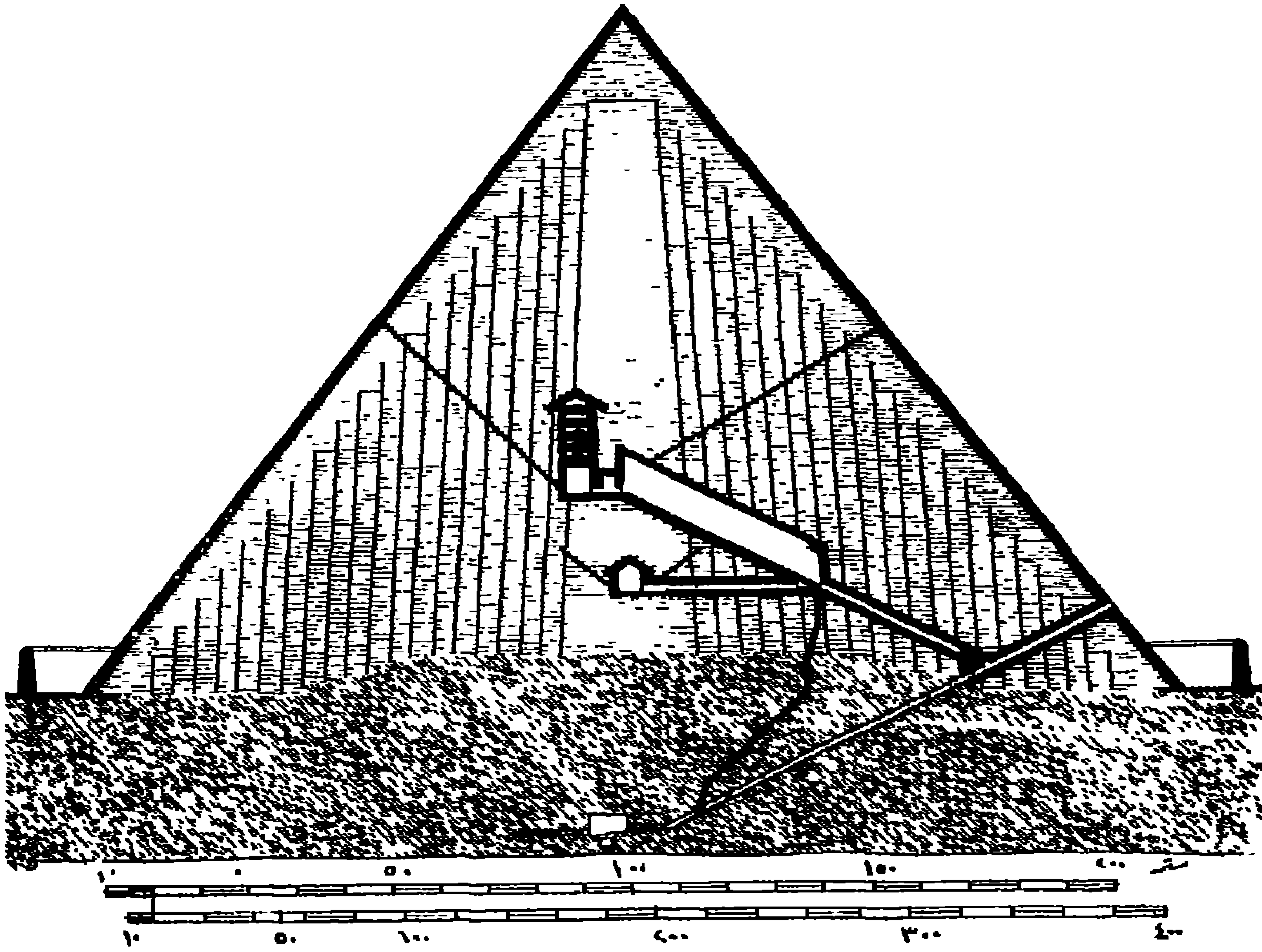
ويستمر الممر الأصلى فى انحداره إلى أسفل بزاوية مقدارها ٢٨° حتى يصل إلى حجرة فى الصخر لم ينته العمال القدماء من إتمام العمل فيها (شكل رقم ٦٨) ، وهذه الحجرة هى حجرة الدفن الأصلية التى أعدت فى التصميم الأول للهرم ليدفن فيها الملك . ويعتقد علماء الدراسات المصرية بوجه عام أنه حدثت فى تصميمات الهرم عدة تغييرات أثناء تشييده . كان تصميمه الأصلى أن يكون حجمه أقل مما أصبح عليه فيما بعد ، ولكن البنائين قرروا أن يزيدوا من حجمه قبل أن ينتهوا من العمل فى حجرة الدفن . ولهذا السبب بنوا ممراً صاعدا طوله ٣٦ متراً وارتفاعه يزيد قليلا على متر واحد ويوصل هذا الممر إلى ممر آخر أفقى طوله ٣٥ متراً وارتفاعه ١٫٧٥ متر ، وينتهى بما يسميه الناس خطأ باسم « حجرة الملكة » (شكل رقم ٦٨ الوسط) . ولكن الحقيقة أن هذه الحجرة ليست إلا حجرة الدفن الخاصة

---

(٧) إلى شمال المدخل يوجد نقش بالهيروغليفية ، وهو غير قديم وإنما قام بتأليفه العالم الأثرى الألمانى « لپسيوس » مسجلا زيارة بعثته للهرم الأكبر بمناسبة يوم عيد ميلاد ملك پروسيا .







(شكل رقم ٦٨) مقطع للهرم الأكبر تتضح فيه التغييرات التي حدثت في تصميم بنائه .

بالملك فى التصميم المعدل . وفى نقطة تقاطع الممر الصاعد بالممر الأفقى توجد فوهة « بئر » تنزل عمودية فى بعض الأحيان ، وفى زاوية منحدرة جداً أحياناً أخرى ، إلى عمق مقداره ستون متراً إلى أن يصل إلى القسم الأسفل من الممر الهابط . والمعتقد أنه عمل ليكون بمثابة طريق لخروج العمال الذين كانوا مكلفين بملء الطريق الصاعد بالأحجار الضخمة بعد دفن الملك(٨) ؛ إذ أنه متى أسقطوا المتاريس الحجرية فى أماكنها المعدة فإنها تسد الممر الصاعد سدا تاماً ، وفى هذه الحالة يصبح العمال محبوسين لا يستطيعون الخروج لو لم يكن أمامهم مثل هذه البئر . وحجرة الدفن الثانية المسماة بحجرة الملكة مبنية كلها بالحجر الجيرى وهى ٥٫٢٠ × ٥٫٧٠ متراً وأقصى ارتفاع لسقفها الجمالونى المثلث حوالى ١٥ متراً . وفى كل من الحائطين الشمالى والجنوبى نجد فتحة صغيرة لا تزيد عن بضعة سنتيمترات مربعة على ارتفاع متر واحد تقريباً من أرضية الحجرة . وهاتان الفتحتان توصلان إلى مسلكين أو ممرين ضيقين جداً كان المفروض أن كلا منهما يستمر فى بناء الهرم بأكمله حتى يصل إلى خارجه ، ولكن الفتحتين الخارجيتين لهذين المسلكين أصبحت الآن داخل بناء الهرم نفسه نظراً لما طرأ من تعديل عند تكبير حجم الهرم .

ويسمى هذان المسلكان عادة باسم « مسلكا الهواء » ولكن الغالبية الكبرى من المشتغلين بالدراسات المصرية يؤمنون بأن لها هدفاً دينيـًّا متصلا بروح الملك .

وفى الجدار الشرقى من هذه الحجرة « نيشة » أو كوة كبيرة ذات سقف متدرج ، وفى الجدار الخلفى لهذه الكوة نجد ممراً قصيراً يؤدى إلى نفق صاعد ، موصل إلى ردهة أمام حجرة الدفن العلوية ، وهذا الممر والنفق ليسا أصليين وإنما من عمل الباحثين عن الكنوز فى العصور المتأخرة ؛

---

(٨) عثر ديفيسون Davison على هذه البئر فى عام ١٧٦٣ .

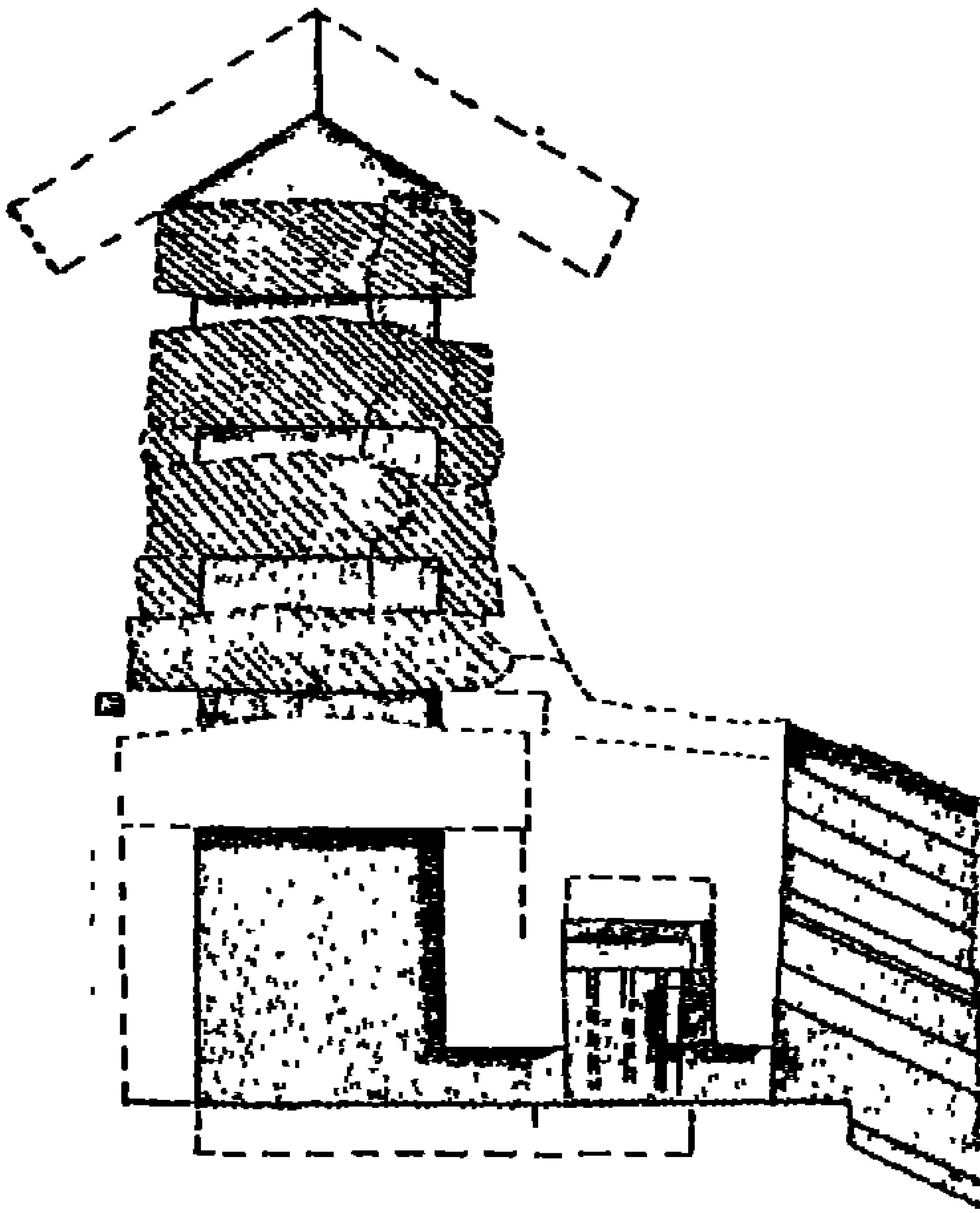
وبعد الانتهاء من بناء حجرة الدفن الثانية غيَّر بناة الهرم تصميم بنائه مرة أخرى ، فقد زادوا من حجمه وبنوا حجرة دفن ثالثة أعلى من الحجرتين السابقتين . بعد أن يصل الزائر إلى هذه الحجرة يعود أدراجَه إلى بدء الممر الأفقى ، ويصل إلى البهو الكبير الذى يصعد إلى المقر الأخير للملك « خوفو » ، وهذا البهو العظيم هو أجمل وأفخم ما يمكن أن يراه زائر فى داخل أى هرم من الأهرام (شكل رقم ٦٩) ، وطول هذا البهو ٤٧ متراً وارتفاعه ٨ر٥٠ أمتار ، وله سقف متدرج وفى وسط أرضيته جزء غائر عمقه ٦٠ سنتيمتراً وعلى جانبى الجزء الغائر أى فى أرضية الجزئين المرتفعين على الجانبين نجد ثقوباً مستطيلة الشكل ، ربما عملت هنا لاستخدامها لتثبيت العروق الخشبية التى تسند المتاريس الحجرية التى كانت تغلق هذا البهو .

وفى الجزء الأعلى من الحائط الجنوبى ، أى فى نهاية الجزء الأعلى من البهو الكبير ، نرى فتحة صغيرة تؤدى إلى ما يمكن أن تسميه الحجرة السفلى من الحجرات الخمس الصغيرة المشيدة فوق بعضها البعض لتخفيف ضغط الجزء الأعلى من بناء الهرم على حجرة الدفن التى تقع تحتها (شكل رقم ٧٠) . وكل حجرة منها مبنية بكتل الحجر الجيرى ومسقفة بالجرانيت وارتفاعها نحو متر واحد فقط ، وفى هذه الحجرات نجد كتابة من كتابات المحاجر مذكورا فيها العام السابع عشر من حكم « خوفو » ، مما يدل على وصول مرحلة العمل فى هذا المكان فى ذلك التاريخ ، وهذه الكتابات هى الوحيدة التى عثر عليها فى داخل هذا الهرم وعليها اسم الملك « خوفو » .

وينتهى البهو الكبير عند ممر أفقى مبنى بأحجار الجرانيت طوله ٨ر٤٠ أمتار وارتفاعه ٣ر١٠ أمتار ، تتخلله ثلاث فتحات أعدت للمتاريس التى تغلق الدهليز المؤدى إلى حجرة الدفن وما زال جزء من واحد منها فى مكانه حتى الآن . وفى الجدار الجنوبى عدد من الثقوب الرأسية يفسرها البعض



(شكل رقم ٦٩) البهو الكبير



(شكل رقم ٧٠)
مقطع فى غرفة الملك والحجرات الخمس لتخفيف الضغط فوقها ، الهرم الأكبر بالجيزة

بأنها كانت مستخدمة فى رفع وإنزال كتل المتاريس(٩) . وفى آخر هذا الدهليز نجد الحجرة التى يطلق عليها اسم « غرفة الملك » وأحجار جدرانها وأسقفها وأرضيتها من الجرانيت الأحمر ، ومقاييسها ٢٠ر٥ × ٨٠ر١٠ أمتار ، وارتفاعها ٨٠ر٥ وسقفها مستو ومكون من تسعة أحجار ضخمة وزن كل منها ٥٠ طناً تقريباً . وفى الجزء الغربى من هذه الحجرة نرى صندوق تابوت من الجرانيت لا غطاء له ، وهو مصقول صقلا طيباً ولكنه خال من النقوش ، وفى كل من الحائطين الشمالى والجنوبى من هذه الحجرة « مسلك هواء » ما زال واحد منهما يعمل حتى الآن ويساعد على وصول الهواء النقى إلى هذه الحجرة .

ولا نستطيع أن نطلق على أى مكان محدد فى هذا الهرم اسم مخزن ، يستوى فى ذلك حجراته أو أبهاؤه أو دهاليزه وممراته . ولا جدال فى أن بعضاً منها قد احتوى فى يوم من الأيام على الأثاث الجنازى للملك وعلى انية الطعام ، وقد سرقت كلها منذ آلاف السنين ولم يعثر الأثريون فى العصر الحاضر على أى شىء داخل هذا الهرم .

ويتساءل معظم زائرى الهرم الأكبر ، والدهشة تملك عليهم نفوسهم ، كيف بنى هذا الهرم ! فلو طلبنا من المهندسين المعماريين الآن أن يشيدوا هرماً مثله تماماً فمن المرجح أنهم سيتراجعون ويحجمون ، بالرغم مما يتيسر لهم الآن من الآلات ، والأجهزة الحديثة ، واستفادتهم من تجارب مدة تقرب من خمسة آلاف سنة .

وهناك نظريات عدة عن طريقة بناء هذا الهرم ،بعضها يختلف عن بعض :

---

(٩) من يريد الاطلاع على دراسة خاصة بشأن هذه المتاريس والطريقة التى اتبعها المصريون القدماء فى استخدامها فيرجع إلى :

BORCHARDT, *Einiges zur dritten Bauperiode der grossen Pyramide bei Gise* (*Cairo*, 1932). pp. 7 ff; Plates 3-5, 10.

وهاهى ذى الفقرات التى دونها هيرودوت بالتفصيل ، وقد استقاها على الأرجح من الكهنة المصريين الذين كانوا يعيشون حول الهرم :

« وقال الكهنة إنه حتى زمن وفاة « رامبسينيتوس Rhampsinitus » كانت مصر محكومة حكما طيبا وازدهرت ازدهارا كبيرا ولكن جلس بعده على العرش « خيوبس » (خوفو Cheops) الذى انغمس فى جميع وسائل الشرور فأغلق المعابد ومنع المصريين من تقديم القرابين فارضا عليهم ، جميعا فرداً فرداً ، أن يكدوا فى العمل من أجله . كان يفرض على بعضهم جر كتل من الأحجار من المحاجر فى سلسلة تلال الصحراء العربية (أى الشرقية) حتى شاطئ النيل ، وكان على البعض الآخر تسلم هذه الأحجار بعد نقلها فى السفن عبر النيل وجرها إلى سلسلة التلال المسماة التلال الليبية . كان يقوم بهـذا العمل بصفة مستمرة مائة ألف شخص يعملون لمدة ثلاثة أشهر ثم يحل غيرهم فى مكانهم . وقد احتاج بناء الطريق الصاعد الذى استخدموه فى نقل الأحجار (إلى أعلى الهضبة) إلى عشرة أعوام من ظلم الناس ، وهو عمل لا يقل فى رأيى عن بناء الهرم نفسه . وطول هذا الطريق الصاعد نصف ميل ، وعرضـه ٦٠ قدما : وارتفاعه فى أعلى مكان فيـه ٤٨ قدماً ، وهو مشيد من الأحجار المنحوتة ومغطى بنقوش تمثل الحيوانات ، وقد استغرق هذا العمل ، كما قلت ، عشر سنوات ، وذلك لعمل الطريق الصاعد والأعمال فوق الهضبة التى شيدوا عليها الهرم ، والحجرات التى تحت سطح الأرض التى أراد خوفو أن يستخدمها كخزائن لأغراضه الخاصة . وكانت هذه الحجرات مشيدة فوق ما يشبه الجزيرة ويحيط بها المـاء الذى أتوا به من النيل بوساطة قناة . واستغرق بناء الهرم نفسه عشرين عاما ، وهو مربع القاعدة ؛ وطول كل ضـلع ٨٠٠ قدم وارتفاعه مثل هذا القدر ، ومبنى كله بأحجار منحوتة ومصقولة الجوانب ، ومثبتة إلى بعضها البعض بدقة وعناية فائقة ، ولا يقل طول أى حجر من الأحجار المشيد بها الهرم عن ٣٠ قدما .

شيدوا هـذا الهرم على درجات ، ووضعوا أحجاره بالطول والعرض ، وبعد أن أتموا وضع الأحجار اللازمة لبناء القاعدة كانوا يرفعون الأحجار

الأخرى بوساطة آلات مكونة من عروق قصيرة من الخشب وكانت الآلة الأولى ترفع الأحجار إلى أول الدرجة الأولى ، وعلى هذه الدرجة كانت توجد آلة أخرى ترفع الحجر عند وصـوله إليها ، ثم ترفعه إلى الدرجة الثانية حيث توجد آلة ثالثة ترفعه أيضاً إلى درجة أعلى .

ولهـذا فإما أنه كان لديهم عدد من الآلات مماثل لدرجات الهرم ، وإما أنه كانت لديهم آلة واحدة من الممكن تحريكها بسهولة ، ينقلونها من مدماك إلى مدماك عند رفع الحجر ، وقد ذكروا لى الأمرين ، ولهذا السبب فإنى أذكر كلا منهما . وقد انتهوا من إتمام الجزء الأعلى من الهرم أولا ثم الجزء الأوسط ، وأخيراً الجزء الواقع تحتها كلها وأقربها إلى الأرض .

وهناك نقش على الهرم مكتوب بالكتابة المصرية يسجل كميات الفجل والبصل والثوم التى استهلكها العمال اللذين شيدوه ، وأذكر جيداً أن المترجم الذى قرأ لى هذه الكتابة قال إن المال الذى صرف فى هـذا السبيل كان ١٦٠٠ « طالنت » (وزنة) من الفضة(١٠) . فإذا كان هذا الرقم صحيحا فكم من الأموال أنفقوها على الآلات الحديدية التى استخدموها فى العمل ، وكذلك فى إطعام وكساء العمال إذا وضعنا فى أذهاننا طول الزمن الذى استغرقه العمل ، والوقت الإضافى ، وهو غير قصير على ما أتصور ، الذى استغرقه قطع الأحجار من المحاجر ، ونقلها وبناء الأماكن التى تحت سطح الأرض »(١١) .

نفهم مما ذكره « هيرودوت » أن الوقت الذى تطلبه بناء الهرم الأكبر والطريق الصاعد إليه كان ثلاثين عاما ، عشرة منها للطريق الصاعد وعشرون للهرم نفسه ، ولكن النصوص القديمـة تذكر أن « خوفو » حكم ثلاثة وعشرين عاما فقط . ويلوح أن أحد الأدلاء الجهلة خدع « هيرودوت » فى بعض الموضوعات مثل ترجمة النص الذى رآه منقوشاً على الهرم .

---

(١٠) كان هذا المترجم الذى ذكر تلك الأرقام لهيرودوت لا يختلف عن كثير من أحفاده الأدلاء الذين كثيراً ما نراهم يقفون أمام النصوص الهيروغليفية ويذكرون للسائحين ترجمة من محض خيالهم .

(١١) G. Rawlinson, *The History of Herodotus* II, 177—79.

ويفهم قارىء نص « هيرودوت» أن جميع أحجار الهرم قد جيء بها من الضفة الشرقية للنيل ، وأنهم حملوها فى سفن عبرت بها النهر . ولكنا نعلم تماماً أن الهرم ذاته مشيد من الحجر الجيرى المحلى ، أى المأخوذ من الهضبة نفسها ، ولم يستخدموا فى بنائه أحجارا من محاجر الضفة الشرقية إلا تلك الأحجار الجيرية البيضاء الجيدة النوع التى بنوا بها الكساء الخارجى للهرم .

أما عن الخزائن التى تحت سطح الأرض والتى تحيط بها المياه الآتية من النيل ، فأمر لا ظل له من الحقيقة . ففى أيامنا الحالية ، ومع ارتفاع منسوب المياه الجوفية ، فإن الرطوبة لا تصل أبداً إلى الجزء الواقع تحت مستوى سطح الأرض فى داخل الهرم ، كما أن ارتفاع الهرم لم يكن فى أى يوم من الأيام مساويا لطول ضلع قاعدته وذلك بالرغم من أن الرقم الذى ذكره هيرودوت عن طول ضلع القاعـــدة صحيح إلى حد ما .

والآن وقد عرفنا كل هذه المعلومات الخاطئة فإلى أى حد يمكننا تصديق ما ورد عن نظرية « الآلات الخشبية » فلو فرضنا جدلا أنهم عرفوا وجود تلك الآلة ، وأنهم استخدموا واحدة منها يحركونها من مدماك إلى آخر فإن الوقت الذى يحتاج إليه تحريكها يزيد كثيراً على العشرين السنة التى ذكرها « هيرودوت » ، وإذا كانت هناك آلات لكل مدماك ، ولكل حجر ، فإن عملها يحتاج إلى كميات من الخشب لا نستطيع أن نتصور مقدارها . ولكن بالرغم من كل ذلك فإن بعض العلماء المحدثين ينظرون إلى هذا التفسير نظرة جدية ، وحاولوا أن يضعوا إيضاحات عن نوع الآلة التى يحتمل أن يكون قد استخدمها قدماء المصريين .

وكتب « ديودورس » أن الطريقة التى بنى بها الهرم هى طريقة الجسور أو الطرق الصاعدة ، وهذه هى أقرب النظريات إلى العقل وقد حبذها

المعارى « سومرز كلارك » Somers Clarke والمهندس « ر . انجلباك » R. Engelbach فى كتابهما عن فن البناء فى مصر القديمة عندما ناقشا مشكلة بناء الهرم وقبلا نظرية إمكان استخدام الطرق الصاعدة ، سواء الطرق الصاعدة الطويلة العريضة التى كانت تستخدم لإمداد العمل بالأحجار والمواد الأخرى ، وكانت زاوية انحدارها بسيطة ، أو الطرق الصاعدة القصيرة الطول الشديدة الانحدار التى كان يستخدمها عمال البناء لإحضار المواد الأخف وزناً(١٢) ، ولكن المؤلفين يحذران القارئ بأن ما كتباه فى هذا الموضوع لا يمكن اعتباره دراسة كاملة نهائية عن المشاكل الكثيرة التى لا يمكن تفسيرها ، وإنما هى مقدمة تمهيدية يحتمل أن يحدث فيها تعديلات كثيرة فى المستقبل .

وحدث بالفعل أن الكشف عن الهرم الناقص للملك « سخم — خت » فى سقارة منذ سنوات قليلة ، قد أثبت فوق كل شك أن ذلك الهرم قد بنى بمعونة الطرق الصاعدة ، التى ما زالت باقية هناك حتى الآن . وقد سبق أن ذكرنا أن كل ما بقى من مبنى ذلك الهرم الذى شيد فى عصر أقدم من عصر الهرم الأكبر مدفون فى أكوام الرديم .

ومما يستحق الذكر أن الطريق الذى يصعد فوقه زوار هرم الجيزة فى الناحية الشمالية من الهضبة ليس إلا جسراً مكونا من الرديم الذى تبقى مما تخلف عن العمل ، وكذلك الجزء الذى على حافة الهضبة فى الناحية الشرقية إلى الشمال من الطريق الصاعد الخاص بالهرم الأكبر . ولا يستطيع الإنسان أن يمسك نفسه عن الميل إلى الاعتقاد بأن ذلك الطريق الحديث الذى نسير

---

(١٢) S. Clarke and R. Engelbach, *Ancient Egyptian Masonry: The Building Craft*, pp. 117—29.

عليه الآن ليس إلا واحداً من تلك الجسور التى كانت مستخدمة أثناء العمل فى الهرم لجلب الأحجار ومواد البناء الأخرى ، وما زالت هناك أيضاً بقايا جسر صاعد آخر على مسافة طويلة من الجهة الجنوبية من الطريق الصاعد وقد بنيت فوقه بعض منازل القسم الغربى من بلدة نزلة السمان .

والهرم الأكبر كان ، وما زال مصدر إلهام للكثير من المفكرين ، كما تسبب أيضاً فى وجود كثير من النظريات الباطنية ونظريات الأسرار الخفية والنظريات الخاصة بمعرفة الغيب والتنبؤ بما سيحدث فى المستقبل ، كما كان عبدة النجوم فى العصور الوسطى يعقدون اجتماعاتهم داخله وكانوا يعتبرونه مصدر حكمة لهم . وفى أواخر القرن الماضى كتب « پيازى سميث » Piazzi Smyth كتاباً أسماه « ميراثنا فى الهرم الأكبر » Our Inheritance in the Great Pyramid ومنذ ذلك الوقت كثر ظهور كتب عن هذا الهرم من النوع الذى نحا فيه كاتبوه إلى العقائد الخفية والتنجيم والعلوم الروحية ، وكلها تدور حول هذا الهرم بالذات .

وهرم « خوفو » ، أى هرم الجيزة الأكبر ، وحده دون سائر الأهرام هو الذى استرعى أنظار من يطلق عليهم بعض الناس اسم مجانين ، أو عشاق الهرم ، لأنهم يجدون فى أبعاد ممراته وحجراته أساساً لنظريات كثيرة تفسر أو تتنبأ بحوادث ذات أهمية تاريخية ، إلى درجة أن بعضهم ادعى أنه استطاع أن يجد فى داخل الهرم الأكبر تسجيلا لما ورد فى كل من التوراة والإنجيل بل وصل الأمر بأحدهم أنه قال إنه توصل من حسابات قام بها إلى معرفة تاريخ مولد السيد المسيح ، لأن هذا مسجل فى داخل الهرم . ويعتقد بعض أولئك المتحمسين أن الهرم لم يبن ليحتوى على تنبوءات فحسب ، بل إنه بنى ، وكان بناؤه المعجز ، بوساطة أسرار لا نعرفها الآن ، وإنه من

الممكن شفاء بعض الأمراض بوساطة الإشعاع أو الأحوال الجوية الخاصة في أجزاء من ممراته(١٣) .

والشيء الوحيد الذى يتفق عليه كل الذين يؤمنون بتلك النظريات هو أن هذا الهرم لم يبن ليكون قبرا للملك « خوفو » ، ويقدمون جميع أنواع التفسيرات للغرض من بنائه اللهم إلا التفسير الصحيح الذى يؤمن به الأثريون . وبالرغم من أن أكثر من واحد من علماء الدراسات المصرية القديمة فند بشدة جميع هذه الآراء والنظريات الغريبة فإن أشخاصا كثيرين ما زالوا يؤمنون بها . لقد أثبتت البحوث الأثرية إثباتا قاطعا قويا أن الهرم الأكبر ليس إلا مقبرة أقيمت ليدفن فيها الملك « خوفو » ، وكل ما نجده فى هذا الهرم من دهاليز ، أو أبهاء ، أو حجرات ، إنما يتمشى مع تطور العمارة المصرية فى عصورها القديمة ، كما أن أحجام أحجارها أو مقاييسها ليست لها أى علاقة بحوادث حدثت فى أيام أو عصور بعد تشييد ذلك الهرم . ولا يستطيع أى أثرى أن ينكر أننا لم نستطع حتى الآن حل جميع المشاكل المتعلقة بهذا الهرم ، أو طريقة بنائه ، ولكن هـــذا النقص فى معلوماتنا لا يمكن أن يجعلنا نصرف النظر عن الأدلة الأثرية التى تقوم على أسس وثائق صحيحة واضحة .

والحقائق وحدها كافية كل الكفاية لتجعلنا نطأطئ الرأس إعجابا بهذا الأثر . فالهرم الأكبر هو أعظم مقبرة فى العالم أجمع بنيت لتكون قبرا لفرد واحد ، كما أنه أشهر بناء أثرى فى الدنيا كلها ، ولم يحدث قبل أيام « خوفو » أو بعد أيامه أن يبنى لملك مثل هذا المستقر الأبدى الفخم .

---

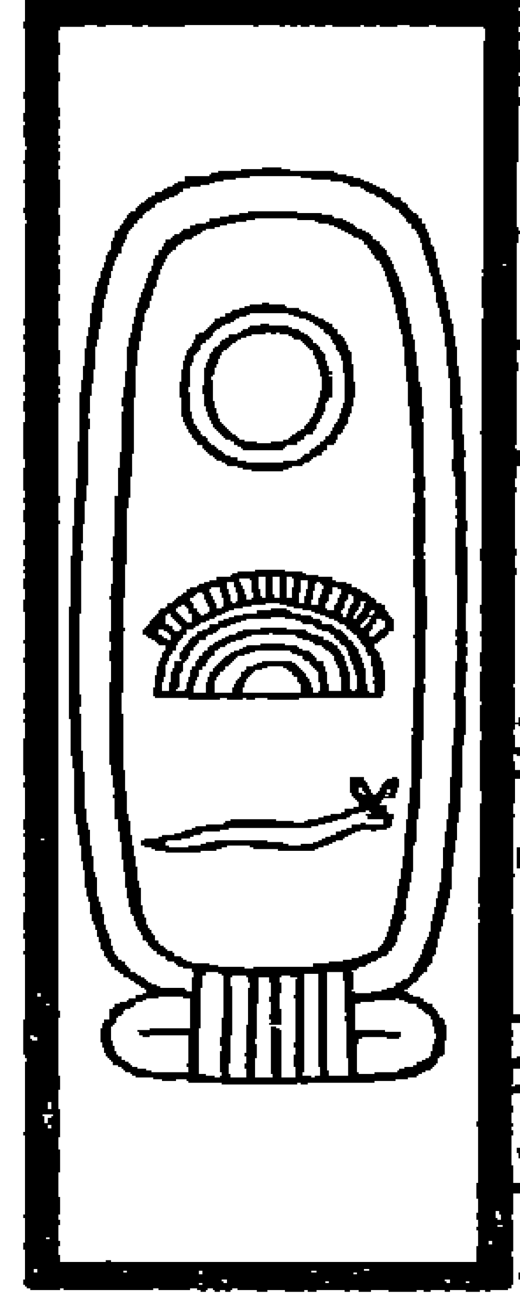
(١٣) من يريد معرفة المزيد عن تلك الاعتقادات يجد ملخصاً وبياناً بأهم المؤلفات التى صدرت فى كتاب :

Kingsland's, *The Great Pyramid in Fact and Theory*.

كما يجد أيضاً ملخصاً طيباً فى كتاب :

J. P. Lauer's Le *Problème des Pyramides d'Égypte*, *pp*. 113—60.

وبالرغم من أن هذا الهرم لم يستطع تحقيق غرض من أغراض بنائه ، وهو حماية جسم صاحبه ، فقد نجح كل النجاح فى تخليد اسمه . فطالما وقف الناس منذ آلاف السنين أمام هذا الهرم تملؤهم الرهبة والإعجاب ، وستقف أجيال من الناس لم يولدوا بعد ، وستملؤهم أيضاً الرهبة والإعجاب ، وسيبقى اسم « خوفو » مذكورا وخالدا فى سجل الأيام ما بقى هرمه شامخا بعظمته على حافة الصحراء .



٧
أبناء خوفو وأحفاده

كانت الخلافات بين أفراد البيت المالك ، سواء فى عهد « خوفو » وما بعد عهده ، سببا للكثير من المتاعب . فقد تزوج « خوفو » من عدة زوجات ، وكان بعضهن دون شك أميرات يجرى فى عروقهن الدم الملكى . وولد له من كل أولئك الزوجات أبناء وبنات ، وكانت الأمنية الكبرى لأكثر من واحدة من زوجاته أن ترى ابنها متربعا على العرش فى يوم من الأيام . ولهذا السبب ظهر نوع من الصراع بين فرعين رئيسيين من أبناء خوفو ، بين « رع — ددف » و « خفرع » ، ويحتمل جدا أن يكون هذا الصراع أو النزاع قد امتد إلى صفوف الكهنة وإلى الشعب .

وهناك رأى بأن إحدى زوجات « خوفو » كانت من أصل ليبى ، وأنها أصبحت أما للملك « رع — ددف » الذى خلفه على العرش هو وبضعة أطفال آخرين . وتستند نظرية أصلها الليبى إلى الهيئة التى رسمت بها الملكة « حتپ — حرس » الثانية ، زوجة خوفو ، فى مقبرة ابنتها الملكة « مرسعنخ الثالثة » . نراها فى هذه المقبرة فى مناظر ملونة وهى شقراء الشعر زرقاء العينين ، كما نرى فى زيها ظاهرة غريبة أخرى وهى ذلك الثوب

غير العادى الذى ترتديه سيدات الأسرة ، ونرى فيه نوعا من النتوء المثلث الشكل فوق الكتف . ولا تساعدنا معلوماتنا الحالية على الجزم بما إذا كان هذا الطراز من الثياب أو وجود الشعر الأشقر والعيون الزرقاء كافيين ليثبتا الأصل الليبي لهذا الفرع من الأسرة أم أنه غير كاف ، علما بأن الشعر الأشقر يحتمل أن يكون شعرا مستعارا .

وترتيب الملوك الذين حكموا بعد « خوفو » مازال حتى الآن من الأمور غير الواضحة تمام الوضوح . لقد تولى « رع — ددف » حكم البلاد بعد أبيه ، ثم تلاه على العرش « خفرع » وهو ابن آخر من أبناء « خوفو » .

وبعد موت « خفرع » استمر الخلاف مرة ثانية بين فرعى الأسرة . ونعرف من بردية تورين ، وبعض مصادر أخرى ، أن الفترة بين حكم « خفرع » وحكم « منكاوو — رع » كانت فترة قصيرة حكم فيها ملكان في مدى خمس سـنوات ، ومن المحتمل أنهما من الفرع الذى كان « رع — ددف » ينتمى إليه . ولا شك أنه لم تتيسر لهما الفرصة خـلال حكمهما القصير المملوء بالاضطرابات من تشييد أهرام ليدفنا فيها . ومن الممكن أنهما ظلا حين بعد هزيمتهما ، أو تنازلهما عن الحكم ، وأنهما دفنا عند موتهما فى مصاطب عادية فى جبانة الجيزة(١) .

وفى عام ١٩٥٠ عثر أحد الأثريين على نقش فى وادى الحمامات وفيه معلومات هامة ، ولو أنها محيرة ، فى هذا الموضوع ، إذ نرى فى هذا النقش

(١) حاول « ريزنر » تحديد هذين الملكين ومعرفة اسميهما باللغة المصرية من الكتابة اليونانية — انظر :

G. A. Reisner. *Mycerinus: The Temples of the Third Pyramid at Giza* (Cambridge, Mass. 1931), p. 246.

وانظر أيضاً : E. Meyer, *Chronologie*, p. 142: *Walter Federn* "*Zur Familiengeschichte der IV. Dynastie Agyptens,*" *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes*, XLII, 165—92.

جدولا بأسماء داخل خانات ملكية وهم مرتبون حسب الآتى : خوفو ، رع — ددف ، خفرع ، حور — ددف ، باوف — رع[٢] .

وبالرغم من أن تاريخ هذا النقش لا يرجع إلى أقدم من أيام الأسرة الثانية عشرة ، فإنه لا بد أن يكون مستنداً إلى معلومات موثوق بصحتها ، لأنه يتفق وما وصل إلينا من معلومات من بردية تورين وما وصل إلينا من تاريخ مانيتون ، وغير ذلك من المصادر . كان « حور — ددف » أحد أبناء « خوفو » وقد دفن فى مصطبة كبيرة شرق الهرم الأكبر[٣] . أما « باوف — رع » فلا نعرف آثاراً باسمه ، وعلى أى حال فإنا نعرف أنه كان من بين أبناء « خوفو » واحد يسمى « خنوم — باوف » وآخر يسمى «حور — با — ف»[٤] ، ومن المحتمل أن واحداً منهما اتخذ لنفسه اسم « باوف — رع » عند اعتلائه العرش . ونعرف من بردية وستكار أن القصة التى قصها « باوف — رع » تلى القصة التى قصها « خفرع » وقبل القصة التى قصها « حور — ددف » ، وليس من السهل اليسير الجزم بأن هذين الرجلين قد جلسا حقاً على العرش ، وأن كلا منهما كان فى يوم من الأيام هو الحاكم الأوحد للبلاد . كانت البلاد تجتاز فترة عدم استقرار ، وربما حكما فى السنوات الأخيرة من حكم « خفرع » أو فى أوائل سنى حكم « منكاوو — رع » . وعلى

---

(٢) F. Debono, "*Expedition archéologique royale du desert orientale,*" *Annales du Service,* LI (1951), 89.

(٣) رقم مقبرة « حور — ددف » فى جبانة الجيزة هو ٧٢١٠ انظر :

G. A. Reisner, "*Hetepheres, Mother of* Cheops", *Boston Museum* Bulletin (*Supplement to Vol.* XXX [*May,* 1927]*)*, p. 4. See also Reisner, *ibid.* (October, 1927), p. 74.

(٤) كان لخوفو ابن يسمى « خنوم — باوف » (ومقبرته رقم ٧٣١٠ فى جبانة الجيزة) وله ابن آخر وهو « حور — با — ف » وقد عثر له على تابوت محفوظ الآن فى المتحف المصرى — انظر :

Mariette, *Notices... Musée Boulac,* 1874. p. 93, nos. 6,7).

أى حال فقد اعترف بهما كاتب بردية تورين كملكين شرعيين ، وكذلك كاتب نقش وادى الحمامات ، كما ورد اسماهما أيضاً فى تاريخ مانيتون .

ونحن نعلم أن الملك « شبسسكاف » تولى العرش بعد أبيه « منكاوو — رع » . ونعلم أيضاً أن مقبرته ليست على شكل هرم وإنما كانت ذات طراز خاص غير عادى ، وقد أصبحت هذه المقبرة ، وهى مصطبة فرعون ، نموذجاً لمقبرة إحدى بنات « منكاوو — رع » وهى الملكة « خنتكاوس » التى يمكن أن نعتبرها حلقة الصلة بين الأسرتين الرابعة والخامسة .

هرم « رع — ددف » فى أبو رواش

بنى « رع — ددف » ، وهو الذى خلف « خوفو » على العرش ، هرمه فى أبو رواش التى تبعد نحو ٧ كيلو مترات شمالى هرم أبيه ، ولا نعرف السبب الذى جعله يختار تلك المنطقة البعيدة الموحشة فوق إحدى مرتفعات الهضبة الغربية . ويظن « ريزنر » ، وكثير من العلماء الآخرين ، أن هذا العمل دليل على ما حدث من تنازع فى الأسرة المالكة ، بل يذهب البعض فى ظنه إلى حد الاشتباه فى أن « رع — ددف » ربما يكون قد قتل الوريث الشرعى للعرش ، وهو الأمير « كا — وعب » ، الذى شيد لنفسه مصطبة فى الجهة الشرقية من هرم أبيه . ومهما يكن من أمر فلا يوجد أى دليل على مثل هذا الاتجاه . اختار « رع — ددف » موقعاً ممتازاً لهرمه ، ولكن هذا الجزء من الهضبة كان قد سبق استخدامه كجبانة للدفن فى أيام الأسرة الأولى . وعلى أى حال فمنطقة « أبو رواش » جزء من الجبانة المنفية المتسعة الأرجاء ، وموقعها الممتاز الذى يشرف على الوادى ، يجعلها مكاناً طبيعياً مناسباً لبناء هرم عليها ، وسواء أكان هناك

دم أجنبي يجرى فى عروق فرع « رع — ددف » ، أم أن ذلك غير صحيح ، فإنا لا نجد أثراً لأى تأثير أجنبي فى آثاره فى « أبو رواش » أو أى تجديد يجعلنا نعتقد أنه حدث ما يحول دون استمرار التقاليد الدينية أو المعارية فى السير فى الطريق الذى توارثته من أيام « سنفرو » و « خوفو » .

وقد زار بعض الرحالة المعنيين بالآثار منطقة « أبو رواش » فى أوائل أيام القرن التاسع عشر(٥) ، ولكن لم يقم أحد ببحوث جدية فى هذه المنطقة قبل عام ١٨٣٩ عندما امتدت سلسلة بحوث « پرنج » و « ڤيز » إلى هذه المنطقة(٦) ، ونرى من لوحات « پرنج » ، ومن الوصف الذى كتبه ، أن الجزء الأسفل من هرم أبو رواش فى أيامه كان مرتفعاً كثيراً عما بقى منه حتى الآن .

ويذكر « پترى » أنه عند زيارته لهذا الهرم ، وكان ذلك فى القرن الماضى ، رأى الناس يستخدمونه كمحجر يحصلون منه على ما يلزمهم من الحجر وقد قالوا له إنهم كانوا يأخذون منه يوميا حمولة ثلاثمائة جمل من الحجر(٧) .

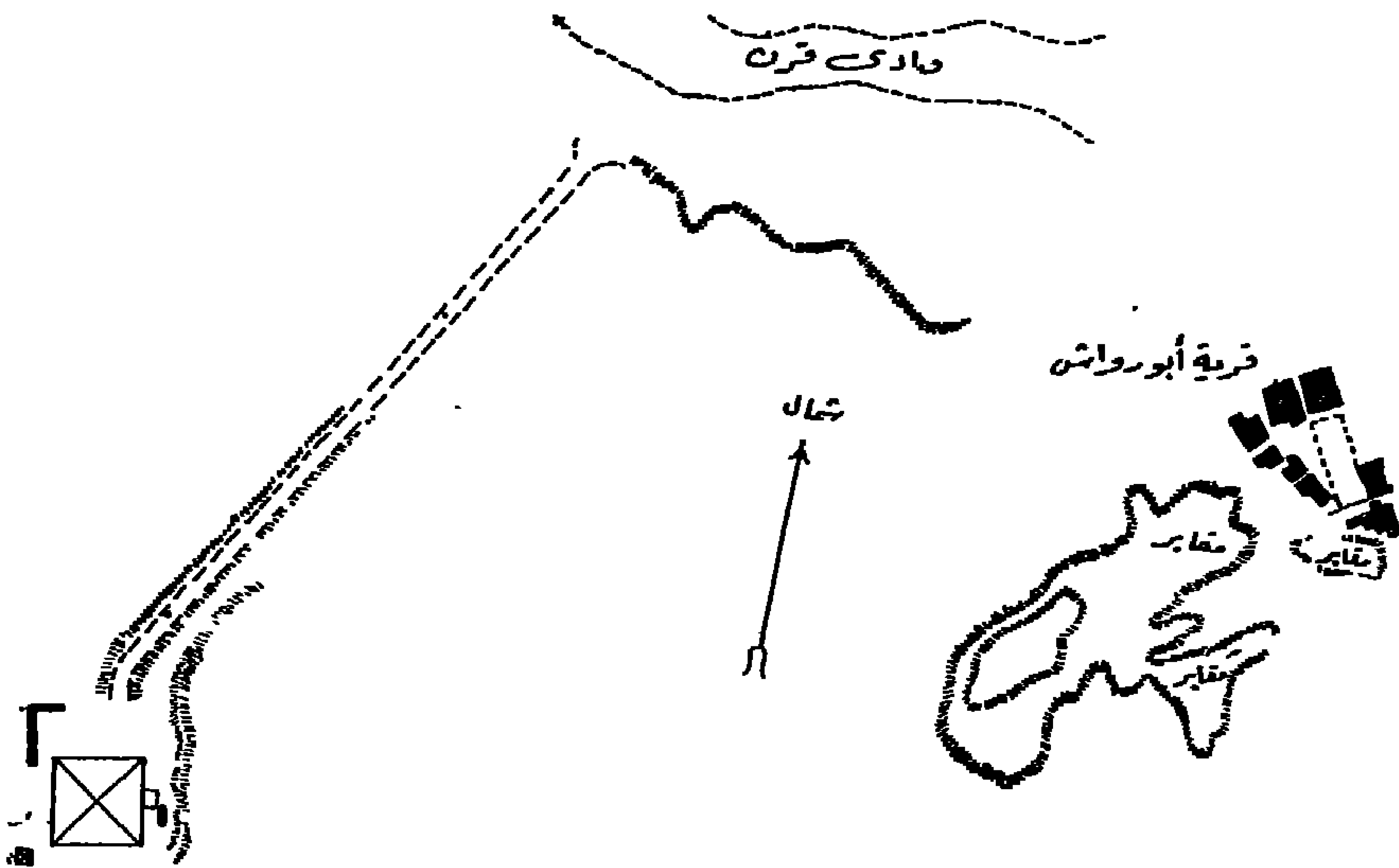
وعلى مقربة من قرية « أبو رواش » الحالية ، وإلى الغرب منها قليلا ، نرى بضع كتل من الحجر الجيرى فى المكان الذى نستدل منه على مكان معبد الوادى الذى لم يحفر حتى الآن . يبدأ من هذه البقعة الطريق الصاعد لهذا الهرم ، وربما كان أعظم وأفخم الطرق الصاعدة للأهرام كلها ،

(٥) Porter and Moss, *Topographical Bibliography*, III, 1.

(٦) Vyse, *Operations Carried On at the Pyramids of Gizeh*, III, 8.

(٧) W. M. P. Petrie, *The Pyramids and Temples of Giza* P. 140.

إذ كان طوله أكثر من كيلومتر ونصف كيلو ، ويسير فى اتجاه جنوبى غربى مرتفعا عن سطح الصحراء التى حوله نحو ١٢ متراً إلى أن يصل إلى أعلى الهضبة . وما زلنا نجهل حتى الآن هل كان مسقوفاً ؟ أو كان له جدران على جانبيه ؟ أو لم يكن كذلك ؟ لأنه لم تجر حتى الآن حفائر علمية لاكتشافه . ولكن يلوح أن الطريق الصاعد كان ينتهى ، مثل الهرم المنحنى فى دهشور ، فى الزاوية الشمالية الشرقية من السور الخارجى المحيط بالهرم ، ولسنا نجد حول هرم أبو رواش أى أجزاء باقية من سوره الخارجى غير الركن الشمالى الغربى فقط .



(شكل رقم ٧١) خريطة لمنطقة آثار أبورواش

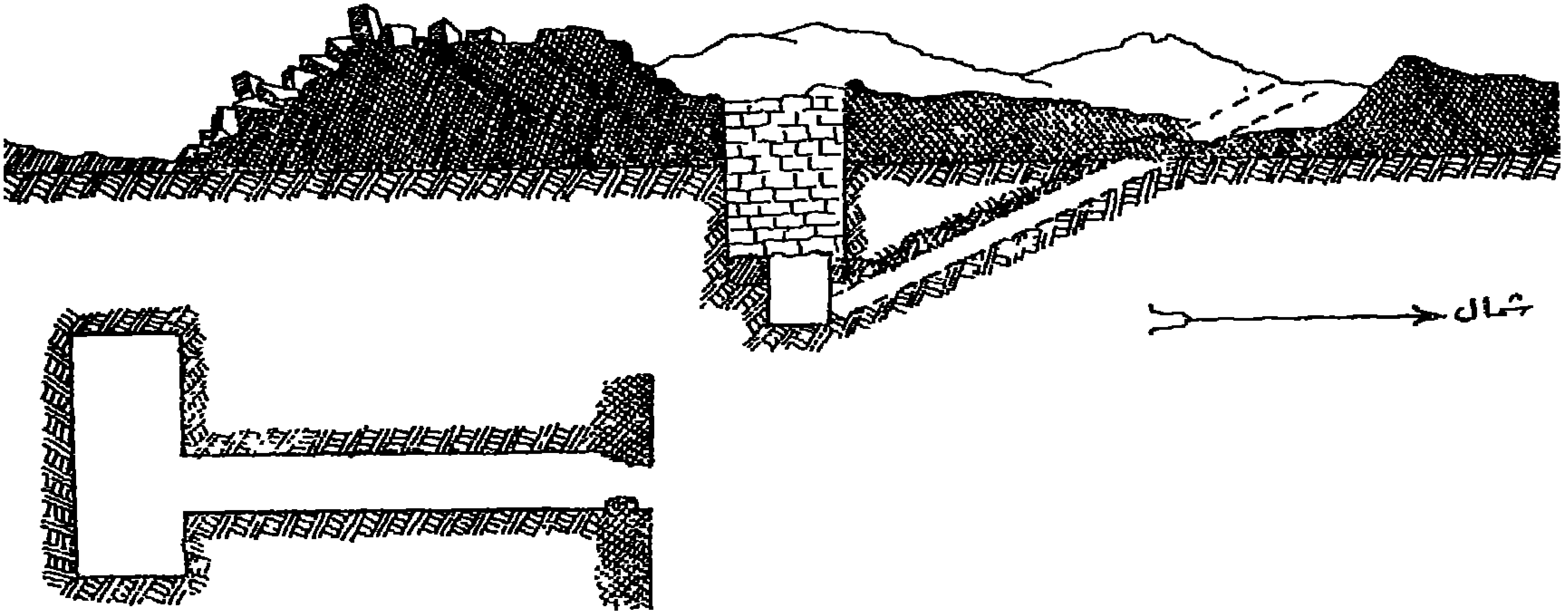
ونجد فى الناحية الشرقية من الهرم بقايا المعبد الجنازى ، وقد حفره الأثرى الفرنسى « إ . س . شاسينا » (E.S. Chassinat) فى عام ١٩٠١ ولكن من المؤسف أن تفاصيل نتائج حفائره لم تنشر حتى الآن . وفى الجهة الجنوبية من الهرم ، ومن المحتمل أن يكون فى داخل سوره

الخارجى ، كان يوجد هرم جانبى صغير كادت تندثر كل معالمه فى الوقت الحاضر .

وفى الناحية الجنوبية من المعبد الجنازى ، وهو فى الناحية الشرقية من الهرم كما ذكرنا ، حفرة سفينة كبيرة منحوتة فى الصخر ، طولها من الشمال إلى الجنوب ٣٥ متراً و ٣,٧٥ أمتار فى أعرض مكان منها ، وعمقها ٩,٣٠ أمتار . وفى أسفل الردم الذى كان يملؤها عثر « شاسينا » على ثلاثة رؤوس لتماثيل متقنة الصنع للملك « رع – ددف » ، وقد كسروها بلا حساب من تماثيلها وألقوها فى ذلك المكان فى أيام الثورات التى أعقبت الدولة القديمة ، ويوجد اثنان منها الآن فى متحف اللوفر بباريس ، أما الرأس الثالث فهو فى متحف القاهرة .

وهرم « رع – ددف » مربع القاعدة وطول كل ضلع من أضلاعه ١٠٠ متر تقريباً ، أما ارتفاعه الحالى فلا يزيد عن اثنى عشر متراً ، ولا يزيد الباقى من بنائه عن ثمانية أو عشرة مداميك من الحجر الجيرى مبنية فوق مرتفع من الصخر الطبيعى . وكثيراً ما نقرأ عن هذا الهرم أن بناءه لم يتم فى عهد صاحبه ، وأنه ظل كذلك لأن « رع – ددف » لم يحكم إلا ثمانى سنوات . ومهما يكن من أمر؛ فإن بضع كتل من حجر الجرانيت الأحمر ما زالت فى أماكنها الأصلية فى الواجهة الشرقية للهرم مما يرجح أنهم كسوا الهرم بالجرانيت ثلاثة مداميك على الأقل . ولا شك أن العمل فى بناء الهرم كان قد تقدم كثيراً حتى وصل إلى تلك المرحلة ، وأن حالة التهديم والتخريب التى نراها الآن ترجع على الأرجح إلى استخدامه كمحجر وليس إلى عدم قدرة الملك على إتمامه . ونجد حول هذا الهرم ، وبخاصة فى الجهة الشمالية منه ، مساحة كبيرة مغطاة بقطع الجرانيت الصغيرة مما يدل على كثرة استخدام الجرانيت فى بنائه .

وفى منتصف الجهة الشمالية ، يقع مدخل الهرم الذى يؤدى إلى ممر هابط طوله ٤٨ مترا ، وعرضه الآن ثمانية أو تسعة أمتار (شكل رقم ٧٢) . وهذا



(شكل رقم ٧٢) رسم تخطيطى ومقطع لهرم أبورواش

الممر مقطوع فى الصخر وينحدر فى زاوية تتراوح بين ٢٢° و٣٥° وكانت جوانبه فى الأصل مكسوة بكتل من الحجر الجيرى أو الجرانيت ، وفى نهايته حجرة دفن كبيرة أبعادها الآن ٢١ مترا فى الطول ، و ٩ أمتار فى العرض ، وارتفاعها ٩ أمتار . وهذه الحجرة والممر الموصل إليها مفتوحان بعد أن زال ما فوقهما من مبنى الهرم ، اللهم إلا جزءاً صغيراً فوق الحجرة . وكانت جدران هذه الحجرة مكسوة أيضاً بكتل حجرية من الحجر الجيرى أو الجرانيت عرضها متران ؛ أى إن طول الحجرة كان فى الأصل ١٧ متراً وعرضها ٥ أمتار . واستنادا إلى ما ذكره « پترى » فإن كساء الأجزاء الداخلية من الهرم قد نزع من مكانه فى عهد محمد على[٨] ، ويعتقد

(٨) المصدر السابق .

« پرنج » أنه كان فى داخل هذا الهرم ، فوق حجرة الدفن ، حجرات لتخفيف الضغط فوق سقفها كما نرى فى الهرم الأكبر فى الجيزة[٩] .

وذكر « لپسيوس » أنه كان يوجد هرم آخر فى أبو رواش »[١٠] ، وأن ذلك الهرم كان شمالى القرية الحالية ، إلى الشرق من عدد من المصاطب هناك . ولا يوجد أى أثر لهذا الهرم الآن ، ولكن « لپسيوس » ذكر فى مؤلفه أن المبنى العلوى للهرم كان من الطوب اللبن وأن ارتفاعه كان ١٧ متراً . وفى طبعة عام ١٩٢٩ من « دليل بديكر » Baedeker عن مصر نجد إشارة إلى هذا الهرم وأن ما كان منه فوق سطح الأرض قد زال تماماً ، أما الجزء الصخرى الذى كان نواة له والممر الهابط وحجرة الدفن فما زالت باقية . وعلى أى حال فهناك أمل فى معرفة اسم صاحبه لو جرت حفائر منظمة دقيقة فى المقابر القريبة من مكانه .

وما من شك فى أن منطقة « أبو رواش » فى حاجة إلى المزيد من الحفائر فى المستقبل ، فإن معبد الوادى لم يحفر حتى الآن بالرغم من أن مكانه معروف كما أن معبده الجنازى يحتاج أيضاً إلى عمل جديد لأنه لم يتم بحثه بحثاً كاملا منظماً . كما أن العثور على حفرة سفينة على مقربة منه يجعلنا نرجح وجود حفرات سفن أخرى ؛ إذ يجب ألا ننسى أن « رع – ددف » هو الذى أتم عمل حفرة سفينة خوفو التى عثر عليها فى الجيزة عام ١٩٥٤ .

---

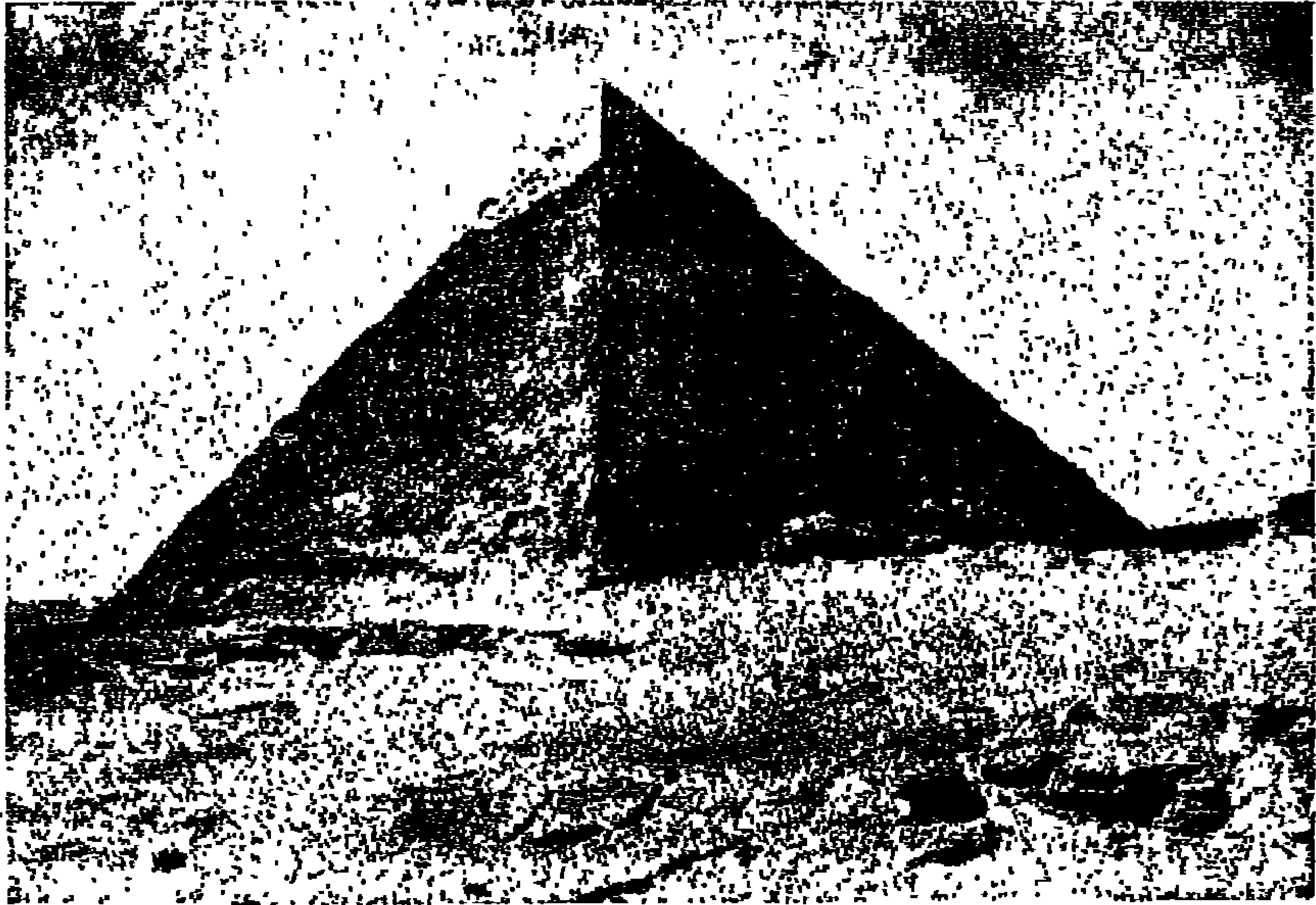
(٩) Vyse, *Operations Carried On at the Pyramids of Gizeh* ,*Vol.* III. 8—9.

(١٠) R. Lepsius, *Denkmäler, Vol.* I, *Plates* 11 and 12.

هرم الجيزة الثانى

(هرم خفرع)

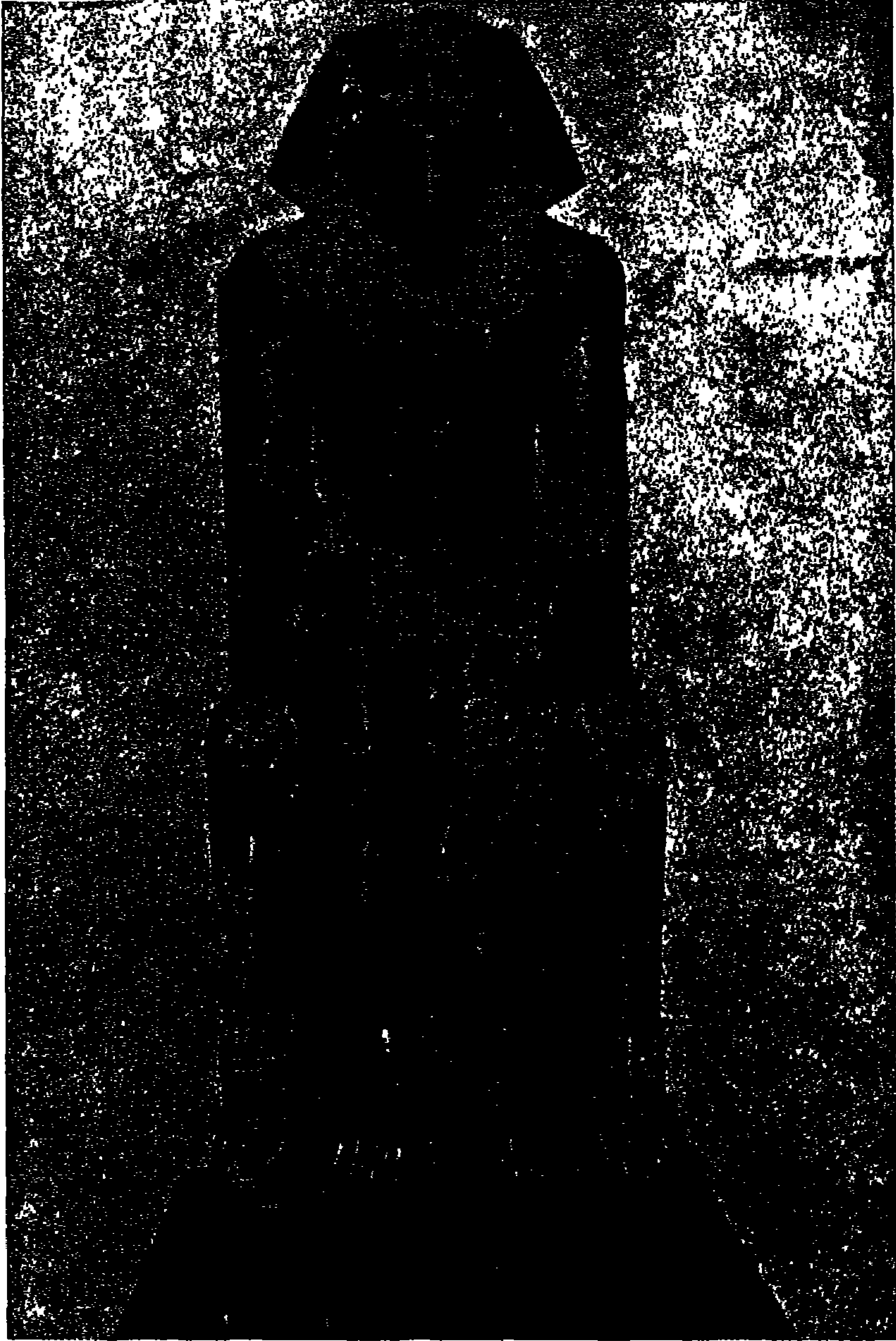
ومجموعة الهرم الثانى فى الجيزة ، وهى التى بناها الملك « خفرع » هى أكمل المجموعات الهرمية فى جبانة الجيزة (شكل رقم ٧٣) .



(شكل رقم ٧٣) الهرم الثانى فى الجيزة

نجد معبد الوادى على حافة الصحراء قريباً من منازل بلدة نزلة السمان ، وكثيراً ما يشار إليه فى بعض المؤلفات التى كتبت فى السنوات الماضية تحت اسم « معبد أبو الهول » لأنه مشيد جنوبى هذا الأثر الشهير مباشرة .

وكانت الرمال قد غطت هذا المعبد ، وحفره « ماريت Mariette » فى عام ١٨٥٣ ، ولكنه لم يكشف إلا بعضاً منه فقط ، وخصوصاً فى أجزائه الداخلية ؛ لأنه لم يكن يظن فى ذلك الوقت أنه مبنى قائم بذاته غير متصل



(شكل رقم ٧٤) التمثال الشهير للملك خفرع وهو من حجر الديوريت وقد عثر عليه في الجيزة في معبد الوادي لهرمه .

بشيء آخر . وقد عثر « ماريت » أثناء حفائره على تمثال خفرع المنحوت من حجر الديوريت الذى يعتبر كنزاً من كنوز المتحف المصرى بالقاهرة (شكل رقم ٧٤) . وفى السنوات الأولى من هذا القرن قام الأثرى « هولشر » (Uvo Hölscher) بحفره حفراً كاملا ، وعلى يديه تمت معرفة حقيقة أهميته ، وحقيقته كمعبد الوادى فى المجمـــوعة الهرمية للملك « خفرع[11] » .

وواجهة معبد الوادى تتجه نحو الشرق ، وأمامه مرسى على قناة كانت هناك ، اتجاهها من الشمال إلى الجنوب . والجزء الجنوبى من هذه القناة يجرى تحت نفق مبنى من كتل ضخمة من الحجر الجيرى ، ويلوح أنه يمر تحت معبد ينوه فيها تلا من عصور ، ربما كان معبد « أوزيريس رب روستاو » (Rostaw) ، إذ كثيراً ما ورد اسم هذا المعبد على اللوحة ، وعلى النقوش ، فى معبد إيزيس القريب من الهرم الأكبر . ولم يقم أحد بحفر هذه القناة حتى الآن وما زالت نهايتها من جهة الشمال تحت كومة كبيرة من الرمال شمال — شرقى « معبد أبو الهول » الحقيقى .

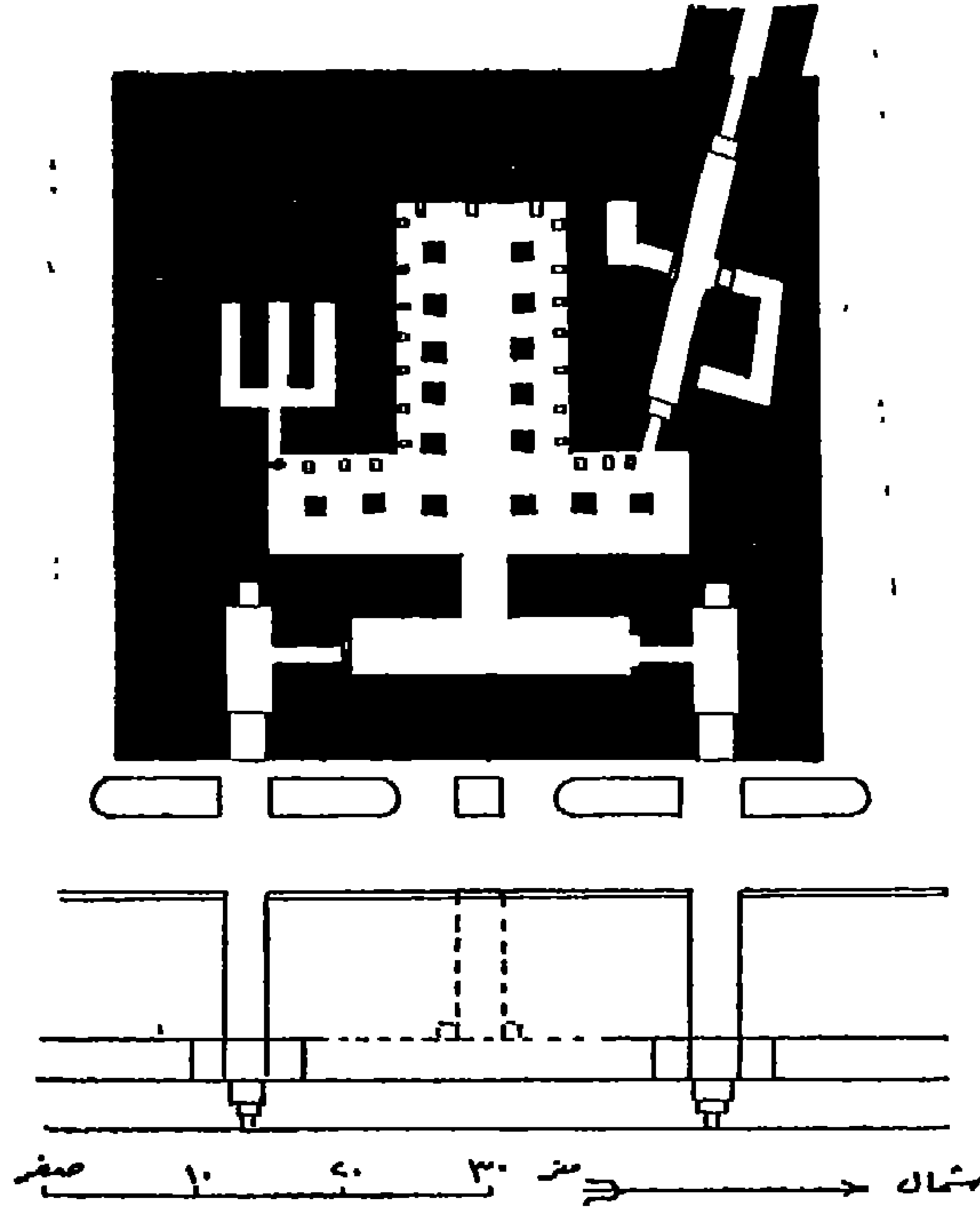
وجدران معبد الوادى مشيدة أصلا من أحجار ضخمة من الحجر الجيرى المحلى كسوها بكتل من الجرانيت الأحمر منحوتة بدقة كبيرة ومصقولة . والغالبية الكبرى من الأحجار التى فى زوايا المبنى قطعت على شكل حرف L ، وكان ذلك سبباً فى عدم وجود أحجار موضوعة وضعاً رأسياً فى لحامات زوايا المبنى من الداخل مما زاد من متانة المعبد كله . وقد نزعت الغالبية العظمى من أحجار الجرانيت التى كانت كساء للجدران الخارجية ولكن الكساء الجرانيتى فى الداخل ما زال كاملا وفى حالة تامة

---

(١١) U. Hölscher, *Das Grabdenkmal des Königs Chephren.* (*Leipzig*, 1912).

من الحفظ ، كما استخدم البناؤون القدماء كتلا من أحجار المرمر فى أرضية المعبد وفى بناء جدران بعض الحجرات الصغيرة .

كان الدخول إلى المعبد عن طريق مدخلين فى الواجهة الشرقية أحدهما فى الجهة الشمالية والآخر فى الجهة الجنوبية (شكل رقم ٧٥) ويعتقد « هولشر » أن الفجوات المستطيلة فى الأرضية أمام المبنى إنما كانت لوضع قواعد تماثيل على شكل أبو الهول على جانبى كل مدخل من المدخلين .



(شكل رقم ٧٥) الرسم التخطيطى لمعبد الوادى التابع للهرم الثانى فى الجيزة

ويوصل كلا المدخلين إلى ردهة طويلة ضيقة ، وفى هذه الردهة عثر « ماريت » على تماثيل « خفرع » الديوريتية وكانت فى حفرة عميقة هناك ،

وهى مردومة الآن ، ولكن مكانها واضح فى الأرضية . وفى منتصف الجدار الغربى مدخل يؤدى إلى بهو على شكل حرف T ، كان سقفه محمولا على ستة عشر عمودا مربعاً من الجرانيت الأحمر .

وإلى جانب جدران هذا البهو كان يوجد ثلاثة وعشرون تمثالا للملك ما زلنا نرى أمكنتها فى الأرضية .

والبهو مفتوح للسماء فى الوقت الحاضر ولكنه كان مسقوفا بكتل من الجرانيت ، وكان الضوء ينفذ إليه من كوات مفتوحة كان ضوء كل واحدة منها يقع على واحد من تلك التماثيل .

وفى الركن الجنوبى الغربى من البهو نرى ممراً قصيراً يؤدى إلى ستة مخازن ذات سقف منخفض ، ثلاثة منها فوق الثلاثة الأخرى ، شيدوا الثلاثة السفلى من أحجار جرانيتية مصقولة صقلا جيداً ، أما الثلاثة العليا فمن أحجار المرمر .

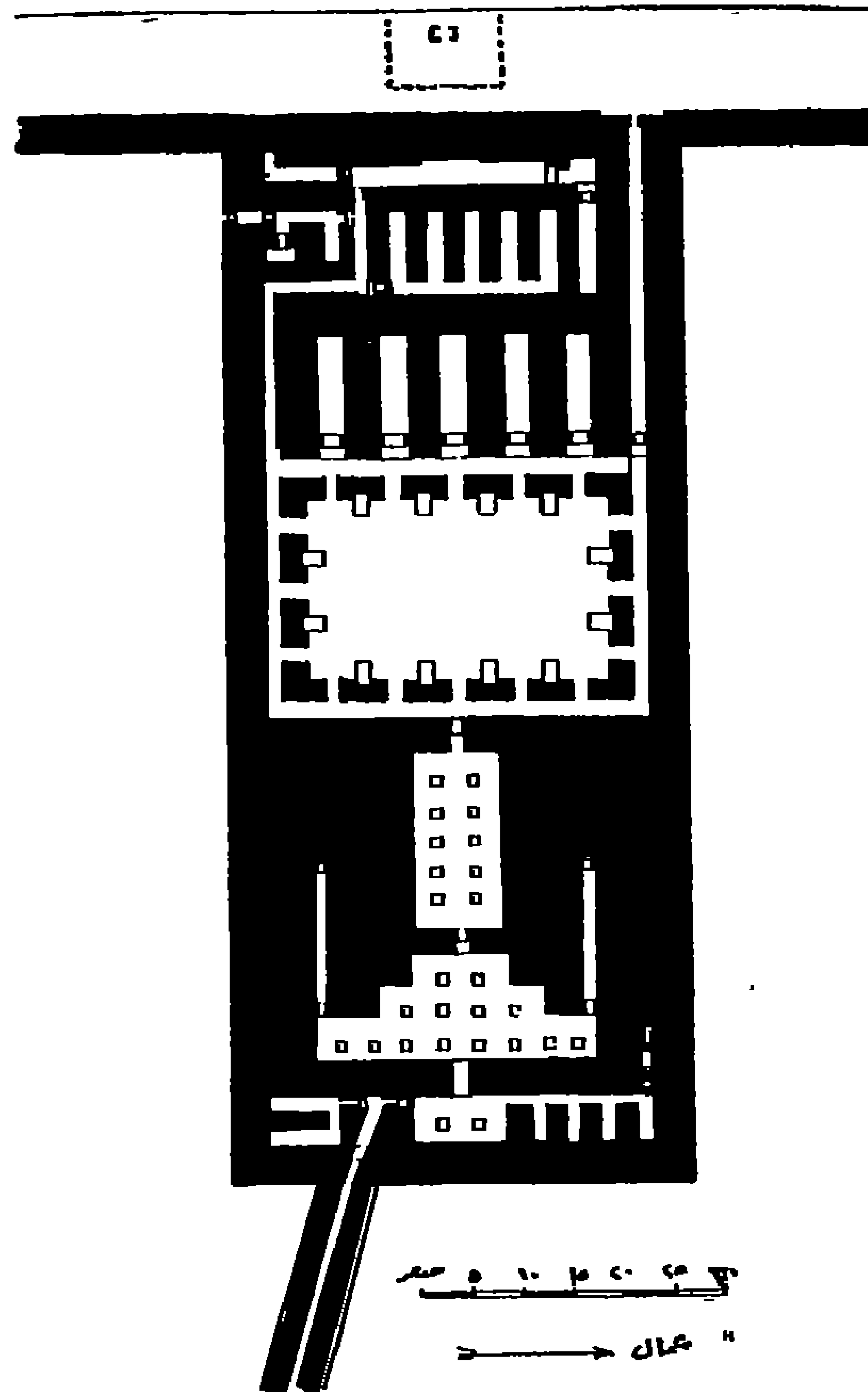
وفى الركن الشمالى الغربى من البهو نفسه نجد ممراً غير متسع يؤدى إلى الباب الخلفى لهذا المعبد حيث يبدأ الطريق الصاعد . وفى منتصف هذا الممر ، وفى الجهة الشمالية منه ، أى إلى اليمين ، نجـــد طريقا يصعد إلى سقف المعبد وكان مستويا ، وأمام ذلك ، أى فى الجهة الجنوبية من الممر ، نرى حجرة صغيرة أرضيتها وكساء جدرانها من أحجار المرمر .

وكما قلنا فى مكان سابق فى هذا الكتاب ربما كان قدماء المصريين فى ذلك العهد يغسلون جسد الملك المتوفى ويحنطونه ويقومون بالطقس المعروف باسم « فتح الفم » فى هذا المعبد ، وقد عثر على بقايا من أحواض وحفرات لوضع أعمـــدة السقائف أمام المعبد وفوق سطحه .

والطريق الصاعد لهرم « خفرع » يكاد يكون مقطوعا بأكمله فى صخر الهضبة ، وما زال جزء قليل من جداريه باقيا حتى الآن نراه فى النهاية الشرقية للطريق قريبا من معبد الوادى ، ولكننا لانستطيع الجزم بما إذا كان

هذا الطريق مسقوفا أو إذا كانت النقوش تغطى جداريه . وهو يصعد بانحراف فوق منحدر الهضبة فى اتجاه شمالى — غربى وينتهى عند المعبد الجنازى على مقربة من الركن الجنوبى لواجهته الشرقية .

أما المعبد الجنازى لخفرع فهو من الآثار العظيمة . وقد قامت بحفره « بعثة فون سيجلين Von Sieglin » برياسة « هولشر » فى السنوات المبكرة من هذا القرن ، وبالرغم مما تعرض له من تخريب فإن ما بقى منه كاف لجعل زائره يحس إحساسا عميقا بعظمته ، كما يستطيع الزائر أيضا أن يتتبع رسمه التخطيطى (شكل ٧٦) .



(شكل رقم ٧٦) الرسم التخطيطى للمعبد الجنازى للهرم الثانى فى الجيزة

ولا يكاد هذا المعبد الجنازى يشبه مثيله الذى شيده « خوفو » ، وهو أقل شبها بتلك المعابد الصغيرة التى شيدها « سنفرو » و « حو » كمعابد جنازية لأهرامها . ولاشك أن تغييرا ما ، ما زلنا لا نعرف حقيقته الكاملة ، قد حدث فى العقيدة الدينية الخاصة بالملك أدى إلى هذا التغيير الكبير فى تصميم معابد الأهرام .

ويظهر أن هذا المعبد يشبه معبد الوادى فى أن النواة أو الجزء الأوسط من جدرانه مشيد من الحجر الجيرى المحلى وأن كساءه كان من مادة أخرى ، ربما كانت من الجرانيت ، وكانت أرضيته من المرمر ، ومدخله يؤدى إلى ممر ضيق . وفى الجهة الجنوبية منه حجرتان وفى الناحية الشمالية ردهة يحمل سقفها عمودان ، ثم يستمر الممر إلى الشمال ويؤدى إلى أربعة مخازن وسلم . وفى منتصف الجدار الخلفى للردهة نجد ممراً آخر يوصل إلى بهو مستطيل فى الجهة الغربية منه . وسقف الردهة محمول على أربعة عشر عموداً مربعا ، وتذكرنا هذه الردهة فى شكلها العام بالبهو المحمول على الأعمدة إلى الغرب من البهو ذى الأعمدة فى المعبد الجنازى لهرم « خوفو » . وفى نهايتى هذا البهو ، فى الناحيتين الشمالية والجنوبية منه ، حجرتان طويلتان ضيقتان كانتا للتماثيل . وبعد هذا البهو نجد بهواً آخر كان يحمل سقفه عشرة أعمدة .

فإذا ما واصلنا سيرنا متجهين نحو الغرب يرى الزائر نفسه فى فناء المعبد الكبير الذى كان يحيط به من جميع جوانبه بواك محمولة فوق أعمدة ضخمة مستطيلة كان أمام كل منها تمثال كبير للملك .

وفى الجهة الغربية من هذا الفناء نجد ، وذلك للمرة الأولى حسب معلوماتنا حتى الآن ، الكوات (النيشات) الخمس التى أصبحت منذ الآن ظاهرة من الظواهر المعمارية الثابتة فى جميع المعابد الجنازية للملوك ، أما فى معابد الملكات فإن عددها يقتصر على ثلاث فقط .

ولعل القارئ ما زال يذكر أنه قد عثر فى مجموعة « سنفرو » الهرمية على ست من كوات التماثيل ، ولكنها كانت فى معبد الوادى وليست فى المعبد الجنازى . ولسنا نعرف السبب فى أن عددها قد نقص إلى خمس أو السبب فى أنها أصبحت فى المعبد العلوى . وبالرغم من النظريات الكثيرة التى تقدم بها بعض الأثريين لتفسير ذلك فليس لدينا حتى الآن فكرة واضحة عن وظيفتها فى العقيدة الدينية الخاصة بالملوك .

وفى الجهة الجنوبية من صف الكوات نجد دهليزاً يؤدى إلى خمس كوى أخرى أو ربما خمسة مخازن وراء الخمسة الأولى ، وفى الجهة الجنوبية حجرتان صغيرتان وباب يقود إلى خارج المبنى .

وفى آخر المعبد ، فى الناحية الغربية منه ، هيكل مستطيل ضيق كانت تقوم فى وسطه لوحة جرانيتية كبيرة ما زلنا نرى بعض قطع منها بين خرائب المكان ، وفى الركن الشمالى الغربى من الفناء الكبير باب يؤدى إلى ممر يتجه غرباً إلى فناء الهرم نفسه .

وعلى مقربة من المعبد الجنازى توجد خمس حفرات سفن مقطوعة فى الصخر ، وهناك حفرة أخرى فى الصخر شمال شرقى المعبد من المحتمل أن يكونوا أرادوا أن يجعلوا منها مكانالحفرة سفينة سادسة .

وفى طول كل من الجدارين الشمالى والجنوبى للمعبد توجد سفينتان محور كل منهما يتجه من الشرق إلى الغرب ، وموضوعتان فى صف واحد بحيث تكون مقدمة كل سفينة منهما أمام الأخرى . ومما يسترعى النظر أن حفرة السفينة الغربية فى كل زوج منها قد احتفظت بسقفها ، ونجد فى داخل الحفرة ما يمثل السفينة الخشبية نفسها مقطوعة فى الصخر ، وعندما عثر على هذه السفن لم يكشف تنظيفها إلا عن بعض قطع من الفخار وبعض قطع من التماثيل ، ولكن لم يعثر على أى جزء من سفينة خشبية . وإلى الجنوب من

المعبد نجد الحفرة الخامسة وتتجه من الشمال إلى الجنوب ، أما الحفرة التى لم يتم نحتها فهى فى الشمال الشرقى منه وتتجه نفس الاتجاه .

وفى منتصف الواجهة الجنوبية من الهرم كان يوجد قديما هرم صغير ، زالت تماماً كل أحجار بنائه التى فوق سطح الأرض . ولكن ما زلنا نرى مدخله والممر الهابط إلى داخله . وكان هذا الهرم مربع القاعدة وطول كل ضلع منه ٢٠,١٠ مترا ولكن مدخله وممره الهابط ضيقان إلى حد أنه يصعب على أى شخص عادى أن يدخله ، وهذا أيضاً يثبت أن هذه الأهرام الجانبية لم يقصـــد أبدا من بنائها أن تكون للدفن ، أو لأى غرض من الأغراض يستدعى دخول أحد إلى داخلها .

وكان الهرم الثانى محاطا فى جهاته الشمالية والجنوبية والغربية بسور خارجى ما زالت بعض أجزاء منه باقية حتى الآن . وفى الناحية الغربية من السور نرى جدرانا متوازية مشيدة من أحجار خشنة غير منحوتة ومقسمة إلى ١١٠ حجرات صغيرات اعتقد « پترى » أنها معسكر مساكن العمال الذين بنوا الأهرام ، وفى تقديره أنها تتسع لعدد يتراوح بين ٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ عامل .

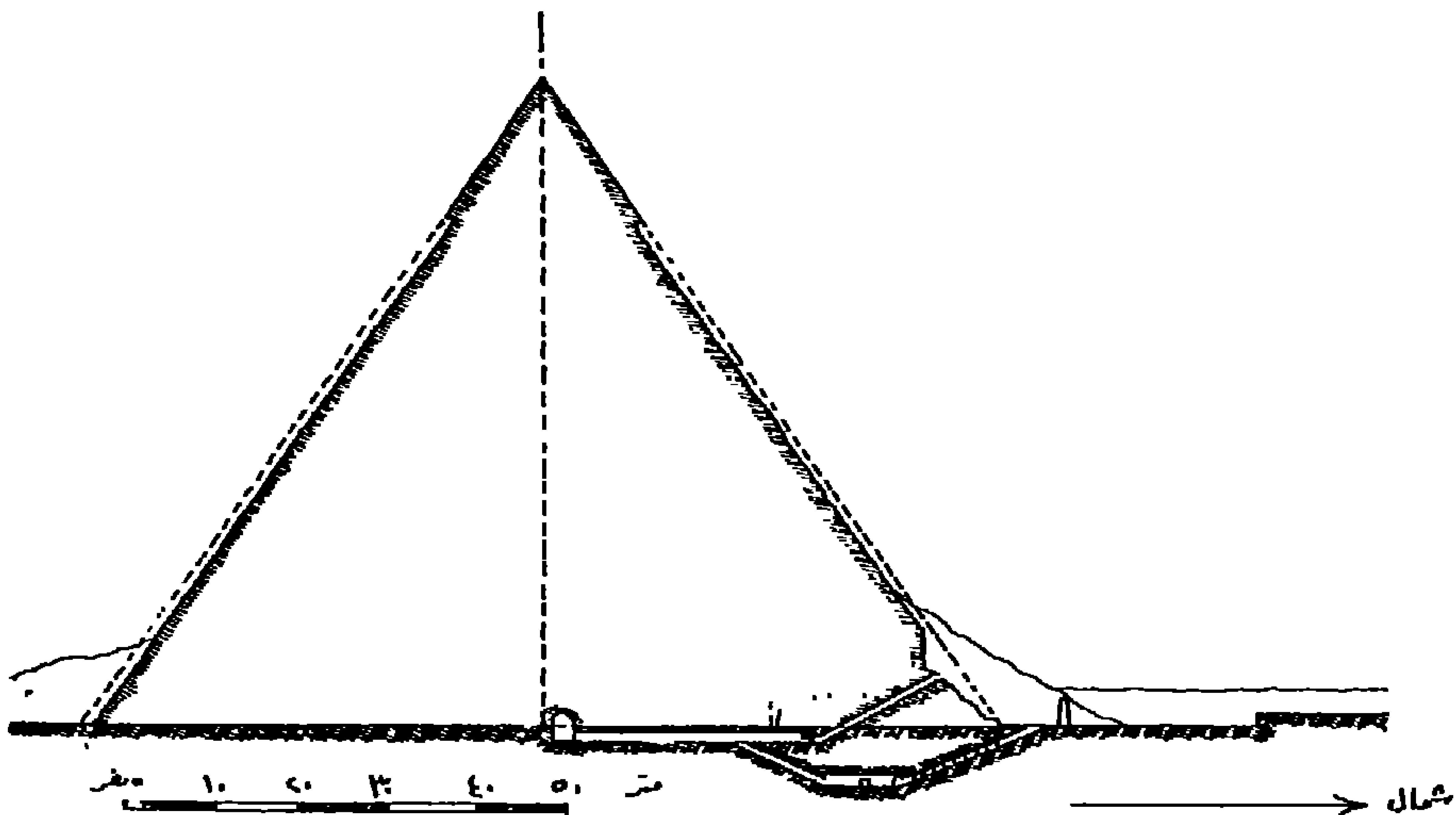
كان هرم « خفرع » من الأهرام التى لم تفقد كل كسائها الخارجى ؛ إذ ما زال جزء منه باقياً فى قمته . وبالرغم من أن حجارة الكساء فقدت لونها الأبيض الجميل الذى كان لها فى يوم من الأيام ، وتحول إلى لون بنى أو بنفسجى داكن فى بعض الأحيان ، فإن الأحجار ما زالت تحتفظ بصقلها الجيد ، وفى الليالى المقمرة تعكس ضوء القمر .

كانت البقعة التى اختاروها لتشييده فوقها تنحدر بشدة من الغرب إلى الشرق ، ولهذا احتاجوا إلى عمل كبير لإعدادها للبناء فوقها . ولهذا نحتوا صخر الهضـــبة فى الجهتين الشمالية والغربية واستخدموا الأحجار التى

استخرجوها أثناء هذه العملية فى الجهتين الجنوبية والشرقية لملء الفجوات التى فى الهضبة .

كان ارتفاع الهرم الأصلى ١٤٣,٥٠ متراً ، وطول كل ضلع من ضلوع قاعدته المربعة ٢١٥,٥٠ متراً ، أما زاوية ميله فهى ١٠′ ٥٣° . وظل مدخله مدفوناً تحت أكوام الردم فترة طويلة ، وعبثاً حاول الرحالة الأوائل أن يجدوه حتى لقد ظن البعض منهم أنه كتلة صماء لا يوجد فيها ممرات أو حجرات حتى جاء عام ١٨١٨ ونجح الأثرى الإيطالى « جيوڤانى بلزونى » Giovanni Belzoni فى العثور على مدخله والوصول إلى حجرة الدفن .

وفى الواقع نجد لهذا الهرم مدخلين ، وكلاهما فى واجهته البحرية (شكل ٧٧) . والمدخل الذى اكتشفه « بلزونى » يرتفع ١١ متراً عن



(شكل رقم ٧٧) مقطع فى الهرم الثانى فى الجيزة

سطح الأرض ، أما المدخل الثانى فهو مقطوع فى الصخر فى مستوى سطح الأرض ، على بعد أمتار قليلة من قاعدة الهرم . ويفسر الكثيرون من علماء الآثار وجود المدخلين لهرم واحد بأن ذلك يرجع إلى تغيير تصميم الهرم أثناء بنائه ، ولكن هذا التفسير غير مقنع ، وفى رأيى أن المدخلين سواء فى هذا الهرم أو فى الأهرام الأخرى مرتبط بموضوع دفن الملك . كان أحدهما ، والممرات التى يؤدى إليها ، مبنياً بإتقان ومحصناً بمتاريس كبيرة ثقيلة . أما الثانى فقد كان معداً لدخول وخروج العمال وقد قاموا بإغلاقه بالحجر فيما بعد .

وترتيب الأجزاء الداخلية فى هـــذا الهرم بسيط جداً . فمدخل « بلزونى » ، ومكتوب فوقه اسم بلزونى وتاريخ الاكتشاف ، يؤدى إلى ممر هابط جدرانه وسقفه من الجرانيت الأحمر وزاوية انحداره ٢٦° ، ثم يؤدى بعد ذلك إلى ممر أفقى فى نهايته متراس من الجرانيت . أما المدخل الأوطأ فإنه يؤدى أيضاً إلى ممر هابط ينحدر بزاوية مقدارها ٢٢° . ويظهر أن هذا المدخل هو المدخل الأصلى لأن ممره الهابط ينتهى عند متراس ، ثم نجد بعد ذلك دهليزاً أفقياً ، ثم ممراً منحدراً آخر يؤدى إلى حجرة يطلق عليها عادة اسم حجرة الدفن وهى فارغة ومنحوتة فى الصخر .

ويستمر الممر الأفقى بعد ذلك ، وبعد متراس آخر نراه يرتفع إلى أعلى حتى يقابل الممر المتصل بالمدخل العلوى ويتحدان معاً فى الاستدرار فى بهو طويل أفقى منحوت فى الصخر ينتهى عند حجرة الدفن الأخيرة .

والجزء الأسفل من حجرة الدفن مقطوع فى الصخر ، ولكن الجزء العلوى من جدرانها وسقفها الجمالونى المثلث مشيد بالحجر الجيرى وهى تكاد تكون فى منتصف الهرم تماماً .

وفى الجهة الغربية من الحجرة كان يوجد تابوت مثبت فى الأرضية نفسها وهو من الجرانيت المصقول بعناية كبيرة وأبعاده ٢,٦٠ متر فى الطول و ١,٠٥ متر فى العرض ، وارتفاعه متر واحد تقريباً.

وعندما عثر « بلزونى » على هذا التابوت وجده مفتوحاً وغطاؤه ملقى فوق الأرضية ، وقد اكتشف « پرنج » و « ڤيز » أن هذا الغطاء كان يلتحم فوق صندوقه بوساطة ثقوب فى نهايته وأن القدماء ثبتوا هذا الغطاء فى مكانه بوضع راتنج مذاب عثر العالمان البريطانيان على بقاياه فى الثقوب نفسها ، وعلى الجدار الجنوبى من الحجرة نجد اسم « بلزونى » مكتوباً وإلى جانبه تاريخ الاكتشاف فى عام ١٨١٨ .

هرم الجيزة الثالث (هرم منكاوو ــ رع)

وهرم الملك « منكاوو ــ رع » هو آخر مجموعة أهرام الجيزة فى الهضبة ناحية الجنوب ، وهو يصغر كثيراً فى الحجم عن الهرمين الأول والثانى ، ولكن هنالك ما يعوضنا عن ذلك وهو ذلك الكساء الفخم من الجرانيت ، الذى كان يغطى جزءاً من هذا الهرم لا يقل عن الستة عشر مدماكاً الأولى منه .

وإذا كان ارتفاع الهرم قليلا إذا قورن بالهرمين الأول والثانى فإن تصميم معبده الجنازى كان على أساس جعله فخماً إلى حد بعيد . ولكن « منكاوو ــ رع » مات قبل الانتهاء من وضع كساء الهرم ، ولهذا وقع على كاهل خليفته « شپسسكاف » إتمام ما لم يتم من مبانيه ، ولهذا نجده يقوم بإتمام مجموعة أبيه الهرمية فى صورة رخيصة سريعة إذ أتمها باللبن ، وفى الوقت ذاته لم يحاول أن يشيد لنفسه هرماً كبير الحجم .

واستدعى الهرم الثالث انتباه الرحالة الأوائل ، ويقص علينا « هيرودوت » قصة كانت متداولة فى عهده وهى أن الشخص الذى بنى هذا الهرم هى الحسناء « رودوبيس » Rhodopis ولكن عقليته التاريخية أبت تصديق تلك القصة نظراً لقدم البناء ولأنه لا يمكن أن تتوافر لمثل هذه المرأة الثروة اللازمة لتشييد هرم لنفسها .

وفى عصرنا الحديث نجد أن الهرم الثالث كان بين الآثار التى وصفها « برتون » Burton [١٢]، كما أن رسمه التخطيطى ومقطعه منشوران فى كتاب « وصف مصر » Description de l'Egypte, الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية . ولكن أولى الحفائر العلمية هى التى قام بها « پرنج » و « ڤيز » فى عام ١٨٣٧ ويظهر أنهما أول من دخل هذا الهرم فى العصور الحديثة[١٣] . وقام الأثرى الأمريكى « ريزنر » بحفائر هامة على نطاق واسع على مقربة من هذا الهرم ، وخصوصا فى معبده الجنازى وفى معبد الوادى[١٤] ، ولكن المناطق الواقعة إلى الشمال وإلى الجنوب من هذا الهرم لم تحفر حفرا منتظما حتى الآن ، ومن الممكن أنه ما زالت هناك تحت أكوام الرديم آثار أخرى ، وربما من بينها حفرات السفن ، وهى تنتظر اليوم الذى يتم فيه الكشف عنها .

ومعبد الوادى لهرم الجيزة الثالث مبنى على مقربة من الجبانة الإسلامية الحديثة لبلدة نزلة السمان ، وكذلك مدينة الهرم التى تندمج مع مدينة الهرم الخاصة بالملكة « خنتكاوس » ، وتغطى المقابر الحديثة جزءا من كل منهما .

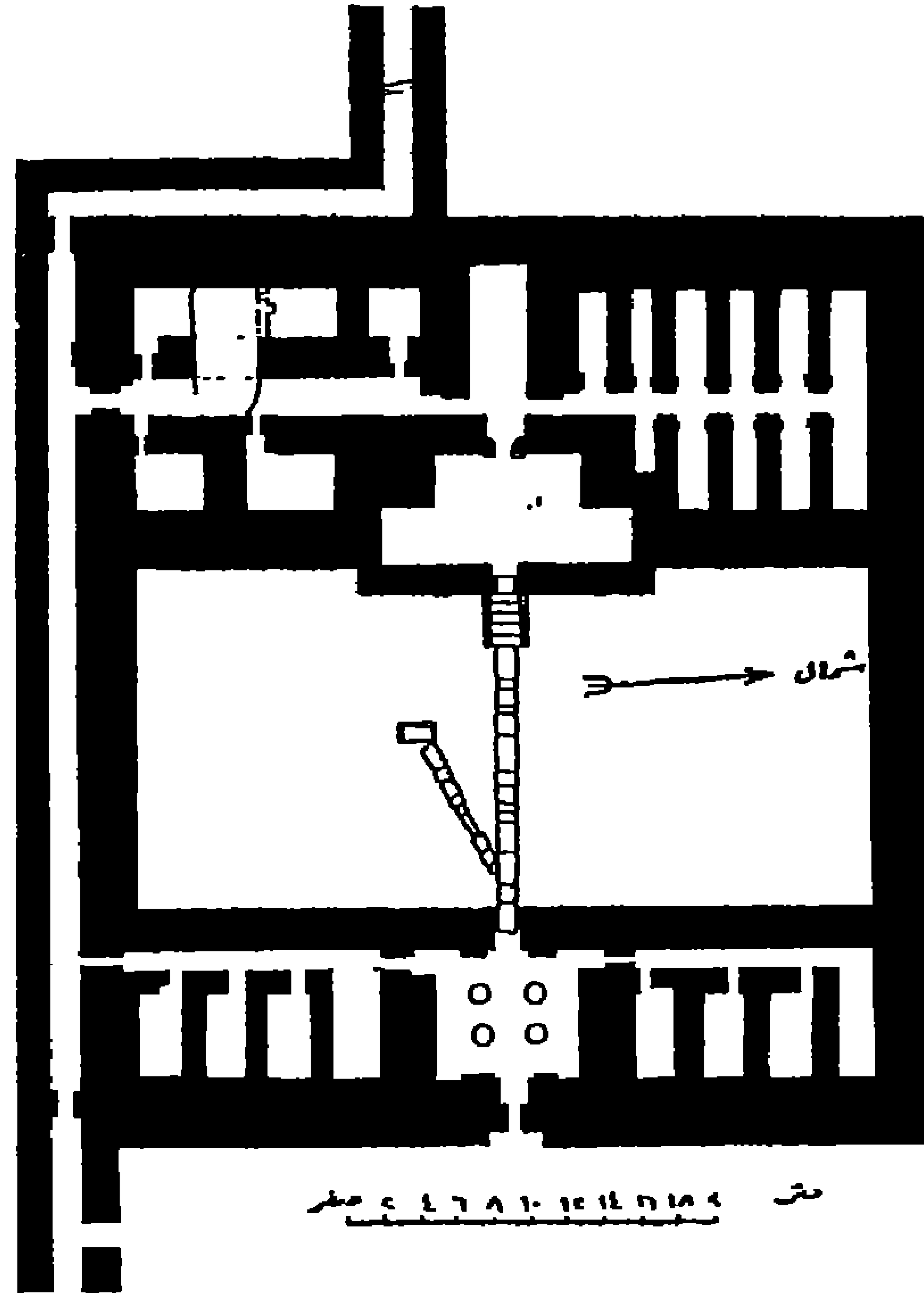
---

(١٢) *Porter and Moss, Topographical Bibliography* III, 7.

(١٣) Vyse, *Operations Carried On at the Pyramids of Gizeh* II, 71 ff.

(١٤) G. A. Reisner, *Mycerinus.*

وهذا المعبد مبنى باللبن ، اللهم إلا قواعد الأعمدة وبعض أجزاء من الأرضية وعتبات الأبواب فإنها من الحجر الجيرى ومدخله فى الشرق ويؤدى إلى ردهة صغيرة كان سقفها محمولا على أربعة أعمدة (شكل رقم ٧٨) .



(شكل رقم ٧٨)
الرسم التخطيطى لمعبد الوادى الخاص بهرم الجيزة الثالث
(نقلا عن ريزنر Reisner)

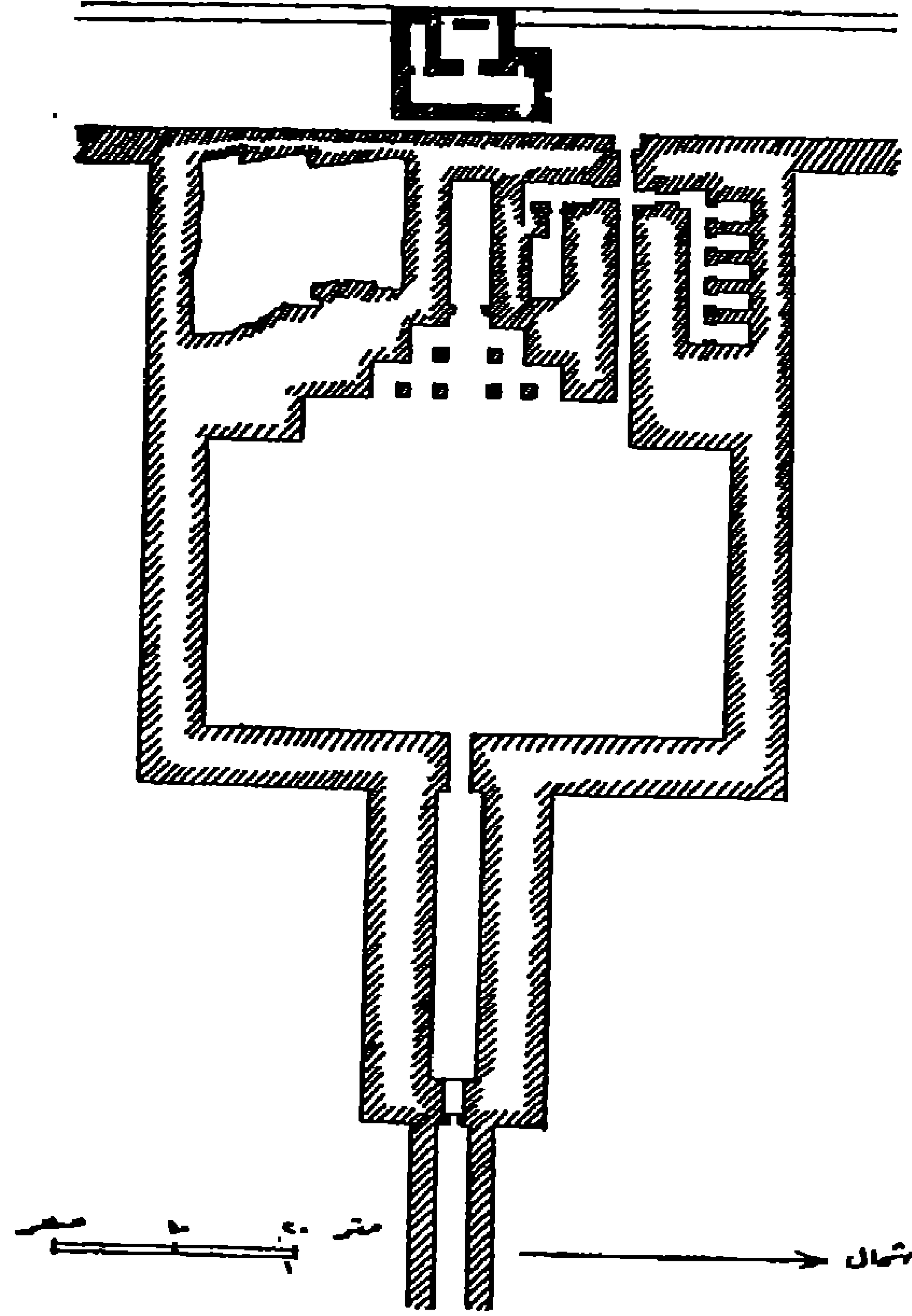
وعلى كل من جانبى هذه الردهة أربعة مخازن تفتح مداخلها من دهليز يمتد بطول البناء ويلتقى بدهليز آخر يمتد على طول الجانب الجنوبى من المعبد . وفى منتصف الردهة باب يؤدى إلى الفناء الكبير ، وكانت أرضيته من اللبن وكذلك جدرانه المزينة بكوات داخله وخارجه وفى منتصف الفناء

طريق ممتد من الشرق إلى الغرب وهو من كتل صغيرة من الحجر الجيرى ، وإلى الجنوب من هذا الطريق حوض من الحجر الجيرى تتصل به قناة حجرية مغطاة لتصريف المياه وهى تسير مائلة مارة تحت المدخل . وفى الناحية الغربية من الفناء الكبير نجد مدخل بهو كان سقفه محمولا على ستة أعمدة . وخلف هذا البهو نجد الهيكل وبعض حجرات صغيرات من بينها ست تذكرنا بالهياكل الستة التى فى معبد الوادى لهرم سنفرو فى دهشور . وفى الحجرات الواقعة فى الناحية الجنوبية عثر « ريزنر » على مجموعات التماثيل الأردوازية التى تتكون كل منها من ثلاثة تماثيل معا ، كل منها يمثل « منكاوو — رع » نفسه ، وفى صحبته سيدة تمثل أحد الأقاليم وإله أو إلهة من معبودات البلاد ، كما عثر أيضاً على كثير من أجزاء التماثيل .

ويظهر أنه لم يكن فى الاستطاعة الوصول من معبد الوادى إلى الطريق الصاعد مباشرة ، بل استعاضوا عن ذلك ببناء ممر طويل فى الجهة الجنوبية من المعبد إلى أن يصل إلى آخره ، ثم ينحرف هذا الممر متجها نحو الشمال ثم ينحرف مرة ثانية متجها نحو الغرب ليتصل بالطريق الصاعد ، وهذا أيضاً من المظاهر المعمارية المأخوذة عن معبد الوادى لسنفرو .

وكان الطريق الصاعد مبنياً بكتل ضخمة من الحجر الجيرى المحلى . أما أرضيته وجدرانه فكانت من اللبن ، وكان مسقفا بأفلاق النخل ، وكان يصل إلى السور الخارجى للمجموعة الهرمية .

والمعبد الجنازى لهرم « منكاوو — رع » فى حالة لا بأس بها ، ولم يصبه التهديم الكثير كما أصاب غيره ، وتخطيطه الأصلى غير معقد (شكل رقم ٧٩) :



(شكل رقم ٧٩)
الرسم التخطيطي للمعبد الجنازى الخاص بالهرم الثالث
(نقلا عن ريزنر Reisner)

وكانت جدرانه مشيدة بكتل ضخمة من الحجر الجيرى المحلى ، وكان تصميمها الأصلى أن تكسى بالجرانيت فى كل من سطحيها . فإذا ما انتهى الزائر من الطريق الصاعد يدخل هذا المعبد عن طريق دهليز مستطيل مشيد بالطوب ويؤدى إلى فناء كبير فى وسط المعبد ، وفى هذا الفناء نجد الجدران مكسوة باللبن ثم طبقة أخيرة من الحجر الجيرى ، وكان فى وسط هذا الفناء حوض وقناة صغيرة لتصريف المياه ، وفى الناحية الغربية من الفناء نجد بهوا

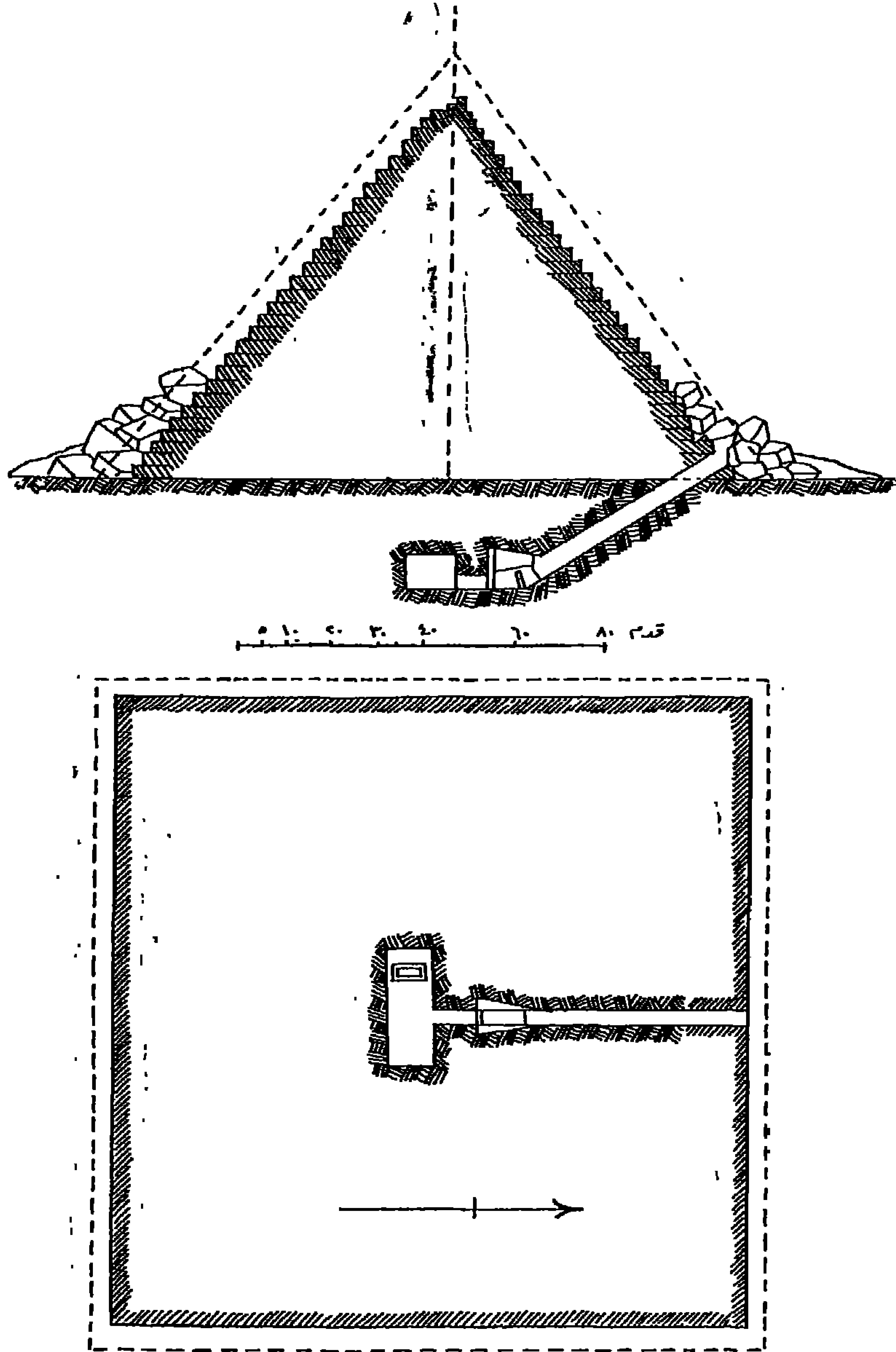
محمولا على أعمدة ، وكانت فى الأصل ستة أعمدة من الجرانيت ، وخلف هذا البهو حجرة طويلة ضيقة تشبه الهياكل التى نجدها فى معابد الأسرة الخامسة وما تلاها من أسر . وفى الناحية الجنوبية من هذه الحجرات جزء من المعبد لم يبن أبدا ، وفى الجهة الشمالية من بهو الأعمدة نجد ممرا مؤديا إلى خمس حجرات صغيرة .

ويتكون الجزء الأخير فى المعبد ، وهو الواقع بين المعبد الجنازى وقاعدة الهرم ، من هيكل للقرابين ملاصق لمبنى الهرم ، وكانت أرضيته من كتل أحجار الجرانيت ، ونجد فيها حفرة مستطيلة كبيرة ربما كانت مكانا للوحة ومائدة قرابين . وإلى الشرق من هذا الهيكل دهليز كانت فيه أعمدة من الحجر الجيرى .

وهذه الأعمدة ، كذلك بعض الحجرات المبنية فى الناحية الشمالية وملاصقة للهرم ، قد بنيت فيما بعد ، ومن المرجح أن يكون ذلك فى الأسرة السادسة . وفى الجهة الشمالية من هذه المبانى نجد بضع حجرات من اللبن .

والآن وقد عرفنا أن « منكاوو — رع » مات قبل أن ينتهى من بنائه ، وأن خليفته أتمه على عجل وبالطوب النيئ ، فإن الدليل على عظمة تصميمه الأصلى كاد يندثر ، اللهم إلا فى بعض ما نراه قد بقى منه . وفى الأجزاء المشيدة بأحجار الجرانيت وخصوصاً الجدران المبنية بأحجار الجرانيت الأسود فى الدهليز الشمالى .

وإلى الجنوب من الهرم الثالث نجد ثلاثة أهرام صغيرة ، من المحتمل جداً أن يكون واحد منها هو الهرم الجانبى المعتاد ، وقد فحصها أيضاً « پرنج » و « ڤيز » ، والشرقى منها (شكل رقم ٨٠) مربع القاعدة ، وطول كل ضلع منها ٣٦ متراً ، وارتفاعه الحالى ١٠ أمتار ، وهو مبنى بكتل كبيرة من الأحجار الجيرية المحلية ، وكان جزء منه على الأقل ، مكسوا بالجرانيت الأحمر . ومدخل هذا الهرم فى الواجهة الشمالية منه ،



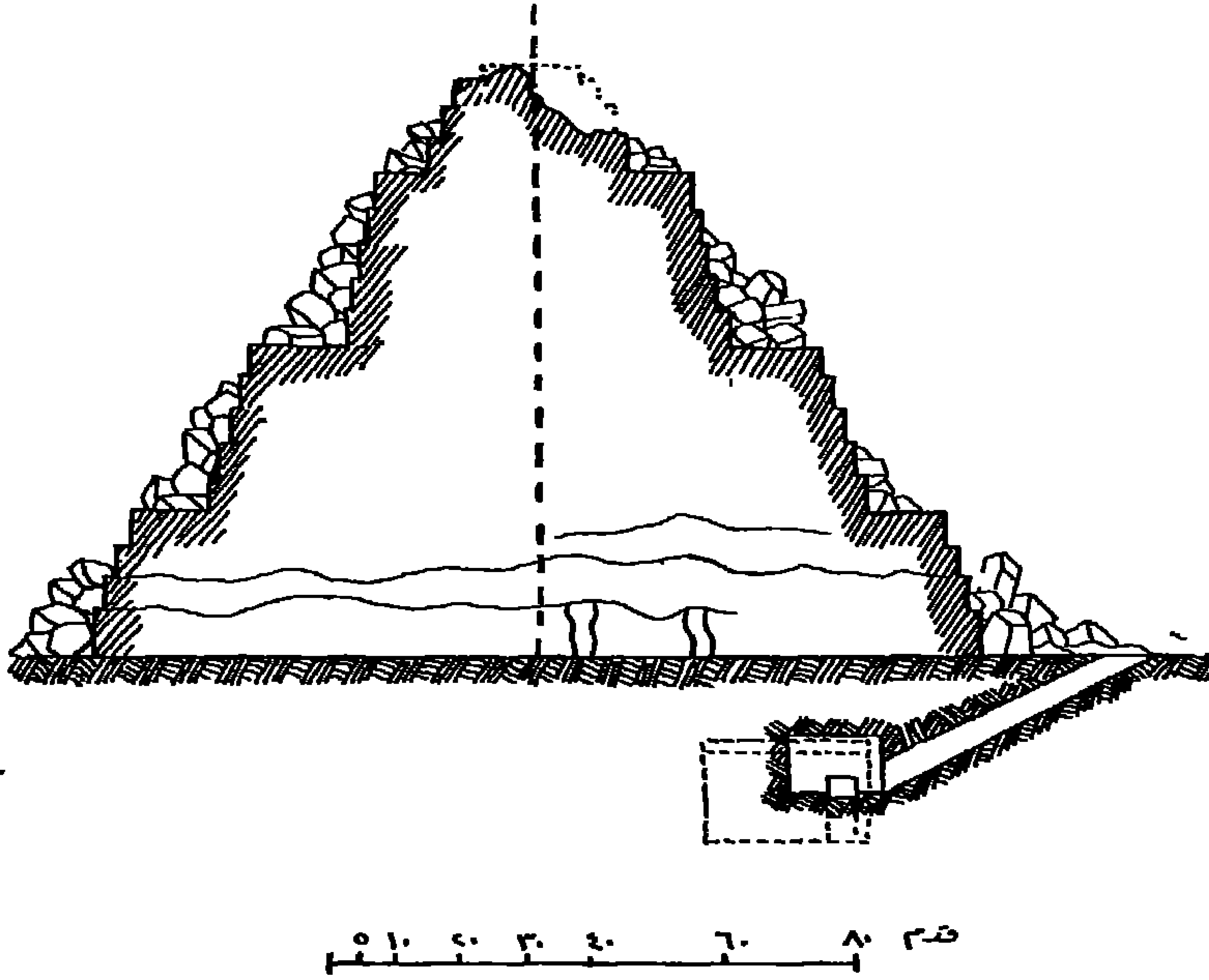
(شكل رقم ٨٠)

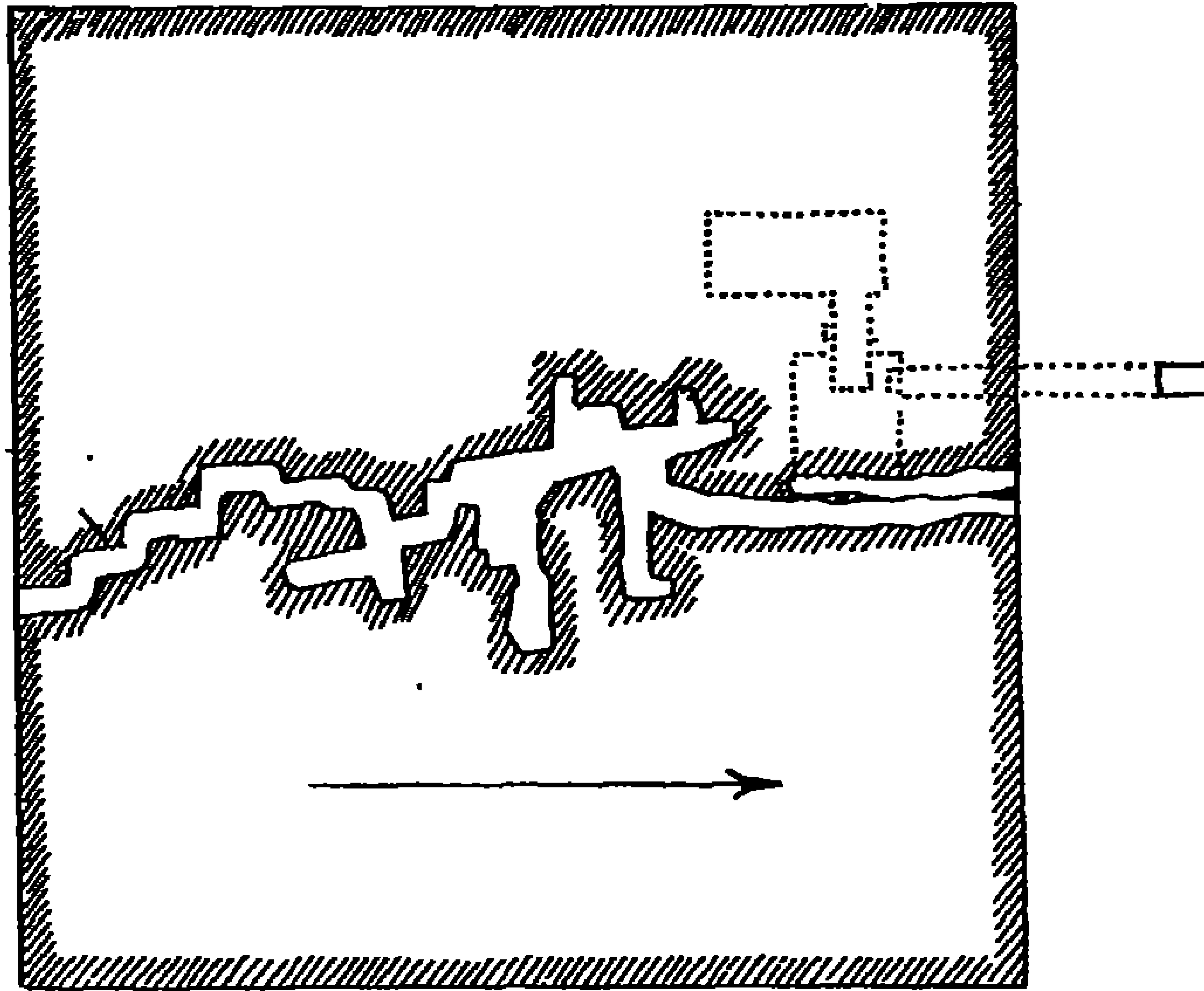
الرسم التخطيطى والمقطع للهرم الشرقى من الأهرام الثلاثة الصغيرة التى فى الجهة الجنوبية من هرم الجيزة الثالث

وهو مغلق الآن ، ويؤدى إلى ممر هابط فى نهايته حجرة الدفن ؛ وفى الجهة الغربية من حجرة الدفن نجد تابوتاً من الجرانيت الأحمر ، موضوعاً فى أرضيتها . وفى الناحية الشرقية من هذا الهرم توجد بقايا هيكل من الطوب النيئ ، وقد ظن بعض علماء الدراسات المصرية القديمة أنه هرم الملكة « خع — مرر — نبتى » زوجة وأخت الملك « منكا و و — رع » ، والتى تقف إلى جواره فى مجموعة تماثيل شهيرة محفوظة الآن فى متحف الفنون الجميلة ببوسطن .

وارتفاع الهرم الأوسط لا يزيد على ٩ أمتار وطول كل ضلع من قاعدته المربعة ٣٦ متراً (شكل رقم ٨١) ، وهو مبنى بالحجر الجيرى المحلى ، وذو أربع درجات ، ولا يوجد دليل على أنهم وضعوا له كساء من الحجر . ومدخله فى الناحية الشمالية ، وهو مفتوح ، ولكن الأتربة تملأ جزءه الأسفل فى الوقت الحاضر ، ولكننا نعرف أن حجرة الدفن فى نهاية الممر ، وأن « پرنج » و « ڤيز » عثرا فيها على تابوت صغير من الجرانيت فيه هيكل عظمى لامرأة صغيرة السن . وعلى أحد أحجار هذه الحجرة كتابة محجر فيها اسم الملك « منكاوو — رع » وكان لهذا الهرم هيكل صغير مبنى باللبن فى الجهة الشرقية منه .

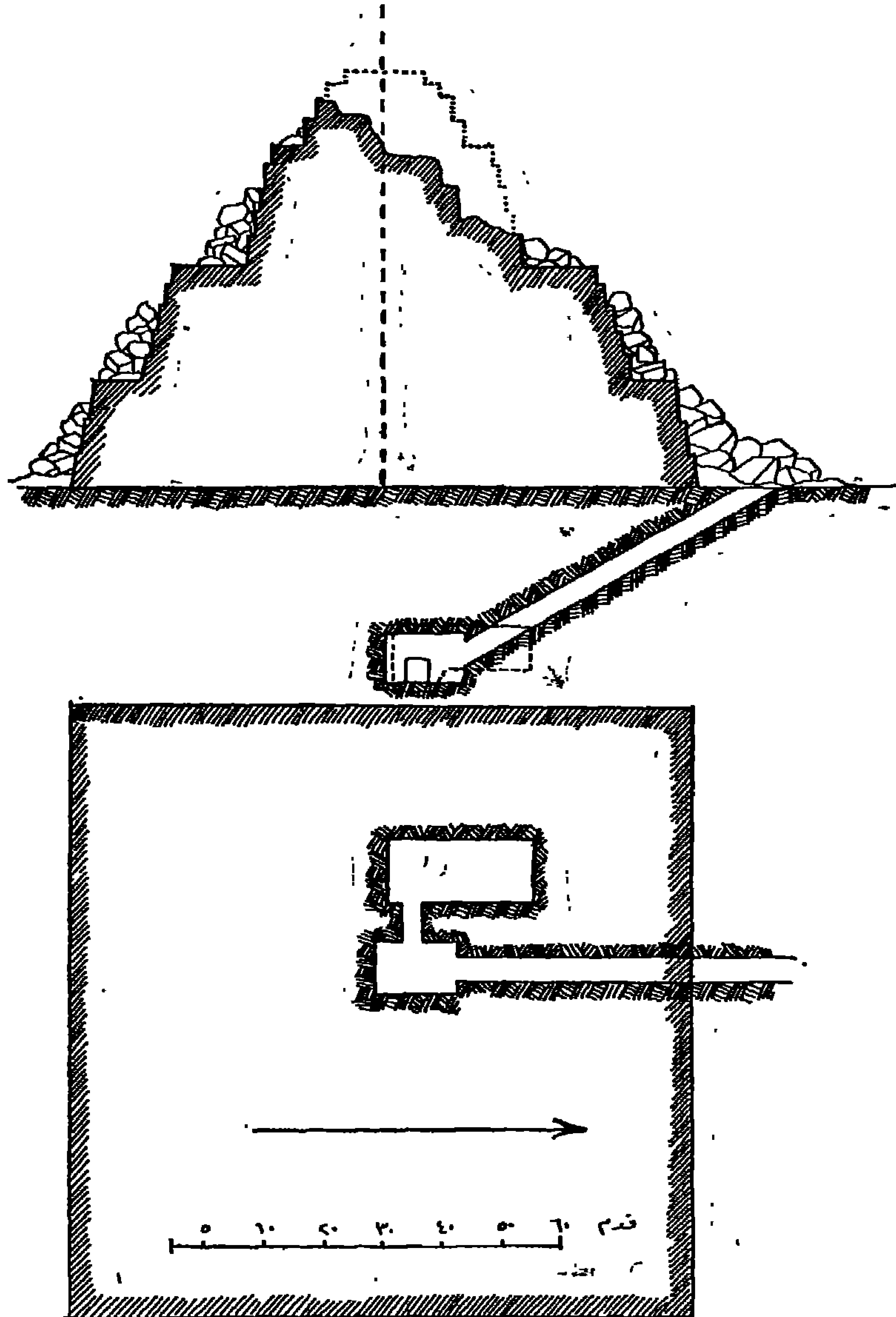
أما الهرم الغربى منها فارتفاعه ٩ أمتار وطول ضلع قاعدته المربعة ٣٦ مترا (شكل رقم ٨٢) وهو ذو درجات ومشيد بكتل كبيرة من الأحجار الجيرية المحلية . ومدخله ، وهو مسدود الآن ، يؤدى إلى ممر هابط ثم إلى ردهة وبعدها حجرة الدفن . ولم يعثر فى هذه الحجرة على شيء يثبت استخدامها للدفن ، ومن الجائز أن هذا الهرم هو الهرم الجانبى من مجموعة « منكاوو — رع » الهرمية . ولهذا الهرم ، مثل الهرمين الآخرين ، هيكل صغير من الطوب النيئ (اللبن) فى الجهة الشرقية منه .





(شكل رقم ٨١)

الرسم التخطيطى والمقطع للهرم الأوسط من الأهرام الثلاثة الصغيرة التى فى الجهة الجنوبية من هرم الجيزة الثالث



(شكل رقم ٨٢)
الرسم التخطيطى والمقطع للهرم الغربى من الأهرام الثلاثة الصغيرة التى فى الجهة الجنوبية من هرم الجيزة الثالث

وهرم « منكاوو — رع » مشيد فوق منحدر من منحدرات الهضبة وقد جعلوا المكان مستويا باستخدام كتل من الحجر الجيرى . وما زال جزء كبير من كسائه الجرانيتى باقيا فى مكانه ، وأحجاره غير مصقولة ، اللهم إلا فى الجزء الذى يقع خلف هيكل المعبد الجنازى ، وبعض أحجار حول مدخل الهرم ، مما يدل على أنهم وضعوا تلك الأحجار الجرانيتية فى أماكنها كما أتوا بها من المحاجر ، وكانت تسوى وتصقل بعد أن توضع فى مكانها من البناء .

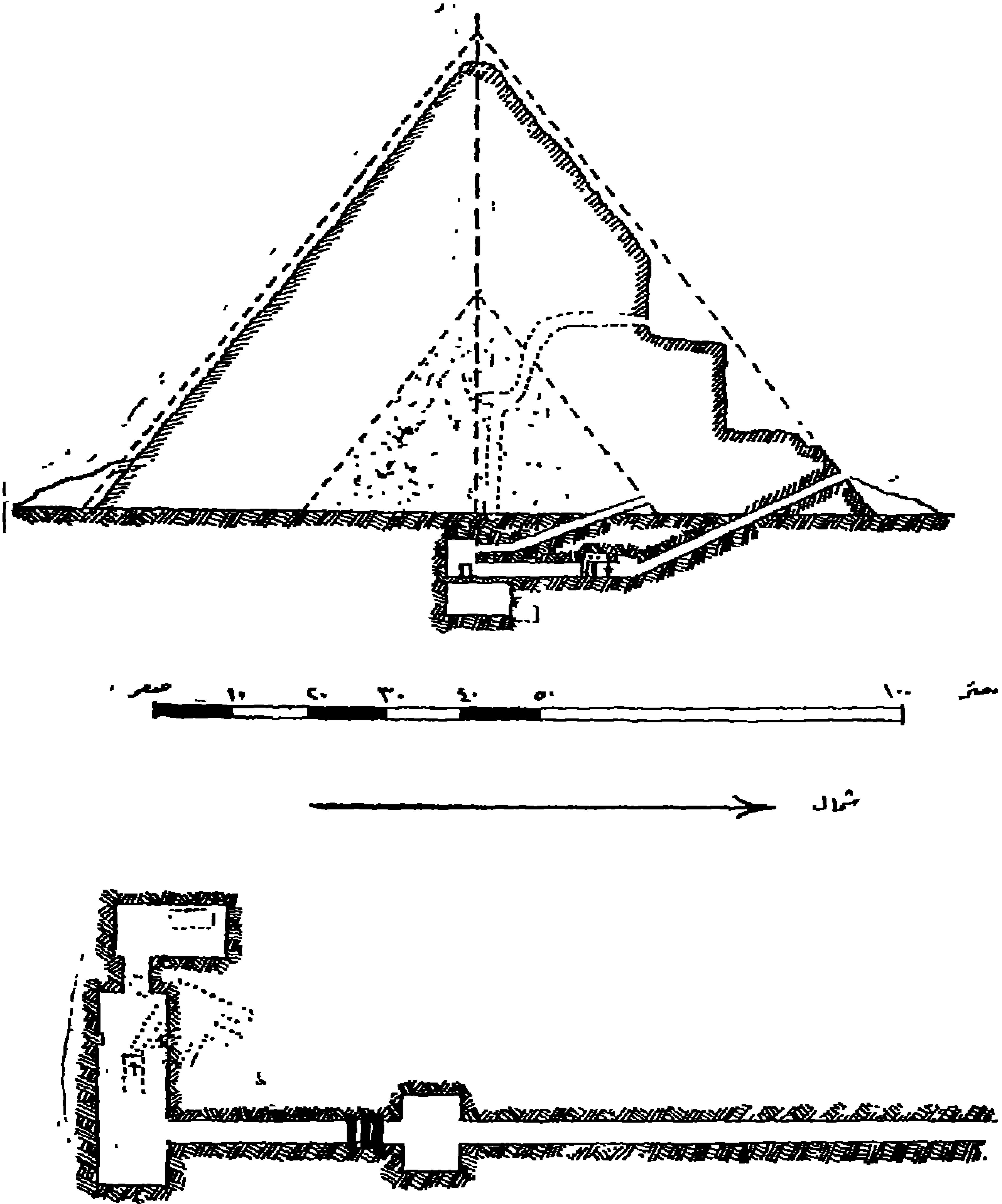


(شكل رقم ٨٣) هرم « منكاوو — رع » الهرم الثالث فى الجيزة

وذكر « هيرودوت » أن كساء هذا الهرم من « الحجر الأثيوبى » (أى الجرانيت) وأنه يصل إلى نصف ارتفاع الهرم . وجرى على هرم الجيزة الثالث ما جرى على غيره من الأهرام ، إذ نزعوا منه فى العصور الوسطى أكثر أحجار كسائه التى كانت من الحجر الجيرى ، كما تخرب جزء من مبنى الهرم نفسه وبخاصة فى الجهة الشمالية . ومما ورد فى بعض مؤلفات العرب نعرف أن أحد حكام مصر فى عام ١١٩٦ ميلادية حاول أن يهدم هذا الهرم ولكنه اضطر لترك ما أراده بسبب النفقات الباهظة التى يتطلبها هذا العمل .

وطول كل ضلع من قاعدة الهرم ١٠٨,٥٠ من الأمتار ، وكان ارتفاعه فى الأصل ٦٦,٥٠ مترا ، وزاوية ميله ٥١° . أما مدخله ففى الناحية الشمالية كالمعتاد وهو يرتفع نحو أربعة أمتار فوق سطح الأرض ، إذ نجده فى المدماك الرابع من الهرم (شكل رقم ٨٤) . ويؤدى المدخل إلى ممر هابط زاوية انحداره ٢′ ٢٦° وطوله حوالى ٣١ مترا ، وجدرانه وسقفه من الجرانيت ابتداء من المدخل حتى يصل إلى الصخر . وبعد الممر الهابط نجد دهليزا مبطنا بالأحجار وهو يؤدى إلى ممر أفقى فيه ثلاثة متاريس . وبعد ذلك نصل إلى حجرة الدفن حيث عثر « پرنج » و« ڤيز » على تابوت خشبى اتفق الرأى فى ذلك الوقت على أنه تابوت « منكاوو — رع » ، (شكل رقم ٨٥) وعليه نص يقول : (« أوزيريس » ملك مصر العليا ومصر السفلى « منكاوو — رع » ، له الحياة إلى الأبد ، المولود من السماء ، ابن « نوت » ووريث « جب » المحبوب منه . تمد أمك « نوت » جناحيها فوقك باسمها « سر السماء » . لقد جعلتك معبوداً باسمك « الإله » يا ملك مصر العليا ومصر السفلى ، « منكاوو — رع » ، له الحياة إلى الأبد) : وهذا النص صورة من جزء معروف من نصوص الأهرام . وكان فى هذا التابوت

الخشبي بقايا مومياء رجل ربما كان « منكاوو — رع » نفسه ، والتابوت والمومياء محفوظان الآن فى المتحف البريطانى :



(شكل رقم ٨٤)

رسم تخطيطى ومقطع لهرم الجيزة الثالث (هرم منكاوو — رع)



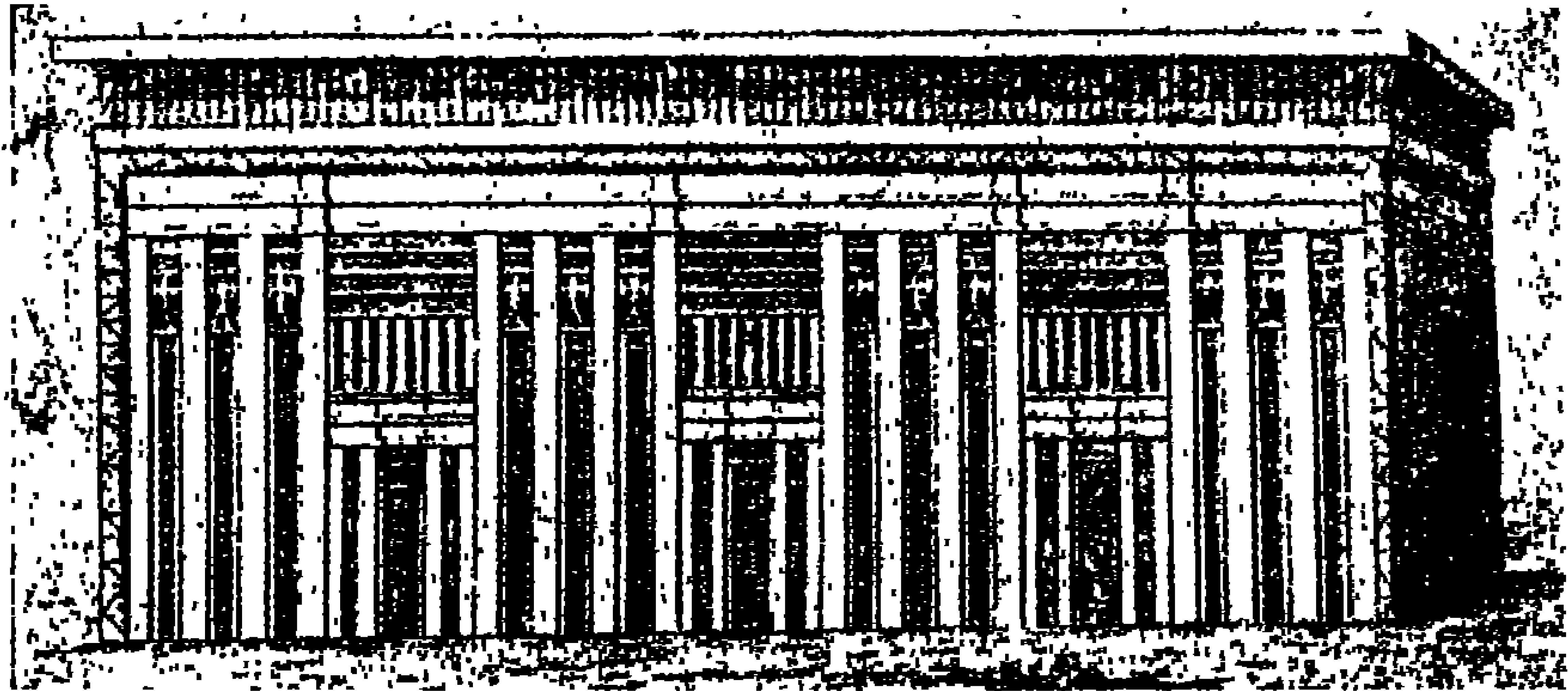
(شكل رقم ٨٥)

أجزاء من تابوت خشبى عثر عليه داخل هرم « منكاوو — رع »



(شكل رقم ٨٦)
(حجرة الدفن فى الهرم الثالث ونرى فيها السقف المقبى والتابوت المنحوت من حجر البازلت)

كان التصميم الأصلى لهذا الهرم أن يكون أقل حجما مما هو عليه الآن ؛ إذ يوجد ممر هابط ثان يفتح فى الجزء العلوى من الجدار الشمالى لحجرة الدفن ويمتد إلى أعلى ، إلى ما كان فى الأصل مدخل الهرم ، ولكنه لا يؤدى إلا إلى مكان مسدود . وفى آخر أرضية حجرة الدفن فى الناحية الغربية نجد ممراً مكسوا بأحجار الجرانيت يتجه غربا نحو سلم ينزل إلى حجرة فيها ست كُوًى فى جدرانها ، ويشبه ذلك ما نراه فى حجرة الدفن فى كل من مقبرة الملك « شپسسكاف » والملكة « خنتكاوس » ، وكلاهما من أبناء « منكاوو — رع » . فإذا ما واصلنا زيارتنا متجهين نحو الغرب نجد حجرة دفن فخمة سقفها وجدرانها من الجرانيت (شكل رقم ٨٦) ، وقد بنى سقف هذه الحجرة أولا بعمل سقف مكون من عدة طبقات من الأحجار ثم أخذوا ينحتون الأحجار حتى أصبحت مقبية . وفى هذه الحجرة اكتشف « پرنج » و « ڤيز » ، التابوت الجميل المنحوت من حجر البازلت (شكل رقم ٨٧) والتى كانت جدرانه مزخرفة على هيئة واجهة القصر ، وهى زخرفة من خصائص توابيت الدولة القديمة ، ولا شك أن هذا التابوت معاصر للهرم . وقد أراد المكتشفان نقل هذا التابوت إلى



(شكل رقم ٨٧) التابوت الذى عثر عليه داخل الهرم الثالث

إنجلترا ولكن عاصــفة شديدة أغرقت السفينة التى كانت تحمله أمام شواطئ إسبانيا .

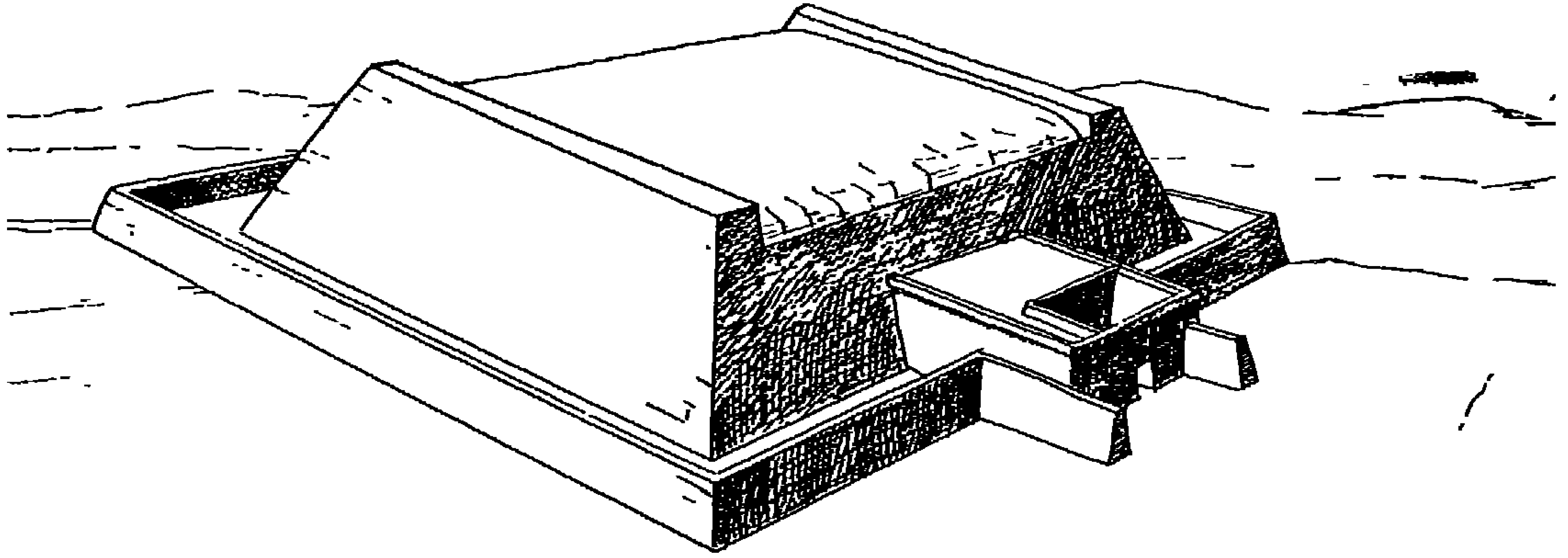
مصــطبة فرعون

احتاجت الأهرام العظيمة التى شيدها « سنفرو » وخلفاؤه إلى عدد كبير من الكهنة والأراضى الموقوفة حتى تستمر فى تأدية المهمة التى شيدت من أجلها ، وهى تخليد أصحابها باستمرار العقيدة الخاصة بهم . ولهذا السبب زاد نفوذ الكهنة . ونجد اسم « رع » إله الشمس فى أسماء الملوك ، ولكن ابتداء من الأسرة الخامسة نجد الملوك قد أضافوا اسما جديداً إلى الأسماء الأربعة التى كانت معروفة من قبل ، وهذا الاسم الجديد هو « سا — رع » أى « ابن الشمس » .

وبالرغم من أن الملك « شپسسكاف » ابن الملك « منكاوو — رع » بدأ حكمه بإتمام ما لم يتم من مبانى أبيه ، فمن الجائز أنه أحس بضغط الكهنة عليه فاتخذ بضع خطوات للحد من سلطانهم . ومن الأسف ، لم تصل إلى أيدينا حتى الآن وثائق تقص علينا قصة ذلك الصراع بين القصر والكهنة ، ولكنا مع ذلك نستطيع أن نرى واحدة من نتائجه . فمنذ أيام « زوسر » كان الملوك يدفنون فى أهرام كانت ترمز إلى عبــادة الشمس . وقد مرت ثلاثة أجيال من ملوك الأسرة الرابعة وهم يشيدون مقابرهم الملكية فى هضبة الجيزة ولكن « شپسسكاف » قرر أن يبنى لنفسه مقبرة ملكية على طراز آخر ، واختار لها منطقة جديدة فى منتصف المسافة بين الهرم المدرج فى سقارة وأهرام « سنفرو » فى دهشور وهى المنطقة التى نسميها الآن سقارة القبلية .

بنى « شپسسكاف » قبره الذى يعرف الآن باسم مصطبة فرعون فى موقع ممتاز يشرف على منظر جميل للحقول التى تحيط بالعاصمة المزدهرة ،

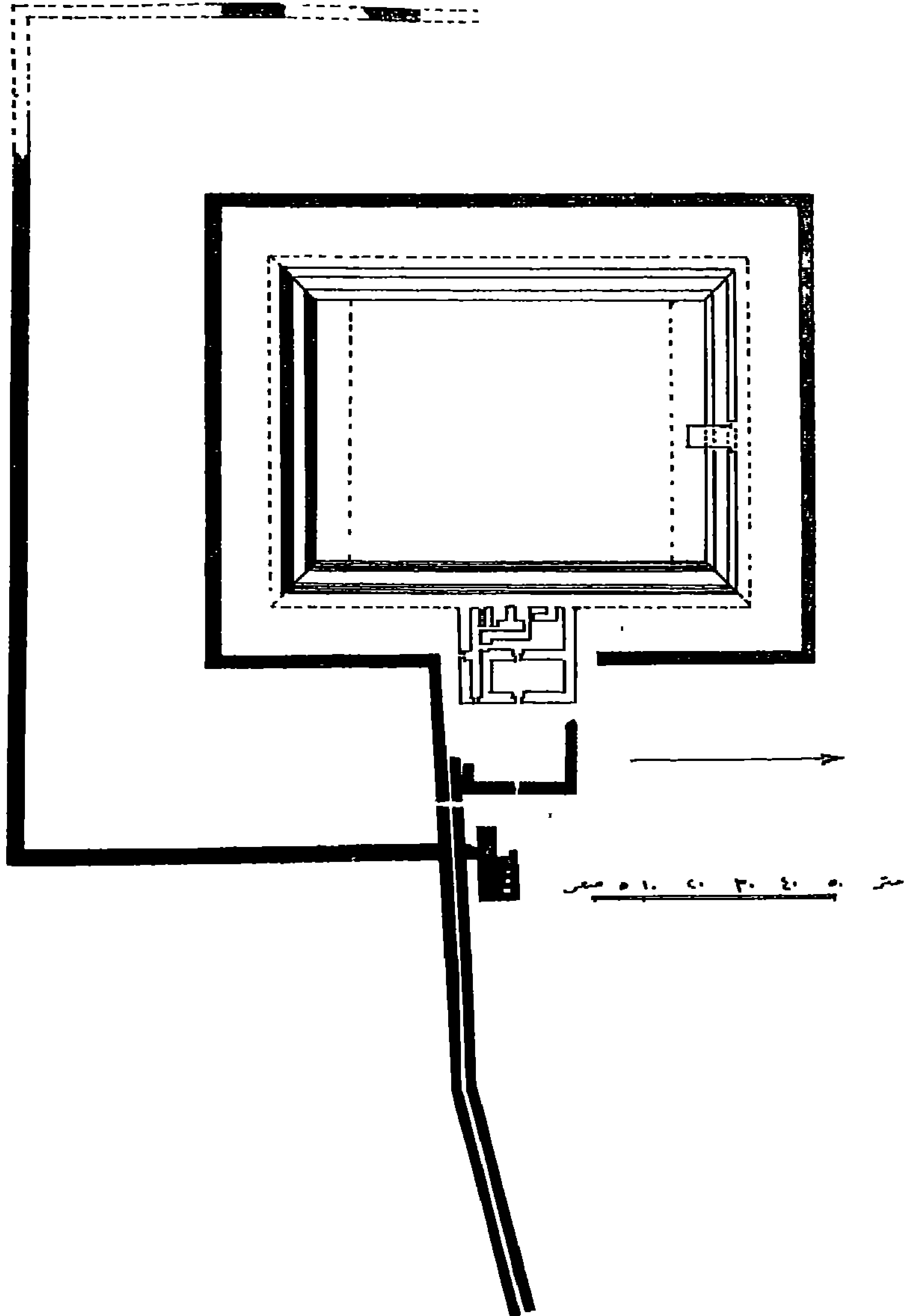
وبناه على صورة تختلف تماماً عن مقابر أسلافه ، فما هو بالهرم ، ولا هو بالمصطبة ، ولكنه على هيئة تابوت ضخم مستطيل ، ويشبه إلى حد ما مقابر ملوك الأسرتين الأولى والثانية (شكل رقم ٨٨) . وطول هذا التابوت ١٠٠ متر ، وعرضه ٧٢ متراً ، وارتفاعه ١٨ متراً ، ويحيط به سور خارجى ، وله هيكل فى الناحية الشرقية منه ، ولهذا القبر الملكى طريق صاعد يوصل بينه وبين معبد الوادى الذى لم يكتشف حتى الآن .



(شكل رقم ٨٨) رسم تخيلى لمصطبة فرعون
(نقلا عن چيكييه Jéquier)

ونجد مدخل الجزء الواقع تحت سطح الأرض من هذه المقبرة الملكية فى الناحية الشمالية من البناء ، ويؤدى إلى ممر هابط طويل ثم إلى دهليز أفقى فى نهايته ردهة على يمينها حجرة الدفن ، وعلى اليسار بضعة مخازن (شكل رقم ٩٠) . والرسم التخطيطى لمصطبة فرعون واضح صريح . وهى ، بوجه عام ، مبنية بعناية تامة وأحجارها مصقولة صقلا تاماً (شكل رقم ٨٩) ، ولكن يلوح أن الأجزاء الداخلية منها لم يتم العمل

فيها : وفى رأى « چيكييه » الذى فحصها فحصاً علمياً كاملا لم تستخدم على الإطلاق لدفن أحد فيها .



(شكل رقم ٨٩) الرسم التخطيطى لمصطبة فرعون
(نقلا عن چيكييه)

لقد فحص « لپسيوس » مصطبة فرعون في عام ١٨٤٣ ثم دخلها « ماريت » بعد ذلك في عام ١٨٥٨ ، وقد نظفها « چيكييه » وفحصها فحصاً علمياً دقيقاً في عام ١٩٢٤ وأثبت أنها بنيت لتكون قبراً للملك « شپسسكاف »(١٥) . وكان لهذه المقبرة الملكية معبد جنازى في الجهة الشرقية منها ، كما ذكرنا ، ولكنه خُرِّب تخريباً كبيراً إلى درجة أنه لم يعثر فيه على اسم صاحبه كاملا : وعلى أي حال فقد عثر على الجزء الأخير من اسمه مكتوباً على إحدى القواعد ، وقد اقتنع « چيكييه » بأنه يجب أن يكون اسم « شپسسكاف » لأن اسمه مذكور في مقابر الأشخاص القريبة من المكان ، كما عثر أيضاً على أسماء بعض الكهنة الذين كانوا يقومون بإحياء الشعائر الدينية الخاصة به . ومن الأمور التي تستلفت النظر أن مخصص اسم هذه المقبرة الملكية كان يرسم عادة على شكل هرمى مثلث ، مثل أسماء أهرام الملوك الآخرين ، ولكن هناك حالات قليلة كان يرسم فيها المخصص على صورته الصحيحة أي على شكل تابوت(١٦) .

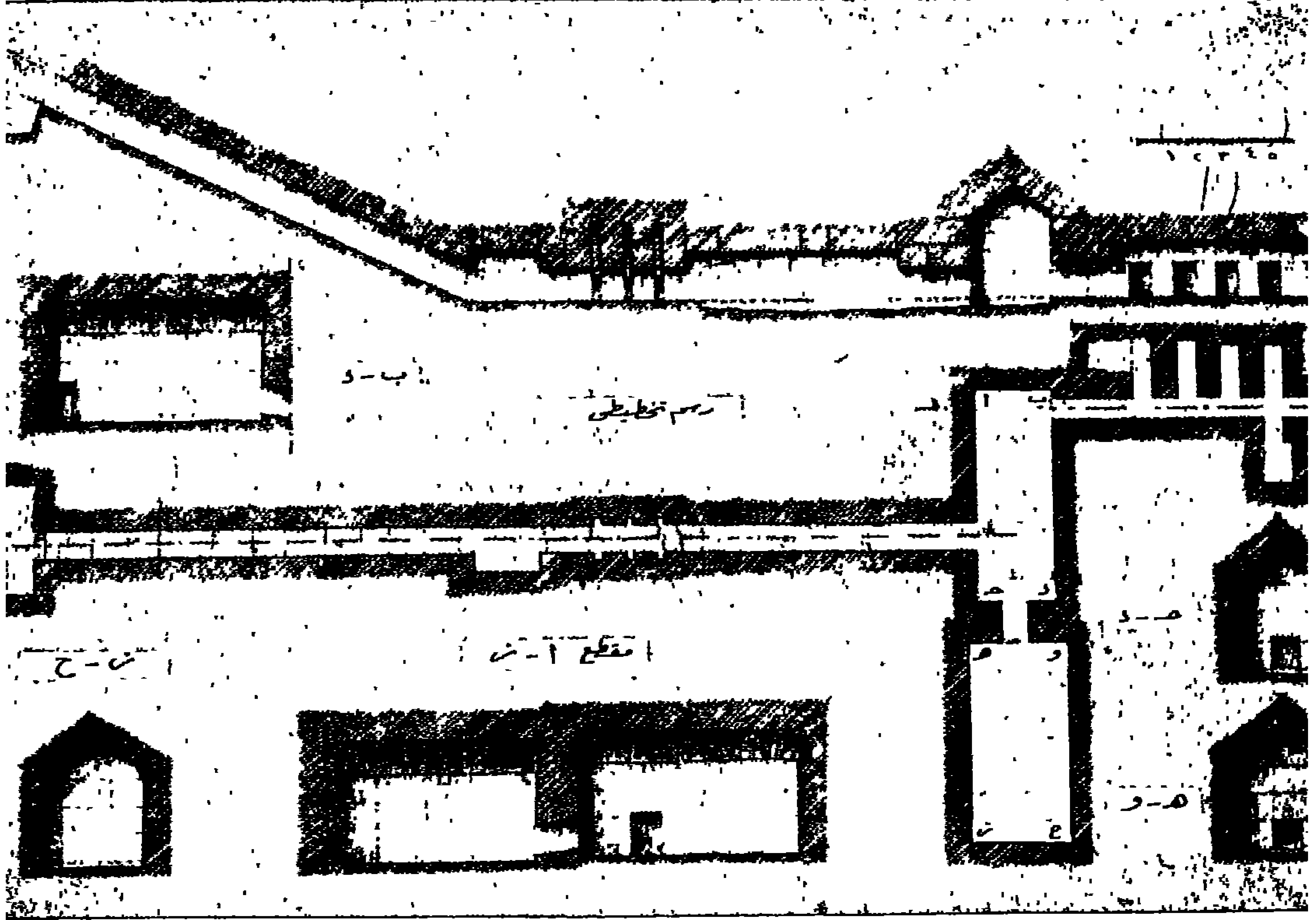
لم يحكم « شپسسكاف » إلا أربع سنوات ، وخلفه ملك آخر اسمه « ددف – پتاح » الذى حكم على ما يظهر عامين ، ولكنا لا نعرف على وجه التأكيد أهو من أفراد الأسرة أم لا . لقد انتهت أيام عظمة الأسرة التي أسسها « سنفرو » كما انتهت أيام مجدها الفني العظيم ؛ إذ جلب الخلاف بين فرعى الأسرة عليها الدمار ، ولكن قبل أن نبدأ الحديث عن أهرام الأسرة الخامسة يحسن بنا أن نتحدث باختصار عن آخر ملكات الأسرة الرابعة .

---

(١٥) G. Jéquier, *Le Mastabet Faraoun (Cairo, 1928).*

(١٦) Ahmed Fakhry, *Sept Tombeaux à l' est de la grande Pyramide de Guizeh (Cairo,* 1935 *),* p. p. 5—6.

ونجد في هذا المؤلف مناقشة لهذا الموضوع ومثلا لاسم الهرم ومخصصه على صورة تابوت .



(شكل رقم ٩٠) رسم تخطيطى ومقطع للأجزاء الداخلية الواقعة تحت سطح الأرض من مصطبة فرعون (نقلا عن چيكييه)

مقبرة الملكة خنتكاوس

وفى جنوبى الهرم الثانى بالجيزة بنيت مقبرة أخرى على غرار قبر الملك « شبسسكاف » . وهذه المقبرة معروفة منذ زمن طويل ونجدها مرقومة فى جميع خرائط جبانة الجيزة تحت رقم « لپسيوس ١٠٠ » . وفى موسم حفائر عام ١٩٣١ – ١٩٣٢ قام المرحوم سليم حسن بالحفر حولها ، ونعرف من نتائج حفائره أنها شيدت لتكون قبراً للملكة « خنتكاوس » التى كانت

أماً للملكين حكما مصر ، وقد صممها المعمارى القديم على هيئة تابوت كبير فوق صخرة كبيرة ، ونحت فى هذه الصخرة الطبيعية الهيكل الخاص بها . وكان استخدام المعمارى لهذه الصخرة الناتئة شبيها بما فعله غيره فى نحت صخرة « أبو الهول » أو الاستفادة من الصخرة التى بنى فوقها الهرم الأكبر . وكانت جدران الهيكل المنحوتة فى الصخر مغطاة بكساء من الأحجار الجيرية نقشت عليه بعض المناظر المعتادة فى مقابر هذا العصر . أما حجرة الدفن فإنها تبدأ من الحجرة الثانية من حجرات الهيكل ، ويؤدى المدخل إلى دهليز هابط ثم إلى حجرة للدفن ، فيها حجرات مخازن صغيرة على جانب الحجرة . والقاعدة الصخرية لهذه المقبرة العظيمة تكاد تكون مربعة ، وطول كل ضلع فيها ٤٥,٥٠ متراً فى المتوسط ، وارتفاعها ١٠ أمتار ، وقد صمموا جدرانها لتكون مزخرفة على هيئة الأبواب الوهمية من الخارج ، ولكنها كسيت فيما بعد بالأحجار الجيرية الجيدة . أما البناء العلوى المبنى بالحجر فهو ٢٧,٥٠ متراً فى الطول ، و ٢١ متراً فى العرض ، وارتفاعه ٧,٥٠ من الأمتار ، ويتكون من سبعة مداميك من كتل الحجر الجيرى المحلى . ويحيط بالمقبرة سور خارجى ، وقد عثر بجانبها على حفرة سفينة منحوتة فى الصخر ، ومن المحتمل أن تكون هناك حفرات سفن أخرى ما زالت تغطيها الرمال .

وفى الجهة الشرقية من قبر « خنتكاوس » نجد عدداً من المبانى المشيدة « بالطوب النيئ » اللبن ، وكانت هذه المبانى مخازن وبيوتاً للكهنة ، ولكن ما زال بعضها حتى الآن دون كشف عنه ، لأنها ممتدة تحت الجبانة الحديثة لبلدة نزلة السمان .

ونعرف من النقوش التى على البوابة الجرانيتية التى كانت تؤدى إلى الهيكل ، وعلى بقايا اللوحة التى عثر عليها هناك ، أن الملكة « خنتكاوس » كانت أماً للملكين يلقب كل منهما بلقب ملك مصر العليا ومصر السفلى ،

وأنها كانت ذات مركز ممتاز فى البلاد فى تلك الفترة ؛ وقد أطلق سليم حسن على هذه المقبرة اسم هرم ، وسماها « الهرم الرابع » ، وفى رأيه أنها حكمت البلاد فعلا(١٧) ؛ ومهما يكن من أمر ، فمن المستحيل أن نطلق على هذه المقبرة اسم هرم ، فإن كلمة هرم تدل على شكل هندسى معين ولا يمكن إطلاقها على كل قبر ملكى دون النظر إلى تصميمه الهندسى . وفى الوقت ذاته فإن النقوش لاتدل على أن هذه السيدة حكمت البلاد ، فإن اسمها لم يكتب فى خانة ملكية ، وليس لها الألقاب الملكية المعتادة ، ولا تلبس فوق رأسها إلا الإكليل المزين بالعقاب ، وهو الإكليل المعتاد لزوجات الملوك والأميرات ، بدلا من التاج الملكى .

ومع ذلك فهذه المقبرة أكبر من أى مقبرة أخرى أقيمت لملكة من ملكات الأسرة الرابعة ، وفيها كثير من الظواهر الهامة وغير العادية .

كانت « خنتكاوس » على الأرجح ابنة للملك « منكاوو — رع » ، ولا شك أنها كانت من السلالة الملكية ولها حق وراثة العرش . وتأثرت هندسة قبرها بهندسة قبر « شپسسكاف » ولكنها فضلت أن تدفن على مقربة من أهرام أبيها وأجدادها ، وكانت فى حقيقة الأمر حلقة الصلة بين الأسرتين الرابعة والخامسة ، ومن الجائز أنها كانت أم أول ملكين من ملوك الأسرة الخامسة ؛ وهما : « أوسر كاف » و « ساحورع »(١٨) . ولا نجد فى نقوشها لقب « زوجة الملك » ، كما لا نجد ذكراً لزوجها مما يدل على أنه لم يكن من أفراد الأسرة المالكة . ونظراً لازدياد نفوذ عبادة

---

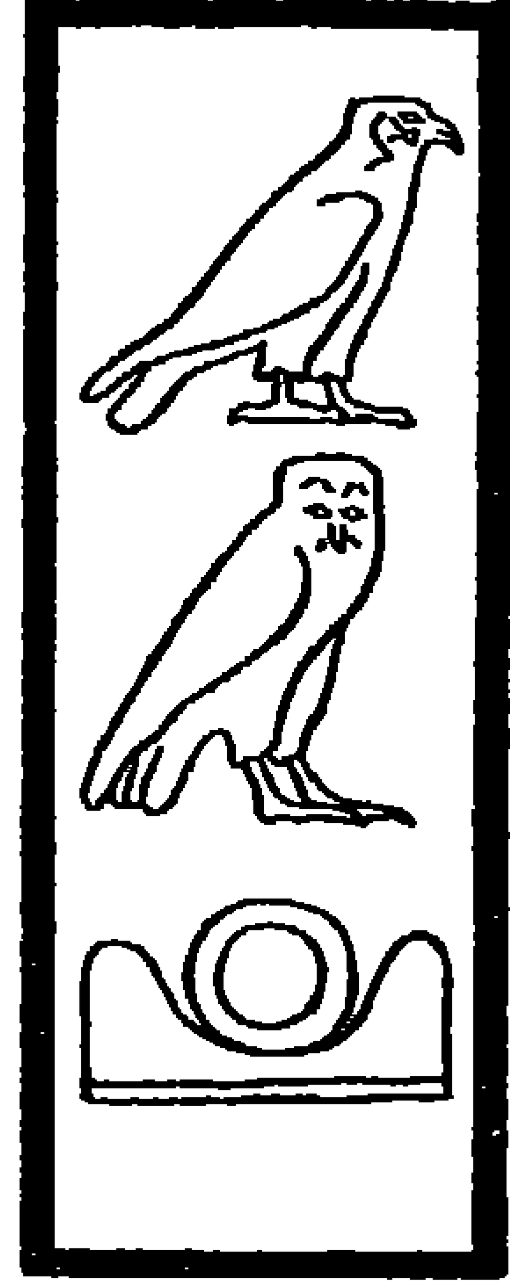
(١٧) Selim Hassan. *Excavations at Giza (Cairo, 1943),* IV, 1—68.

(١٨) انتشر اسم « خنتكاوس » بعد هذه الملكة وأصبح اسماً عادياً وعلى الأخص بين أميرات العائلة ، وربما كانت « خنتكاوس » المعروفة لنا من برديات « أبو صير » والتى ارتبط اسمها بالملك « نفر إر كارع » ابنة لهذه الملكة — ارجع إلى مقال :

L. Borchardt, فى *Annales du Service*, XXXVIII, (1938), 209—15.

الشمس ازدياداً ملحوظاً في ديانة البلاد في الأسرة الخامسة فمن الجائز جداً أن نفترض أنه كان كاهناً أكبر لإله الشمس في هليوبوليس .

وربما كانت هناك صلة ما بين « خنتكاوس » والأسطورة التي سلفت الإشارة إليها ، وهي الخاصة بنسبة الهرم الثالث إلى « رودوپيس » أي « الوردية الخدين » : لقد طعن « هيرودوت » في صحة القصة ولكن أعاد ذكرها كل من « ديودوروس » و « استرابون » اللذين قالا بأن عشاق هذه الغانية هم الذين شيدوا الهرم . فهل كانت هذه القصة محض خيال أو نتيجة سوء فهم ومبالغة في قصة لها أساس من الصحة ؟ إننا نعرف مما كتبه « الأفريقي » أن « مانيتون » ذكر ملكة حكمت في نهاية الأسرة السادسة ، وأن هذه الملكة هي التي بنت الهرم الثالث ، وأنها كانت تسمى « نيتوكريس » ، وكانت أجمل نساء زمانها ، وكانت وضاءة المحيا . والتفسير الوحيد للأسطورة التي رددها « هيرودوت » هو أنه كانت هناك قصة يتناقلها الناس عن ملكة جميلة لعبت دوراً هاماً في تاريخ البلاد ، وأن هذه الملكة كانت مدفونة في جبانة هضبة الجيزة . وكانت صـــفة « وردية الخدين » هي التي خلقت تلك البلبلة التي أدت إلى توحيدها مع « رودوپيس » وأن ما كتبه مانيتون من أن هذه الملكة كانت في آخر الأسرة السادسة إنما هو خطأ صحته الأسرة الرابعة . ومن ذلك نستطيع القول إنه من المحتمل جداً أن تكون « خنتكاوس » هي الملكة التي ذكرت في تلك القصص التي ظلت تروى لمدة تزيد على ألفي سنة بعد موتها .



٨
أبو الهول

يتعذر على أى إنسان أن يكتب عن أهرام الجيزة ، وبخاصة الهرم الثانى ، دون أن يشير إلى « أبو الهول » ، إذ لا يكاد يوجد شخص فى العالم المتمدن يجهل شكل وملامح ذلك الأسد الضخم ذى الوجه الآدمى الذى يربض على الحافة الشرقية من هضبة أهرام الجيزة (شكل رقم ٩٢) .

وكلمة « أبو الهول » مرادفة لكلمة « سر » . فحتى عام ١٩٢٦ كان ذلك التمثال الكبير مدفوناً فى الرمال حتى عنقه ، وطالما ذهب الخيال بالزائرين عما عساه أن يكون مدفوناً تحت تلك الرمال . ولكن فى أيامنا الحالية ، وبعد أن تم رفع الرمال التى كانت حوله تؤكد لنا البحوث الأثرية أن تاريخ أبو الهول يرجع إلى أيام « خفرع » بانى الهرم الثانى ، ولكن هؤلاء الأثريين أنفسهم لا يمكنهم أن ينكروا أنه توجد حاجة ماسة إلى المزيد من الحفائر قبل أن يقولوا – وهم مطمئنون – إن رمال المنطقة لا تخفى تحتها شيئاً آخر .

وقصة أبو الهول ، كما كشفت عنها الحفائر — وخصوصاً تلك التى تمت بين أعوام ١٩٢٦ و ١٩٣٦[١] قصة طريفة . فما من شك فى أن هذا التمثال جزء من مجموعة « خفرع » الهرمية ، ولكنها ظاهرة فريدة ، لم يقم بعمل مثلها ملك آخر من ملوك الفراعنة . ولهذا يحق لنا أن نتساءل : كيف نشأت ؟ وما هو السبب الذى جعل « خفرع » يقوم بهذا التجديد ؟

ويربض أبو الهول فى وسط مكان منخفض على الحافة الشرقية للهضبة . وليس هذا المنخفض فى حقيقة الأمر إلا محجراً كبيراً من المحاجر التى قطع منها العمال الأحجار اللازمة لبناء الأهرام والمقابر الخاصة . أخذوا من هذا المحجر أحسن الأحجار ، أى الصلبة منها ، ولكن بقيت فى وسطه كتلة كبيرة تركوها فى مكانها لأن حجرها كان من نوع غير جيد . وكان وجود هذه الكتلة الكبيرة فى مكانها على مقربة من معبد الوادى شيئاً لا يروق للعين ، بل يفسد منظر الهرم الثانى وطريقه الصاعد . وهنا واجه البناؤون مشكلة كان عليهم أن يجدوا حلاً لها . كان عليهم أن يختاروا بين أن يزيلوا هذه الكتلة الضخمة إزالة تامة أو يغيروا شكلها . ومن المحتمل أن شكلها الطبيعى كان يوحى فى صورة ما بشكل أسد رابض ، وعلى أى حال فإن مهندسى « خفرع » أمكنهم أن يروا فيها ما يمكن أن يصبح تمثالا فخماً للملك على صورة أسد له رأس إنسان ، ثم حولوا هذه الفكرة إلى حقيقة واقعة ، وحولوا هذه الكتلة التى تؤذى العين إلى أثر جميل .

وأبو الهول منحوت كله فى صخر الجبل ، وارتفاعه يزيد قليلا على ٢٠ متراً ، وطوله ٥٧ متراً ، ولم تكن هناك حاجة فى الأصل لعمل أى جزء منه

---

(١) Porter and Moss, *Topographical Bibliography* III, 8–9.

ومن يريد الوقوف على نتائج الحفائر الحديثة بالتفصيل والمراجع الخاصة بهذا الموضوع فليرجع إلى :

Selim Hassan, *The Great Sphinx and Its Secrets (Cairo*, 1953)

من المبانى ، ولكن حدث مع مرور الزمن أن بعض أجزاء من الحجر غير الجيد قد تفتت وتآكل بسبب القدم وهبوب العواصف الرملية التى لا حصر لها ، ولهذا كان الحكام أو الكهنة فى العصور المختلفة يرممون جسمه ويديه بأحجار صغيرة . وينظر « أبو الهول » نحو الشرق ، وهو بسيط فى نحته ، عظيم فى هيئته ، وعلى رأسه لباس الرأس الملكى المعروف باسم « نمس » ، وينزل على جانبى وجهه الذى يمثل وجه الملك « خفرع » نفسه . ويجدر بى أن أصحح قصة طالما تناقلها الناس ونشرتها بعض الكتب عن تحطيم جنود نابليون لأنف أبو الهول ، وذلك عندما استخدموا هذا التمثال كهدف عند تمريناتهم فى إطلاق البنادق والمدافع .



(شكل رقم ٩١)
لوحة عليها رسم أبو الهول والهرمين

ويكذب هذه القصة ما رواه المؤرخ العربى « المقريزى » الذى توفى عام ١٤٣٦ ميلادية . يذكر المقريزى أنه كان يعيش فى زمانه رجل صوفى يسمى « صائم الدهر » ، وكان هذا الرجل ممن يريدون إدخال الإصلاح فى أمور الدين ، فذهب إلى منطقة الأهرام وشوه وجه « أبو الهول » وقد بقى هذا التشويه حتى الآن . ويزيد المقريزى على ذلك بأنه منذ حدوث

هذا التكسير أخذت الرمال تغطى الأراضى المزروعة فى الجيزة ، وقد نسب الأهالى حدوث هذه الكارثة إلى تكسير وجه أبو الهول .



(شكل رقم ٩٢) — أبو الهول وأمامه خرائب معبده وخلفه الهرم الثانى ، وعلى يسار الصورة نرى معبد الوادى والطريق الصاعد للهرم الثانى .

ويرمز أبو الهول — كما قلنا ، وكما أراد من نحتوه — إلى الملك ، وليس وجهه إلا صورة لوجه « خفرع » . وبالرغم من أننا نعرف أنه لم يحدث أن ملكاً من ملوك الدولة القديمة أو غيرها حاول تقليد هذا التمثال الضخم فإنا نجد فى النقوش التى كانت تزين الطرق الصاعدة لبعض أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة مناظر عند بدايتها فى جهة الشرق تمثل الملك على

هيئة أسد يصرع تحت أقدامه أعداء مصر المطروحين أمامه على الأرض . ومن الجائز جداً أن يكون « أبو الهول » هو الذى أوحى للفنانين بذلك لأنه رابض فى مكان مماثل ، أى عند بداية الطريق الصاعد فى مجموعة « خفرع » الهرمية .

وفى أيام الدولة الحديثة تغيرت فكرة المصريين عن « أبو الهول » : وبالرغم من أن الملوك القدماء فى تلك الفترة كانوا يرمزون إليهم بأسد له رأس رجل ، وكان يرمز أيضاً للملكات بأنثى الأسد فإن « أبو الهول » الرابض فى صحراء الجيزة أصبح يمثل إله الشمس ، كما أصبحت له عبادة خاصة فى المنطقة ، ومكان يحج إليه الزائرون . وبالرغم من هذه الصفة فإن الرمال كانت تزحف عليه وتغطى جزءاً كبيراً منه بين حين وآخر ، وفى وقتنا الحاضر يحتاج الأمر بين فترة وأخرى إلى رفع الرمال التى تأتى بها الرياح ليبقى ما حوله نظيفاً .

وفى منتصف أيام الأسرة الثامنة عشرة كان «أبو الهول» مغطى بالرمال حتى عنقه ، على ما يظهر ، وكانت الصحراء التى حول الأهرام تعج بحيوانات الصيد ، وكان الأمراء وأشراف البلاد يخرجون للاستمتاع بالصيد فى تلك المنطقة . ونعرف من إحدى الوثائق القديمة ، أن أميراً شاباً يسمى « تحوتمس » ، وكان من أبناء الملك « أمنحوتب الثانى » ، خرج للصيد فى تلك المنطقة ، وعند الظهيرة أتى إلى المكان القريب من « أبو الهول » ليتناول طعامه ويرتاح فى ظل رأسه ، وكان الرأس هو الجزء الظاهر من الرمال . وعند ما أخذت الأمير سنة من النوم رأى فى الحلم أن هذا الإله قد تحدث إليه وشكا له من تراكم الرمال حوله تراكما جعله لا يستطيع التنفس بسهولة ، وبشر الإله « حورمخيس » ، ومعناه « حورس فى الأفق » وهو الاسم الذى كانوا يطلقونه على أبو الهول فى ذلك العهد ، الأمير الشاب بأنه سيصبح ملكاً على مصر إذا وعد بإزالة الرمال التى حوله . ووعد الأمير تحوتمس

بتنفيذ ذلك فى حلمه ثم جدد له هذا الوعد بعد استيقاظه ، ولكنه أبقى أمر هذه الرؤيا سرا ولم يتحدث بها إلى أحد . وبالرغم من أنه كان لهذا الأمير إخوة أحق منه بتولى العرش فإن « أبو الهول » حافظ على وعده ، وتولى الأمير عرش البلاد وأصبح يعرف باسم « تحوتمس الرابع » وقد أمر هذا الملك برفع الرمال المتراكمة حوله كما أمر ببناء سور من اللبن حول المكان ليمنع تراكم الرمال مرة أخرى ، بناه حول أبو الهول فى الجهات الشمالية والغربية والجنوبية ، وما زالت بعض بقايا السور قائمة حتى الآن ، وعلى كل طوبة منها اسم ذلك الملك . نقرأ تفاصيل قصة حلم تحوتمس وقصة الاتفاق بينه وبين أبو الهول على لوحة أمر بإقامتها هناك ، وهى اللوحة الجرانيتية التى مازالت قائمة حتى اليوم أمام صدره (شكل رقم ٩٣) .

وأغلب الظن أن هذه القصة ليست إلا قصة وضعت للدعاية السياسية فقط ، اخترعها تحوتمس ليحمل الناس على الاعتقاد بأن اعتلاءه العرش راجع إلى اختيار إلهى ، لأنه لم يكن صاحب الحق فى ذلك ، لقد أعلن نفسه ملكا وذلك راجع إما إلى نفوذه الخاص ، وإما بسبب المنازعات فى الأسرة المالكة . ومن المحتمل أيضاً أن كهنة هليوبوليس ومنف قد عاونوه على ذلك ، وكان أولئك الكهنة يكنون أكبر الاحترام للإله « حور ـ ام ـ أخت » (حورمخيس) الذى يرمز إليه تمثال « أبو الهول » ولهذا أراد تحوتمس أن يرى الناس أن إله الشمس نفسه هو الذى اختاره ليكون ملكاً على البلاد . وليس عمله هذا غريباً على التاريخ المصرى ، فقد اقتفى المثل الذى سنته الملكة حتشپسوت إحدى شهيرات الفراعنة عندما ادعت أنها ابنة للإله « أمون ـ رع » الذى تخفى فى صورة أبيها تحوتمس الأول وزار أمها فى مخدعها ، وكانت ترمى حتشپسوت من وراء ذلك إلى إقناع الناس بأنها أحق بالملك من ابن أخيها .

وفى الحفائر الأخيرة التى قامت بها مصلحة الآثار تحت إشراف



(شكل رقم ٩٣) أبو الهول ، ونرى أمامه اللوحة الجرانيتية التى تقص حلم الملك تحوتمس الرابع ، ونرى فى الصورة أيضاً مذبحاً من الجرانيت من العصر الرومانى

المرحوم سليم حسن فى عام ١٩٣٦ ظهرت لوحات كثيرة هامة ، كما ظهرت أيضاً بعض آثار أخرى ، وكلها تدل على أن « أبو الهول » كان موضع تكريم خاص فى أيام الدولة الحديثــة ، وأن كثيراً من الملوك والأشخاص العاديين كانوا يأتون لزيارته والتماس البركة والرضوان منه .

وأهم ما عثر عليه فى تلك الحفائر معبد صغير شاده الملك « أمنحوتب الثانى » تكريما لأبو الهول ، وهو قريب جداً فى الناحية الشمالية الشرقية منه . وهو مبنى باللبن ، ولكن مداخل أبوابه مبنية بالحجر الجيرى الجيد ، وعليها نقوش متعددة ، ولكن أهم ما فى المعبد لوحة كبيرة الحجم فى آخر مكان منه ، وهى من الحجر الجيرى ، ويقص علينا فيها الملك « أمنحوتب الثانى » سبب بناء المعبد ، والكثير من المعلومات الأخرى . كان أمنحوتب فى صغره مولعا بالخيل وبأنواع الرياضة البدنية الأخرى ، وكان لا يحس بالسعادة إلا عندما يدخل اسطبلات خيول أبيه فى منف ليسوق الجياد ، ويتعلم كيف يدربها . ويعتنى بها ورفع أحد رجال البلاط الأمر إلى أبيه الملك ، ولكن تحوتمس الثالث ، ذلك المحارب العظيم ، أبدى سروره لأن ابنه الصغير أخذ يظهر سمات الرجولة . واستدعى ابنه إليه وطلب منه أن يريه ما يستطيع القيام به ، فأخذ الفتى يستعرض مهارته فى قيادة العربة ، فسر « تحوتمس » سروراً كبيراً من مقدرته وشجاعته وأمر بأن يعطى له كل ما فى اسطبلات منف من خيول . ويقص « أمنحوتب » أنه حدث فى أحد الأيام أنه أسرج خيول عربته فى منف وساقها إلى جبانة الجيزة حيث قضى اليوم يزور الآثار ويتجول معجباً بالأهرام وأبو الهول وأقسم إنه عندما يأتى اليوم الذى يعتلى فيه عرش البلاد أن يبنى معبداً تكريماً لأبو الهول وأن يضع فى ذلك المعبد لوحة يقص فيها قصة زيارته وقصة ذلك اليوم السعيد الذى قضاه فى هذه المنطقة .

وزاد بعض الملوك الذين حكموا مصر بعد « أمنحوتب الثانى » بعض

الزيادات فى هذا المعبد ، ونجد الملك « سيتى الأول » أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة يقدم لوحة من الحجر الجيرى فى هيكل جانبى يتفرع من فناء المعبد ، وعلى هذه اللوحة نرى « سيتى الأول » يصيد بعض الحيوانات ، ونعرف مما ورد عليها من نقوش أن سيتى قد أتى إلى هذا المكان الذى يأتى إليه الناس للتعبد . ومن أعمال سيتى أيضاً أنه أضاف قائمتى كتف البوابة الخارجية لهذا المعبد ، وقد نقش حفيده الملك « مرنپتاح » اسمه على ناحية منها :

ولم يقتصر الأمر على تلك اللوحات التى أمر بإقامتها الملوك ، بل كشفت الحفائر أيضاً عن وجود عدد كبير من اللوحات التى قدمها رعاياهم . وبعضها عبارة عن لوحات نقشت أو رسمت عليها أذن آدمية أو أذنان يصحبها أحياناً دعاء أو اسم صاحبها فقط ، والمفروض أن هذه الآذان هى آذان الإله ، وكان المتعبد يضع مثل هذه اللوحة قريباً ما أمكن من تمثال الإله ليحصل منه على العناية والاستجابة . ومما يستلفت النظر حقاً أن بعض أصحاب تلك اللوحات كانوا يطلبون مطالب روحية مثـل الذكاء والفهم والقناعة .

وعثر هناك أيضاً على عدد من اللوحات التى رسموا عليها « أبو الهول » ويرسمونه عادة وعلى رأسه التاج وعلى جسمه ، الذى على هيئة جسم الأسد ، زخرفة بريش الصقر ، ويلبس عقداً عريضاً حول عنقه ، ويجثم فوق قاعدة لها زخرفة كورنيشية فى أعلاها ، ولها باب . ومثل هذا الرسم جدير بالتفسير لأن من قاموا برسمه كانوا من الفنانين القدماء الذين عاصروا الزمن الذى عبد فيه الناس هذا التمثال ، وكانوا يرونه أمام أعينهم .

ويسهل علينا تفسير وجود التاج وما على الجسم من زخرفة . ففى أعلى رأس أبو الهول ثقب مربع عميق (مملوء الآن بالأتربة) لتثبيت قائمة التاج

الضخم الذى كان فوق رأسه ، أما العقد والريش المرسوم على جسده فربما كانت حليات موضوعة فى مكانها . أما رسم القاعدة فقد تسبب وجودها فى تضليل « ماسپرو » وغيره من الباحثين وجعلهم يتجهون اتجاها خاطئا . فمنذ أزمان بعيدة ، ترجع إلى أيام البطالمة ، كانت هناك قصص منتشرة بين الناس عن وجود حجرة سرية أو مقبرة تحت « أبو الهول » ، وإنه يحتمل وجود دهليز سرى موصل بين « أبو الهول » والهرم الثانى . وحاول « ماسپرو » عبثاً البحث عن هذه القاعدة ، وبذل كثيراً من الجهد والمال إذ نظف الجزء الواقع أمام هذا التمثال حتى وصل إلى الصخر ولكنه لم يجد لها أثراً . وتم تنظيف المنطقة كلها عام ١٩٢٦ وأصبح مؤكداً أن « أبو الهول » منحوت فى الصخر وأنه فى مستوى أرضية المحجر القديم التى مهدوها قديماً عندما بدأوا فى نحته . ولكن لم يمض وقت طويل حتى ظهر سر القاعدة . حدث بعد سنوات قليلة أن اتضح عند فحص صورة فوتوغرافية صورها أحد المصورين لأبو الهول دون أى هدف خاص بعد الانتهاء من الحفائر التى تمت فى الناحية الشرقية منه ، حدث أن ظهر تمثال « أبوالهول » فى الصورة وكأنه يجثم فوق معبده المشيد أمامه . ولا شك أن واجهة ذلك المعبد عندما كان كاملا فى العصور القديمة ومحتفظاً بإفريزه العلوى وأبوابه يشبه القاعدة التى نراها مرسومة على اللوحات .

ونحن نعلم علم اليقين أن معبد أبو الهول كان مغطى تماماً بالرمال فى أيام الدولة الحديثة ، وذلك لأن أساسات معبد « أمنحوتب » مبنية فوق أحد أركانه ، ولكن بالرغم من ذلك فإن فنانى الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كانوا يعلمون بوجود هذا المعبد ويعلمون أيضاً مظهره الخارجى ، وهذا بدوره يدلنا على أنه يمكننا الاعتماد على الوثائق القديمة ، ويدل أيضاً على أن المصريين القدماء كانوا يعرفون من تاريخهم القديم أكثر مما نعتقد أنهم كانوا على علم به .

وفى بعض الرسوم التى وصلت إلينا من الدولة الحديثة نرى تمثالا كبيراً لأحد الملوك يقف أمام صدر أبو الهول ، ولكن كل ما بقى منه الآن نتوء لا شكل له ما زلنا نراه حتى الآن فى ذلك الموضع ، ولكن جميع تفاصيله قد أضاعتها الأيام .

وتدلنا اللوحات والتماثيل الصغيرة لأبو الهول ، وتماثيل الأسود والصقور التى عثر عليها حوله ، على الأسماء التى كان يطلقها عليه المتعبدون القدماء . كان أكثرهم يسميه « حور — أم — أخت » أى « حورس فى الأفق » أو « حورختى » أى حورس المنتمى إلى الأفق ، وكلاهما مناسب له ؛ لأن الجبانة القـــديمة كلها كانت تسمى « أخت — خوفو » أى أفق خوفو .

وكان أبو الهول يسمى فى بعض الأحيان « حو » أو « حول » ووحدوه أيضاً مع الإله الكنعانى « حورون » الذى كان على هيئة الصقر ، والذى انتشرت عبادته فى مصر فى أيام الأسرة التاسعة عشرة . وفى الدولة الحديثة أيضاً استخدم المصريون مرة أخرى المقابر المنحوتة فى الصخر فى الجهة الشمالية من « أبو الهول » استخدموا بعضها كمدافن ، والبعض الآخر كمخازن ، يضعون فيها اللوحات والتماثيل الصغيرة التى كان المتعبدون يقدمونها قرباناً لذلك الإله ، كما نجد أيضاً أن بعض الشخصيات الهامة فى هذا العهد نحتوا لهم مقابر فى الصخر قريباً من « أبو الهول » تبركا بالمكان .

ومما يدعو إلى الدهشة أن « هيرودوت » لم يشر بكلمة واحدة إلى « أبو الهوْل » عندما قص علينا قصة زيارته لأهرام الجيزة .

وفى العصر البطلمى لا بد أن « أبو الهول » كان غير مغطى بالرمال لأن عوامل التعرية جعلت هذا التمثال يفقد بعض خطوط شكله ، وقد حاول

البناؤون فى ذلك العهد أن يعيدوا شكله إلى ما كان عليه وذلك باستخدام أحجار صغيرة الحجم ، ما زلنا نراها فى ترميم ذراعى التمثال ، وعلى جانبيه ، وفى ذيله ، ليعيدوا إليه شكله الأصلى ، ووضعوا أيضاً بين يديه مذبحاً من الجرانيت الأحمر ما زال فى مكانه حتى الآن .

كانت منطقة « أبو الهول » من المناطق التى كان يقبل عليها الناس فى العصر الرومانى ، يحجون إليها ويتنزهون فيها ، وبنوا هناك ما يشبه المسرح المدرج ، وكان مكوناً من درجات ، كما شـيدوا بعض المبانى على طراز العمارة الرومانية ليخلدوا زيارات بعض الشخصيات الأجنبية التى أتت للاستمتاع برؤيته . ونقش كثير من الزوار أسماءهم ، وأحياناً تعليقاتهم ، على ذراعى « أبو الهول » وعلى لوحات من الحجر الجيرى تركوها على مقربة من المكان . ومهما كان شعورنا إزاء ذلك التشويه للآثار القديمة بالكتابة عليها فإنه لا يسعنا إلا التسامح مع الشخص الذى كتب قصيدة باللغة اليونانية على إحدى أصابع مخلب « أبو الهول » وها هو ذا جزء منها :

. . . .

. . . . فقد هلكوا أيضاً .
وهذه الجدران فى طيبة بنتها الحوريات ،
ولكن جدارى لا يخشى الحروب ،
إنه لا يعرف التعرض لهجمات الحرب أو يعرف الانتحاب .
إنها تجد مسرتها دائماً فى الأعياد والموائد ،
وفى الغناء الجماعى للشباب الذين يأتون من كل مكان ؛
إننا نسمع نغمات الناى ، لا نفير الحرب ،

والدم الذى يروى الأرض إنما هو دم ثيران الأضاحى ،
وليس من أعناق الرجال المذبوحين .
إن ما نتزين به هو ثياب الأعياد ، لا أسلحة الحرب ،
ولا نحمل فى أيدينا السيف ،
ولكن كأس الأخوة فى المائدة .
وخلال ساعات الليل كلها عندما تشتعل القرابين ،
نغنى الأناشيد للإله حورمحيس (حور — أم — أخت) ،
ونزين رؤوسنا بأكاليل الزهر[٢] .

* * *

إن جمال هذه السطور يعيد إلى أذهاننا حقيقة صورة الماضى . وما زلنا نرى حتى اليوم حفـــلات مماثلة يقيمها بعض الشبان فى ليالى الصيف المقمرة ، نراهم هناك وهم يغنون ويلعبون موسيقاهم .

إن من يذهب لزيارة « أبو الهول » فى ضوء القمر لا يمكن أن تتجه أفكاره إلا إلى السلام ، وخصوصاً عندما يتطلع إلى قسمات وجهه ويرى فيها ذلك الهدوء وتلك العظمة ، إنه يحس بسحر المكان وتصبح « الحرب وإشاعات الحرب » أشياء بعيدة لا وجود لها .

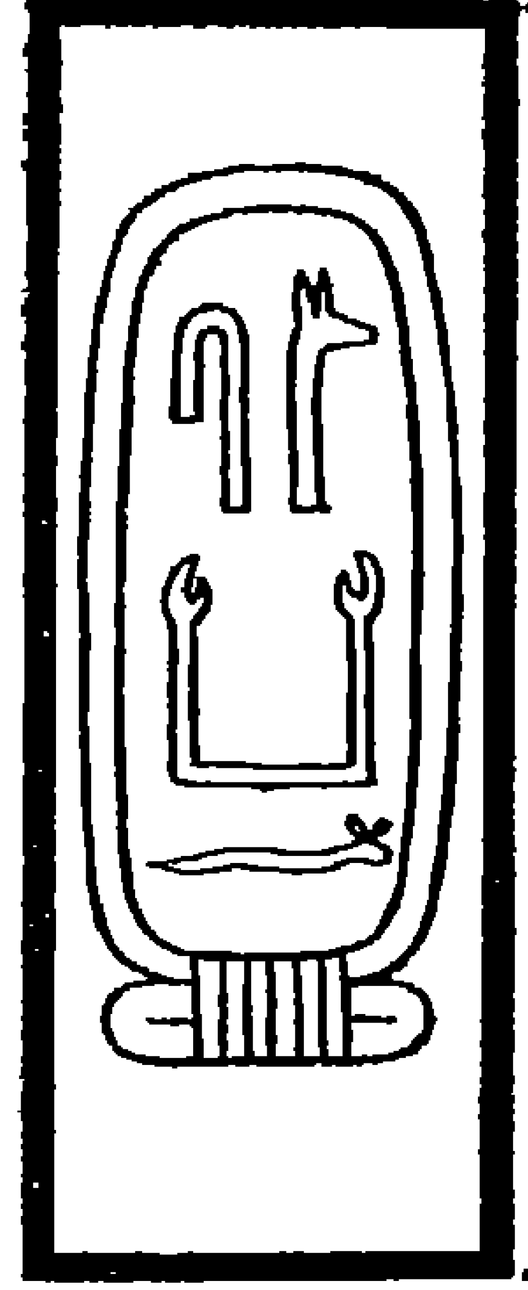
لقد مرت آلاف السنين وما زال « أبو الهول » جاثماً فى مكانه ينظر نحو الشرق وعلى شفتيه ابتسامة باهتة ، مليئة بالأسرار والاستعلاء . رأى مصر وهى فى أوج عظمتها ، كما رأى أيضاً كثيراً من جنود أجانب أعداء البلاد يدنسون الأرض المقدسة التى تمتد أمام يديه . وكم

---

(٢) Selim Hassan, *The Great Sphink and Its Secrets*, p. 122.

تغيرت الأيام والليالى ، وكم مرّ على مصر من مدّ وجزر فى تاريخها الطويل ، وكان المصريون ينظرون دائما إلى ذلك التاريخ القديم ينتظرون منه الإلهام .

إنهم ينظرون إلى الأهرام كرمز للاستقرار والاعتزاز ، وهم ينظرون أيضاً إلى أبو الهول كمصدر غير محدود للحكمة ، وللأمل فى المستقبل .



٩
أبناء الشمس

انتهت الأيام المجيدة للأسرة الرابعة بفترة مظلمة فى تاريخها . لقد انتهى حكم البيت المالك الذى أسسه « سنفرو » وابنه « خوفو » ، ومن المحتمل أن السحب بدأت تتجمع فى عهد الملك « شپسسكاف » لأنه لم يستطع أن ينزع عن كاهل البلاد نير كهنة « رع » . ودليلنا على أحداث تلك الفترة مستمد من تاريخ البيت الحاكم الجديد ، الأسرة الخامسة ، التى بنى ملوكها أهرامهم ومعابدهم فى « أبو صير » و « أبو جراب » على مسافة ثمانية كيلو مترات جنوبى أهرام الجيزة .

وفى « بردية وستكار » التى أشرنا إليها فى فصل سابق ، قصة تتناول أصل ملوك الأسرة الخامسة وصلتهم بإله الشمس . نقرأ فى هذه القصة أن ساحراً يسمى « ددى » أخبر الملك « خوفو » أن امرأة اسمها « رد — ددت » — وكانت زوجة لكاهن من كهنة رع — حملت بثلاثة أطفال من الإله « رع » . وقال « ددى » : « وقال لها (أى الإله رع) إنهم سوف يتولون هذا المنصب السامى (أى اعتلاء العرش) فى هذه الأرض كلها ، وإن أكبرهم سيصبح الكاهن الأكبر فى هليوپوليس » . فأحزن هذا الخبر قلب الملك ، ولكن « ددى»

قال له : « عفوا . ماذا أصابك يا سيدى الملك ؟! وهل هو بسبب هؤلاء الأطفال الثلاثة ؟ وإذن فإنى أقول لك : سيتولى ابنك الحكم ويأتى بعده ابنه ، ثم يأتى بعد ذلك واحد منهم »[1] .

وعند ولادة أولئك الأطفال كانت إيزيس وغيرها من الآلهة والإلهات إلى جانب الأم ، وسمتهم « إيزيس » بأسماء : « وسر ــ رف » و « ساح ــ رع » و « ككو » ، ويقصد بها أسماء الملوك الثلاثة الأول من الأسرة الخامسة وهم : « وسركاف » و « ساحو رع » و « كاكاى » (نفر إركا رع)[2] .

وليست هناك حاجة إلى القول بأن هذه الأسطورة ــ وهى أسطورة المولد الإلهى لأول ثلاثة ملوك فى الأسرة الخامسة ــ اخترعها المصريون فى عهد متأخر عن عهد خوفو ، بل من المحتمل جـــداً أن تكون قد كتبت فى أيام أول ملوك الأسرة الخامسة لمحاولة إقناع الشعب بأن توليه العرش كان عن طريق معجزة إلهية حتى لا يتحدى أى إنسان حقه فى الملك ، ومنذ هذا الوقت أصبح اسم « ابن الشمس » من أسماء جميع الملوك الذين حكموا مصر .

هرم « أوسر ــ كاف »

اختار أول ملوك الأسرة الخامسة منطقة سقارة ليشيد هرمه قريباً ما أمكن من الهرم المدرج ، إذ كان يوجد فى تلك المنطقة فى ذلك العهد

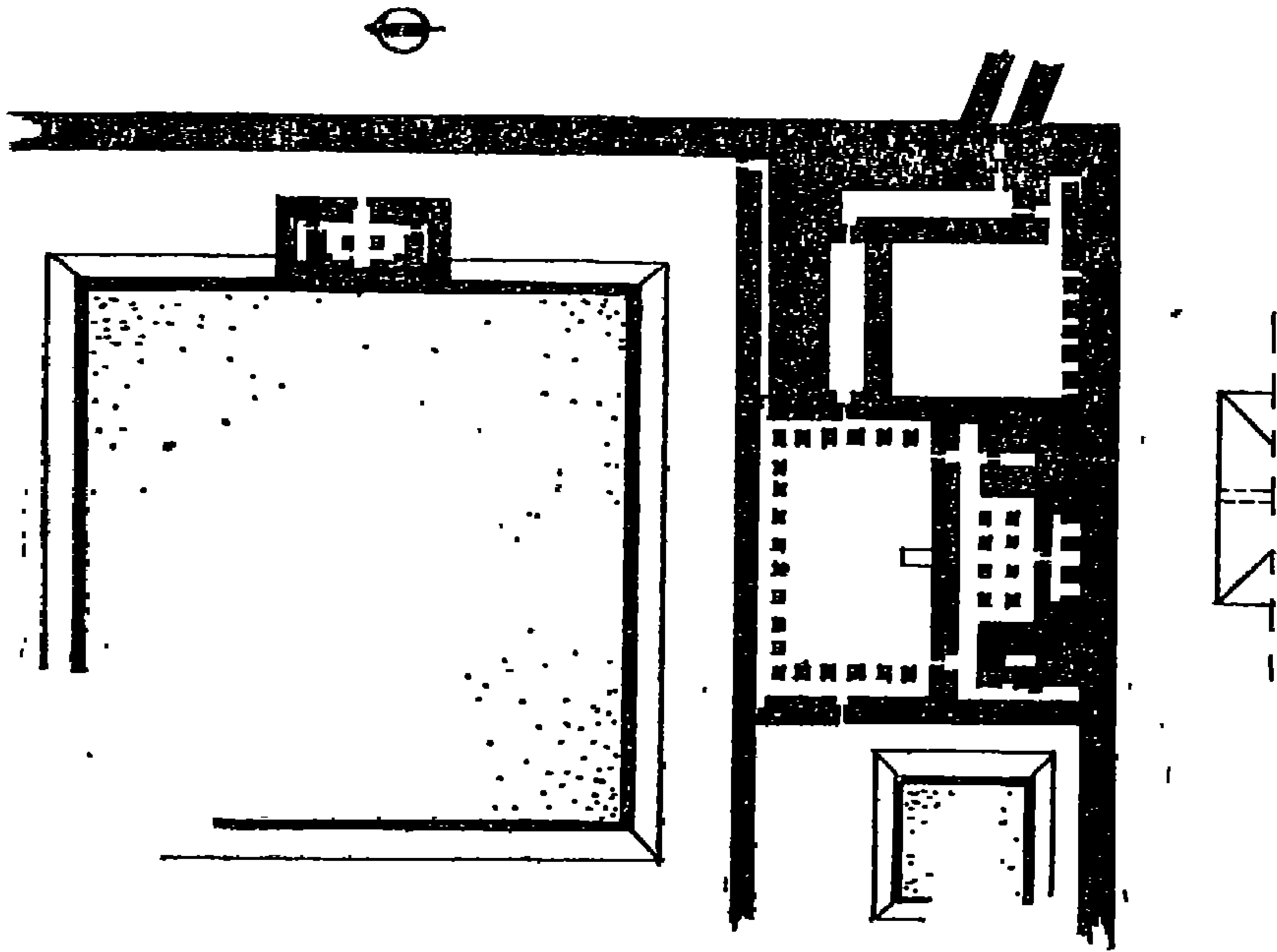
---

(١) تقرر النبوءة أن أول ملوك الأسرة الجديدة يأتى بعد « خفرع » و « منكاوو ــ رع » ، ولكن الواقع أنه قد حكم بعد خوفو أربعة ملوك على الأقل من ملوك الأسرة الرابعة ، ولكن يظهر أن الملوك المعروفين الذين شيدوا الأهرام الكبيرة هم الذين ظلت أسماؤهم حية فى أذهان الناس ومتواترة فى قصصهم .

(٢) من أراد الوقوف على القصة الكاملة فى بردية وستكار مع تحليل لها باللغة العربية فليرجع إلى كتاب تاريخ الحضارة المصرية ــ الجزء الأول (القاهرة ١٩٦٢) ص ٣٩٦ ــ ٤٠٤ فى الفصل الذى كتبته عن الأدب المصرى القديم .

كثير من الأماكن غير المشغولة . أراد « أوسر — كاف » أن يكون مقره الأبدى قريباً جداً من هرم سلفه العظيم « زوسر » ، ولهذا اختار مهندسه المعمارى موقعا على حافة الهضبة لا يبعد أكثر من ٢٠٠ متر من الركن الشمالى الشرقى لمجموعة الهرم المدرج .

ولا نجد فى عمارة هذا الهرم شيئاً يدل على ترك التقاليد القديمة ، ولكننا نجد فى معبده الجنازى تجديدا وهو أنهم بنوا هيكل القرابين فى الجهة الشرقية من الهرم ، فى حين بنوا باقى أجزاء المعبد الجنازى فى الجهة الجنوبية (شكل رقم ٩٤) . ويعتقد « س . م . فيرث » — الذى قام بالكشف عن هذا



(شكل رقم ٩٤) الرسم التخطيطى لمجموعة « أوسر - كاف » الهرمية
(نقلا عن فيرث — لوير) .

الأثر أن السبب فى هذا الترتيب غير الطبيعى إنما كان بسبب ضرورة حتمها موقع المكان الذى اختاروه . يعتقد « فيرث » أنه لم يكن يوجد مكان كاف

لتشييد الهرم الجنازى فى الجهة الشرقية من الهرم ، ولهذا السبب بنى المهندس المعمارى هيكلا صغيرا من الحجر الجيرى فى هذه الجهة ، وبنى المعبد الجنازى الرئيسى فى الجهة الجنوبية ، ويوافق « چ . ف . لوير » ، آخر من قام بالحفر فى هذا المعبد ، على هذا الرأى ، ولكن « هربرت ريكه » يعتقد أن ترك التقليد القديم إنما كان عن قصد ، وأن ذلك التغيير مرتبط بعبادة الشمس التى أخذ نفوذها يزداد ازدياداً كبيراً فى ذلك العهد . تسير الشمس من الشرق إلى الغرب فى النصف الجنوبى من السماء ، ولهذا السبب لا يمكن أن تغيب الشمس عن أى مذبح يوضع فى هذه الجهة أو أن يمتد إليه الظل(٣) . ولكن إذا صحت هذه النظرية فإنا نتوقع أن يعم ذلك فى المعابد الأخرى التى شيدها الملوك الآخرون فى هذه الأسرة أو على الأقل فى معبد « أوسر –كاف » نفسه فى أبو صير ، ولكن الواقع هو أن جميع مداخل معابد « أبو صير » فى الجهة الشرقية وكلها تتجه من الشرق إلى الغرب .

كانت مجموعة « أوسر –كاف » الهرمية محاطة بسور ، وكان الطريق الصاعد إليها مرصوفا بأحجار البازلت ، فإذا ما وصلنا إلى الباب نجده يؤدى إلى المعبد الجنازى .

وعندما عثر فيرث على هذا المعبد فى عام ١٩٢٨ وجده مخربا ، لأن هذا المعبد كان من بين الآثار التى كسروا أحجارها ونقلوها لاستخدامها فى مبان أخرى ، كما اختفت تماما بعض أجزائه بسبب استخدام بعض أغنياء العصر الصاوى هذا المكان لحفر مقابرهم فيه . يؤدى المدخل إلى دهليز ، ثم إلى دهليز آخر ، وبعد ذلك نجد بهواً مفتوحاً أرضيته من أحجار

---

(٣) H. Ricke, *Bemerkungen* 11, 68.

أحدث التقارير عن الحفائر فى معبد الشمس الخاص بالملك « أوسر – كاف » هو ما نشره هانز شتوك :

H. Stock. "Bericht *über die erste Kampagne am Sonnenheiligtum des Userkaf bei Abusir*," *Orientalia*, XXV (1956), p. 74-80.

البازلت ، ومساحته ٢١×٣٥ متراً ، وكان فى الأصل محاطاً بعقود (بواكى) فوق أعمدة فى ثلاث من جهاته ، وكانت أعمدة مربعة وطول كل ضلع منها متر واحد ، وهى من الجرانيت الأحمر . وفى الفناء بابان يؤديان إلى باقى أجزاء المعبد ، ونظرا لوجود المقابر الثلاثة التى من العصر الصاوى فى هذا المعبد ، وقطع آبارها الكبيرة فى أرضيته ، فقد اختفت بعض أجزائه بما فى ذلك الحجرة التى توجد فيها النيشات .

وعند حفر هذا المعبد عثر مكتشفوه على بعض أجزاء من تماثيل للملك ، وهى من الجرانيت والديوريت ، أهمها رأس للملك ، وهى من الجرانيت ومحفوظة الآن فى المتحف المصرى . وحجم هذا الرأس ثلاثة أمثال الحجم الطبيعى ، وقد عثر عليه تحت الأرضية فى الفجوة التى تخلفت عن مكان أحد الأعمدة (شكل رقم ٩٥) ، وعثر المكتشف



(شكل رقم ٩٥) رأس كبير من أحد تماثيل الملك « أوسر – كاف »
وهو من الجرانيت الأحمر ، ومحفوظ الآن فى المتحف المصرى

أيضاً على بعض الأحجار المنقوشة وهى متقنة وعليها نقوش من النوع المألوف لنا فى مقابر ذلك العصر .

وكان هذا الكشف فى عام ١٩٢٨ سبباً فى ذيوع النظرية القائلة بأن زخرفة جدران المعابد قد بدأت فى عهد « أوسر — كاف » ولكننا نعرف الآن بعد الكشف عن معبد الوادى فى دهشور عام ١٩٥١ أن المصريين القدماء نقشوا جدران المعابد منذ بدء الأسرة الرابعة إذا لم يكونوا قد فعلوا ذلك قبل ذلك العصر أيضاً .

وأرضية المعبد الصغير ، الذى فى ناحية الشرق ، كانت من البازلت ، وكانت جدرانه مكسوة بأحجار الجرانيت ، وكان يحتوى على حجرة للقرابين وتحت أرضيتها قناة لتصريف المياه(٤) . وبنوا الهرم الجانبى فى الجهة الغربية من المعبد ، كما بنوا هرم الملكة فى الجهة الجنوبية منه .

أما الهرم نفسه ، ويسمى الآن « الهرم المخربش » فقد سرقه اللصوص فى العصور القديمة ، وقد دخله الأثريون وفحصوا داخله فحصاً علمياً فى القرن الماضى ، وهو يشبه فى تصميمه وهندسة مبانيه أهرام الأسرة الرابعة : وهو مشيد بكتل كبيرة من الحجر الجيرى المحلى ، أما كساؤه فكان من الحجر الجيرى الجيد الأبيض اللون ، وهو صغير الحجم إذا قورن بأهرام الأسرة السابقة . وكان طول كل ضلع من أضلاع قاعدته المربعة فى الأصل ٧٠ر٣٧ متراً ، وارتفاعه ٥٣ر٤٤ متراً ، ولكن عندما فحصه « پرنج » و « ڤيز » فى عام ١٨٣٧ كان طول ضلع القاعدة ٨٤ر٦٣ متراً ،

---

(٤) C. M. Firth, "*Excavations of the Department of Antiquities at Sakkara,*" *Annales du Service*, XXIX (1929), 64—70.

J. P. Lauer, " *Le Temple haut de la Pyramide du roi Ouserkaf à Saqqarah,*" *Annales du Service*, LIII (1955), 119—33.

وارتفاعه ٣٢٫٨٣ متراً . ومدخله فى منتصف الجهة الشمالية ، وهو يؤدى إلى ممر ، جدرانه وسقفه من كتل الجرانيت الأحمر والأسود . وتعمد اللصوص الذين دخلوه لسرقة ما فيه أن يتفادوا المتاريس الجرانيتية فقطعوا نفقاً فى الحجر الجيرى فوق تلك المتاريس ، ولم يعثر المكتشفون الحديثون على أى شىء ذى أهمية فى داخل هذا الهرم أو فى داخل هرم الملكة .

هرم ساحورع

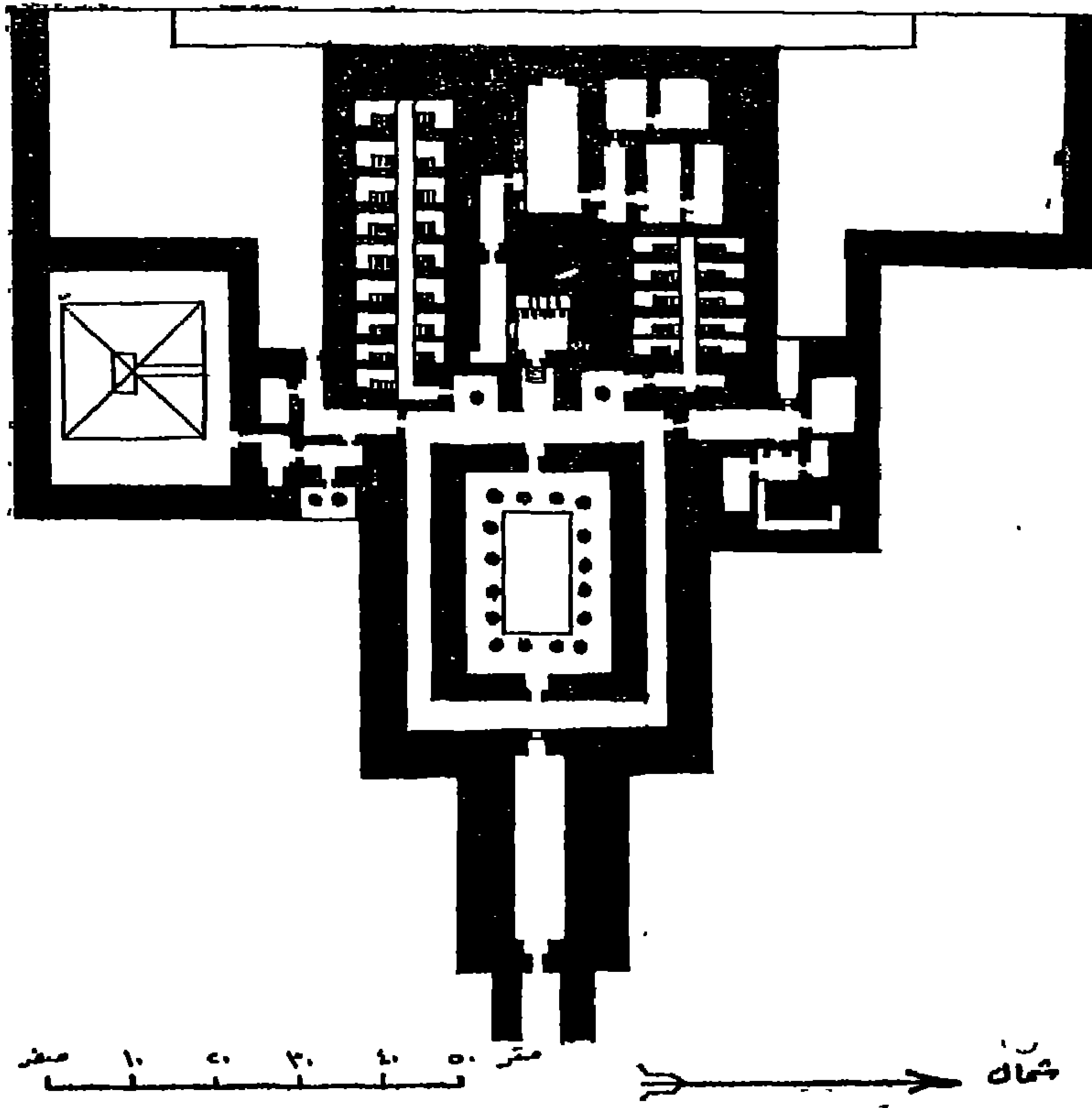
قضى « أوسر — كاف » أحد عشر عاماً فى حكم البلاد ثم تلاه على العرش « ساحورع » الذى بنى هرمه فى « أبو صير » التى تبعد نحو ٤٫٥ كيلومترات إلى الشمال من سقارة ، فأصبحت المنطقة منذ ذلك الوقت الجبانة الملكية لعدد من ملوك الأسرة الخامسة .

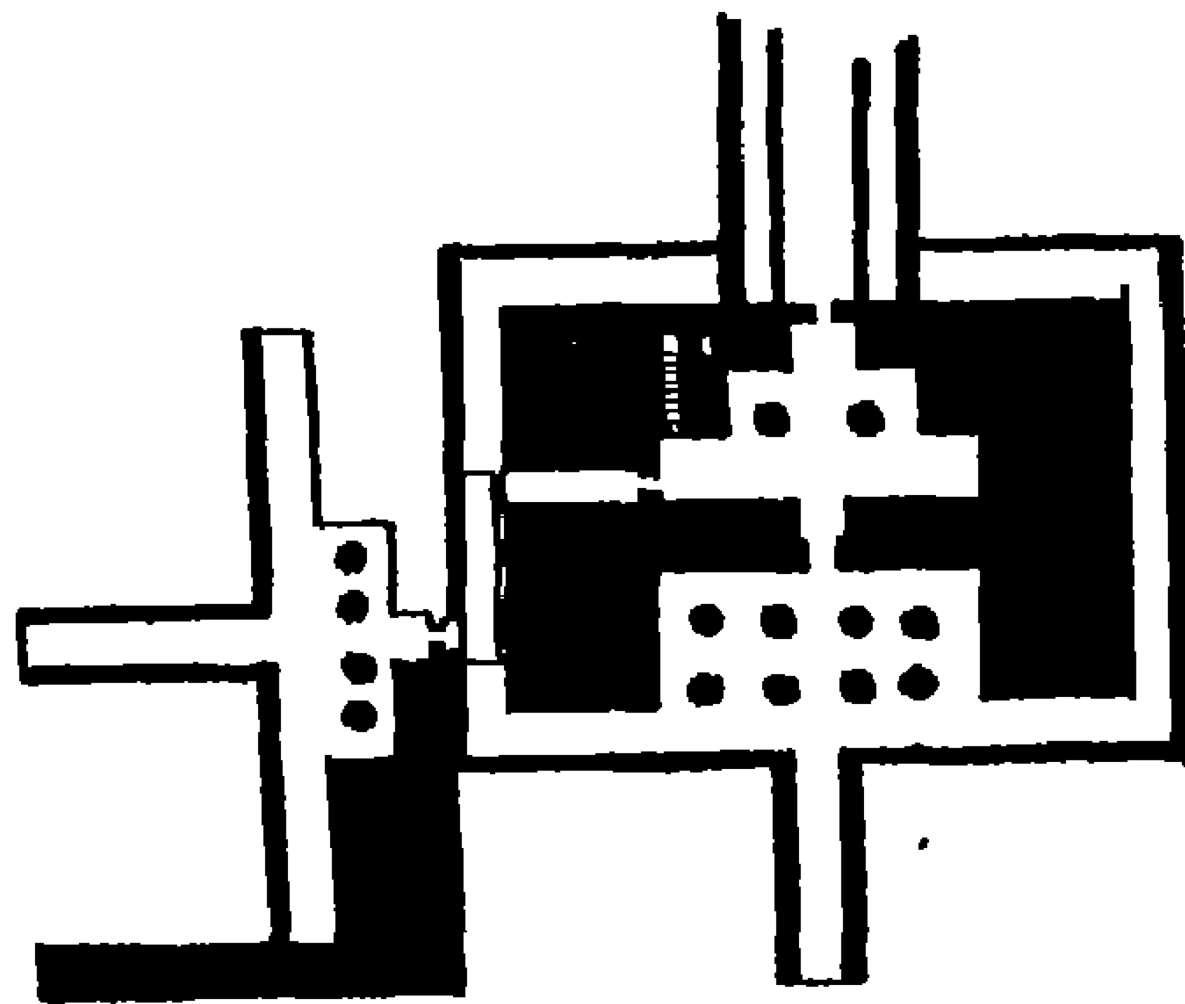
وهرم « ساحورع » هو أقصى أهرام هذه المنطقة فى الجهة الشمالية منها(٥) ، وله طريق صاعد طوله حوالى ٢٠٠ متر فى نهايته السفلى معبد للوادى صممه المعماريون القدماء مختلفاً عن معابد الوادى الأخرى التى كانت قبله (شكل رقم ٩٦) ، فلهذا المعبد مدخلان يؤديان إلى مرسى مبنى باعتناء ، وأحد هذين المدخلين ، وهو الذى يفتح شرقاً ، أمامه سقيفة (Portico) فوق ثمانية أعمدة . أما المدخل الثانى فإنه يفتح نحو الجنوب وأمامه أيضاً سقيفة محمولة على أربعة أعمدة . وطول مبنى معبد الوادى حوالى ٤٠ متراً من الشمال إلى الجنوب و ٣٠ متراً من الشرق إلى الغرب . ويؤدى كل من المدخلين إلى بهو كان محمولا على أعمدة جرانيتية من الطراز النخيلى ، وكانت جدرانه مغطاة بالنقوش والرسوم الملونة وكان ارتفاعها

---

(٥) المؤلف الرئيسى عن هذا الهرم هو مؤلف بورخارت :

L. Borchardt, ***Das Grabdenkmal des Königs Sahure*** **(2 Vols; Leipzig 1910—1913).**





(شكل رقم ٩٦) رسم تخطيطى للمجموعة الهرمية للملك «ساحورع» فى أبو صير
(نقلا عن بورخارت)

٤٢ر٥ متراً . والمعبد مخرب الآن ولكن الجزء الأسفل من الطريق الصاعد ، وكان طوله الكلى ٢٣٥ متراً ، ما زال محفوظاً إلى حد ما ؛ وقد عثر مكتشفه على عدد غير قليل من الأحجار المنقوشة التى كانت جزءاً من جدرانه فى يوم من الأيام ، وهى تسجل بعض الحادثات فى عهد ذلك الملك ، كما نجد بينها بعض الموضوعات الدينية .

وفى النهاية العليا للطريق الصاعد نجد المعبد الجنازى ، ويؤدى مدخله إلى دهليز كان ارتفاع جدرانه أكثر من ٣ أمتار ، ومنه نصل إلى فناء فى وسط المعبد تحيط به من جميع جهاته أعمدة جرانيتية من الطراز النخيلى عددها ستة عشر عمودا . وكانت أرضيته من البازلت الأسود وجدرانه من الحجر الجيرى الجيد التى كانت مزينة بالنقوش الملونة ، ومن بينها منظر ، محفوظ الآن فى المتحف المصرى ، يمثل الملك ساحورع وقد أخذ بناصية زعيم الليبيين ويهم بضربه على أم رأسه بدبوس القتال ، وإلى جواره امرأة ليبية لا شك أنها زوجة ذلك الزعيم ، واثنان من أطفالها يرفعون أذرعهم طالبين الرحمة . وهذه التفاصيل هى أقدم ما وصل إلينا حتى الآن ، ولم تلبث حتى عم تكرارها على الآثار المصرية فى المناظر التى يمثلون فيها الملك وهو ينتصر على الليبيين ، فقد نقلوها عن هذا المعبد ، بما فى ذلك اسم زوجة زعيم الليبيين ، ولهذا يتحتم علينا أن نحاذر من الاعتماد على قبول مثل هذه المناظر المكررة بأنها تمثل أحداثاً تاريخية صادقة . وهناك دهليز عريض يدور حول بهو الأعمدة ، وكان هذا الدهليز مرصوفاً أيضاً بالبازلت ، وجدرانه من الأحجار الجيرية ، وعليها مناظر تمثل الملك وهو يصطاد ، أو وهو يقدم القرابين ، والسبب فى بقاء هذه المناظر سبب طريف . كان بين تلك الآلهة رسم يمثل الإلهة « باستت » ولها رأس لبوءة ، ويلوح أنهم خلطوا فيما بعد بينها وبين الإلهة « سخمت » التى كان مركز عبادتها ، بصفتها زوجة الإله « بتاح » ، فى منف وهى على مقربة من هذا المعبد ؛

ففى أيام الدولة الحديثة سقفوا هذا الدهليز الذى يحتوى على رسم « باستت » وبنوا حوله الجدران ، وحولوه إلى هيكل محلى لعبادة الإلهة « سخمت » التى عبدوها فى هذا المكان تحت اسم « سخمت ساحورع » .

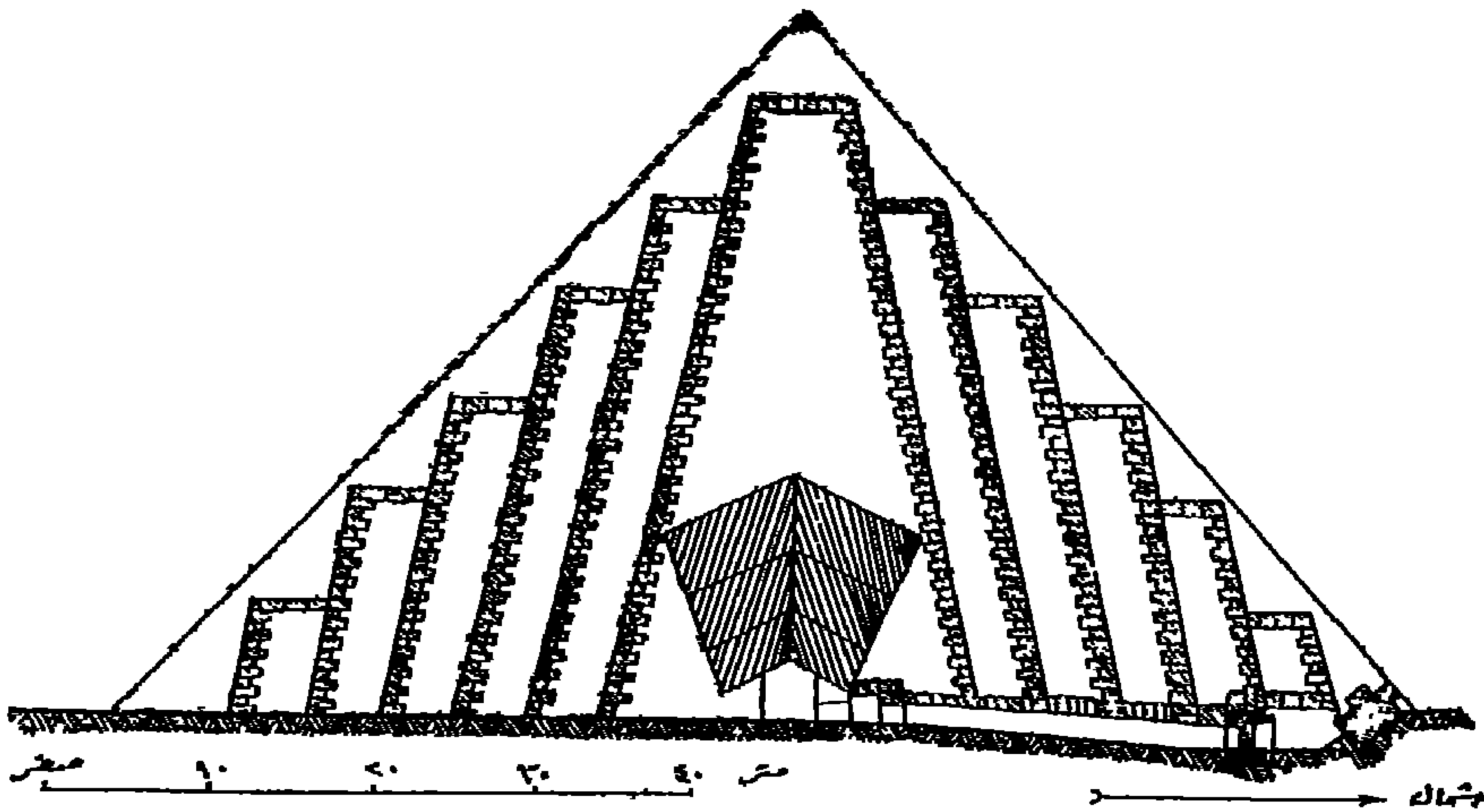
وفى الجهة الغربية من بهو الأعمدة توجد عدة حجرات ومخازن ، وخلف البهو مباشرة خمس نيشات ، وإلى الشمال منها توجد عشرة مخازن ، خمسة منها فوق خمسة أخرى ويصعدون إليها بسلم ، وإلى الجنوب من « النيشات » كانت توجد مجموعة من المخازن عددها سبعة عشر ، وكانوا يصلون إلى كل مجموعة من مجموعتى المخازن عن طريق حجرة صغيرة مربعة فى الناحية الغربية من البهو ، وسقف كل حجرة منها محمول على عمود واحد من الجرانيت من الطراز البردى .

وفى الحائط الجنوبى من الحجرة التى تسبق « النيشات » نجد دهليزاً يوصلنا إلى هيكل المعبد وخمس حجرات أخرى خلفه . وطول الدهليز ١٣,٧٢ متراً وعرضه ٤,٥٠ من الأمتار ، ومن المحتمل أن أرضيته كانت من المرمر ، وفى نهايته التى فى الغرب كان يوجد باب وهمى من الجرانيت وأمامه مائدة قرابين من المرمر ، وكان بجدرانه الشمالية والجنوبية والشرقية إفريز أسفل من أحجار الجرانيت تعلوها باقى الجدران من كتل الحجر الجيرى ، وعليها نقوش لبعض الآلهة فى مصر وهم يقدمون المآكل للملك . ومما يستحق الذكر عند الحديث عن هذا المعبد نظام تصريف المجارى فيه . كانت الأمطار التى تسقط فوق سقف المعبد تتجمع وتنزل من مزاريب على هيئة رؤوس الأسود تبرز مسافة كافية من سطح الجدران وتفرغ مياهها فى قنوات محفورة فى الأرضية . وفى داخل مبانى المعبد كانت توجد (خمسة) أحواض مبطنة من الداخل بصفائح النحاس ، وسداداتها من الرصاص ، اثنان منها فى الحجرات القريبة من الهيكل وواحد فى الهيكل نفسه ، وواحد فى الدهليز ، أما الخامس ففى مجموعة المخازن العشرة ووظيفتها تصريف

السوائل التى تستخدم فى طقوس العبادة وغيرها ، وكان يخرج من تلك الأحواض مواسير النحاس تسير تحت أرضية المعبد ، وتستمر أيضاً فى الطريق الصاعد إلى أن تفرغ مياهها من فتحة فى الجهة الجنوبية منه .

وفى الجهة الجنوبية من بهو الأعمدة باب يفتح نحو الشرق ويؤدى إلى سقيفة محمولة على عمودين ، ومنها يستطيع الزائر أن يصل إلى دهليز يؤدى إلى ساحة الهرم الجانبى .

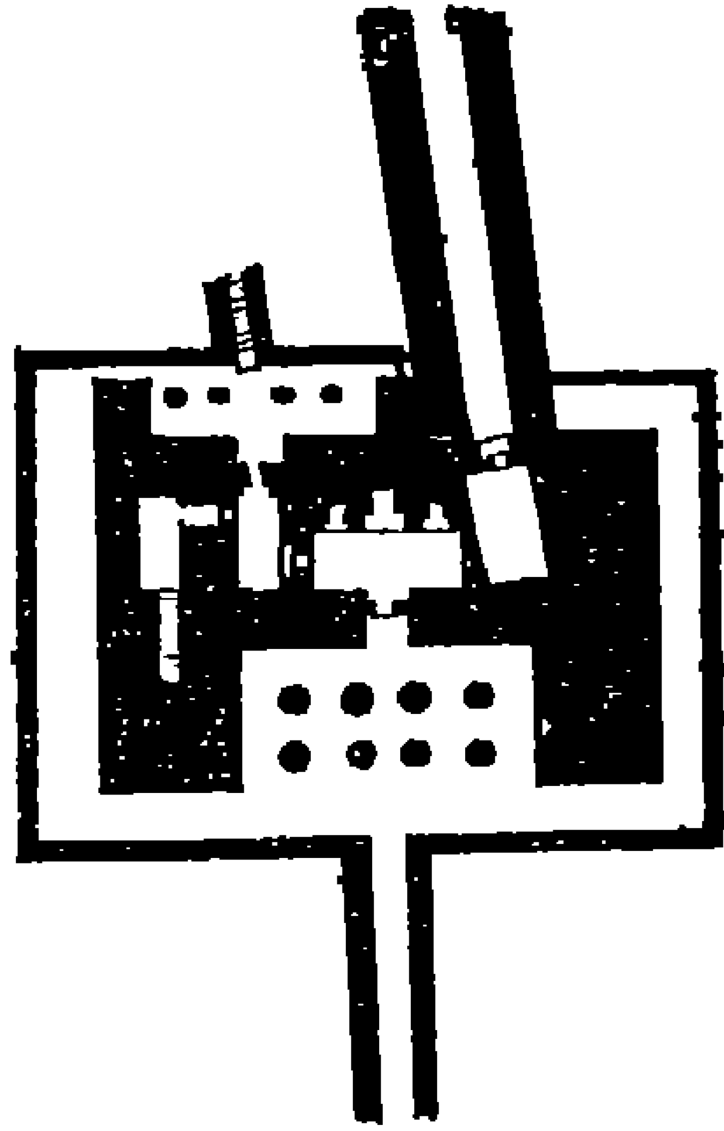
تعرض معبد الملك « ساحورع » للكثير من التخريب ، سواء من الخارج أو فى أجزائه الداخلية ولا يكاد يوجد حجر من أحجار كسائه التى كانت من الحجر الجيرى الأبيض . أما ارتفاع الهرم نفسه فكان فى الأصل ٤٨ متراً وطول ضلع قاعدته ٧٨ متراً وزاويته ٣٦َ ٥٠° . وبناؤه ردىء جداً ، ومن طراز الهرم ذى الطبقات ، وهى مبنية من الحجر الجيرى المحلى غير المنحوت يملأ ما بينها رمل وحصى ، ويظهر أنها كانت ستة تقل أحجامها كلما بعدت عن النواة التى فى وسط الهرم (شكل رقم ٩٧) ، ثم ملأوا



(شكل رقم ٩٧) مقطع فى هرم « ساحورع » فى أبو صير .

الدرجات الخارجية بالرمل والحصى أيضا ، وكسوا الهرم بأحجار جيرية من النوع الجيد .

ويفتح مدخل الهرم فى مستوى سطح الأرض إلى الشرق قليلا من نقطة النصف فى الواجهة الشمالية . وجدران المدخل وسقفه من أحجار الجرانيت الأسود ويؤدى إلى ممر طوله حوالى ثمانية أمتار يغلق الناحية الجنوبية منه متراس من الجرانيت ، وخلف هذا المتراس دهليز لا يمكن الوصول إليه الآن ، جداراه وسقفه من الحجر الجيرى الجيد . وبعد ذلك نصل إلى ممر يسير بارتفاع قليل وطوله حوالى ٢٥ مترا ويؤدى إلى حجرة الدفن ، ومستوى أرضيتها فى مستوى قاعدة الهرم . وسقف هذه الحجرة جمالونى مثلث ويتكون من ثلاث طبقات من كتل الحجر الجيرى الضخمة ، موضوعة فوق بعضها البعض ، وكل منها أكبر من تلك التى تحتها ، وقد أصبح هذا النوع من سقف حجرة الدفن طرازا متبعا فى أهرام الأسرة الخامسة .



(شكل رقم ٩٨)
رسم تخطيطى لمعبد الوادى فى المجموعة الهرمية الملك « نفر إركارع » فى أبو صير (نقلا عن بورخارت) .

هرم نفر إركارع

وبعد انتهاء أيام « ساحورع » جلس بعده على العرش الملك « نفر إركارع » الذى بنى مجموعته الهرمية على مسافة غير قصيرة من هرم سابقه ، وقد شغلت

المساحة التى بين هذين الهرمين بهرم الملك « نوسر — رع » الذى حكم البلاد فيما بعد واستغل المنطقة الفضاء التى كانت بين الهرمين(٦) .

ويلوح أن « نفر إركا رع » أراد أن تكون مجموعته الهرمية مشابهة للمجموعة الهرمية لساحورع ولكن على نطاق أكبر ، وعلى أى حال فإن العمر لم يمتد به حتى يكمل البناء ، وقام من خلفه على العرش بإتمام العمل ولكن بالطوب النيئ ، كما عدل أيضا فى التصميم .

ولمعبد الوادى فى هذا الهرم مدخلان مثل معبد وادى « ساحورع » أحدهما فى الجهة الشرقية وله سقيفة محمولة على ثمانية أعمدة ، والثانى فى الجهة الغربية وله سقيفة محمولة على أربعة أعمدة ، ويؤدى كل منهما إلى أربع حجرات صغيرة توصل الحجرة الشمالية منها إلى نهاية الممر الصاعد . وبالرغم من أن معبد الوادى أصبح الآن مخربا تخريباً تاماً فإن ما نراه فى موقعه من أحجار الجرانيت والبازلت والحجر الجيرى الجيد يدل على ما كان عليه هذا المعبد من فخامة .

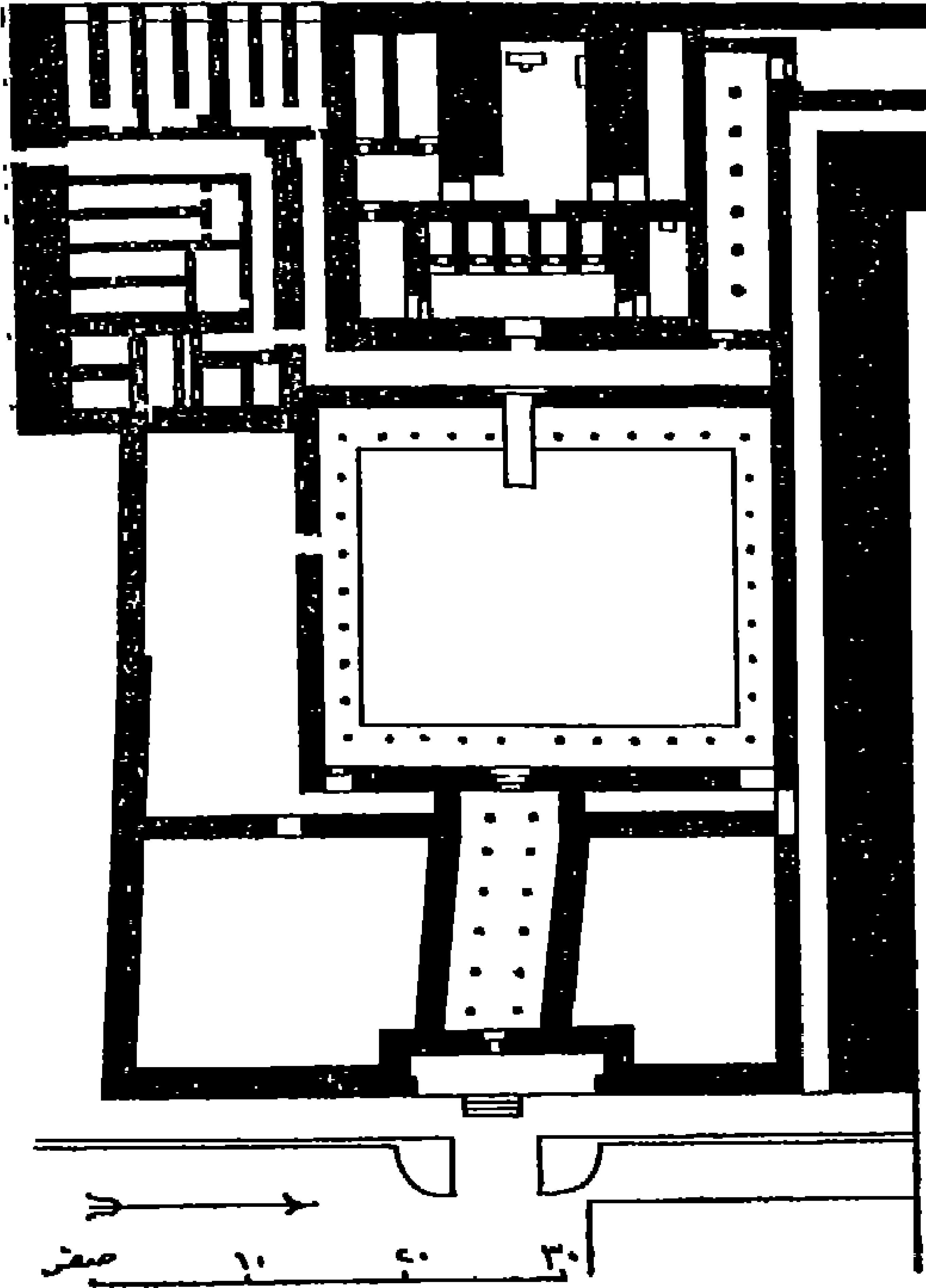
كان الجزء الأسفل من جدران الطريق الصاعد مشيدا من البازلت الأسود وهى ظاهرة غير عادية ، وما زال بعض تلك الأحجار فى مكانه حتى الآن ، وكان الجزء الأعلى من تلك الجدران مبنيا بالحجر الجيرى الجيد ومزخرفا بنقوش بارزة ملونة .

ويتكون المعبد الجنازى من دهليز وراء المدخل ثم إلى بهو أعمدة (شكل رقم ٩٩) ، وكانت تلك الأعمدة من الخشب وتيجانها من طراز زهرة اللوتس فوق قواعد من الحجر الجيرى ، وما زالت تلك القواعد

---

(٦) L. Borchardt, *Das Grabdenkmal des Königs Nefer — ir—Kare* (*Leipzig*, 1909).

فى أمكنتها : ونجد فى الجزء الداخلى من المعبد ، إلى الغرب من بهو الأعمدة ، النيشات الخمس والمخازن وهيكل المعبد وغير ذلك من الحجرات والردهات .



(شكل رقم ٩٩)
رسم تخطيطى للمعبد الجنازى للملك « نفر إر كارع » فى أبو صير .
(نقلا عن بورخارت)

وفى آخر حجرات المعبد ، خلف « النيشات » الخمس ، أقاموا بابا وهميا من الجرانيت ، ومن بين الآثار التى عثرت عليها البعثة الألمانية التى حفرت هذا المعبد بعض أوان جميلة مما كان يستخدم فى الطقوس الدينية وكانت مصنوعة من الخشب المذهب ومطعمة بالفيانس الملون ، وهى تقليد للأوانى الذهبية المطعمة بالأحجار نصف الكريمة .

وهرم « نفر إر كارع » أكبر أهرام منطقة أبو صير وكان ارتفاعه الأصلى ٧٠ مترا ، وطول ضلع قاعدته ١٠٦ من الأمتار وزاوية ميله

٥٣° . وهو هرم ذو طبقات عددها ست ومبنية من الحجر الجيرى المحلى غير المنحوت ولكنهم كسوا جدرانها كلها ؛ كما كسوا الهرم نفسه بالحجر الجيرى الجيد .

ومدخل الهرم فى واجهته الشمالية ، ولكنه مسدود الآن ، ولحجرة الدفن سقف جمالونى مثلث يتكون من خمسة أحجار ضخمة من الحجر الجيرى الذى بنى منه الدهليز الموصل لتلك الحجرة .

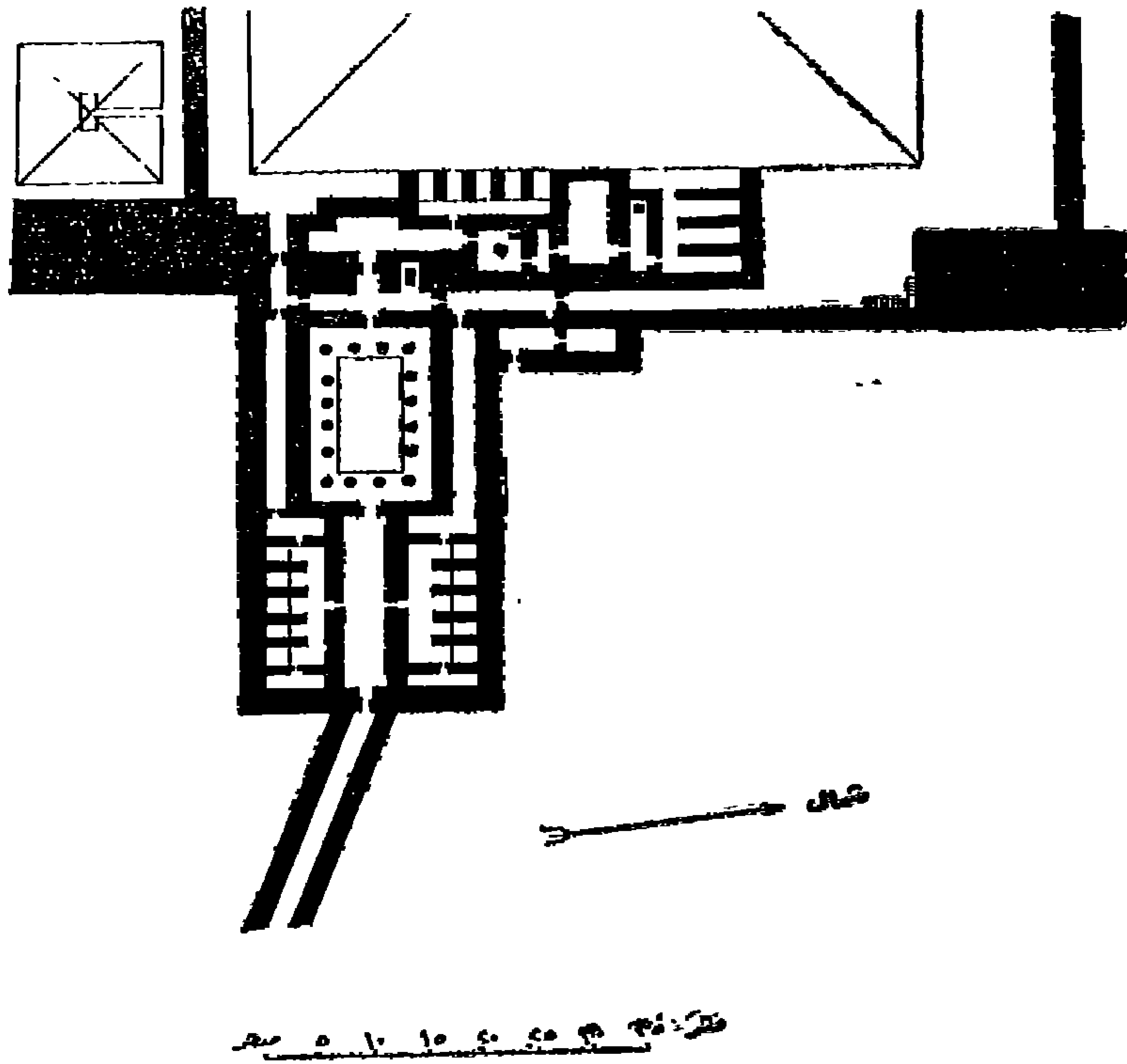
وحدث فيما بعد ، أن الملك « نوسر — رع » حول الجزء العلوى من الطريق الصاعد إلى هرمه الذى بناه إلى جانب هذا الهرم ، وترتب على ذلك أن كهنة معبد « نفر إر كارع » اضطروا للسكنى فى منازلهم التى بنوها بالطوب خارج جدران المعبد الجنازى ، بدلا من سكناهم كالمعتاد فى المدينة الهرمية التى كانت على مقربة من معبد الوادى .

هرم « نفر ف — رع »

لم تطل مدة الملك « نفر ف — رع » وهو الذى خلف « نفر إر كا رع » على العرش مدة طويلة . وقد بدأ بناء هرمه جنوب — غربى هرم سابقه ، ولكن الظاهر أن بناء هذا الهرم لم يتم أبدا . والذى نراه الآن عند زيارته بناء منخفض مربع الأضلاع طول الضلع ٦٠ مترا ، والسطح العلوى للبناء مسطح ولم يبق الآن أكثر من ثمانية مداميك ، منها خمسة فقط ظاهرة فوق رمال الصحراء المحيطة به . وفى منتصف الواجهة الشمالية نجد المدخل الذى يؤدى إلى ممر يؤدى إلى حفرة كبيرة ، وهى المكان الذى كان معداً لبناء حجرة الدفن التى لم يتم العمل فيها . ومن المحتمل جداً أن معابد هذا الهرم وطريقه الصاعد لم يتم العمل فى واحد منها فى يوم من الأيام .

هرم « نوسر – رع »

بنى الملك « نوسر – رع » هـرمه بين هرمى « ساحورع » و « نفر إر كارع » واستغل لنفسه معبد الوادى والطريق الصاعد اللذين أنشاهما الملك الأخير ، ومن المحتمل أنه مات قبل أن يتم العمل فيهما . استغل معبد الوادى لنفسه وبداية الطريق الصاعد ، وبعد مسافة غير قصيرة أخرج منه طريقاً خاصاً فى اتجاه شمال – غربى ليصل إلى معبده الجنازى عند الزاوية الجنوبية الشرقية من السور الخارجى (شكل رقم ١٠٠)[٧] .



(شكل رقم ١٠٠) رسم تخطيطى للمجموعة الهرمية للملك « نوسر – رع » (نقلا عن بورخارت) .

---

(٧) L. Borchart, *Das grabdenkmal des Königs Ne–user–re* (*Leipzig*. 1907).

ولهذا المعبد الجنازى شكل غير مألوف ؛ إذ أنه على شكل حرف L ، ولكل من القسمين الخارجى والداخلى محوره الخاص به ، وربما كان هذا الانحراف أو التغيير فى مبنى المعبد راجعاً إلى وجود مقابر كانت موجودة فى المنطقة قبل بناء الهرم ، ولم يشأ « نوسر — رع » الاعتداء على حرمتها ، وربما كان راجعاً إلى كون طبيعة الأرض نفسها غير صالحة .

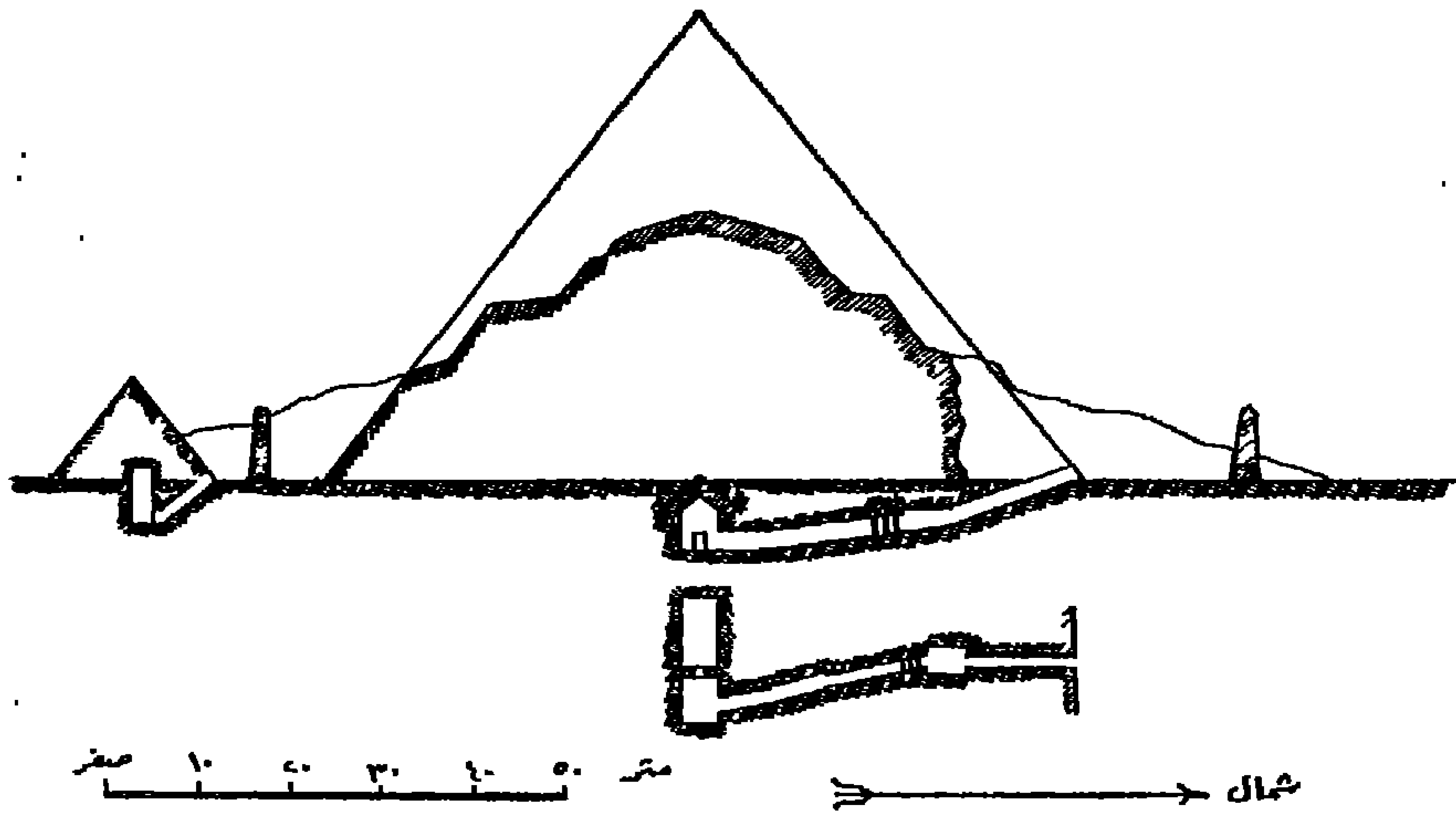
يؤدى الطريق الصاعد إلى دهليز متسع يحفه من جانبيه الشمالى والجنوبى مخازن ، وفى الناحية الغربية من هذا الدهليز نجد باباً يؤدى إلى بهو أعمدة يتوسط المعبد ، وعلى جوانبه ستة عشر عموداً من الجرانيت ، وهى من طراز الأعمدة البردية ، أما أرضيته فرصوفة بكتل من أحجار البازلت .

وفى منتصف الجدار الغربى نرى باباً يؤدى إلى دهليز ، وهذا الدهليز يؤدى إلى خمس « نيشات » فى الناحية الغربية ، كما يؤدى أيضاً إلى فناء الهرم ، والمخازن . وفى الجهة الشمالية من حجرة النيشات نجد حجرة مربعة صغيرة محمولا سقفها على عمود واحد ، وبعد هذه الحجرة نجد ردهة صغيرة ، وبعد ذلك هيكل المعبد وبضع حجرات أخرى .

وفى الركن الجنوبى الشرقى من الهرم نجد الهرم الجانبى يحيط به سوره الخارجى ، وارتفاعه ١١ متراً ، وطول ضلع قاعدته ١٥ متراً ، ومدخله فى منتصف الواجهة الشمالية ويؤدى إلى الحجرة الداخلية المعتادة .

كان ارتفاع هرم « نوسر — رع » عند تشييده ٥٢ متراً وطول ضلع قاعدته ٨٠ متراً وزاويته ٥٠′ ٥١° . وهو مشيد بأحجار فجة غير منحوتة من الحجر الجيرى المحلى مختلطة بالرمل والحصى ، وطبقاته خمس وزاوية ميل كل منها ٧٠° ، وقد اختفت الآن أحجار كسائه الخارجى التى كانت من الحجر الجيرى الجيد . ومدخل الهرم فى الواجهة الشمالية منه ، وكانت جدرانه وسقفه من أحجار الجرانيت ولكنه مسدود

حاليا ولا تتيسر زيارته (شكل رقم ١٠١) . وكان هذا المدخل يؤدى إلى ممر غير طويل ثم إلى ردهة ، وبعد الردهة ممر آخر تغلقه ثلاثة متاريس ، وفى النهاية نجد ردهة صغيرة ثم حجرة الدفن ، وسقفها من النوع « الجمالونى » المثلث كغيرها من حجرات الدفن فى أهرام الأسرة الخامسة .



(شكل رقم ١٠١) رسم تخطيطى ومقطع لهرم « نوسر – رع » فى أبو صير .

هرم « چد كارع – إسيسى »

شيد بعض ملوك الأسرة الخامسة أهرامهم فى « أبو صير » ولكن البعض الآخر فضل إقامة هرمه فى منطقة أخرى ومنهم « منكاوو – حور » « وشپسسكا – رع » و« اوناس » و « چد كارع – إسيسى » .

واسم الملك « چد كارع – إسيسى » معروف معرفة جيدة لعلماء الدراسات المصرية القديمة ولكن لم يعرف أحد مكان قبره حتى كشفت حفائر المرحوم المهندس عبد السلام حسين عن أن الهرم المعروف باسم

الهرم الشواف الذى يقوم على حافة الهضبة خلف منازل بلدة سقارة ليس إلاّ هرم هذا الملك (شكل رقم ١٠٢).



(شكل رقم ١٠٢) هرم «جد كارع – إسيسى» كما نراه من حافة الأرض المزروعة .

كان ذلك الهرم المشرف على حقول منف لغزا من الألغاز . وقد حاول بعض الأثريين فى أواخر القرن الماضى أن يفحصوه ويكتشفوا ما حوله ولكنهم تركوا العمل كله عندما اتضح أنه لا توجد كتابات فى حجراته الداخلية .

وظل الحال على ذلك حتى جاء عام ١٩٤٦ وبدأت حفائر المرحوم عبد السلام حسين تكشف عن معبده الجنازى ، وهنا أدرك علماء الآثار أنه قد تم العثور أخيراً على المجموعة الهرمية لهذا الملك .

ومما يدعو إلى الأسف أن المعبد الجنازى لهذا الملك تعرض للتحطيم فى عهد الفراعنة أنفسهم واستخدموا أرضية المعبد كجبانة فى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة . وكشفت الحفائر عن كثير من الأحجار المنقوشة نقشاً بارزاً كما كشفت أيضا عن كثير من العناصر المعمارية فى هذا المعبد ، ومن بينها تماثيل للأسرى الأجانب وتماثيل أسود وثيران وكباش وبعض تماثيل لأسود بروؤس إنسانية (تماثيل أبو الهول) . عثر الحفارون على ذلك كله مبعثرا دون نظام أو ترتيب ، وكان من أصعب الأمور أن يقول إنسان إنه عثر فى ذلك المعبد على قطعة فى مكانها الأصلى اللهم إلا بعض قطع من أكتاف الأبواب والأعمدة ، وقد اتضح مما تبقى من هذا المعبد أن رسمه التخطيطى يشبه أمثاله من معابد الأسرة الخامسة .

وكشفت الحفائر التى قمت بها فى موسم ١٩٥٢ – ١٩٥٣ فى تلك المنطقة عن بضع مقابر يرجع تاريخها إلى أواخر أيام الأسرة السادسة ، وهذه المقابر تقع شرقى المعبد الجنازى مباشرة وبينها واحدة صاحبها اسمه « پپى عنخ – سشو » وحجرة دفنها فى حالة تامة من الحفظ ، وجدرانها مغطاة بمناظر ملونة لقرابين ومناظر أخرى .

ولم تكن تلك المقابر هى كل ما عثرنا عليه فى ذلك الموسم بل امتدت الحفائر أيضاً إلى تل صغير كان إلى الشمال من المعبد الجنازى للملك « جد كارع – إسيسى » واتضح من حفره أنه هرم زوجة « إسيسى » وأنه أكبر من أى هرم آخر لملكة من ملكات الدولة القديمة ، واكتشفنا أثناء حفره كثيراً من الأحجار المنقوشة ، ولكن مما يؤسف له أن هرم تلك الملكة ومعبدها الجنازى تعرضا لنفس المصير المحزن الذى تعرض له المعبد الجنازى للملك . ومكان الطريق الصاعد بين معبد الوادى والمعبد الجنازى واضح تماماً ، وما زلنا نرى بعض الكتل الجرانيتية بين المنازل القريبة من حافة الزراعة ، ولم يقم أحد حتى الآن بالكشف عن معبد الوادى ، وعلى أى حال فإن

المجموعة الهرمية كلها مازالت فى حاجة إلى المزيد من البحث قبل أن نقدم الرسم التخطيطى النهائى للمجموعة كلها .

هرم « أوناس »

يعتقد كثير من الأثريين أن « أوناس » هو آخر ملوك الأسرة الخامسة ، فى حين يرى البعض الآخر أنه أول ملوك الأسرة السادسة ، وسواء أكان هذا أم ذاك فإن هرمه يحتل مكانة خاصة بين أهرام مصر . فنى عام ١٨٨٠ اكتشف « ماسپرو » نصوص الأهرام ، وكانت غير معروفة حتى ذلك الوقت ، منقوشة على الجدران الداخلية لهرم الملك « پپى الأول » ، وعثر بعد ذلك بقليل على كتابات مماثلة فى داخل الأهرام الأخرى . وأقدم نصوص الأهرام هى التى عثر عليها فى داخل هرم « أوناس » ، ولم تكشف الحفائر التى جرت مدة تزيد على ثمانين عاما عن مثل هذه النصوص فى أى هرم أقدم منه . والأجزاء الداخلية فى هرم « أوناس » فى حالة جيدة من الحفظ وتسهل زيارتها ، وهو أثر من الآثار الهامة التى يجب أن يزورها كل من يذهب إلى سقارة .

وهناك بعض الحجج التى يتقدم بها المحبذون لجعل « أوناس » أول ملوك الأسرة السادسة وليس آخر ملوك الأسرة الخامسة ، ومنها أنه لم تظهر نصوص الأهرام فى أى هرم قبل هرمه ، على حين نجد أن جميع أهرام ملوك الأسرة السادسة ، بل وملكاتها ، تحتوى على تلك النصوص . كما يلاحظون أيضاً أن الملك « تتى » وهو من ملوك الأسرة السادسة قد أتم النقوش التى لم تكن قد تمت فى عهد « أوناس » .

وقد عثر على اسم « أوناس » أيضاً فى معبد زوجة الملك « چد كارع — إسيسى » كما عثر أيضاً بين أحجار كساء هرم « أوناس » على نقوش وزخارف يتضح منها أنها مأخوذة من المعبد الجنازى لذلك الملك ، ومن

الممكن تفسير ذلك بأنه من أعمال الترميم التى قام بها الأمير « خعمواس » ابن « رمسيس الثانى » فى ذلك الهرم ، فمن المحتمل جداً أن يكون قد أخذ بعض الأحجار اللازمة من خرائب المعبد الجنازى للملك « إسيسى » إذ نعرف أنه كان قد تعرض للتخريب والتحطيم فى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة .

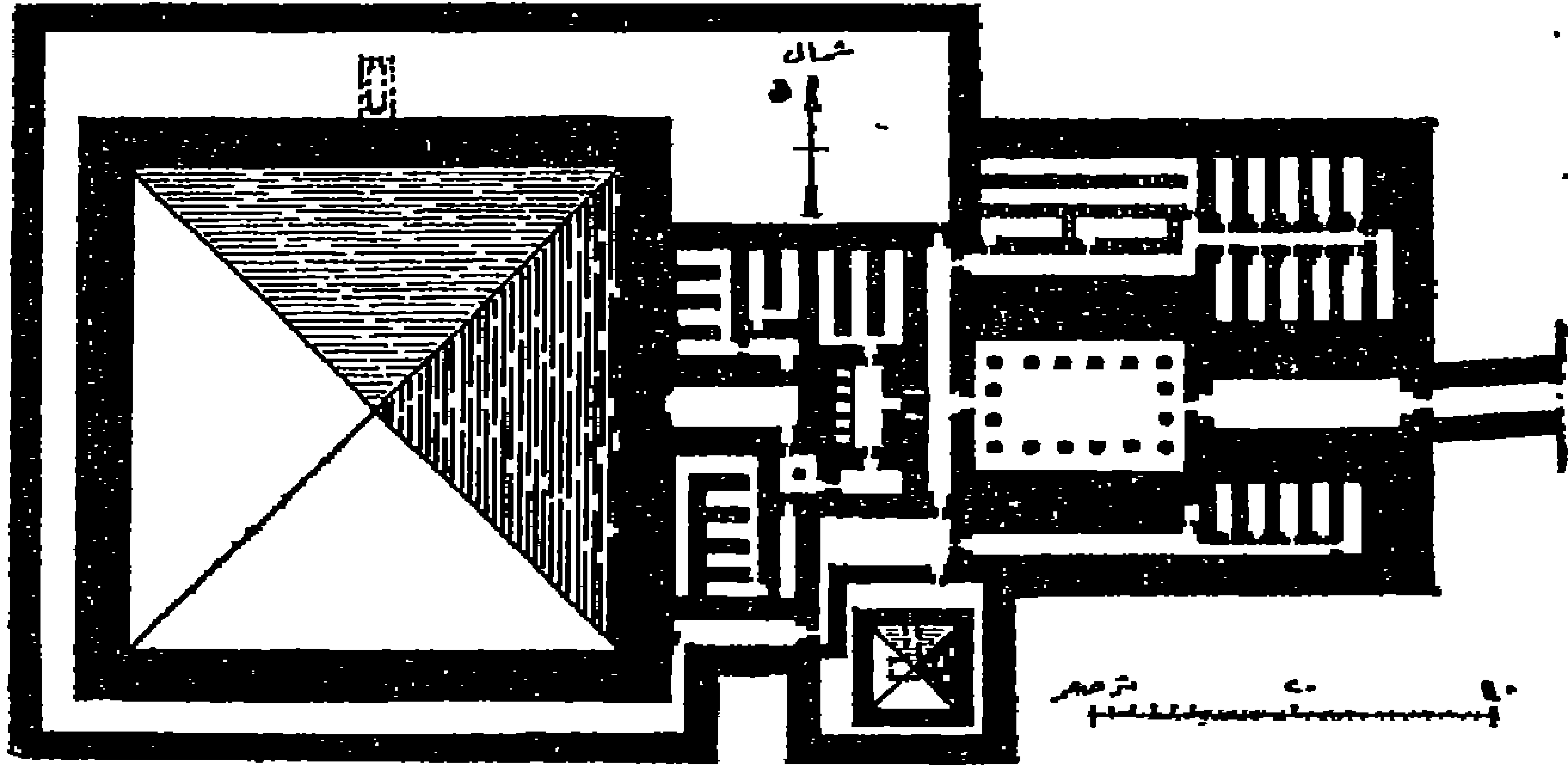
ومن بين الأشياء غير العادية فى مجموعة « أوناس » الهرمية المكان الذى يقوم فيه الهرم الجانبى ؛ إذ أنه فى الجهة الجنوبية من المعبد الجنازى إلى الغرب قليلا من منتصفه ، بدلا من أن يكون فى الجهة الجنوبية من الهرم الذى دفن فيه الملك .

ونرى بقايا معبد الوادى للملك « أوناس » على مقربة من مدخل الطريق المؤدى إلى منطقة آثار سقارة على مقربة من حافة الأراضى المزروعة. وتم الكشف عن جزء من هذا المعبد قبل قيام الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات ولكن الحفائر لم تستأنف بعد ذلك ولم يتم كشف المعبد كله ، ونرى بين خرائب الجزء المكتشف بعض أعمدة من الجرانيت الأحمر ، وتيجانها من الطراز النخيلى .

ويبدأ الطريق الصاعد وطوله يزيد على ٦٦٠ متراً ، من الركن الجنوبى الغربى من معبد الوادى وينحرف اتجاهه مرتين نظراً لارتفاع الهضبة . والجزء الأسفل من الطريق الصاعد لم يزل دون كشف عنه ، ولكننا نعلم أنه كان بين جدارين وكان مسقوفا ، وأرضيته مرصوفة بكتل الحجر الجيرى الأبيض من النوع الجيد . كان سقف الطريق مزينا بنجوم ملونة باللون الأصفر فوق أرضية زرقاء ، وعلى جدرانه مناظر منقوشة نقشا بارزا بسيطا ، وبعض هذه المناظر من الموضوعات التقليدية المألوفة مثل حاملى القرابين ، ومناظر الصيد الطقسية ، وبعضها الآخر فريد فى نوعه . فأحدها يمثل أسطولا من السفن تحضر بعض العناصر المعمارية من محاجر

أسوان إلى سقارة ، ومن بينها بعض الأعمدة ذات التيجان النخيلية ، وقد وضع كل اثنين منها فوق سفينة واحدة فى صف واحد وقاعدة كل منهما ملاصقة للأخرى . ومن دراسة المقاييس المذكورة فى نصوص هذه المناظر لايسعنا إلا القول بأن هذه الأعمدة المرسومة على الجدران هى الأعمدة نفسها التى نراها اليوم فى معبد الوادى(٨) . وبين تلك النقوش نقش يدهشنا بموضوعه ودقة رسمه ، ويمثل جماعة ممن أنهكتهم المجاعة ، ومن ملامحهم تستطيع القول بأنهم من غير المصريين .

ومعبد « أوناس » الجنازى مهدم ، ولكن مهما كانت درجة تهدمه فقد بقى منه ما يكفى لمعرفة رسمه التخطيطى (شكل رقم ١٠٣) إذ قام « بارازنتى » فى موسم ١٩٠٠ — ١٩٠١ بحفره جزئيا(٩). ومرة ثانية ، فى



(شكل رقم ١٠٣) رسم تخطيطى لمعبد أوناس الجنازى فى سقارة .

---

(٨) Selim Hassan, *Annales du Service*, XXXVIII (1938), 519—20.

(٩) A. Barasanti, *Annales du Service*, II, (1901), 244—57.

عام ١٩٢٩ ، قام « س . م . فيرث » بالحفر فيه مرة أخرى[١٠]. والرسم التخطيطي لهذا المعبد وهندسته بوجه عام يشبهان جداً المعبد الجنازي لساحورع في أبو صير ، ولكن توجد بعض تغييرات في أماكن الدهاليز والمخازن في الجزء الداخلي من المعبد .

ومات أوناس دون أن يتم بناء المدخل الرئيسي للمعبد ، وهو من الجرانيت الأحمر ، وقد أتمه الملك « تتي » من الأسرة السادسة الذي كتب اسمه على أحد قائمي الباب. وفي بهو الأعمدة ستة عشر عمودا ذات تيجان نخيلية ، بينها اثنان على الأقل من الحجر الرملي المحمر اللون الذي يمكن الحصول عليه حتى الآن من محاجر الجبل الأحمر ، وهو في شمال مدينة القاهرة . وكانت أرضية هذا البهو وأرضية بعض الدهاليز الأخرى مرصوفة بكتل من حجر المرمر. ويمكن القول بوجه عام إن هذا المعبد حلقة تربط بين المعابد الجنازية في الأسرة الخامسة ومثيلاتها في الأسرة السادسة .

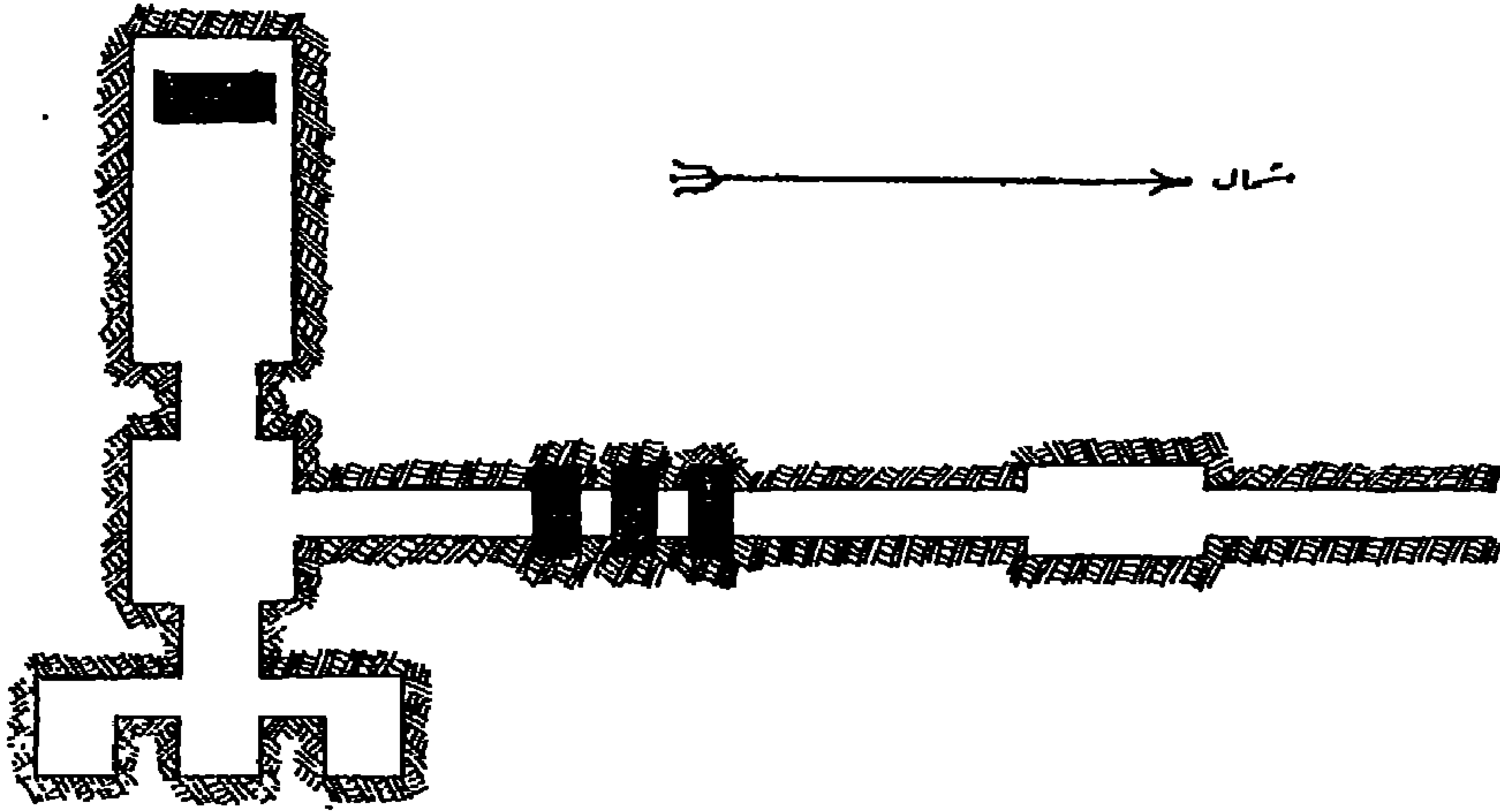
والارتفاع الحالي لهرم أوناس يقرب من ١٩ مترا ، ولكن ارتفاعه الأصلي كان ٤٤ مترا ، وطول كل ضلع منه ٦٧ مترا ، وهو مهدم تهدماً كبيرا . ومن الواضح أن الهرم كان مبنيا بالأحجار الجيرية المحلية ككتلة صماء ، وما زال الكثير من أحجار الكساء باقية في مكانها وعلى الأخص في الجهتين الشمالية والشرقية ، وعلى الجهة الجنوبية نرى نقشا مكتوباً بعلامات كبيرة الحجم سجل فيه الأمير « خعمواس » ترميمه لهذا الهرم .

ومدخل الهرم في الناحية الشمالية منه ، وفي منتصفه تقريبا وفي مستوى القاعدة ، وهو منحوت في الصخر على مسافة قصيرة من قاعدة الهرم ، ويؤدي إلى ممر مقطوع في الصخر أيضاً وكذلك الحجرات الداخلية فيه . وكان

---

(١٠) C. M. Firth, *Annales du Service*, XXX (1930), 186.

مدخل الهرم مغلقا عند اكتشافه بكتلة كبيرة من الحجر الجيرى ، ولكنه مفتوح الآن ومعد للزيارة . وطول الممر الهابط ٣٥ر١٤ مترا ، وزاوية انحداره ٢٢° ، وينتهى بردهة (شكل رقم ١٠٤) ، ونجد بعد الردهة ممراً أفقيا طوله ١٨ مترا فيه ثلاثة متاريس من الجرانيت ، ويؤدى هذا الممر الأفقى إلى ردهة سقفها جمالونى مثلث . وفى الجهة الشرقية من هذه الردهة (أى إلى يسار الداخل) نجد دهليزا يؤدى إلى ثلاث فجوات فى الجدار ، وفى الجهة الغربية دهليز مماثل يؤدى إلى حجرة الدفن .

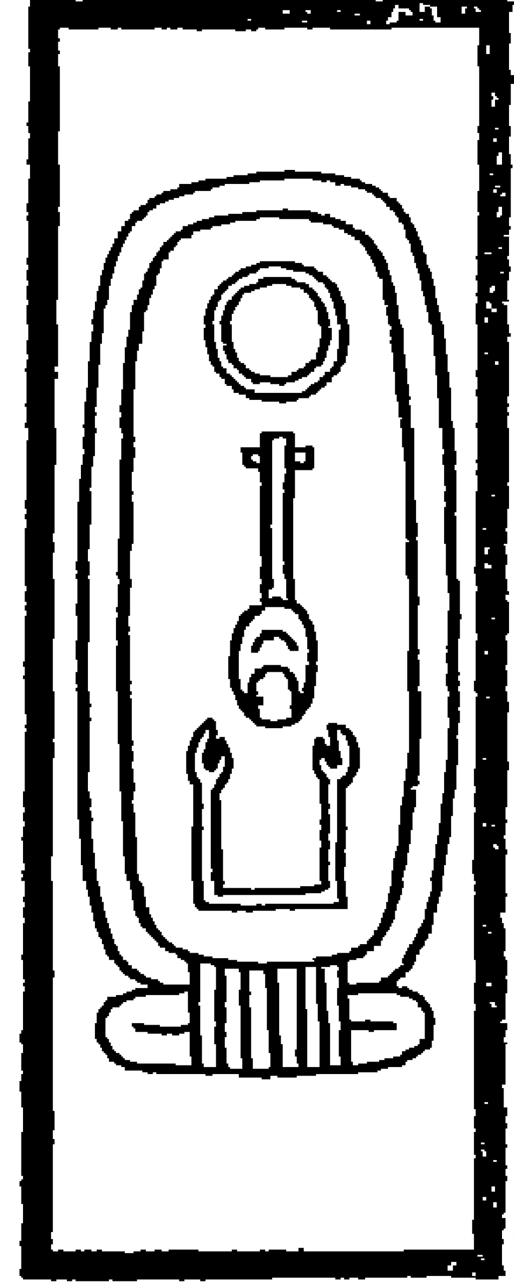


(شكل رقم ١٠٤) الرسم التخطيطى لداخل هرم « أوناس » فى سقارة .

وسقف حجرة الدفن جمالونى مثلث مزين بنجوم منقوشة نقشاً بارزاً وملونة باللون الأصفر فوق أرضية زرقاء . وفى آخر الحجرة نجد التابوت وهو من الجرانيت الأسود ومصقول صقلا جيداً . وجدران حجرة الدفن فى الجزء الذى يشغله التابوت ، مكسوة بالمرمر المصقول ومزخرفة بالزخارف التى تمثل واجهة القصر وهى ملونة باللونين الأخضر والأسود . أما باقى الجدران ، ما عدا الممر الهابط المبنى بالجرانيت ، فهى مبنية بالحجر

الجيرى الأبيض الجيد . وسطوح جدران حجرة الدفن باستثناء الجزء المكسو بالمرمر ، والردهة والممرات الأخرى ، بل والجزء الأسفل من الممر الهابط مغطاة كلها من السقف حتى الأرض بفصول من نصوص الأهرام ؛

وهذه الكتابات منقوشة على الجدران نقشاً غائرا وملونة باللون الأزرق ، وهى منحوتة بعناية ، وفى حالة حفظ تامة ، وتحتوى على فصول من نصوص الأهرام لم ترد بعد ذلك فى الأهرام الأحدث عهدا ، ولها طابع أدبى ممتاز يكاد يصل فى جماله إلى أسلوب الشعر .



١٠
أيام الانحطاط

من الصعب أن يفسر الإنسان سبب انتهاء الأسرة الخامسة ، أو ما الذى قضى عليها . لقد حكم « جد كارع — إسيسى » حكما طويلا ثابت الأركان ، وإذا حكمنا من آثاره التى خلفها بعده فقد تمتعت البلاد فى أيامه بعهد من الازدهار ، ، وحكم أوناس ثلاثين عاما ، أى أطول من سنوات حكم « جد كارع — إسيسى » شهدت مصر فيها ثورة فى الأدب ، وفى التطور الدينى ، وفى الفن ؟

وورد فى تاريخ « مانيتون » أن « تتى » كان أول ملوك الأسرة السادسة ، وسواء أكان مؤسس تلك الأسرة « تتى » أم « أوناس » فإننا لا يمكن أن نلاحظ وجود تغيير ذى بال فى آخر الأسرة الخامسة ، ومن المرجح جدا أن ملوك الأسرة الجديدة كانوا متصلين بصلة القربى بملوك الأسرة السابقة . وبالرغم من أننا نرى فى أهرام ومعابد ملوك الأسرة السادسة بعض مظاهر الانحطاط فى فنون البناء ، فإنها تسير بوجه عام حسب التقاليد الأساسية التى كانت متبعة فى الأسرة السابقة .

وبالرغم من أنه لم تكن لملوك الأسرة السادسة ما كان لسابقيهم من قوة ونفوذ ، فإن أسماءهم ترتبط بالسياسة التى اتبعوها بحماسة غير قليلة إزاء التجارة الخارجية والتوسع السياسى . فمنذ أيام الأسرة الخامسة كان الملوك يرسلون حملات إلى خارج مصر للأغراض التجارية والحربية ، كما حدثت بعض المناوشات ضد الليبيين فى غربى مصر ، وضد فلسطين وسوريا فى ناحية الشرق . ومن آن لآخر كانت موانئ البلاد القريبة من مصر فى حوض البحر المتوسط ترى أسطولا مصريا يلقى فيها مراسيه لزيارتها ، كما كانت البعوث الملكية تسافر نحو الجنوب ، إلى بلاد النوبة والسودان ، وكذلك إلى بلاد پونت ، وكانت حول بوغاز باب المندب على الشاطئين الأفريقى والأسيوى ، أى تشمل كلا من بلاد الصومال وجنوبى بلاد العرب .

اهتم ملوك الأسرة السادسة اهتماما خاصا بالجنوب وكلفوا حكام أسوان بأن يقودوا حملات ليخترقوا بها البلاد إلى قلب أفريقيا . ويقص علينا أولئك الرحالة ، على واجهات قبورهم التى قطعوها فى الصخر فى الناحية الغربية من النيل أمام أسوان ، قصص حياتهم ومخاطراتهم ، وكيف كان الملوك يكافئونهم على ما يؤدونه من خدمات .

وقد فقد بعض أولئك الرواد أثناء حملات اكتشاف أفريقيا حياتهم فى تنفيذ ما أمرهم به ملوكهم فى منف ، ووهبوا دماءهم فى سبيل الحصول على الأبنوس والبخور والذهب ، وريش النعام ، والأعشاب الطبية ، وغير ذلك من السلع التى كانوا يحصلون عليها من بلاد الجنوب . وبين حين وآخر كان يتيسر لهم الحصول على شىء نادر كان الملوك يقدرونه كثيرا ، وليس هذا الشىء إلا قزما صغيرا أسود اللون يحسن أداء نوع خاص من الرقص الدينى .

وبالرغم من كل هذا النشاط فإن بوادر الانحطاط وعلاماته بدأت تظهر فى البلاط المصرى ، وفى الأمة نفسها خلال حكم الأسرة السادسة الذى استمر وقتا طويلا . لم يعد أولئك الملوك حكاما مطلقى السلطة ، ملوكا لاينازعهم أحد فى مكانتهم الإلهية فى البلاد كلها ، بل نجد أنه أصبح لحكام الأقاليم سلطة كبيرة ، ولم تعد وظائفهم منحة يمنحها الملك لمن يشاء ، بل صارت وراثية لهم .

ومنذ أقدم العصور كان الأمل الأعظم لكل موظف كبير أن يسمح له بأن يدفن فى الجبانة التى تحيط بقبر سيده الملك ، ولكن ابتداء من الأسرة الخامسة نرى تغيرا تدريجيا ؛ إذ بدأ بعض الحكام المحليين من أبناء الأسر القوية فى الأقاليم يقطعون مقابرهم فى الصخر فى أقاليمهم ، ولكنهم لم يعتبروا أنفسهم حكاما مستقلين ببلادهم ، بل رعايا مخلصين للملك كما كان رجالهم رهن إشارته إذا احتاج إليهم . وعلى أى حال فيجب ألا ننسى أن مصر لم تعد تلك المملكة القوية التى كانت فى أيام الأسرة الخامسة ، فقد استنزف سوء الحكم ماكان فى البلاد من رخاء ، وأخذ الملوك يحاولون تقوية مركزهم الضعيف بالزواج من بنات الحكام الأغنياء الأقوياء .

هرم تتى

اختار الملك « تتى » لبناء هرمه موقعا ممتازاً على مقربة من حافة الهضبة فى سقارة ، يشرف على الحقول الواسعة على جانبى النيل . ولم يعثر حتى الآن على معبد الوادى . أما الطريق الصاعد فلم يبق منه إلاجزء بسيط فى نهايته الغربية ، على مقربة من الهرم. ونظرا لطبيعة الهضبة فى هذه المنطقة فالمفروض أن هذا الطريق الصاعد إما أن يكون طويلا جدا ، وإما أن تكون درجة انحداره كبيرة ، ومن الجائز جدا أن أكثره

كان من اللبن ، وهذا هو السبب فى اختفاء كل أثر له بعد الهضبة :

ولم يبق من المعبد الجنازى إلا القليل ، وكان ممر مدخله ، مثل معبد « أوناس » ، محفوفا بالمخازن على جانبيه ، ويؤدى إلى بهو الأعمدة فى وسط المعبد ، ويلوح أن تلك الأعمدة كانت من الخشب . وفى آخر البهو بضع درجات تصعد إلى النيشات الخمس ، كما توجد مخازن أخرى فى الجهتين الشمالية والغربية .

وبجانب قاعدة الهرم مباشرة ، فى آخر المعبد من الجهة الغربية ، نجد الهيكل وكان فيه باب وهى من الحجر الرملى ما زال الجزء الأسفل منه فى مكانه : ويرى الزائر لهذا المعبد بضعة أحجار من السقف مبعثرة بين خرائبه ، وهى من الحجر الجيرى ، وسطحها الأسفل مزخرف برسم نجوم خماسية ، وهى كالمعتاد ملونة باللون الأصفر فوق أرضية زرقاء . ومن بين الأشياء الهامة التى عثر عليها عند حفر هذا المعبد طبعة جبسية لوجه رجل ميت ، يعتقد « كويبل » Quibell أنها على الأرجح للملك « تتى » نفسه ، وذلك استناداً إلى العثور عليها فى ذلك المكان . وهناك ما يكفى من الأدلة على أن أرضية المعبد كانت من أحجار المرمر ، أما الهرم الجانبى فإنه ، مثل الهرم الجانبى لأوناس ، فى الجهة الجنوبية من المعبد الجنازى بدلا من أن يكون فى الجهة الجنوبية من الهرم نفسه .

وهناك أدلة قاطعة على أن تخريب هذا المعبد حدث فى عصر الفترة الثانية ؛ لأننا نعلم أن العقيدة الدينية الخاصة بعبادة « تتى » استمرت خلال الدولة الوسطى ، شأنه شأن ملوك الأسرة الرابعة والأسرة السادسة . وعثر فى خرائب هذا المعبد على جزء لتمثال من الحجر الجيرى لشخص يسمى « تتى — إم — ساف » ، وكان كبيراً للمرتلين فى هرم « تتى » ، وفى الوقت ذاته ذا صلة بمعبد الإله « بتاح » فى منف وكل من هرمى

« سنفرو » ، الشمالى والجنوبى ، وهرم « خوفو » وعدد من المعابد التى شيدها ملوك الأسرة الثانية عشرة[1] .

وما وافت الدولة الحديثة حتى كان هذا المعبد قد تخرب وغطت الرمال ما بقى من أحجاره القليلة ، ولكن ظلت للمكان قداسته وصار جبانة لعامة الناس فى الأسرة الثامنة عشرة ، وما حلت الأسرة التاسعة عشرة حتى أصبحت إحدى الجبانات الهامة فى المنطقة ، وظلت لها تلك الأهمية فترة طويلة .

كان هرم « تتى » هرماً من الأهرام الكبيرة ، ولكنه لم يبق منه الآن إلا القليل ، ويرجع ذلك إلى أنه لم يشيد بالعناية والإتقان الكافيين ، فنواته الداخلية وجدران طبقاته الرأسية مبنية بكتل صغيرة « فجة » من الحجر الجيرى وبعض الحصى ، وكساؤها من الحجر المحلى . أما الكساء الخارجى للهرم نفسه فقد كان من الحجر الجيرى الجيد ، وقد عثر « كويبل » على بعض كتل منه فى مكانها الأصلى فى الواجهة الشرقية منه ، ولا يزيد ارتفاع الهرم حالياً عن ٢٠ متراً وطول ضلع قاعدته ٦٥ متراً .

ومدخل الهرم فى مستوى الأرض المقام عليها ، وهو فى منتصف الضلع الشمالية تقريباً ، وفوق هذا المدخل شيدوا هيكلا للقرابين كان فيه باب وهمى من البازلت . ولابد أنهم بنوا هذا الهيكل بعد دفن الملك لأنه مشيد فوق المدخل كما ذكرنا ، وكان المفروض أن « كا » الملك كانت تدخل وتخرج عن طريق الباب الوهمى .

---

(١) J. E. Quibell, *Excavations at Sakkara*, (1907 — 8), *pp*. 113—14, *plate*, 57.

ويؤدى المدخل إلى ممر طوله ١٥ متراً ، ثم إلى ردهة ، ثم إلى ممر أفقى فيه متاريس من الجرانيت ، وبعد ذلك نجد ردهة فى الجهة الشرقية منها فجوة فى الجدار . وفى الجهة الغربية حجرة الدفن ، وفيها حتى الآن التابوت المنحوت من حجر البازلت ، ولهذه الحجرات كلها سقوف جمالونية مثلثة ومزخرفة بالنجوم ، وسطوح جدرانها مغطاة بكتابات من فصول الأهرام .

هرم الملكة « أيبوت » الأولى

كانت الملكة « أيبوت » الأولى زوجة للملك « تتى » وأماً للملك « ببى » الأول الذى خلفه على العرش ، ونجد مجموعتها الهرمية على مسافة ١٠٠ متر تقريباً إلى الشمال من المعبد الجنازى لزوجها . وقد قامت مصلحة الآثار بحفره جزئياً فى أعوام ١٨٩٧ — ١٨٩٩ تحت إشراف « لوريه Loret » ، ثم جرت فيه الحفائر مرة ثانية تحت إشراف كويبل فى موسم ١٩٠٧ — ١٩٠٨[٢] .

ويلوح أنه لم يكن لهرم هذه الملكة معبد وادٍ ، أو طريق صاعد ، كما عثر على معبدها الجنازى مخرباً ، وهو صغير الحجم . وكان فى الجدار الغربى من هيكله باب وهمى كبير الحجم من الحجر الجيرى لم تبق منه إلا بضعة أجزاء صغيرة ، وكانت أمامه مائدة قرابين كبيرة من حجر الجرانيت وعليها اسم الملكة وألقابها . وأغلب الظن أن ابنها « ببى » الأول هو الذى قام ببنائه ؛ لأن اسم مجموعته الهرمية ورد فى النقوش وكانت تسمى « من — نفر — ببى »[٣] .

---

(٢) C. M. Firth and B. Gunn, *The Teti Pyramid Cemeteries*, I, 11—14.

(٣) المصدر السابق : الجزء الثانى لوحات ٢ ، ٥٥ .

وكان هرم « إيبوت » الأولى صغيراً ، ولا يزيد ارتفاعه الآن عن ٤,٥٠ من الأمتار وطول ضلع قاعدته ١٥,٥٠ متراً وزاويته ٦٥° .

حاول « لوريه » عبثاً أن يجد مدخل هذا الهرم فى الجهة الشمالية منه ، كما حاول محاولة أخرى فاشلة فى البحث عنه خلف الباب الوهمى فى هيكل المعبد الجنازى . وكان السبب فى هذا الفشل أن الذين شيدوا هذا الهرم لم يسيروا على التقاليد المتبعة فى عمل مدخل يؤدى إلى ممر ولكنهم اتبعوا طريقة أخرى ؛ إذ كانت حجرة دفن هذه الملكة فى قاع بئر كبيرة عميقة كالمتبع فى المقابر الخاصة . وحدث فيما تلا من عصور أن بعض الناس ، فى أيام الفراعنة ، استغلوا هذا المكان فحفروا فى مبنى الهرم نفسه ، ونقلوا جزءاً كبيراً مما كان يملأ الهرم من رديم وأحجار وبنوا مكانه مدفناً لعدة أشخاص فوق البئر التى كانت الملكة مدفونة فيها ، وأقاموا فوقه سقفاً مبنياً من الطوب ، ولهذا السبب لم يعثر أحد على مدفنها الأصلى إلا بعد أن تم حفر ذلك القبر الدخيل وأزال رجال مصلحة الآثار أرضيته وجداره الشرقى ، وعند ذلك فقط عثروا على بئر مدفن الملكة .

وعثروا على التابوت فى حجرة الدفن وهو من الحجر الجيرى ، وكان غطاؤه مثبتاً بالجبس فى مكانه الأصلى ، ولكن اللصوص القدماء كانوا قد وصلوا إليه ولم يكلفوا أنفسهم عناء رفع غطاء التابوت ، بل أحدثوا ثقباً فى أحد جوانبه ، وسرقوا ما استطاعوا سرقته . والظاهر أن اللصوص كانوا فى عجلة من أمرهم لأنه اتضح عند رفع الغطاء الحجرى للتابوت أن جثمان الملكة كان موضوعا فى تابوت من خشب الأرز ، وأن اللصوص تركوا بعض أجزاء من عقد الملكة ، كما تركوا أيضاً سواراً ذهبياً كان فى ذراعها اليمنى . كانت حجرة الدفن ملأى بقطع صغيرة جداً من الحجر الجيرى حتى مستوى سطح التابوت ، وقد عثروا بين تلك الأحجار الصغيرة على عدد من الأوانى المصنوعة من المرمر ، وهى من النوع الصغير الحجم

المعروف باسم الأوانى الرمزية ، وعلى عدد آخر من الأدوات والأوانى الرمزية المصنوعة من النحاس ، وكانت كلها مغطاة بورق الذهب ، وكان اسم الملكة إيپوت وألقابها مكتوبة على عدد منها ، كما عثروا أيضاً على آنية من الفخار الأحمر الجيدة الصنع والصقل وصحافٍ « أطباق » صغيرة من البلور الصخرى والحجر الجيرى والرخام .

وخلف التابوت عثر المكتشف على مجموعة من خمسة أوانٍ للأحشاء، وهى من الفخار الأحمر الخشن ، وهو عدد غير مألوف لأن عدد أوانى الأحشاء أربعة فقط . وقد قام الدكتور « درى» Derry بفحص جثة هذه الملكة ، ونعرف من تقريره أنها كانت امرأة نصفا عند موتها ، لها عينان واسعتان أكثر من المألوف ولها أنف دقيق .

وفى منتصف الواجهة الشمالية للهرم على وجه التقريب ، وفى مستوى أرضيته ، عثر على باب وهمى من الجرانيت الأحمر ، وكان هذا الباب الوهمى فى المكان الذى كان يجب أن يكون فيه مدخل الهرم عادة ، وعليه اسم الملكة وألقابها ، وفى منتصف هذا الباب نجد ما يمثل باباً خشبياً ذا ضلفتين وعليه مزلاج من الخشب(٤) .

هرم « پپى » الأول

لم تستمر الأسرة المالكة فى الأسرة السادسة بعد موت الملك « تتى » فى استخدام المنطقة نفسها كجبانة ملكية بل اتجهوا جنوبا ، وبنى « پپى » الأول مجموعته الهرمية على مقربة من هرم « جد كارع — إسيسى » فى المنطقة المعروفة الآن باسم سقارة القبلية (شكل رقم ١٠٥) .

---

(٤) المرجع السابق — الجزء الثانى لوحات ١ ، ٥٥ .

(شكل رقم ١٠٥) خريطة جبانة سقارة

ولم يقم أحد حتى الآن بحفر مجموعة « پپى » الأول الهرمية حفراً علميا كاملاً ، ولا يرى أحد الآن بقايا معبد الوادى الذى يجب أن يكون عند نهاية الطريق الصاعد ، ويمكننا رؤية هذا الطريق بوضوح ظاهر فى لون الرمال ابتداء من حافة الأراضى المزروعة حتى يصل إلى الشرق من الهرم تقريباً .

ولم يقم أحد بحفر المعبد الجنازى أيضاً ، وليس لدينا إلا أمل ضئيل فى أن بعض أجزاء منه ما زالت باقية حتى الآن .

والهرم نفسه مخرب تخريباً يكاد يكون كاملاً ، وارتفاعه الحالى حوالى ١٢ متراً ، وطول ضلع قاعدته ٧٠ متراً . وكان هذا الهرم مغطى بكساء من الحجر الجيرى الجيد ، ولكن لا يرى الزائر فى الوقت الحالى إلا كومة من الحصى والأحجار الصغيرة ، ومدخله فى الجهة الشمالية ، ويؤدى إلى دهليز منحدر ثم إلى ردهة نجد بعدها ممرا أفقياً ثم ردهة أخرى ، وبعدها حجرة الدفن التى عثر فيها على تابوت من البازلت وصندوق من الجرانيت لأوانى الأحشاء ، عثر فيه على بقايا ثلاثة من أوانى الأحشاء الأربعة وكلها من المرمر .

وبالرغم من مظهر هذا الهرم الذى لا يدعو إلى إعجاب الزائر ، وبالرغم من عدم عناية الأثريين به ، فإن أمرين هامين جداً يرتبطان به : أولها أن منف القديمة قد تسمت باسم هذا الهرم . كان اسمه « من — نفر — پپى » وقد أطلقوه أيضاً على اسم المدينة الهرمية ، ومن ثم أصبح اسما لأحد أحياء العاصمة القديمة التى كانت تسمى قبل ذلك العهد « إنب حز » و « حات — كا — بتاح — » و « عنخ تاوى » واختصروا « من نفر — پپى » إلى « من — نفر » وكانت تنطق فيما بعد « منفر » و « ممفر » وأخيراً « ممفى » وما زال الاسم الأخير يطلق حتى اليوم على قرية صغيرة على مسافة بضعة كيلو مترات جنوبى أهرام الجيزة ، ثم أصبحت « ممفى » تنطق وتكتب

« ممفيس » فى أيام اليونان والرومان وتحت هذا الاسم وردت فى مؤلفاتهم ؛ أما فى اللغة العربية فإنها تنطق « منف » . أما ثانى الأمرين الهامين فهو أنه كان أول هرم فى مصر يقدم للعالم الحديث نصوص الأهرام ، وهى من أهم ما وصل إلينا من تراث المصريين القدماء .

هرم « مرنرع »

وبنى « مرنرع » خليفة « پپى » الأول هرمه على مسافة قليلة جنوب — غربى المجموعة الهرمية للملك « جد كارع — إسيسى » ولم تجر حفائر حتى الآن فى معبد الوادى أو الطريق الصاعد أو المعبد الجنازى لهذه المجموعة الهرمية . أما الهرم فهو مخرب الآن ، ولكن طول ضلعه كان حوالى ٩٥ مترا . وفى عام ١٨٨١ فتح « ماريت » هذا الهرم ودخله « ماسپرو » عندما كان يقوم بفحص أهرام سقارة بحثا عن نصوص الأهرام(٥) ، ووجد « ماسپرو » أن داخله يشبه داخل هرم « أوناس » وأهرام ملوك الأسرة السادسة ، وفى حجرة الدفن تابوت جميل الصنع من الجرانيت الأسود وفيه مومياء من المحتمل أنها مومياء الملك « مرنرع » نفسه .

ومما يستحق الذكر أن نصوصاً مصرية قديمة كتبت فى عصر « مرنرع » نفسه تتحدث عن هذا التابوت بالذات . يقص علينا « أونى » أحد كبار رجال الأسرة السادسة فى نصوص لوحة تاريخ حياته أن سيده الملك أرسله إلى منطقة « إبهت » القريبة من أسوان ليحصل على الحجر اللازم لصنعه والحجر اللازم للهريم الجرانيتى الذى كان يوضع فوق الهرم ، وكذلك الباب الوهمى . وقام « أونى » على رأس حملة أخرى إلى محاجر « حتنوب » فى مصر الوسطى ليحصل على المرمر اللازم لموائد القرابين فى المجموعة الهرمية لهذا الملك(٦) .

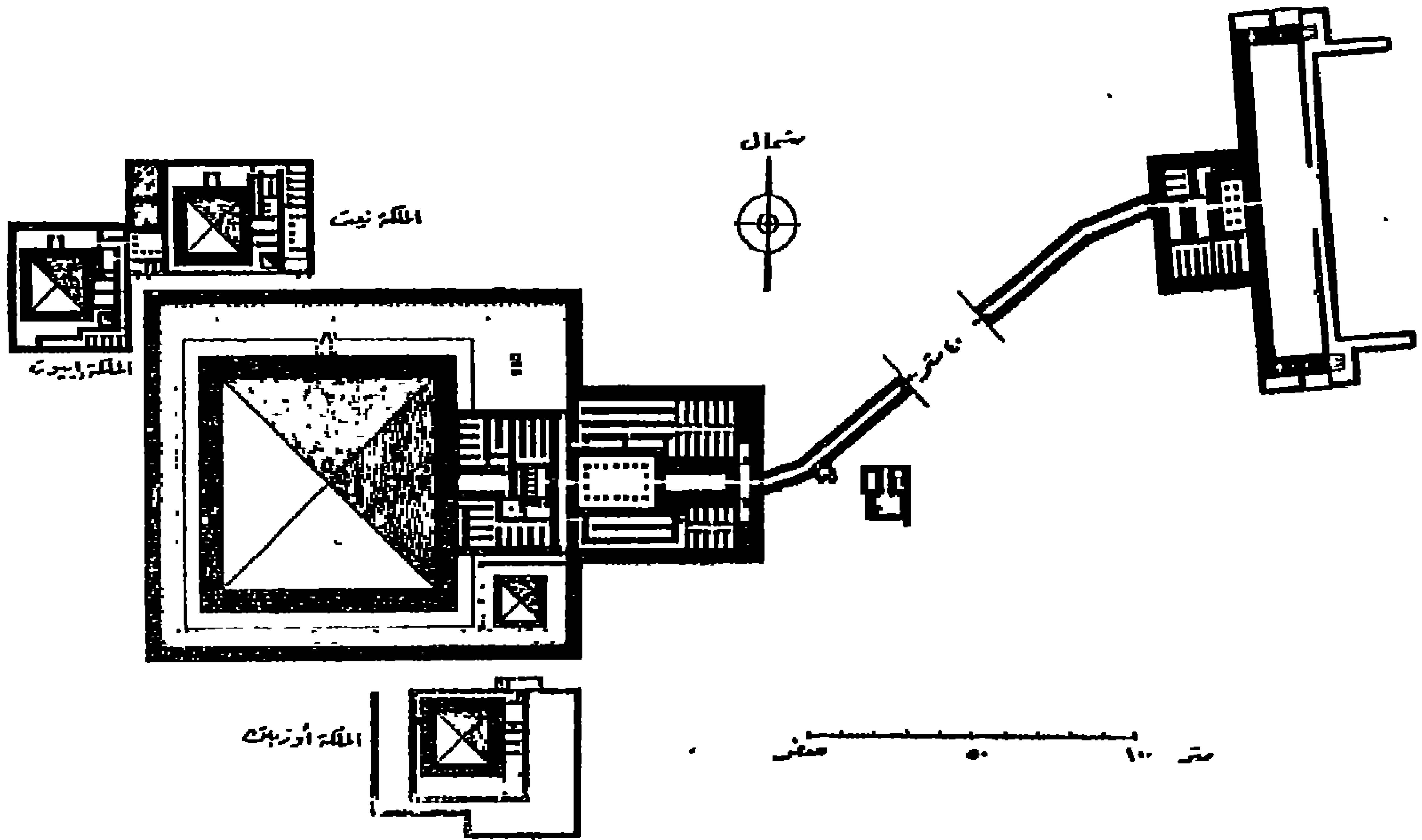
---

(٥) **Maspero,** ***Recueil de Travaux,*** **IX, 177—91.**

(٦) لوحة « أونى » سطور ٣٨ — ٤٤ .

هرم « پپی » الثانی

قام العالم الأثرى « چيكييه » بين أعوام ١٩٢٦ و١٩٣٦ — وكان يعمل فى مصلحة الآثار المصرية — بالحفر فى المجموعة الهرمية للملك « پپى » الثانى وبحثها بحثاً علمياً منظماً ، وكشفت حفائره عن العثور على مجموعة هرمية فى حالة لا بأس بها (شكل رقم ١٠٦) ، وبالرغم مما أصاب بعض أجزائها من تخريب فإن المجموعة كلها محفوظة بوجه عام إلى الحد الذى يسمح لنا بالقول بأنه يمكننا أن نعرف جيداً كيف كانت عند بنائها(٧) .



(شكل رقم ١٠٦) المجموعة الهرمية للملك « پپى » الثانى (نقلا عن چيكييه)

---

(٧) G. Jéquier, *Le Monument funérairesde Pepi II (3 vols ., Cairo,* 1936—40 *)*.

ومعبد الوادى قريب من حافة الأرض المزروعة وهو يواجه الشرق ، ويمكن الوصول إليه من طريقين يصلان إلى رصيف كبير أمام المعبد ، ربما كان يستخدم مرسى للسفن فى أيام الفيضان . وقد بقى من هذا الرصيف ما يثبت أنه كان محاطاً بجدران سميكة ضخمة عاليـــة فى جهاته الشمالية والجنوبية والغربية ، وأنه كان فى داخل الجدارين الشمالى والجنوبى درجات تصعد إلى أعلاه . وكان المدخل الرئيسى فى واجهته الشرقية ، إلى الشمال قليلا من منتصف الواجهة ، ويؤدى إلى بهو أعمدة محوره الطولى ممتد من الشمال إلى الجنوب ؛

ومما هو جدير بالملاحظة أن الملك « ببى » عاد إلى طراز الدولة القديمة ؛ لأن سقف هذا البهو محمول على أعمدة مربعة بدلا من الأعمدة النخيلية أو البردية التى كانت شائعة الاستعمال فى معابد الأسرة الخامسة ، ونجد هذه الأعمدة المربعة فى المعبد الجنازى أيضاً .

وبالرغم من أنه لم يبق إلا القليل من جدران معبد الوادى فقد عثر « چيكييه » على عدد من أحجارها واستطاع من دراستها أن يعرف رسم المناظر التى كانت مرسومة عليها قبل تهدمها ، ولكن فى صورة تقريبية . ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن نحاتى الملك « ببى » الثانى أعادوا رسم مناظر الانتصار على الليبيين التى فى معابد « ساحورع » ، على جدران أحد دهاليز هذا المعبد ، وقد رسموه كما هو دون تغيير بما فى ذلك اسم الزعيم الليبى وأسماء أفراد أسرته .

ويسير الطريق الصاعد فى اتجاه جنوبى — غربى وينحرف على الأقل مرتين مغيراً زاويته إلى أن يصل إلى أعلى الهضبة ، وعلى مقربة من نهايته الغربية نجد مدخلا صغيراً يسمح للكهنة الذين يتصادف وجودهم فى أعلى الهضبة بدخول المعبد الجنازى دون حاجة إلى النزول إلى الوادى والبدء من

معبد الوادى لدخول الطريق الصاعد والسير فيه ، وعند هذا المدخل حجرة للحارس الذى يحرس المكان .

وبالرغم من أن چيكييه وجد الطريق الصاعد مخرباً فقد أمكنه معرفة بعض المناظر التى كانت تزين جدرانه من دراسة بعض الأحجار المنقوشة التى عثر عليها أثناء تنظيفه لهذا الطريق .

يصل الطريق الصاعد إلى المعبد الجنازى فى منتصف واجهته الشرقية ، ويؤدى المدخل إلى دهليز مستطيل ، وفى كل من جهتيه الشمالية والجنوبية حجرة بها سلم يصعد إلى سطح المعبد ، وبعد هذا الدهليز نجد الدهليز المعتاد وعلى جانبيه المخازن ، ثم نجد بعد ذلك البهو الذى يتوسط المعبد ، وعلى كل من جانبيه سبع حجرات أخرى . ولا يختلف هذا الجزء من المعبد اختلافاً كبيراً عن أمثاله فى المعابد الأخرى ، اللهم إلا أن حجراته ومخازنه أصغر حجماً ، ولكن الشىء الهام الذى يستحق الذكر هو أن هذا الجزء الذى أشرنا إليه مشيد خارج السور الذى يفصله عن سائر أجزاء المعبد الجنازى . وفى آخر بهو الأعمدة مدخل ، هو فى الواقع السور الخارجى للهرم ، ويؤدى هذا المدخل إلى دهليز مستطيل فى كل ناحية من ناحيتيه باب يؤدى إلى ساحة الهرم .

وفى منتصف الجدار الشرقى من هذا الدهليز سلم من بضع درجات يؤدى إلى حجرة فيها النيشات الخمس ، وكان لكل منها باب ذو مصراعين ، وما زالت قاعدة التماثيل المنحوتة من الحجر الجيرى فى واحدة منها ، أما الهيكل الخاص بالمعبد فهو خلف النيشات ويمكن الوصول إليه عن طريق ردهة ضيقة تخرج من حجرة النيشات ، ثم حجرة تكاد تكون مربعة وفيها عمود واحد ، وكانت حجرات الردهة والحجرة والهيكل مزينة بالنقوش ، وفى الهيكل مناظر تمثل ذبح حيوانات القرابين .

وفى هذا المعبد — كما نرى فى رسمه التخطيطى — حجرات كثيرة أخرى . ولكن بالرغم من أن الهرم ذاته فقير فى عمارته فإنهم عنوا عناية كبيرة ببناء المعبد الجنازى ونقش جدرانه ، وكان هذا المعبد هو النموذج الذى احتذاه من قاموا بتشييد معبد الملك « سنوسرت الأول » أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة .

والهرم الجانبى للملك « پپى » الثانى فى الجهة الجنوبية من الجزء الداخلى للمعبد الجنازى قريب من الركن الجنوبى الشرقى للهرم الرئيسى للملك .

وبالرغم من أن هرم « پپى » مبنى بأحجار صغيرة فجة من الحجر الجيرى المحلى فإن بنايته بوجه عام أفضل من بناية الأهرام الأخرى ، فى هذه الأسرة . وما زالت بعض أحجار الكساء الخارجى ، وهى من الحجر الجيرى الأبيض الجيد فى أماكنها فى الجهة الغربية من الهرم ، وكان ارتفاع الهرم فى الأصل ٥٢ متراً ، وطول ضلع قاعدته ٧٦ متراً ، وزاويته ٥٣° .

ومدخل الهرم فى مستوى سطح الأرض فى الجهة الشمالية منه ، وقد عثر « چيكييه » على آثار تثبت وجود هيكل صغير لتقديم القرابين أمام هذا المدخل ، ولكنهم هدموا أحجاره فيما بعد أثناء عملهم فى بناء الهرم ، واستخدموا أحجاره المنقوشة فى أغراض أخرى . ويشبه هذا الهرم فى نظام أجزائه الداخلية هرم « پپى » الأول ؛ إذ أن جميع ممراته وحجراته مقطوعة فى صخر الهضبة .

وطول الممر المنحدر ١٦ متراً ، وزاوية انحداره ٢٥° ، وفى منتصفه متراس ما زال المكان المعد لوجوده محفوظاً حتى الآن ، وهو مبطن بأحجار الجرانيت ، أما المتراس نفسه فلم يعد له وجود . وفى نهاية الممر دهليز زينوا سقفه بالنجوم وعلى جدرانه بعض فصول مختارة من نصوص

الأهرام ، وقد عثر فيها « چيكييه » على أجزاء أوان من المرمر ، كما عثر أيضاً على أداة صغيرة من الذهب ربما كانت تستخدم فى أحد الطقوس الجنازية .

ونجد بعد الدهليز ممراً أفقياً طوله حوالى ٣٨ متراً ، وكان يغلق بثلاثة متاريس من الجرانيت ، وينتهى بحجرة سقفها جمالونى مثلث مزخرف بالنجوم ، وعلى جدرانها كتابات من نصوص الأهرام ، ليست مع الأسف محفوظة جيداً مثل النصوص التى على الجدران الأخرى فى هذا الهرم .

وفى الجهة الغربية من هذه الحجرة نجد ممراً يؤدى إلى حجرة دفن متسعة ومشيدة بعناية فائقة ، ولها سقف مثلث ومزين بالنجوم ، وجدرانها —باستثناء الجزء المحيط بالتابوت— مغطاة بنقوش من نصوص الأهرام . وفى الناحية الغربية من هذه الحجرة تابوت فخم من الجرانيت الأسود ، مصقول صقلا جيداً ، وعلى أحد جوانبه نقش اسم الملك وألقابه ، وعلى جدران الغرفة المحيطة به زخارف تمثل واجهة القصر ، وقد عثر فى هذه الحجرة أيضاً على غطاء آنية الأحشاء .

وقبل أن أترك الحديث عن هذا الهرم أحب أن أنبه القارئ إلى ظاهرة تستحق شيئاً من التعقيب ؛ فلهذا الهرم سور خارجى يحيط بساحته ويقع فيه الجزء الداخلى من المعبد الجنازى ، ولكن مع وجود هذا السور نجد سوراً آخر وهو مرتفع سميك البنيان وملتصق بالهرم نفسه ويحيط بجميع جهاته ما عدا الجزء الذى يشغله المعبد الجنازى فى الجهة الشرقية . ومن الواضح أن هذا السور لم يكن فى التصميم الأصلى وإنما أضيف فيما بعد ؛ إذ نجده مشيداً فوق المداميك السفلى من كساء الهرم الخارجى ، واستدعى بناؤه هدم هيكل القرابين الذى شيدوه أمام مدخل الهرم لكى يفسحوا مكاناً لهذا السور الجديد ، وليس هناك تفسير معقول إلا أنه

بنى لزيادة متانة مبنى الهرم نفسه ، لأنه ربما كان قد تعرض لهزة عنيفة من أحد الزلازل[٨] .

٧. وإلى جانب المجموعة الهرمية للملك « پپى » الثانى نجد أهرام ثلاث ملكات من زوجاته وهن « نيت » و « إيپوت » الثانية « وأوچبتن » ، والهرمان الأولان فى الجهة الشمالية من هرم الملك والثالث فى جنوبه . وتتشابه هذه الأهرام الثلاثة فى بنائها ، وفى داخلها كلها فصول من نصوص الأهرام ، ويكفينا أن نصف واحداً منها وهو هرم الملكة « نيت » لأنه محفوظ أكثر من الهرمين الآخرين[٩] .

هرم الملكة « نيت »

نجد هرم الملكة « نيت » قريباً من الركن الشمالى الغربى لهرم « پپى » الثانى ويحيط به سور خارجى مستطيل الشكل ، والمدخل الرئيسى لهذه المجموعة الهرمية الصغيرة يقع فى الركن الشرقى من الجدار الجنوبى للسور ، ويمكن الوصول إليه عن طريق ممر ضيق بين هذا الجدار وبين السور الخارجى للمجموعة الهرمية للملك « پپى » الثانى (انظر شكل رقم ١٠٦) .

كانت جدران دهليز المعبد الجنازى للملكة « نيت » مزينة بالنقوش ، وقد بقيت منها قواعد بعض العروش مزخرفة برسم أسود على جانبيها ، وخلف هذا الدهليز بهو ذو أعمدة ، له عقود « بواكى » فى الجهات الجنوبية والغربية والشمالية . كان هذا البهو محمولا على تسعة أعمدة مربعة من الحجر

---

(٨) I. E. S. Edwards, *The Pyramids of Egypt* (1947) P. 168

(٩) Jéquier, *Les Pyramides des reines Neit et Apouit (Cairo,* 1933 *) Jéquier, la Pyramide, d'Oudjebten (Cairo,* 1928 *).*

الجيرى لم يبق منها إلا ثلاثة فقط : وفى الناحية الشمالية خمسة مخازن ، وخلفها باب يؤدى إلى الجزء الداخلى من المعبد ، وفيه نجد حجرة مربعة وبعدها ثلاث « نيشات » ، وخلف هذه « النيشات » حجرة مستطيلة لا باب لها ، كانت دون شك حجرة للتمثال . ويقع هيكل المعبد إلى الجنوب من « النيشات » ، وكان جداره الغربى بأكمله باباً وهمياً كبير الحجم ، كانت أمامه مائدة قرابين من النوع المرتفع ربما كانت من المرمر . ولم يعثر على هذه المائدة فى مكانها ولكن عثر على ثلاث درجات منحوتة فى قطعة واحدة من الحجر كانت تساعد على الصعود إلى المائدة ، كما عثر أيضاً فى هذه الحجرة على خوان من الحجر له طنف « كورنيش » على حافته ، وكان هذا الخوان معدا لوضع القرابين عليها ليأخذ منها الكاهن ما يحتاج إليه عند قيامه بعمله أثناء الطقوس الدينية . وإلى جنوبى الهيكل توجد حجرة أخرى لها باب يؤدى إلى فناء هرم الملكة وإلى هرمها الجانبى . وطول ضلع هذا الهرم الجانبى ٥,٢٥ أمتار ، وهو فى حالة جيدة بوجه عام وما زال يحتفظ بالكثير من أحجار كسائه الخارجى ، وله مدخل فى واجهته الشرقية يؤدى إلى ممر ضيق جداً ، وقد عثر المكتشف فى داخله على كثير من الأوانى الفخارية ، كما عثر أيضاً على قطع من المرمر عليها النص المعروف بنص القرابين وفيه اسم الملكة « نيت » . كما عثر المكتشف أيضاً على عدد من نماذج السفن فى المكان الفضاء الواقع بين الهرم الجانبى وهرم الملكة . وطول ضلع هرم الملكة « نيت » ٢١ مترا ، ولكن ارتفاعه الحالى لا يزيد على أربعة أمتار ، وما زال يحتفظ بالكثير من أحجار كسائه الخارجى ، ومنها نعرف أن زاويته ٦٠° .

ومدخل هذا الهرم فى منتصف الواجهة الشمالية وكان يخفيه عن الأنظار باب وهمى ومائدة قرابين كانا فى داخل هيكل صغير ، ويؤدى المدخل إلى ممر هابط زاويته ٢٥° ، ثم إلى دهليز فى نهايته متراس ، ما زال جزء منه

باقيا فى مكانه . ويعد هذا الدهليز حجرة على جدرانها فصول من نصوص الأهرام ، وبعد هذه الحجرة نصل إلى حجرة الدفن ، وسقفها مستوٍ ومزخرف بالنجوم وتغطى جدرانها أيضا نصوص الأهرام ماعدا الجزء الواقع خلف التابوت فإنه مزخرف بما يمثل واجهة القصر . وكان فى هذه الحجرة تابوت من الجرانيت وصندوق لآنية الأحشاء من الجرانيت ، وفى قاعدته فجوات لتوضع فيها آنية الأحشاء الأربعة .

وزخارف السقف والكتابات التى على الجدران أبعد ما تكون من أن تسمى أنها جيدة الصنع ، بل هى رديئة إذا قيست بمثيلاتها فى هرم « ببى » الثانى أو حتى تلك التى فى المعبد الجنازى للملكة « نيت » .

تولى الملك « ببى » الثانى عرش البلاد وهو فى العاشرة من عمره ، وكان منذ بداية حكمه محاطاً بالموظفين الذين كانوا يحكمون البلاد باسمه . ومن سوء حظ مصر أنه عاش طويلا وجلس على العرش أكثر من تسعين عاماً ، وهو أطول حكم حكمه ملك فى التاريخ . ووصلت الفوضى فى الحكومة إلى أقصى حدودها فى الجزء الأخير من حكمه ، ولم يكن للمحيطين به من هدف إلا استغلال الموقف والاستفادة منه .

كان الموظفون ينهبون الفلاحين ويفرضون عليهم أفدح الضرائب ، ولم تكن الحكومة تعنى بتطهير الترع والقنوات ، ولم تعد الحقول تدر ما كانت تدره عادة من محصولات . ونعرف من بردية « ايبو — ور » المحفوظة الآن فى متحف ليدن وبردية « نفرتى » المحفوظة فى متحف « لينتجراد » أن الناصحين حاولوا نصحه لكى يفتح عينيه ويرى حقيقة ما يجرى فى البلاد ، ولكن دون جدوى .

وتوجه الناس يائسين ، فى أيام تعاستهم ، إلى آلهتهم يرجونهم العون والحماية حتى يئسوا من الحصول على مساعدتهم الإلهية . فلما جاء اليوم الذى

فاض فيــه الكيل . وقام الشعب بثورته لم يترك الناس قصراً أو معبداً إلا وحطموه ، وانتقموا لأنفسهم من الحكام والآلهة على حد سواء .

وفى خلال هذه الفترة من تاريخ مصر لم تستطع قوة أن تمنع الناس من سرقة المقابر للحصول على ما فيها من ذهب ونفائس . كانت الأهرام تعلو شاهقة عالية يراها الناس جميعاً وكانوا يعرفون أن فى داخلها موميات الملوك السابقين تحيط بها كنوز الذهب والحلى ، وما من شك فى أن أكثر تلك الأهرام قد هوجمت ونهبت فى ذلك الوقت الذى عمت فيه الفوضى : وهاهوذا وصف لتلك الحالة كما وردت فى إحدى البرديات :

" سفينة الجنوب (أى مصر العليا) تسير على غير هدى . تخربت المدن وأصبح الصعيد بلقعا وشملت الأرض الحمراء (أى الصحراء والبلاد الأجنبية) البلاد بأكلها ، وتخربت الأقاليم ، وأتى الأجانب من خارج البلاد وانتشروا فيها . وصار الذهب والحلى يزين أعناق فتيات الرقيق ، أما السيدات النبيلات فشردات فى الأرض ، وسيدات البيوت يقلن : « ألا ليت هناك شيئا نأكله !! » والناس يضربون بأطفال الأمراء عرض الجدران ، والأطفال الذين طالما تمنى أهلوهم مولدهم وضعوهم على قارعة الطريق . ويقول الرجل الأحمق : « لو كنت أعرف مكانا يوجد فيه إله لقدمت إليه القرابين ! » . ونفدت الحبوب فى كل مكان ، وجردوا الناس من الملابس والعطور والزيوت ، والجميع يقولون : « لا يوجد شىء آخر » . لقد خلت المخازن مما فيها ، وأصبح حارسها ممددا على الأرض . انظر ! إن الذى دفنوه كصقر (يقصدون الملك) أصبح الآن فوق نعش من الخشب ، وما أخفته الأهرام فى داخلها أصبح فارغا . ووصل الأمر إلى الحد الذى جعل عددا قليلا ممن لا عقل لهم يحرمون البلاد من الملكية ، ومن كان يمتلك الثياب أصبح يرتدى الأسمال ، والذى لم يكن ينسج لنفسه شيئاً أصبح يمتلك أحسن الكتان ، وصار فقراء البلاد هم الأغنياء ، ومن كان معدما أصبح الآن مالكا لكل شىء ، ومن كان لا يحصل على خبز أصبح يمتلك مخازن الغلال ، ولكن الذى يملكه كان ملكا لشخص آخر . وما من منصب يشغله الشخص الصالح له ، إنها بلاد يملؤها الخوف ولا راعى لها . لقد قلت

مساحة الأرض وتضاعف عدد حكامها ، وأصبحت الحقول جرداء ولكن المطلوب منها كثير . وقلت الحبوب ولكن زادت سعة المكيال بل ويطففونه عند كيله(١٠) » .

ويسمى علماء الدراسات المصرية القديمة الفترة التى تلت انهيار الأسرة السادسة عصر الفترة الأولى ، وتشمل الأسرات السابعة ، والثامنة ، والتاسعة ، والعاشرة . وفى هذه الفترة اتخذ زعماء عدد من الأسر الكبيرة لأنفسهم اللقب التقليدى « ملك مصر العليا ومصر السفلى » ولكنه كان ادعاء لشرف لا حقيقة له فى الواقع . فقد حكمت بعض الأسر فى الصعيد ، وحكم بعضها فى مصر الوسطى ، وآخرون فى الدلتا .

ومن المدهش أن بعض أولئك الحكام أرادوا أن يشيدوا لأنفسهم أهراماً ليدفنوا فيها جرياً على التقاليد التى استنها عظماء الملوك ، وعلى أى حال فلم يطل حكم أكثرهم حتى يتموا تشييدها أو ربما كان نفوذهم ومواردهم أقل من أن تكفى لمثل هذا العمل . وكان بيت مدينة إهناسيا — وتسمى أيضاً هيراكليوبوليس وهى الآن فى محافظة بنى سويف — من أقوى تلك البيوت الحاكمة ، وقد حكمت هذه الأسرة فى الأسرتين التاسعة والعاشرة . ملدت نفوذها تدريجياً على المناطق المجاورة لها ، وكان لها بلاط مزدهر . وقد عثر على جبانات تلك الفترة على حافة الزراعة هناك ، ولكن مقابر الملوك لم يعثر عليها أحد حتى الآن ، ولهذا لا يمكننا أن نقول على وجه التأكيد إذا كان ملوك تلك الأسرتين يدفنون فى أهرام ، أم أنهم اكتفوا بتشييد مقابر عادية ؟

وقد عثر فعلا على أهرام من أيام عصر الفترة الأولى كما عرفنا بوجود بعضها من النقوش التى تركها الكهنة والموظفون الملحقون بخدمة تلك

(١٠) **Erman,** ***The Literature of the Ancient Egyptians.***
يحتوى على النص الكامل لهذه البردية .

الأهرام ، وقد تهدمت ، ولكن هناك أملاً في أن يُعثر على آثار ولو قليلة منها في مستقبل الأيام ، ومن المحتمل أيضاً أنها ربما تكون بين الأهرام التي لم تعرف أسماء أصحابها حتى الآن ، أو التي ما زالت تنتظر اليوم الذي تكشف فيه الحفائر عن أسرارها . وورد اسم أحد هذه الأهرام « المفقودة » على الباب الوهمي الخاص بالملكة « عنخس — پپي » الذي عثر عليه الأثري « چيكييه » على مقربة من هرم « پپي » الثاني في سقارة ، إذ تذكر النقوش اسم هرم ، كان يسمى « چد — عنخ — نفر كا — رع » . كانت الملكة « عنخس — پپي » زوجة الملك « پپي » الثاني ، ويذكر النقش أنها كانت أماً للملك « نفر كارع » . وفي رأي « چيكييه » أن لقب « أم الملك » يمكن تفسيره بأن المقصود به أنها كانت جدة له ، وأن « نفر كارع » الذي ورد ذكره يمكن أن يكون واحداً من ملوك الأسرتين السابعة والثامنة الذين كانوا يتسمون بهذا الاسم . وبحث « چيكييه » عبثاً حول المجموعة الهرمية الخاصة بالملك « پپي » الثاني أملا في العثور على هذا الهرم ، وانتهى إلى قوله بأن حكم ذلك الملك ، أي « نفر كارع » ، كان حكماً قصيراً وأن هرمه لم ينته العمل فيه . وربما كان هذا الرأي صحيحاً ، ولكن يحتمل أيضاً أن هذا الأثر ما زال مدفوناً تحت الرمال على مسافة أمتار قليلة من المكان الذي وقفت عنده حفائر « چيكييه » .

وهناك هرم آخر لم يكتشف مكانه بعد ، وكانوا قد أتموا بناءه بكل تأكيد ، وكان له كهنة وموظفون ، وهو هرم الملك « مري — كا — رع » ، ومن المحتمل أنه كان مشيداً على مقربة من هرم الملك « تتي » في سقارة ؛ إذ عثر هناك على الآثار الخاصة بكهنته وموظفيه . ويقترح « فيرث » Firth و « جن » Gunn أنه ربما يكون ذلك الهرم هو الهرم الصغير الذي توجد بقاياه إلى الجنوب من المعبد الجنازي للملك « تتي » والمشيد بأحجار

مأخوذة على الأرجح من هرم أقدم منه عهداً(١١) . ولكن هذا الرأى لا يمكن التسليم بصحته لأن موقع الهرم المشار إليه ورسمه التخطيطى ، وطريقة بنائه تدل على أنه هو الهرم الجانبى الملحق بهرم « تتى » .

وفى الجهة الشمالية من هرم « تتى » توجد كومة من الردم كانت مستخدمة كمحجر لأخذ الأحجار ، وقد عثر فيها على أحجار من الحجر الجيرى الأبيض الجيد التى كانت مستخدمة فى كساء هرم ، كما عثر فيها أيضاً على بئر عمقها ٤٠ متراً ، تملأ المياه جزءها الأسفل وقد بقيت حتى الآن مساكن العمال وصوامع غلالهم ، ولكن البئر التى عثر عليها لم تكن من آبار الدفن ، وإنما كانت بئراً حقيقية لاستخراج المياه ، ولهـذا يظل سر هرم « مرى–كا – رع » دون حل حتى الآن .

وجاءت الأسرة السابعة فى أعقاب الأسرة السادسة ، ولكن الفوضى التى انتشرت فى أرجاء البلاد امتدت إلى الوثائق القديمة . ويقص علينا « مانيتون » فى تاريخه أن عدد ملوك الأسرة السابعة سبعون ملكا ، حكموا سبعين يوما ، ولكنه لم يذكر هل هم قد حكموا واحداً بعد الآخر ، أو أنهم حكموا معاً ؟ وهذا دون شك أمر لا يمكن تصديقه ، ولكنه يعكس لنا موقف المؤرخين الذين أتوا فى عصور تالية لذلك العصر . وفى مثل هذه الظروف لا نتوقع من أولئك الملوك أن يبنوا أهراما لأنفسهم ، وقد وصلت إلينا أسماء كثيرة من أسماء ملوك الأسرة السابعة ؛ ولكن لا يوجد واحد منها يرتبط اسمه بأى أثر هام .

وحاول ملوك الأسرة الثامنة الذين حكموا من بعدهم أن يعيدوا الأمن والنظام إلى البلاد ، ولكن لم ينبسط نفوذ واحد منهم على البلاد كلها ؛ بالرغم من أن مقر حكمهم كان فى منف ، وأنهم كانوا يلقبون أنفسهم بلقب

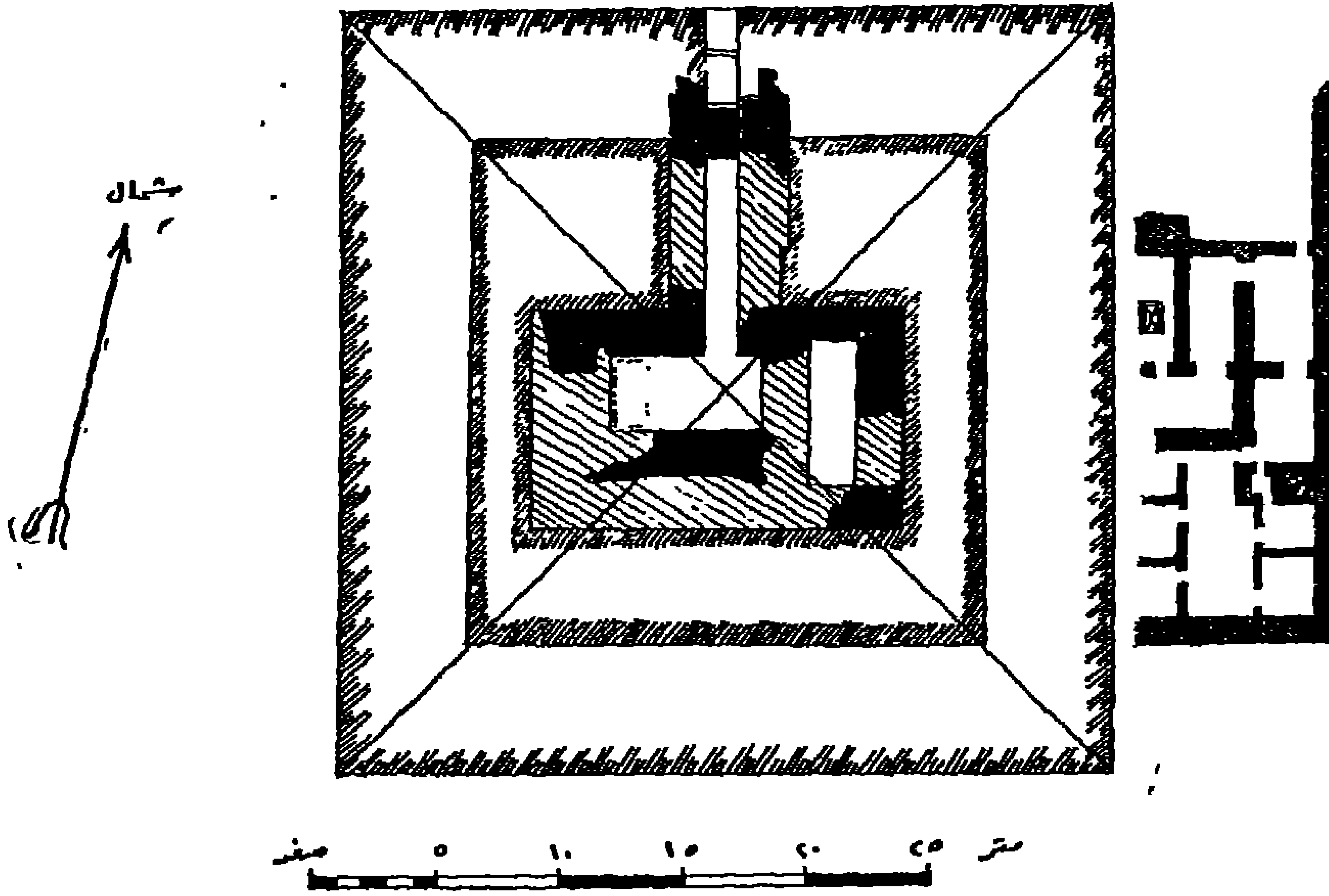
---

(١١) Firth and Gunn, *The Teti Pyramid Cemeteries*, 1, 8.

« ملك مصر العليا ومصر السفلى » ، وقد بنى بعضهم أهراما ، وقد عثر على اثنين منها فى الجبانة المنفية .

هرم « إيبى »

كشفت الحفائر عن هرم الملك « إيبى » من ملوك الأسرة الثامنة ، فى الجهة الجنوبية الغربية من معبد الوادى للملك « پپى » الثانى فى سقارة القبلية (شكل رقم ١٠٧) . ويلوح أنه لم يكن لهذا الهرم معبد وادٍ أو طريق صاعد، ومعبده الجنازى فى الجهة الشرقية من الهرم كالمعتاد ، وهو بناء صغير من اللبن(١٢). ومدخل الهرم فى الجهة الشمالية منه وهو يؤدى إلى دهليز تتلوه



(شكل رقم ١٠٧) رسم تخطيطى لهرم الملك « إيبى » ومعبده فى سقارة الجنوبية
(نقلا عن چيكييه)

(١٢) Jéquier, *La Pyramide d'Aba* (*Cairo*, 1935) .

حجرة متسعة إلى حد ما ، ثم حجرة أخرى فى الجهة الجنوبية الغربية ، وأخيراً نجد هيكل المعبد .

وفى حجرة الهيكل حوض من الحجر الجيرى للتطهير موضوع فى الأرضية أمام قاعدة الباب الوهمى ، وعثر هنا أيضا على مائدة قرابين مستديرة حسنة الصنع فوق قاعدة غير مرتفعة . وفى رأى « چيكييه » — الذى حفر هذا المعبد فى عام ١٩٣٠ — أن هذا الهيكل لم يكن إلا بناء موقتاً .

وطول ضلع هرم « إيبى » الآن ٢١ مترا ، ولكنه كان عند تشييده ٣١,٥٠ مترا ، أما ارتفاعه فلا يمكن تقديره بصورة مؤكدة . ولكن « چيكييه » يعتقد أن هذا الهرم — اعتمادا على شكله العام — كان مشابها على وجه التقريب فى مقاييسه لهرم الملكة « نيت » .

ومن المرجح جدا أن هذا الهرم كان مشيدا كتلة واحدة ، ولم يكن مشيدا على طريقة الهرم ذى الدرجات أو الطبقات ، وأنه كان مبنياً بأحجار صغيرة من الحجر ، أما المونة التى استخدموها فى بنائه فكانت من طمى النيل ؛

كان هذا الهرم المتواضع مكسواً بكساء مزدوج من الأحجار الجيرية البيضاء ، سمكه خمسة أمتار ، وقد اختفى مبنى الهرم نفسه تقريبا اللهم إلا جزءا من أساسه .

ومدخله فى منتصف الواجهة الشمالية تقريبا ويؤدى إلى ممر زاوية ميله ٢٥° ويؤدى إلى حجرة الدفن مباشرة ، ويذكرنا عدم وجود دهليز أو ردهة أو ممر أفقى بأهرام ملكات الأسرة السادسة . وحجرة الدفن مخربة ولكن بقى منها بعض أحجار من الحجر الجيرى من كساء جدرانها وعليها نصوص الأهرام ، وهذا فى ذاته مهم للمشتغلين بالدراسات الأثرية لأنه يساعدنا

على معرفة اتجاه العقيدة الدينية فى عصر الفترة الأولى . وبالرغم من أن أكثر ما جاء فى تلك النصوص معروف لنا مما سبق الكشف عنه من نصوص الأهرام إلا أنه قد ورد فيها الكثير مما هو جديد ولم يعرف له نظير من قبل .

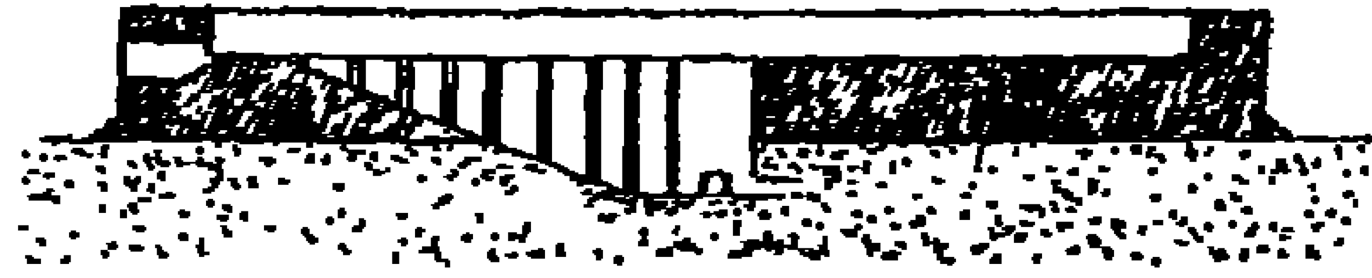
وعلى مقربة من هذا الهرم عثر « چيكييه » على عدد من اللوحات التى يرجع تاريخها إلى عصر الرعامسة ، وأكثرها فى حالة مدهشة من الحفظ ، وكلها لأفراد مرتبطين بصلة القرابة ، ومما هو جدير بالذكر أن الجزء العلوى من أكثر هذه اللوحات على هيئة هرم ، أو أن اللوحة كلها على شكل مسلة .

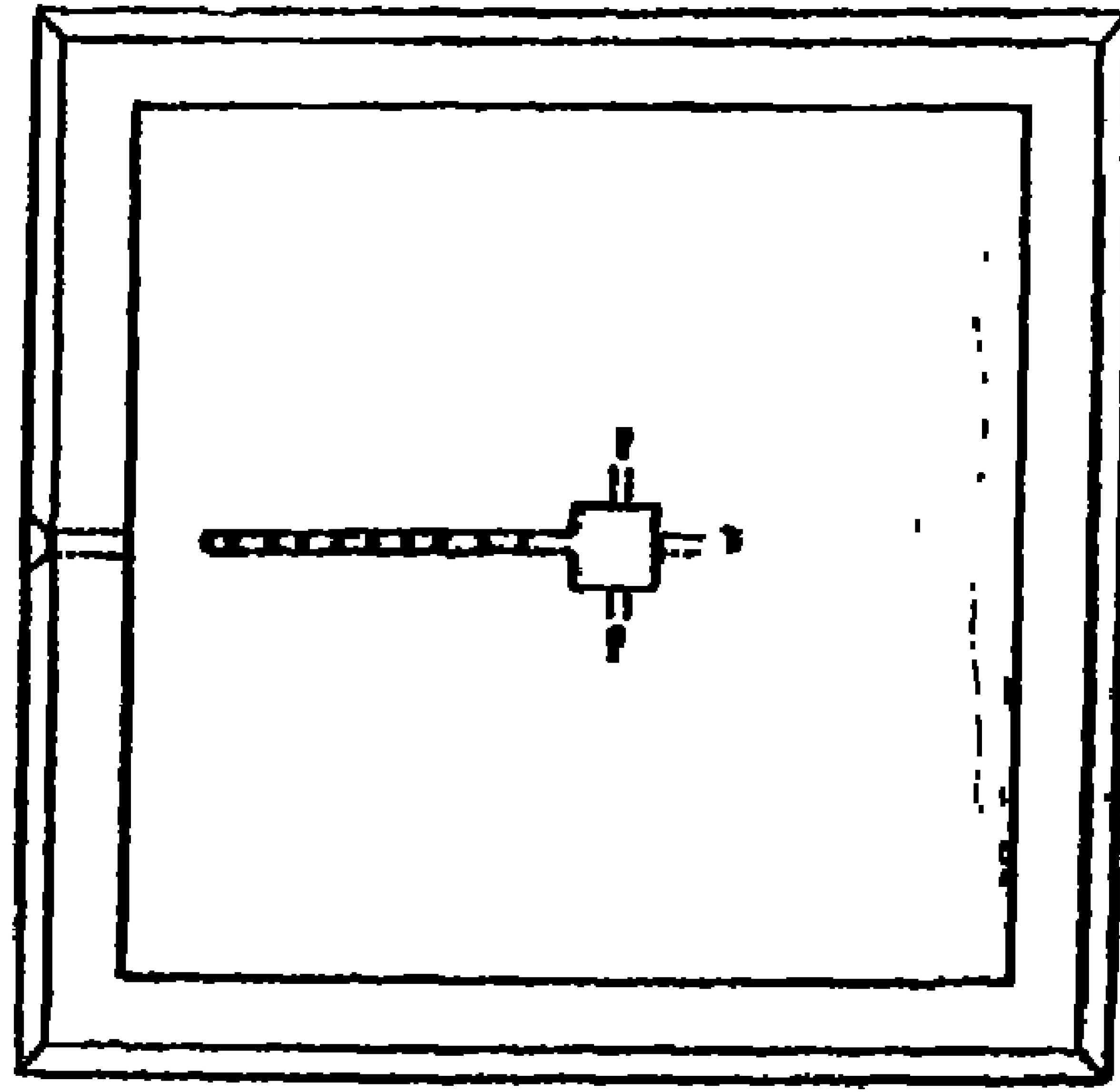
هرم « خوى »

نجد بعض الأهرام التى يرجع تاريخها إلى عصر الفترة الأولى فى الأقاليم ، كما رأينا بعضها ، قد بنوه فى جبانة منف ؛ فمثلا نجد فى بلدة دارا على الضفة الغربية من النيل أمام منفلوط هرما ينسب إلى الملك « خوى » ، ويرجع اكتشافه إلى عام ١٩١١ ؛ إذ حفره المرحوم أحمد كمال ولكنه لم يعرف حقيقته ، ووصفه بأنه مصطبة ملكية ، بالرغم من أن قاعدته مربعة وليست مستطيلة ، وقد عثر مكتشفه على حجر مستخدم فى مصطبة مبنية باللبن إلى الجنوب من ذلك الهرم ، وعليه جزء من منظر لتقديم القرابين ويحتوى أيضاً على اسم الملك « خوى » داخل خانة ملكية ، وكان هذا الحجر الذى يحتمل أنه كان فى الأصل فى المعبد الجنازى للهرم هو الذى جعل أحمد كمال ينسب هذا الهرم إلى « خوى » .

وبالرغم من أن هذا الهرم مشيد باللبن فإنه كبير الحجم نسبيا وطول

ضلعه حاليا — وهو فى حالته المهدمة — ١٣٠ مترا ، ولكن ارتفاعه أربعة متار فقط (شكل رقم ١٠٨)(١٣) .





(شكل رقم ١٠٨) رسم تخطيطى ومقطع لهرم « خوى »

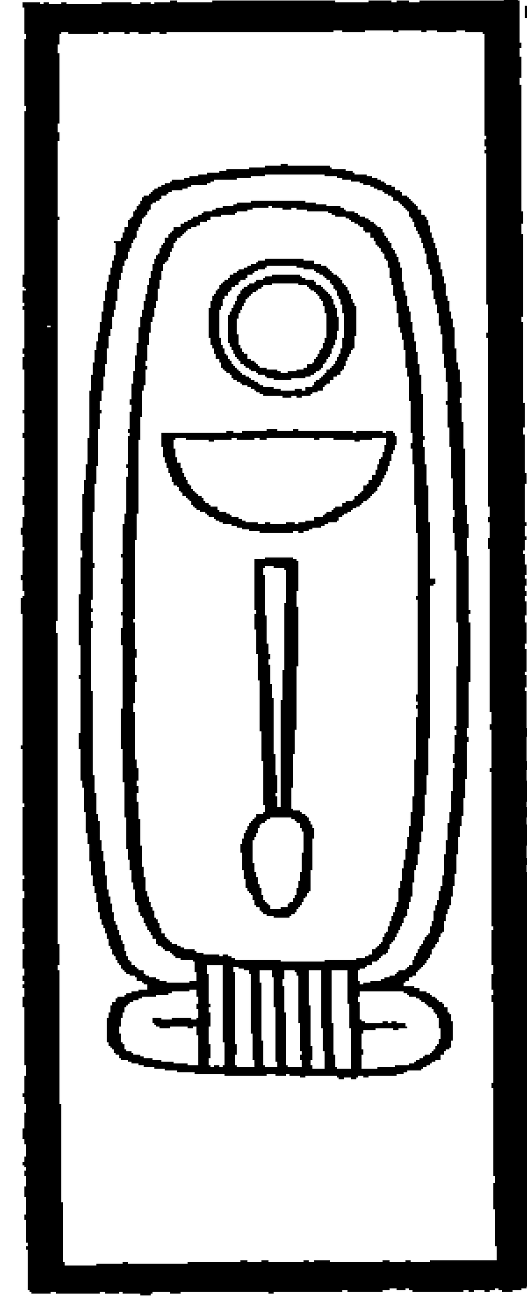
(١٣) Ahmed Kamal. *in Annales du Service*, XII (1912), 128 ff, R. Weill, "*Fonilles á Dara (Moyenne Egypte), campagne de* 1947—1948", *Comptes Rendus (Académie des inscriptions et belles – lettres, Paris,* 1948), pp, 177—80 ; R. Weill, "*Dara (Moyenne Egypte, Markaz de Manfalout), Chronique d'Egypte*, XXIII (1948), 37—45." R. Weill, "*Dara : campagne de* 1947 — 1948." *Chronique d'Egypte*, XXIV (1949), 35—48 ; J, Vercoutter, "*Dara : Mission francaise* 1950 — 1951, *Chronique d'Egypte* XXVII (1952), 98—111, R. Weill, *Dara : Campagnes de* 1946 -1948 (*Cairo*, 1958).

ومدخل الهرم فى الجهة الشمالية منه ، وله سقف مقبى ويؤدى إلى ممر عرضه ٢,٤٥ متر ، وينحدر انحداراً بسيطا لمسافة ٦ أمتار ثم يسير أفقيا لمسافة ٣ أمتار ويضيق عرضه بعد ذلك إلى ١,٧٥ متر ، ويستمر فى انحداره ٤٨,٤٠ مترا ، ثم يسير أفقيا إلىمسافة ١٢ متراً ، حيث يصل إلى باب حجرة الدفن .

ونجد فى الجزء الأخير من الممر أن جدرانه لها مساند أو عواضد فسرها أحمد كمال أنها بنيت لزيادة قوة البناء . وهذا الجزء من الممر مرصوف بأكمله بأحجار من الحجر الجيرى بعضها من مقابر أقدم عهداً من هذا الهرم ، ومن دراسة طرازها وأسماء الأشخاص التى وردت على بعضها ، نستطيع القول بأنها من الأسرة السادسة ، وأنها أتت من مقابر كانت فى الأصل فى الجبانة المجاورة .

ومدخل حجرة الدفن مبنى بالحجر ، وله زخرفة كورنيشية ، ويؤدى إلى حجرة مربعة طول كل جانب منها ٢,٩٤ متر .

وهذه الحجرة مشيدة كلها بالحجر الجيرى ؛ وهى فى مستوى أوطأ ٨,٨٠ أمتار عن مستوى قاعدة الهرم ، وفى أرضيتها حفرة مربعة لأجل صندوق آنية الأحشاء :



١١

البعث
مغرف

فى الوقت الذى كان يحكم فيه ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة فى هيراكليوبوليس (اهناسيا) ظهرت أسرة أخرى قوية فى طيبة ، وحدث صدام بين البيتين المتنافسين ، وبعد عدة مناوشات وحروب صغيرة كسب الطيبيون المعركة .

واستطاع ملوك الأسرة الحادية عشرة — وهى أسرة طيبية — أن يعيدوا وحدة البلاد ، وبدأت مصر عصرا من أمجد عصور تاريخها ، وهو العصر الذى يسمى « الدولة الوسطى » .

ونعرف من بين أسماء ملوك الأسرة الحادية عشرة التى بدأت حكمها حوالى عام ٢١٣٤ ق . م وانتهت حوالى ١٩٩١ ق . م خمسة يتسمون باسم « منتوحوتب »(*) .

(*) وفى رأى بعض الأثريين الذين نشروا بحوثهم فى الفترة الأخيرة أنهم ليسوا خمسة ، وإنما هم أربعة فقط ، لأن واحداً منهم استبدل باسمه اسما آخر أثناء حكمه ، ولكن هذا الرأى ما زال فى حاجة إلى تعزيز . (تعليق أ . ف .)

شيد الأمراء الأوائل من حكام طيبة مقابرهم فى الضفة الغربية من النيل فى المكان المعروف الآن باسم « نجع الطارف » ، وكان يعلو كل مقبرة منها هرم صغير الحجم . وعندما اعترفت مصر بسلطة أسرة طيبة وأصبح أولئك الأمراء ملوكا لمصر كلها ظهر نوع جديد من المقابر الملكية لم يبق منه إلا مقبرة ملكية واحدة نجدها فى منطقة الدير البحرى فى تلك الجبانة .

وعندما انتهت أيام الأسرة الحادية عشرة وظهرت أسرة ملكية جديدة حكمت البلاد تحت اسم الأسرة الثانية عشرة ، هجر ملوكها مدينة طيبة فى الجنوب وأنشأوا مقرا ملكيا جديدا على مقربة من مدينة منف ، ولم يتبع ملوك هذه الأسرة ما سار عليه من سبقوهم من ملوك الأسرة الحادية عشرة من تقليد فى بناء مقابرهم ، ولكنهم شيدوا أهراما شبيهة بأهرام الدولة القديمة التى كانت على مقربة من عاصمتهم الجديدة . ومع ذلك فإن هذه الأهرام ومعابدها تأثرت عمارتها بطراز المقابر الملكية فى الأسرة الحادية عشرة .

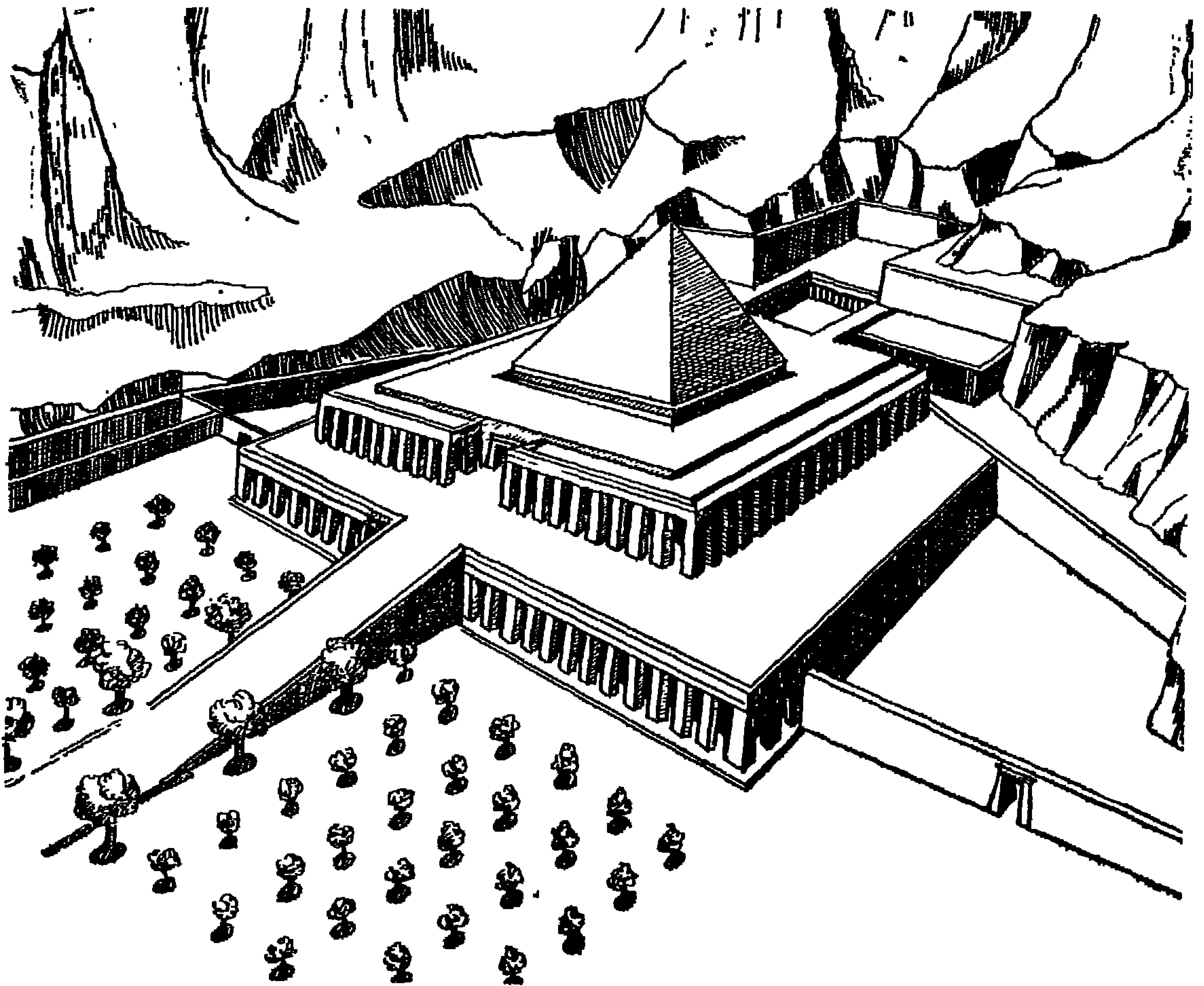
المعبد الهرمى للملك « نب حپت رع — منتوحوتب »

ومقبرة الملك « نب حپت رع — منتوحوتب » أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة منحوتة فى صخور منطقة الدير البحرى بطيبة ، وفوقها معبد يعلوه هرم (شكل رقم ١٠٩)[1] . ولهـذا الأثر طراز معمارى

---

(١) حفرت بعثة جمعية الكشف عن الآثار المصرية ، وهى بعثة إنجليزية ، هذا المعبد بين أعوام ١٩٠٣ ، ١٩٠٧ برئاسة « ناڤيل » ونشرت حفائرها فى مؤلف خاص
Naville, *The XIth Dynasty Temple at Deir el Bahari, 3 vols. London*, 1907—13.
ثم استأنفت الحفر فيه بعثة من متحف المتروپوليتان بنيويورك برياسة ونلوك (H. E. Winlock) ونشرت تقريرات تمهيدية عن اكتشافاتها فى : *Bulletin of the Metropolitan Museum of Art.* فى عدد ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، والأعداد التالية له .

غير مألوف يشهد بمقدرة المهندس المعمارى المجهول الذى وضع تصميمه الجميل متلائما مع طبيعة المكان الذى حوله ؛ إذ لا شك فى أن وجود صخور الدير البحرى الشاهقة الارتفاع خلفه والصحراء القريبة كانا ذا أثر فى وضع التصميم .



(شكل رقم ١٠٩) رسم تخيلى للمعبد المرى للملك « نب حبت رع – منتوحوتب ».

ففى أعلى صخور الهضبة الغربية فى هذه المنطقة مرتفع هرمى الشكل اسمه « القرن » فى اللغة العربية ، وتشير إليه الكتابات المصرية القديمة باسم « الجبل المقدس » وأحياناً باسم « قمة الغرب » وكان مكاناً مقدساً للإلهة « مرت سجر » ومعناها : « محبة الصمت » .

وكان لهذه المجموعة الجنازية معبد للوادى على حافة الأرض المزروعة يخرج منه طريق صاعد يتجه غرباً طوله ١٢٠٠ متر ، وعلى جانبى جداريه ، من الداخل ، تماثيل « أوزيريس » ، بين كل تمثالين منها مسافة ١٠ أمتار . ويوصل هذا الطريق الصاعد إلى ساحة كبيرة ، على كل من جوانبها الشمالية والجنوبية جدران مرتفعة ، وفى الناحية الغربية منها طوار « رصيف » مرتفع شيدوا فوقه المعبد الهرمى للملك .

وعثر المكتشفون فى هذه الساحة على عدد كبير من الحفرات المستديرة غرسوا فيها قديماً أشجار الأثل . وعلى جانبى المرتفع الذى فى نهاية الطريق الصاعد غرسوا على كل من الجانبين صفاً من أربع أشجار من الجميز ، وتحت ظل كل شجرة منها وضعوا تمثالا جالساً للملك وأمامه مذبح صغير للقرابين .

وتصميم المبنى بوجه عام هو أن يكون فوق طوار « رصيف » مرتفع منحوت فى الصخر وعلى هيئة حرف T رأسه فى الشرق وقائمـــه يتجه فى زاوية قائمة نحو الغرب ومنحوت فى قلب الصخر ، وكانت قاعدة الطوار « الرصيف » مكسوة بالحجر الجيرى الجيد ومزينة بنقوش تمثل انتصارات الملك فى الحرب ، وكانت تحمى هذه النقوش سقيفة محمولة على صفين من الأعمدة المربعة .

وفى منتصف الرصيف المرتفع شيدوا قاعدة عظيمة الحجم من الأحجار ، وهى صماء ليس فيها دهاليز أو حجرات ، وأمامها عقود

(سقائف) محمولة على أعمدة مربعة . والمبنى كله محاط مرة أخرى بأعمدة فوقها سقف ، ونجد فى كل من الجهة الأمامية (أى الشرقية) والجانبين ثلاثة صفوف من الأعمدة المثمنة الأضلاع ، أما الجهة الخلفية ففيها صفان فقط . وفى الجهة الغربية ، أى فوق قائم الـ T مبنى مربع وراءه بهو ذو أعمدة ، وخلفه فناء فى وسطه مدخل المقبرة الذى أخفوه إخفاء تاماً . وخلف هذا البهو بهو آخر فيه ثمانون عموداً مثمنة الشكل تحمل سقفه ، وتصل نهايته إلى واجهة الجبل حيث نحتوا فجوة ليضعوا فيها تمثالا للملك .

ومن المحتمل جدا أن التصميم الأول لهذا المبنى غير العادى كان أكثر بساطة عند ما بدأوا فى تنفيذه ، لأن مهندسيه حفروا ست آبار جنازية أقاموا فوقها هياكل لستة من أقارب الملك إلى الغرب مباشرة من الرصيف المرتفع ، ودفنوا فى تلك المقابر بعض نساء الأسرة . ولكن عندما عدلوا فى بنائه وزادوا فيه من ناحية الغرب ، غطى الجدار الذى يفصل بين الهرم وبهو الأعمدة نقوش هياكل النساء ، كما غطت الأرضية فتحات الآبار الموصلة إلى حجرات الدفن ، وكان ذلك سببا لنجاتها من عبث اللصوص فيما بعد . وقد عثر فى بعضها على تلك التوابيت الحجريةالجميلة ذوات النقوش البديعة التى نراها الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة .

والممر المؤدى إلى حجرة دفن الملك يتجه نحو الغرب وينتهى بعد مسافة غير قليلة تحت الصخر بحجرة كسيت جدرانها بكتل أحجار الجرانيت ، وكان فيها ناووس مبنى بالجرانيت والمرمر ، وكان يحتوى على مومياء الملك موضوعة فى تابوت خشبى عليه رسوم وكتابات ملونة .

وعند ما عثر المكتشفون على هذه الحجرة لم يجدوا أثراً لمومياء الملك أو التابوت الذى كانت فيه ، ولم يجدوا فيها إلا نموذجين صغيرين من نماذج

السفن وعددا من الأقواس وبضع صوبلجانات مكسورة ، وبعض مخروطات جنازية مكتوب عليها اسم الملك وألقابه .

وعلى مقربة من الركن الجنوبى الشرقى من الفناء الكبير ، أمام هرم المعبد ، نجد المدفن الزائف للملك « نب حيت رع — منتوحوتب » ، وهو على ما يظهر بديل عن المقبرة الجنوبية فى آثار الملك زوسر والأهرام الجانبية لأهرام الدولة القديمة . كان « هوارد كارتر » كبيراً لمفتشى آثار مصر العليا فى عام ١٩٠٠ ، وكان يركب جوادا فى منطقة الدير البحرى قريبا من المعبد الهرمى لمنتوحوتب عند ما هبطت الأرض فجأة تحت حوافر جواده . وعند ما فحص الحفرة ، وجد « كارتر » فيها جدارا مبنيا واستنتج من ذلك أنها المدخل المؤدى إلى مقبرة . واستقر رأيه على حفر المكان ، وبعد قليل وجد أنه مدخل مؤدى إلى دهليز كان بابه ما زال محتفظا بأختامه الطينية ، مما يثبت أنه لم يكن قد وصل إليه عابث من اللصوص . واتضح من فحص المقبرة أنها تحتوى على تمثال كبير الحجم للملك ، وهو من الحجر الجيرى الملون ، كما وجد بقايا من الأثاث الجنازى ، ولكنه لم يجد مدفنا فيه . كان التمثال ملفوفا بضع مرات فى لفائف الكتان وملقى على جانبه ، وبعبارة أخرى كان هذا التمثال بديلا عن المومياء الحقيقية[٢] ؛

وحدث اكتشاف آخر فى منطقة هذه المجموعة الهرمية لا يقل عن الاكتشاف السابق فى طرافته ؛ ففى ربيع عام ١٩٢٣ اكتشفت بعثة متحف المتروپوليتان مقبرة لها حجرة دفن تحت معبد الملك ، يلوح أنها كانت معدة لأفراد من الأسرة المالكة أو كبار رجال البلاط ، ولكنها لم تحتو إلا على جثث ستين شخصا ، كانوا مدفونين فيها دون أى عناية خاصة . واتضح من فحصها

---

(٢) H. Carter, *Report on the Tomb of Menthuhotep I, in Annales du Service*, II (1901), 201—5.

أن أصحابها كانوا جنوداً ماتوا فى القتال ، وكانت السهام ما زالت مغروسة فى أجسام بعضهم ، ولا بد أنهم كانوا من جنود الملك الذين سقطوا فى معركة لها أهمية خاصة ، وربما كانت المعركة ضد ملوك « هيراكليوپوليس » التى مهدت للملك « نب حپت رع – منتوحوتب » أن يصبح سيدا لمصر كلها . ومن اللفائف البسيطة التى كفنوهم بها كان واضحا أنهم من عامةالجند وليسوا ضباطا ، وقد أراد الملك أن يكرم تضحيتهم الكبيرة من أجله فأمر بدفنهم فى داخل حـــدود معبده الهرمى حتى يشاركوه فى حياته الثانية(٣) .

اتخذ المهندس المعمارى لمدفن « منتوحوتب » قمة الغرب نموذجاً له ، ولا يكاد يوجد شك فى أن « سنموت » معمارى الملكة « حتشپسوت » اتخذ معبد « منتوحوتپ » نموذجا له عند ما كان يشيد لمليكته معبدها الشهير إلى جانبه . ومما يؤسف له أنه لم يستخدم هذا الأثر القديم كنموذج له فحسب ، ولكنه استخدمه أيضاً كمحجر يأخذ منه بعض الأحجار اللازمة له ، ولهذا السبب لا نكاد نجد من المبنى القديم شيئاً باقياً فى مكانه إلا أساساته الحجرية وبعض أحجار من الأعمدة الكثيرة ، ومن سقائف الأعمدة ، وبهو الأعمدة ، وقاعدة الهرم .

ويجب علينا أن نتذكر أن هرم « منتوحوتب » كان جزءاً من معبده وأنه يختلف عن الأهرامات التى كانت مشيدة من قبل ، وهو أنه هرم لم يستخدم كمقبرة يدفن فيها الملك ، وفى داخله أو تحته حجرات ودهاليز .

---

(٣) H. E. Winlock, *Bulletin of the Metropolitan Museum of Art*, (February, 1928), pp. 12—16.

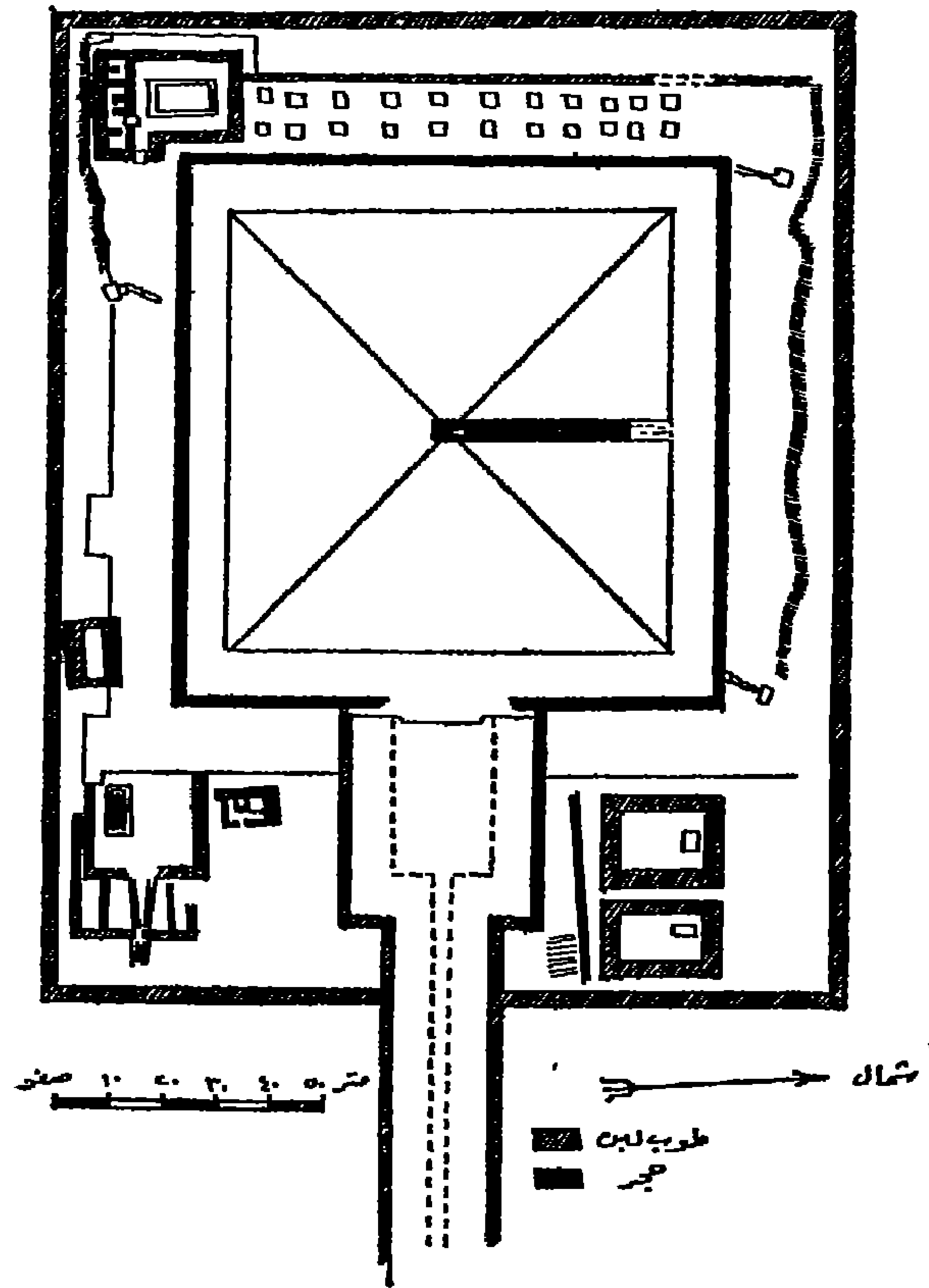
وحوالى عام ١٩٩١ ق . م . انتهت الأسرة الحادية عشرة وهى أسرة منتوحوتب ، وتلتها على عرش مصر أسرة مالكة أخرى ، وهى الأسرة الثانيـــة عشرة ، وكان ملوكها يتسمون باسم « أمنمحات » و« سنوسرت » وكان لها على الأرجح نفوذ قوى فى طيبة ، وكان أول ملوكها « أمنمحات الأول » يشغل منصب الوزير لآخر ملوك أسرة « منتوحوتب » ، ولكنا لا نعرف على وجه اليقـــين كيف حدث تغيير الأسرة .

وكان ملوك الأسرة الجديدة من الملوك الأقوياء القادرين بعيدى النظر . أدرك أولئك الملوك أن مقر الحكومة يجب أن يكون عند قمة الدلتا حيث تلتقى الدلتا بالصعيد ، ولهذا نقلوا العاصمة إلى موقع جديد على مسافة كيلومترات قليلة إلى الجنوب الغربى من العاصمة القديمة « منف » وأسموا عاصمتهم الجديدة « إثتاوى » .

بنى أولئك الملوك مقرهم الملكى فى موقع قريب من وادى النيل ، وفى الوقت ذاته قريب من الفيوم ، التى كانت إذ ذاك ملأى بالمستنقعات التى كانت حول بحيرة موريس ، حتى جاءت هذه العائلة فحولتها إلى منطقة من أخصب المناطق فى مصر ، وذلك بقيامهم بمشروعات كبيرة للرى والصرف . وهجر ملوك الأسرة الثانية عشرة جبانة طيبة فى الجنوب واختاروا لمقابرهم الملكية مناطق أخرى بنوا فيها أهراماً شبيهة بأهرام الدولة القديمة على حافتى الصحراء التى تفصل بين الأراضى المزروعة فى الوادى وبين إقليم الفيوم . نجد أهرامهم إما على مقربة من أهرام « سنفرو » فى دهشور ، أو على حافة منخفض الفيوم .

هرم أمنمحات الأول

نجد فى المجموعة الهرمية للملك أمنمحات الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وهى التى بناها فى منطقة اللشت ، أكثر من شىء واحد يستلفت النظر[٤] .



(شكل رقم ١١٠) رسم تخطيطى لهرم أمنمحات الأول فى اللشت
(نقلا عن نشرة متحف المتروپوليتان فى نيويورك)

---

(٤) قام علماء متحف المتروپوليتان « ا . م . ليثجو A. M. Lythgoe و « ا . س . ميس » A. C. Mace و « ه . ا . ونلوك H. E. Winlock و ا . لانسنج A. Lansing بحفر هذا الهرم وهرم سنوسرت الأول ونشروا تقريراتهم التمهيدية فى نشرة المتحف ابتداء من عام ١٩٠٧ .

ففى الوقت الذى سار فيه معماريو الهرم على المبادئ الأساسية فى بناء المقابر الملكية فى الدولة القديمة ، يلوح أنهم تأثروا أيضاً بعمارة المعبد الهرمى للملك « منتوحوتب » فى الدير البحرى . ولهذا السبب نجد المجموعة الهرمية مشيدة فوق أرض مرتفعة ولكن مبانيها على مستويين مختلفين ، وفى داخل حدودها مقابر أعضاء الأسرة المالكة والمقربين من الحاشية ، وقد قامت بعثة من متحف المتروپوليتان بحفر هذه المجموعة الهرمية حفراً جزئياً .

لم يتم حتى الآن الكشف عن معبد الوادى لهذا الهرم ، ولا شك فى أنه قد تم تشييده لأن البعثة عثرت على أجزاء من الطريق الصاعد الموصل إليه . وفى حفرة إلى جانب الطريق الصاعد عثروا على رأس من الحجر الجيرى لأحد تماثيل الملك ، وهو عمل فنى ممتاز ، ومحفوظ الآن فى متحف المتروپوليتان بنيويورك .

وما زالت خرائب المعبد الجنازى باقية حتى اليوم فى الجهة الشرقية من الهرم ، ولكن المعبد مبنى على مستوى أوطأ من قاعدة الهرم نفسه ، وذلك بالرغم من أن المهندس المعمارى حاول فى بادئ الأمر أن يجعل المعبد وقاعدة الهرم فى مستوى واحد ، ولكنهم بعد أن غيروا التصميم استخدموا أحجار البناء القديم فى تشييد المعبد الجديد . وعلى أى حال فإن المعبد ، سواء فى التصميم الأول أو فى التصميم الثانى كان داخل السور الخارجى للمجموعة الهرمية .

ولم يبق من المعبد نفسه إلا أرضيته ، وبعض أحجار متناثرة عليها نقوش ، يظهر أنها منقولة عن مثيلاتها من نقوش الدولة القديمة ؛ وكان سقف المعبد مزخرفاً برسم النجوم ، كما كان الأمر فى الدولة القديمة أيضاً .

ومما عثر عليه عند حفر ذلك المعبد إحدى ودائع الأساس تحت الأرضية ، وتتكون من ستة قوالب من الطين مثبت فى كل منها لوحة

صغيرة عليها اسم المعبد واسم هرمه ، اثنتان منها من النحاس ، واثنتان من الحجر الجيرى ، واثنتان من « الفيانس » . ومن ودائع الأساس أيضاً رأس ثور وأوان من المرمر وأطباق من الفخار الأحمر كسروها عمداً على الأرجح ، قبل وضعها فى ذلك المكان . والاسم الذى ورد على اللوحات الصغيرة هو " مساكن « محتب إ ب — ر ع » مضيئة " ، ولكنا نعرف من الآثار الأخرى أن اسم هرمه هو « عظيمة هى حسنات أمنمحات » . ويفسر « هيز » ذلك بأن الاسم الأول ربما كان اسم هرم الملك أو اسم الهريم الجرانيتى الذى كان موضوعاً فوق قمته ، وأن الاسم الثانى هو اسم المعبد الجنازى ، أو اسم المجموعة الهرمية كلها(٥) . ولكن هذا التفسير لا يتمشى مع ما نعرفه عن الأهرام التى سبقته ؛ إذ أن اسم الهرم كان هو نفسه اسم كل جزء من مجموعته الهرمية ، ويدخل فى ذلك أيضاً هرم الملكة وباقى الجبانة الملكية ، وإنى أرجح أنه قد حدث تغيير فى اسم الهرم .

ومن بين الأحجار التى عثر عليها أثناء الحفائر بابان وهميان : أحدهما من الحجر الجيرى ، والثانى من الجرانيت ، وعلى كل منهما أسماء الملك أمنمحات الأول وألقابه . وربما كان الباب الوهمى المنحوت من الجرانيت قائماً فى هيكل للقرابين أمام مدخل الهرم فى الجهة الشمالية . كما عثروا مع الباب الوهمى المنحوت من الحجر الجيرى على مائدة قرابين حسنة الصنع ، وهى من الجرانيت وعلى جوانبها أشخاص يمثلون الأقاليم المصرية .

وفى الجهة الشمالية من المعبد عثروا على بقايا من أحد الجسور التى كانت تقام عند العمل فى البناء ، وعلى مقبرتين من مقابر الأشخاص ، وهما جزء من التصميم الأصلى . وتحتوى المصطبة الغربية منهما على غرفات دفن جانبية فى مكان غير عادى أو غير مألوف ؛ إذ تحتوا هذه الغرفات

---

(٥) W. C. Hayes, *The Scepter of Egypt*, *Part* 1, p. 175.

فى جوانب البئر نفسها فى مستويات مختلفة . وعمق البئر ١٦ متراً وكل غرفة دفن منها تتكون من ست حجرات دفن صغيرة نحتوها على هيئة نجمة ، أما حجرة الدفن الرئيسية التى فى أسفل البئر فقد كان يوصل إليها ممر منحدر تملؤه المياه فى الوقت الحاضر .

وفى الجهة الجنوبية من المعبد عثروا على مقبرة الوزير « أنتف أقر » ، وعلى بناء آخر يحتمل أنه كان مصطبة أو هرماً جانبياً ، وترجع أهميته إلى أن المبنى نفسه ، والرصيف الذى يدور حوله مشيدان بأحجار بينها عدد كبير أخذوه من مبانى الدولة القديمة فى الجيزة وسقارة ، وكثير منها مزخرف بنقوش وكتابات ، وهناك ما يحمل على الترجيح بأن بعضها من أحجار معابد الوادى لخوفو وخفرع ، ولكن لم يبق إلا القليل من الأحجار الجيرية الجيدة التى كسوا بها هذا البناء .

ولا يزيد ارتفاع الهرم الآن عن ٢٠ متراً ولكن ارتفاعه الأصلى كان ٥٨ متراً ، وطول ضلعه ٨٤ متراً ، وزاوية ميله ٥٤° . وتحت ركنه الجنوبى الغربى عثروا على وديعة أساس فيها أشياء مماثلة لوديعة الأساس التى عثروا عليها فى المعبد الجنازى .

ومدخل هذا الهرم فى الجهة الشمالية منه مثل أهرام الدولة القديمة ، وكان مبطنا بأحجار كبيرة من الجرانيت مازالت فى مكانها الأصلى . وينحدر الممر انحدارا بسيطا حتى يصل إلى حجرة فى داخل الهرم . وفى أرضية هذه الغرفة بئر رأسية موصلة إلى حجرة الدفن ، ومن المؤسف أن هذه الحجرة أصبحت الآن تحت مستوى المياه الجوفية وتملؤها المياه بصفة دائمة .

ويحتوى مبنى الهرم نفسه على كثير من الأحجار المنقوشة التى يرجع تاريخها إلى أيام الدولة القديمة . وإنى أعتقد أن بتفكيك أحجار الهرم

أفضل من بقاء المبنى كما هو ؛ إذ أن فى مثل هذا العمل فائدة محققة ، لأن الأحجار المكتوبة التى فيه ، وهى مأخوذة من المعابد والمقابر الأقدم عهداً ، تحوى معينا كبيرا من المعلومات التى يرحب بها كثيرا المشتغلون بالدراسات المصرية . زد على ذلك أن تفكيك أحجار الهرم سيتيح فرصة كبيرة لمدهم بمعلومات عن كيفية بنائه .

هرم سنوسرت الأول

اشترك سنوسرت الأول مع أبيه أمنمحات الأول فى حكم البلاد خلال السنوات العشر الأخيرة من حكمه ؛ إذ حدثت مؤامرة لاغتيال الملك الشيخ فرأى أنه من الحكمة إلقاء جانب كبير من أعباء الحكم ومسئولية إدارة البلاد على عاتق ابنه الأكبر الذى اختاره وريثاً للعرش .

ولسنا نعرف شيئاً كثيرا عن سنوسرت الأول خلال تلك السنوات من الحكم المشترك ، ولكننا نعلم من إحدى البرديات الشهيرة — وهى بردية « قصة سنوهى » — أن سنوسرت كان خلال تلك السنوات مشغولا بإقرار الأمن على البلاد ، وأنه عندما وصلته أنباء موت أبيه كان يعسكر مع جيشه فى الصحراء الغربية فأصدر أوامره بإخفاء الخبر ، وأسرع ليلا ليصل إلى العاصمة فى الوقت المناسب .

كان سنوسرت الأول ملكا قادرا حازماً ؛ فازدادت قوة مصر فى عهده ووصل نفوذها إلى البلاد الأخرى ، فى شرقى وادى النيل وفى غربه ، وكذلك فى جزر البحر المتوسط . وحكم سنوسرت خمسة وأربعين عاماً بما فى ذلك السنوات العشر التى اشترك خلالها فى الحكم مع أبيه أمنمحات الأول وثلاث سنوات مع ابنه أمنمحات الثانى ، ودفن فى الهرم الذى بناه قريبا من هرم أبيه فى اللشت .

بنى سنوسرت الأول مجموعته الهرمية إلى الجنوب من هرم أمنمحات الأول ، ولكن لم يعثر حتى الآن على معبد للوادى .

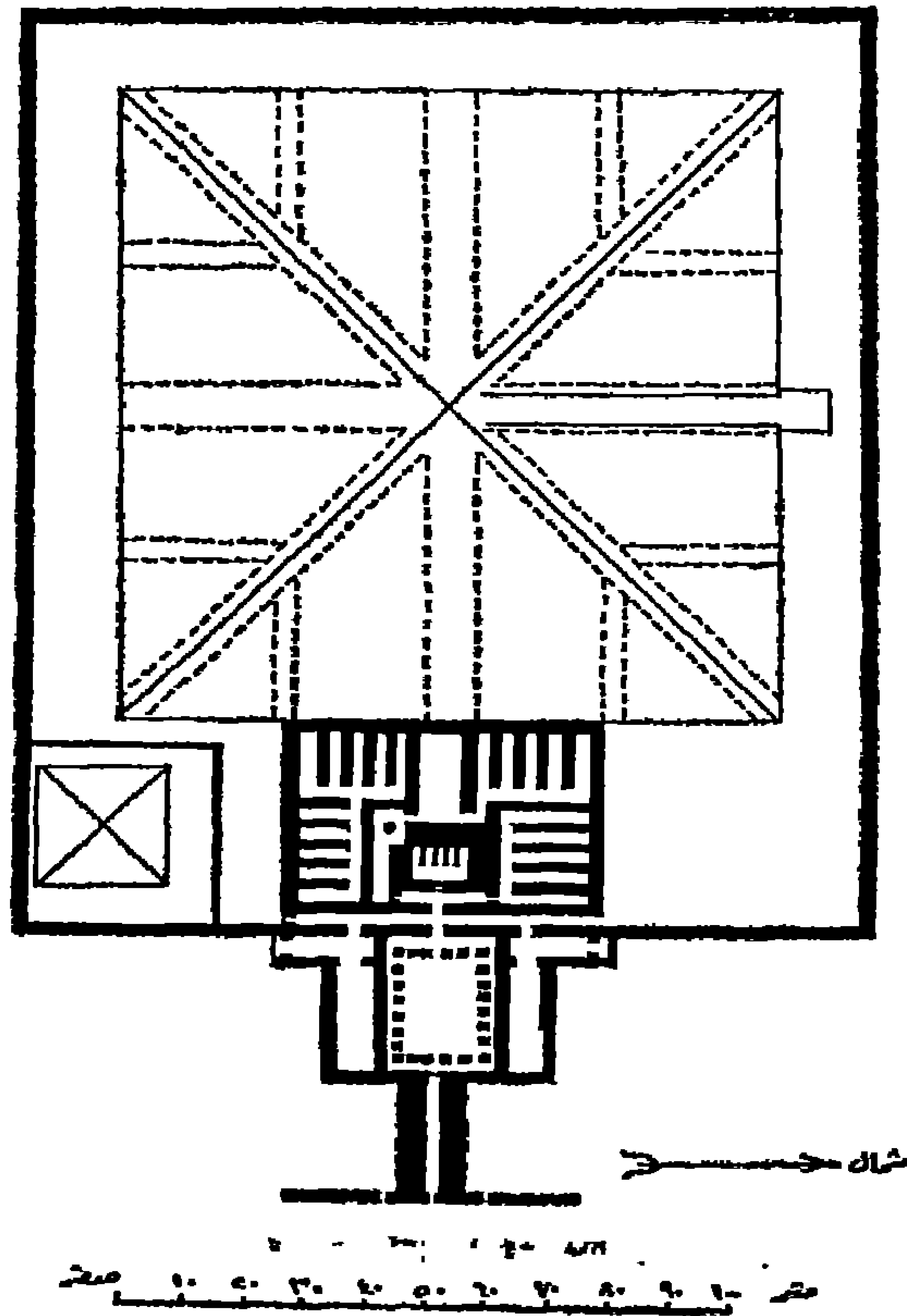
وعلى أى حال فإن وجود الطريق الصاعد يؤكد لنا أن هذا المعبد ما زال ينتظر اليوم الذى يتم فيه الكشف عنه . والطريق الصاعد مبنى بالحجر الجيرى الجيد ، وقد لونوا الأجزاء السفلى من جداريه باللون الأحمر تقليداً للجرانيت ، ونقشوا الأجزاء العليا من الجدران بنقوش ملونة عثر المكتشفون على بعض منها ، وعليها مناظر لصيد الأسماك ، وجماعة من أسرى الحرب الأجانب . وعلى طول الطريق الصاعد توجد فجوات غائرة فى الجدران بين كل فجوة وأخرى عشرة أمتار وذلك لوضع تماثيل للملك فى هيئة أوزيريس . ويحتمل جدا أن ذلك تقليد للطريق الصاعد للمقبرة الهرمية الخاصـــة بالملك « منتوحوتب » فى الدير البحـــرى .

ولم تندثر كل معالم المعبد الجنازى ، بل بقى منه ما يكفى لمعرفة رسمه التخطيطى ، وهو يشبه المعابد الجنازية فى أواخر الدولة القديمة (انظر شكل رقم ١٠٨) ، وكانت جدرانه مزخرفة بنقوش ملونة يوجد بعض منها الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة . وكان فى هذا المعبد أيضا مائدة قرابين من الجرانيت مزينة برسوم أشخاص يمثلون الأقاليم المصرية شبيهة بمائدة القرابين التى عثر عليها فى معبد أمنمحات الأول .

وفى الجهة الشرقية من الهرم ، فى الركن الشمالى منه ، عثر فى حفرة كبيرة فى الأرض فى عام ١٨٩٤ على عشرة تماثيل من الحجر الجيرى بالحجم الطبيعى لسنوسرت الأول ، وهى الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة ، وتمثل الملك جالسا على عرش ، ويلبس النقبة الملكية ، وعلى رأسه لباس الرأس المعروف باسم « نمس » ، والتماثيل العشرة فى حالة كاملة من الحفظ ولكن من الصعب تحديد مكانها الأصلى فى المعبد .

وفى الجهة الجنوبية من المعبد هرم جانبي صغير ، يحيط به سوره الخارجي الخاص ، وله كساء خارجي مزدوج ما زالت بعض أجزاء منه باقية فى مكانها الأصلى فى الواجهة الغربية منه .

كان ارتفاع الهرم الأصلى ٦١ مترا ، وطول ضلعه ١٠٥ أمتار ، وزاوية ميله حوالى ٤٩° . ويتكون مبنى الهرم من ثمانية جدران ضخمة من الحجر تسير من مركز الهرم إلى كل ركن فيه ، وإلى منتصف كل ضلع ، وكذلك ثمانية جدران قصيرة ؛ اثنان منها على مقربة من كل ركن من الأركان ، وهى مشيدة بعناية ، وفى قوة الجدران الأخرى (شكل رقم ١١١).



(شكل رقم ١١١) رسم تخطيطى لهرم سنوسرت الأول فى اللشت
(نقلا عن تقريرات حفائر متحف المتروپوليتان بنيويورك) .

كونت هذه الجدران الحجرية المتقاطعة عددا من الحجرات غير المنتظمة الشكل ، جدرانها من الحجر الجيرى الأبيض ، ثم ملأوا هذه الحجرات بالحصى والرمال .

وعلى مقربة من الركن الجنوبى الغربى للهرم عثر على وديعة للأساس فيها لوحات صغيرة وآنية فخارية ورأس ثور ، وعلى اللوحات اسم الهرم وهو « سنوسرت يشاهد الأرضين » ولكن الوثائق الأخرى ، ومن بينها قصة سنوهى(٦) ، ولوحة وقف أرض على المعبد سبق العثور عليها فى منف(٧)، نعرف اسما آخر وهو « محمية هى أماكن سنوسرت » ، وبعبارة أخرى كان لهذا الهرم اسمان مثل هرم أمنمحات الأول .

وفى منتصف الضلع الشمالية للهرم ، كان يوجد هيكل صغير لتقديم القرابين يخفى وراءه مدخل الهرم ، الذى يؤدى إلى ممر هابط سقفه وجدرانه من أحجار الجرانيت المصقولة صقلا جيدا ، وينحدر هذا الممر إلى حجرة الدفن التى لا يمكن زيارتها الآن لأنها مملوءة بالمياه الجوفية .

ومن الظواهر الجديرة بالذكر فى هذه المجموعة الهرمية وجود سورين محيطين بالهرم ، الخارجى منهما مبنى باللبن ، وفى داخله الأهرام التسعة لسيدات الأسرة المالكة . وكل هرم من هذه الأهرام الصغيرة مبنى بالأحجار الجيرية « الفجة » ، أما الكساء الخارجى فمن الحجر الجيرى الجيد . ولكل منها معبد جنازى فى الجهة الشرقية منه ، وهيكل للقرابين فوق مدخله فى الجهة الشمالية ، ويحيط به سوره الخارجى الخاص ، وهى تشبه أهرام ملكات الدولة القديمة فى أن زاوية ميلها أكبر من زوايا ميل أهرام الملوك .

أما السور الخارجى الآخر ، الذى كان داخل السور الأول فقد كان

---

(٦) A. H. Gardiner, *Notes on the Story of Sinuhe*, p. 9, n. 2.

(٧) W. M. F. Petrie, *Memphis*, *Vol.* I, *Plate* V.

يحيط بالجزء الداخلى من المعبد الجنازى وهرم الملك ، وكان ارتفاعه فى الأصل نحو خمسة أمتار ، وكان مزخرفا بما يمثل واجهة القصر(Panelling) وبين كل زخرفة وأخرى مسافة خمسة أمتار ، ويوجد بعضها الآن فى متحفى القاهرة ، والمتروپوليتان فى نيويورك ، ولكن ما زالت الأجزاء السفلى من كثير منها فى الجهتين الجنوبية والغربية من الهرم . . . .

ونجد إشارة لطيفة إلى هذه المجموعة الهرمية على لوحة شخص يسمى « مررى » اشترك فى تشييدها . وهاهو ذا ما كتبه لنا : « أمرنى الملك أن أبنى له مكانا أبديا يكون اسمه أعظم من « روستاو » (جبانة الجيزة) وأفخم من أى مكان فى المنطقة الإلهية العظيمة .

ارتفعت أعمدتها فاخترقت السماء ، ووصلت البحيرة التى حفرتها له إلى النهر . أما بواباته التى كانت مرتفعة نحو السماء فكانت من أحجار طرة . وسر أوزيريس ، سيد أهل الغرب ، من جميع مبانى سيدى (الملك) ، وفرحت كثيرا وكان قلبى سعيدا بما نفذته »(٨) .

هرم أمنمحات الثانى

وتولى « أمنمحات الثانى » عرش البلاد بعد « سنوسرت الأول » فترك منطقة اللشت كجبانة ملكية واختار منطقة أخرى جنوب شرقى الهرم الشمالى للملك سنفرو فى دهشور ، قريبا من حافة الهضبة .

ولم يقم أحد حتى الآن بحفر معبد الوادى ، ولكنا نجد طريقا صاعداً طوله ٨٠٠ متر ، ويمتد من حافة الأرض المزروعة ويتجه نحو الغرب إلى الهرم . والمعبد الجنازى مخرب ، ولكن مازالت توجد بين خرائبه أحجار منقوشة من الحجر الجيرى ، وكان على بعضها اسم أمنمحات الثانى ، ومنها تأكدت نسبة هذا الهرم إلى صاحبه .

---

(٨) J. H. Breasted, *Ancient Records, Vol.* I, § 509.

أما الهرم نفسه فقد دخله اللصوص وعبثوا بكل ما فيه فى العصور الخوالى ، وهو مخرب الآن لدرجة يصعب معها معرفة مقاييسه الأصلية ، ومع ذلك فنستطيع أن نقول إن ضلع قاعدته المربعة كانت حوالى ٥٠ مترا . قام « دى مورجان De Morgan »[٩] بالحفر فيه فى موسم ١٨٩٤ — ١٨٩٥ ووصل إلى داخله ، ومن بحوثه نعرف أن مبنى الهرم نفسه كان مثل هرم أبيه محتويا على جدران حجرية متقاطعة تكون فيما بينها حجرات مربعة وغير مربعة ملأوها بالتراب والرمال . ولم يبق حجر واحد من أحجار الكساء الخارجى فى مكانه الأصلى ، ولهذا لا نستطيع معرفة زاوية ميله .

ومدخل الهرم ، وهو مسدود الآن ، فى الجهة الشمالية منه مثل ما سبقه من الأهرام ، ويؤدى إلى ممر هابط فى نهايته دهليز فيه متراسان يختلفان فى طريقة تحريكهما ، إذ يعمل أحدهما أفقيا والثانى يعمل عرضيا ، وبعد الدهليز نجد حجرة الدفن ، وفى الجهة الغربية منها تابوت من الحجر الرملى مثبت فى حفرة فى أرضية الحجرة .

وفى الجهة الغربية من الهرم ، وداخل سوره الخارجى ، نجد مدفن الملكة ومدافن أربع من الأميرات .

وعلى مسافة تقرب من ١٢٥ مترا جنوب شرقى هرم « أمنمحات الثانى » كتلة مربعة من رديم الحجر الجيرى الأبيض يخرج منها جسر (طريق صاعد) يتجه شرقا نحو حافة الأرض المزروعة ، ولا شك أنها بقايا هرم مخرب ، ولا شك فى أن أى حفائر علمية فى هذا المكان ستكشف عن حقيقته ، ومن المحتمل جدا أنها تكشف أيضا عن شخصية الملك الذى شيده ليكون مدفنا له .

---

(٩) J. de Morgan, *Fouilles à Dahchour en 1894—1895*.

هرم سنوسرت الثانى

وبعد حكم أمنمحات الثانى غيَّر ملوك الأسرة الثانية عشرة مكان أهرامهم المدفونين فيها مرة أخرى ؛ إذ أن هرم سنوسرت الثانى مشيد فى اللاهون ، عند مدخل الفيوم ، على حافة الصحراء التى تفصل بين هذه المحافظة وبين وادى النيل ، وفى موقع ممتاز يشرف على منظر جميل للأراضى التى تم استصلاحها فى أيامهم .

وعلى مسافة تقرب من ١٦٠٠ متر أمام منتصف واجهته الشرقية نجد معبد الوادى ، وهو فى حالة مخربة ، وعلى حافة الصحراء وقريب جدا من الأرض المزروعة ، وتحيط به منازل مدينة قديمة مبنية باللبن . ويظن « پترى » الذى حفر فى هذه المنطقة أن هذه المدينة شيدت لأجل سكن العمال ، ولكن من المحتمل أن كهنة الهرم وموظفيه هم الذين سكنوها .

وتعرض المعبد لكثير من التخريب فى العصور القديمة ، وكل ما تبقى منه شظايا صغيرة من الحجر الجيرى تغطى سطح الأرض ، ونجد بينها ما يحمل أثرا من نقش أو لون ، كما عثر أيضا على جزء من ساق تمثال من البازلت ، وعلى قطع من تمثال من الجرانيت الأسود ، وقطع من ناووس من الجرانيت الأحمر .

وفى منتصف هذه المساحة المغطاة بشظايا الأحجار وتشغل مكان المعبد الجنازى ، عثر المستكشفون على حفرة فيها بعض ودائع الأساس ، كما عثروا أيضا أثناء حفائرهم على بعض برديات هامة . وفى الجهة الشرقية من معبد الوادى نجد جسرا يوصل إلى حافة الأراضى المزروعة ، ولا شك أنه كان يوجد طريق صاعد بين معبد الوادى والمعبد الجنازى ، ولكن لم يقم أحد حتى الآن بمحاولة الكشف عنه .

والمعبد الجنازى لهرم الملك « سنوسرت الثانى » مبنى أمام منتصف الواجهة الشرقية للهرم ، ويلوح أنه كان على درجة عظيمة من الفخامة ؛ لأن أكثر أجزائه كانت مشيدة بأحجار الجرانيت الأحمر ، وكانت النقوش التى عليها نقوشا غائرة ملأوها باللون الأخضر . ومن بين الأشياء التى عُثر عليها أثناء الحفائر قطع من الحجر الجرانيتى الأشهب اللون ، يحتمل جدا أنها كانت جزءا من مذبح .

ومن المحتمل أن يكون تخريب هذا المعبد قد حدث فى أيام الملك « رمسيس الثانى » ؛ إذ عثروا على اسمه مكتوبا فوق أحد الأحجار فى هذا المكان ، كما عثر أيضا على أحجار عليها اسم « سنوسرت الثانى » أعيد استخدامها فى تشييد معبد « رمسيس الثانى » فى إهناسيا المدينة .

وكانت أكثر أجزاء الهرم مشيدة باللبن ، وكان كساؤه الخارجى غير سميك ، فلما تعرض لتخريب من يريدون الحصول على الحجر الجيرى الأبيض لم يبق من الهرم إلا مرتفع من اللبن « الطوب النيء » ، يشبه كوما مرتفعا له قاعدة مربعة ، ولكن ارتفاعه عند تشييده كان ٤٨ مترا ، وطول ضلع قاعدته ١٠٦ أمتار ، وزاوية ميله ٣٥َ ٤٢° .

والهرم مبنى فوق مرتفع من الأرض وفى وسطه صخرة ارتفاعها ١٢ مترا استخدموها وبنوا حولها . وفوق هذه الصخرة أقاموا بناء مربعا من الحجر توصل بين أركانه جدران حجرية ، وكل هذه الجدران مبنية بكتل كبيرة من الحجر الجيرى ، أما الفراغ الذى بينها فإنهم ملأوه باللبن « الطوب النيء » كما أتموا باقى الهرم بالطوب أيضا ، ثم أحاطوا البناء كله بكساء من الحجر الجيرى لا يكاد يوجد منه شىء فى الوقت الحاضر . ومن الواضح أن « سنوسرت الثانى » أراد أن يحمى قبره من اللصوص ، ولهذا قرر أن يجعل مدخله فى جهة أخرى غير الجهة الشمالية التى اعتاد ملوك المصريين القدماء أن يجعلوا فيها

مداخل أهرامهم منذ وقت طويل . وغير المدخل فجعله فى الجهة الجنوبية وكان عن طريق بئرين رأسيتين خارج مبنى الهرم نفسه . وأخفوا البئر الرئيسية تحت أرضية مقبرة إحدى الأميرات ، أما المدخل الثانوى فكان تحت أرضية بهو المعبد .

وعمق البئر الرئيسية حوالى ٢٥ مترا ، وتؤدى إلى ممر طويل يسير فى ارتفاع حتى يصل إلى دهليز ، ثم يسير بعد ذلك فى اتجاه شمالى حتى يصل إلى ردهة وبعدها حجرة الدفن ، وهى مبطنة بأحجار الجرانيت الأحمر ، ولها سقف مقبى ، وطولها ٥ أمتار ، وعرضها يزيد على ٣ أمتار ، وأعلى ارتفاع فيها ٣ أمتار . وكان فى الجهة الغربية من هذه الحجرة تابوت من الجرانيت الأحمر ، ومائدة قرابين من المرمر ، عليها اسم « سنوسرت الثانى » ، ولكن لم يبق مما كان مع مومياء الملك إلا ثعبان كوبرا من الذهب كان مثبتا فى تاج الملك ، عثر عليه « پترى » أثناء تنظيفه لهذا الهرم ، وهو الآن محفوظ فى المتحف المصرى بالقاهرة .

وفى الممر القصير الذى يوصل بين الردهة وحجرة الدفن فتحة تؤدى إلى ممر يسير متجها نحو الجنوب ثم يتجه غربا فى زاوية قائمة ، ثم يتجه مرة ثانية نحو الشمال ومرة أخرى نحو الشرق ، وإلى الجنوب ، ويصل أخيراً إلى حجرة الدفن فى ركنها الشمالى الغربى . وليس من السهل أن نعرف الغرض من عمل كل هذه الممرات ولكن « پترى » يعتقد أنهم قصدوا منها تضليل اللصوص .

وفى الجهة الشمالية الشرقية من هرم « سنوسرت الثانى » نجد هرما صغيرا مبنيا بالطوب النيئ ، ولكنه مخرب تخريبا كبيرا . كان ارتفاعه الأصلى ١٨ مترا ، وطول قاعدته ٢٧,٦٠ مترا ، وزاوية ميله ١٥′ ٥٤° ، وتحت كل ركن من أركانه حفرة صغيرة مربعة كان فيها بعض ودائع

الأساس . وعلى إناء من الآنية التى عُثِر عليها فى حفرة منها جزء من اسم حمل المكتشف على الترجيح بأن هذا الهرم كان مقاما لتدفن فيه زوجة أو ابنة لسنوسرت الثانى ، وما زال الجزء الداخلى من هذا الهرم باقياً دون فحص علمى حتى الآن .

وفى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية من الهرم الكبير زرعوا أشجارا فى حفرات مستديرة ، وهو اتباع للتقليد الذى بدأ فى الأسرة الحادية عشرة فى المعبد الهرمى للملك « منتوحوتب » فى الدير البحرى . ولا نعرف نوع الأشجار التى غرسوها ولكنا نعرف أن عددها فى كل من الجهتين الشرقية والجنوبية اللتين تم فحصهما كان اثنتين وأربعين شجرة وربما كان عددها يرمز إلى القضاة الاثنين والأربعين الذين كانوا يجلسون فى قاعة العدل فى محكمة أوزيريس .

وأقاموا حول الهرم الرئيسى الكبير والأهرام الأخرى الصغيرة سورا خارجيا من اللبن نجد فى داخله ، على مسافة تقرب من ٧٠ مترا من الركن الشمالى الغربى للهرم ، مبنى مهدما يحتمل أنه قد أقيم بمناسبة الاحتفال بالعيد الثلاثينى (عيد السد) ، كما يوجد أيضا داخل هذا السور عدد من المقابر لا شك أنها لأفراد من الأسرة المالكة ، وقد سرقت ونهبت كلها فى العصور القديمة ، ولكن البعثة الأثرية التى كان يرأسها « پترى » فى عام ١٩٢٠ قررت تنظيفها مما كان متراكما فيها فعثرت على كنز لم تكن تتوقعه . كان يوجد فى إحدى مقابر الأميرات تابوت من الجرانيت الأحمر ، وبعض آنية الأحشاء(*) ، وبالرغم من

(*) أعادت مصلحة الآثار تنظيف هذه البئر فى عام ١٩٣٦ ، وقمت فى ذلك الوقت بإخراج التابوت وصندوق أوانى الأحشاء ونقلتهما إلى المتحف المصرى .

(تعليق أ . ف .)

أن اللصوص قد سرقوا كل ما فى حجرة الدفن المنحوتة فى الصخر فإن المكتشفين لاحظوا وجود جزء فى أحد الجدران مغطى بطبقة من الجبس لا يكاد يختلف فى مظهره عما حوله . واتضح من فحصه أنه يخفى وراءه كوة كان فيها صندوق من الخشب مملوء بالحلى ، وقد بلى الصندوق الخشبى ، ولكن كل ماكان فيه من الحلى كان فى أتم حالة من الحفظ ، ويمكن رؤية هذه المجموعة الفريدة فى متحف المتروپوليتان بنيويورك والمتحف المصرى بالقاهره(١٠). وفى رأى الكثيرين من المشتغلين بالدراسات المصرية القديمة أن هذه المجموعة هى المجموعة الكاملة لحلى الأميرة ، وأنه لم يكن هناك شىء من الحلى مع المومياء التى كانت فى التابوت . ولكن هذا الرأى لايمكن قبوله لأنى عندما أعدت تنظيف هذه المقبرة فى عام ١٩٣٦ وجدت فى التابوت ، وعلى أرضية حجرة الدفن فى الردم الذى كان يملؤها ، بعض بقايا من الحلى التى كانت فيه ، ومن بينها خمس من حبات الذهب وعدد آخر من الفيروز والعقيق .

وفى الجهة الشمالية من الهرم نجد ثمانى مصاطب . وتوجد مقابر أخرى حول الهرم ، من بينها مقبرة « إنبى » المهندس المعمارى للملك « سنوسرت الثانى » .

هرم سنوسرت الثالث

كان سنوسرت الثالث أعظم ملوك الدولة الوسطى ، وهو « سيزوستريس » الشهير الذى ورد اسمه فى كتابات مؤرخى اليونان والرومان .

لم يقتصر نشاط هذا الملك العظيم على إصلاح البلاد ، بل مدّ نفوذ مصر نحو الجنوب ، ونقل حدودها الجنوبية إلى قلب السودان ، كما نشر

---

(١٠) Guy Brunton, *Lahun* I : *The Treasure* (*London*, 1920).

الثقافة المصرية فى ربوع البلاد المجاورة لها فى غربى آسيا ومنطقة حوض البحر المتوسط .

اختار هذا الملك منطقة دهشور لتشييد هرمه المبنى باللبن فوق أحد المرتفعات المشرفة على العاصمة على مسافة قريبة من هرم جده « أمنمحات الثانى » .

ولم يقم أحد حتى الآن بحفر معبد الوادى لهذا الهرم ، ولكن من السهل تتبع آثار طريقه الصاعد على مقربة من حافة الأرض المزروعة ، وهو يسير فى اتجاه شمالى – غربى ، ويصل إلى السور المحيط بالهرم إلى الجنوب قليلا من المعبد الجنازى .

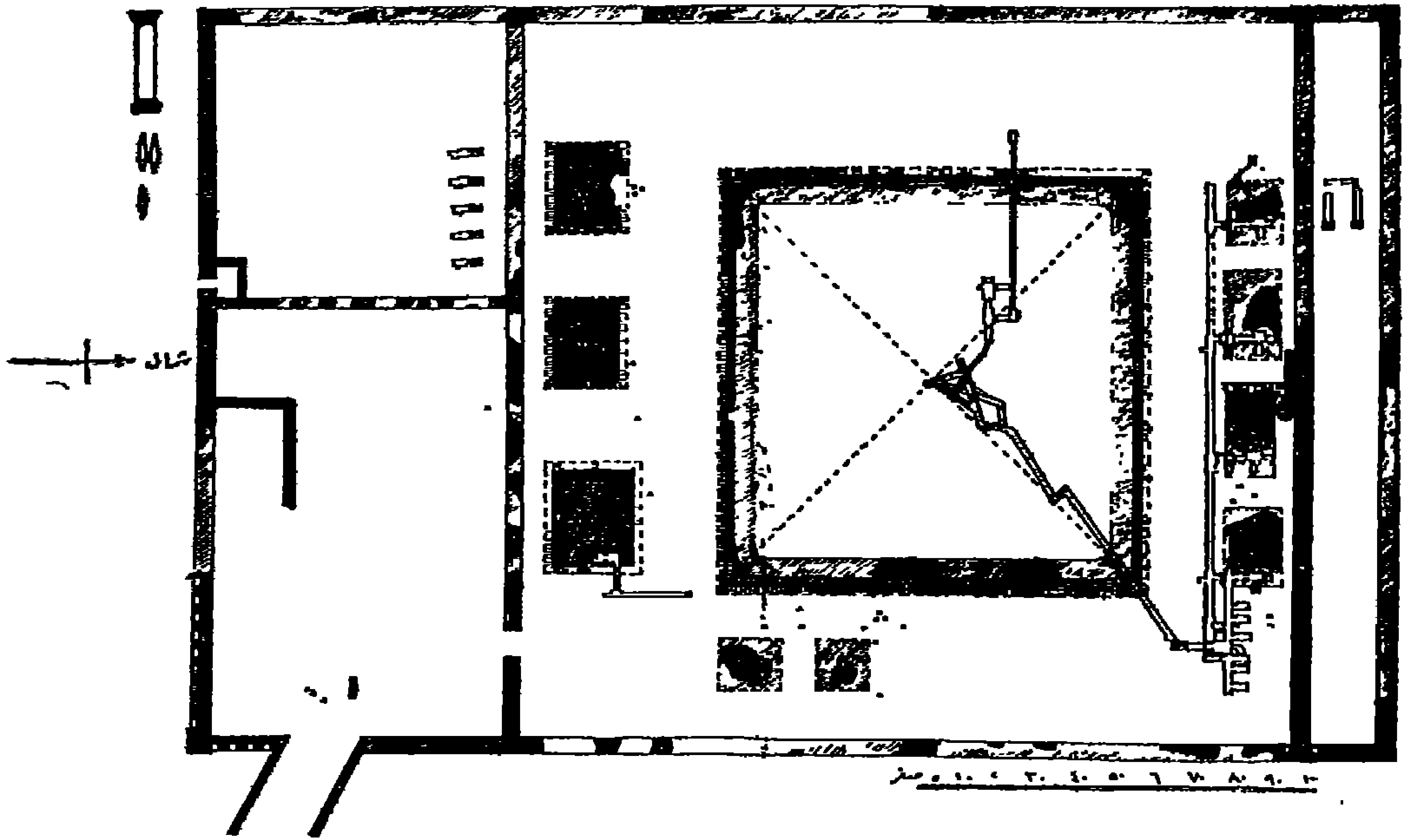
والمعبد الجنازى مخرب تخريبا شديدا ، وقد عثر فيه « پرنج » و « ڤيز » عام ١٨٣٩ على أحجار منقوشة وعليها اسم « سنوسرت الثالث » . وقام « دى مورجان » فى عام ١٨٩٤ بالحفر فيه . وعثر فيه أيضا على اسم هذا الملك على أحجار أخرى(١١) .

وكان الهرم مبنيا باللبن ، وله كساء من الحجر الجيرى ولكنه مهدم الآن . وعلى السطح الخارجى من بناء الهرم ترك البناؤون درجات متتالية يكفى عرض كل منها لوضع كتلة من الحجرى الجيرى ، ثم وضعوا هذه الأحجار فى أماكنها المعدة لها ، وثبتوا كل اثنين منها معا بالتعشيق بقطع حجرية صغيرة على صورة ذيل العصفور ، وقد ذكر « پرنج » و « ڤيز » أن هذا الهرم بنوه فوق رمل نظيف من رمال الصحراء المحيطة به .

---

(١١) J. de Morgan, *Fouilles à Dahchour, mais - juin* 1894, pp. 47. ff.

والمدخل الموصل إلى داخل هذا الهرم كان عن طريق حفرة بعيدة عن قاعدته ، فى الجهة الغربية منه . وقد عثر عليه « دى مورجان » ، وهو مسدود فى الوقت الحاضر . ونرى من ذلك أن « معمارى » هذا الهرم لم يتبع التقليد القديم فى عمل المدخل فى الجهة الشمالية ، وذلك لإخفاء مكانه عن اللصوص (شكل رقم ١١٢) . أما حجرة الدفن فهى مبنية من كتل كبيرة من الجرانيت الأحمر ، وسقفها مقبى فى



(شكل رقم ١١٢) الرسم التخطيطى لهرم سنوسرت الثالث فى دهشور
(نقلا عن « دى مورجان ») .

داخل الحجرة ولكنه مدبب فى جهته العليا ، وفى الجهة الغربية منه وضعوا تابوتا من الجرانيت الأحمر حليت جوانبه بتضليعات أفقية تمثل الطراز المعروف باسم واجهة القصر .

وتحت الركن الشمالى الغربى لهذا الهرم دهليز يوصل إلى عدد من مقابر سيدات البيت الملكى ، وفى هذه المقابر عثر « دى مورجان » على مجموعة الحلى الشهيرة المحفوظة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة والتى وصلت دقة الصناعة فيها إلى أوجها وجعلت منها أجمل ما وصل إلينا من الحلى القديمة ؛ إذ وصل فيها الصائغ المصرى القديم إلى درجة لم يستطع أن يتفوق عليها أحد فى أعظم أيام الإمبراطورية المصرية .

وعلى مقربة من السور الخارجى للهرم ، فى الجهة الجنوبية الغربية منه ، قام « دى مورجان » بكشف هام آخر ، وهو العثور على ثلاث سفن كبيرة من خشب الأرز ، طول كل منها ١٠ أمتار فى حالة جيدة ، كما عثر أيضاً على أجزاء من خمس سفن أخرى على الأقل ، وكان بعضها مدفونا فى أماكن تشبه الخنادق ومشيدة بالطوب النيئ .

والتفسير المعتاد لوجود هذه السفن هو أنهم استخدموها قديما فى إحضار الأثاث الجنازى ومومياء الملك عبر النيل ، ولكن البحوث الأثرية الحديثة تثبت أن مثل هذه السفن كانت لغرض آخر ، وأن وجودها هنا ليس إلا استمرارا للتقاليد القديمة التى كانت سائدة فى الدولة القديمة ، مثل سفن خوفو وخفرع ، وأنها كانت لغرض دينى خاص .

ومع هذه السفن عثر « دى مورجان » على زحافة كبيرة من الخشب استخدمها القدماء فى نقل هذه السفن من النيل إلى المكان الذى دفنوها فيه . وفى المتحف المصرى بالقاهرة اثنتان من هذه السفن ، والثالثة فى متحف التاريخ الطبيعى فى شيكاجو .

ولاشك فى أن « سنوسرت الثالث » كان مدفونا فى هرمه هذا فى منطقة دهشور ، وحوله أسرته ورجال بلاطه . ولكن يوجد فى أبيدوس بقايا هرم صغير ومعبد يرجح جدا أنهما له أيضا ، ولكن ذلك الهرم لا يعدو أن يكون ضريحا لهذا الملك بناه فى المنطقة المقدسة

للإله أوزيريس ، وربما دفنوا مومياءه فى هرم أبيدوس لفترة محدودة قبل نقلها لتدفن نهائيا فى هرمه بدهشور .

هرم أمنمحات الثالث فى هوارة

رأينا فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب أن وجود مقبرتين أو هرمين لملك واحد لم يكن أمراً غير عادى ، وربما كان واحد منهما فى الجبانة المنفية فى شمالى البلاد والثانى فى جنوبيها فى أبيدوس أو قريبا منها ، والحالة الوحيدة التى تسبب لنا الحيرة هى حالة الملك « سنفرو » الذى شيد لنفسه هرمين عظيمين فى منطقة دهشور لا يبعد أحدهما عن الآخر أكثر من كيلومتر ونصف كيلو . وشذ أيضا الملك « أمنمحات الثالث » عند ما بنى له هرما فى هوارة فى الفيوم ، يرجح جدا أنه دفن فيه ، وهرما آخر فى دهشور لا يبعد إلا كيلومترات قليلة إلى الجنوب من هرم أبيه .

بنى أمنمحات أحد هرميه فى الفيوم لشدة ارتباطه بهذا الإقليم الذى يرجع الكثير من ازدهاره إلى حصافته وبعد نظره ، واختار لهرمه موقعا ممتازا ، يشبه موقع هرم « سنوسرت الثانى » ، يشرف على كل من الفيوم ووادى النيل .

وحسب ما وصلت إليه معلوماتنا حتى الآن ، لم يكن لهرم هوارة معبد واد أو طريق صاعد ، وإلى الجنوب منه مباشرة نجد المكان الذى كان فيه مبنى « اللابرانت » الشهير ، ويكاد يكون مؤكدا أن المعبد الجنازى لأمنمحات الثالث كان على الأقل جزءا من ذلك المبنى الذى مات أمنمحات دون أن يتم العمل فيه ، فقامت بذلك ابنته « سوبك — نفرو » التى حكمت البلاد كآخر حكام الأسرة الثانية عشرة .

كان طول هذا المبنى العظيم حوالى ٣٥٠ من الأمتار وعرضه ٢٤٤ مترا ، أى إن اتساعه يكفى لأن يكون فى داخله معابد الكرنك والأقصر ، ولكن لم يبق منه الآن جدار واحد فى مكانه ، لأن سكان ذلك الإقليم استخدموه ابتداء من العصر الرومانى كمحجر يأخذون منه ما يلزمهم للبناء ، ولا نرى فى موقعه اليوم إلا بعض «الفرشات» المدكوكة تحت أساسات الجدران ، والكثير من قطع الأحجار الصغيرة المتناثرة من الحجر الجيرى ، والجرانيت ، التى تغطى سطح الأرض فى ذلك المكان .

وعندما زار «هيرودوت» هذا المكان وكان ذلك فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، كان هذا المبنى الفخم ما زال قائما فى مكانه وهو فى عظيم روائه ، إذ يكاد يكون مؤكدا أن ملوك الأسرة السادسة والعشرين (العصر الصاوى) قاموا فيه بكثير من الترميم ، والإضافة إليه . ويصفه «هيرودوت» بقوله إنه عمل يفوق بناء الأهرام لأنه كان يحتوى على اثنى عشر فناء مسقوفا ، ستة منها تفتح نحو الشمال وستة تفتح نحو الجنوب . ويقول أيضا إنهم ذكروا له أنه يحتوى على ٣٠٠٠ حجرة منها ١٥٠٠ تحت سطح الأرض و١٥٠٠ فوقها ، وزاد «هيرودوت» بأنه زار الحجرات التى فوق سطح الأرض ، ولكنهم لم يسمحوا له بزيارة الحجرات التى تحتها ، وقالوا له بأنها مدافن للتماسيح المقدسة ، ومدافن للملوك الذين بنوا «اللابيرانت» فى سالف الأزمان .

ومن المحتمل أنه كان يوجد خلف مبنى «اللابيرانت» ناووس كبير من الجرانيت فيه تمثالان للملك . .

ويذكر «هيرودوت» أيضا هرم هوارة الذى يقول إنه كان ملاصقا «للابيرانت» وأن ارتفاعه ٧٣ مترا ، وعليه رسوم كبيرة للحيوانات ، وبالرغم من أن هيرودوت لا يذكر اسم «أمنمحات الثالث»

بصفته الملك الذى بنى الهرم فإنا نعرف أن ذكراه كانت مبجلة فى هذا المكان فى عصر البطالمة ، وكان الناس فى تلك الناحية يتسمون باسمه ، واسمه مذكور فى نقش يسجل ترميمات قام بها أحد البطالمة وزوجته كليوباترا .

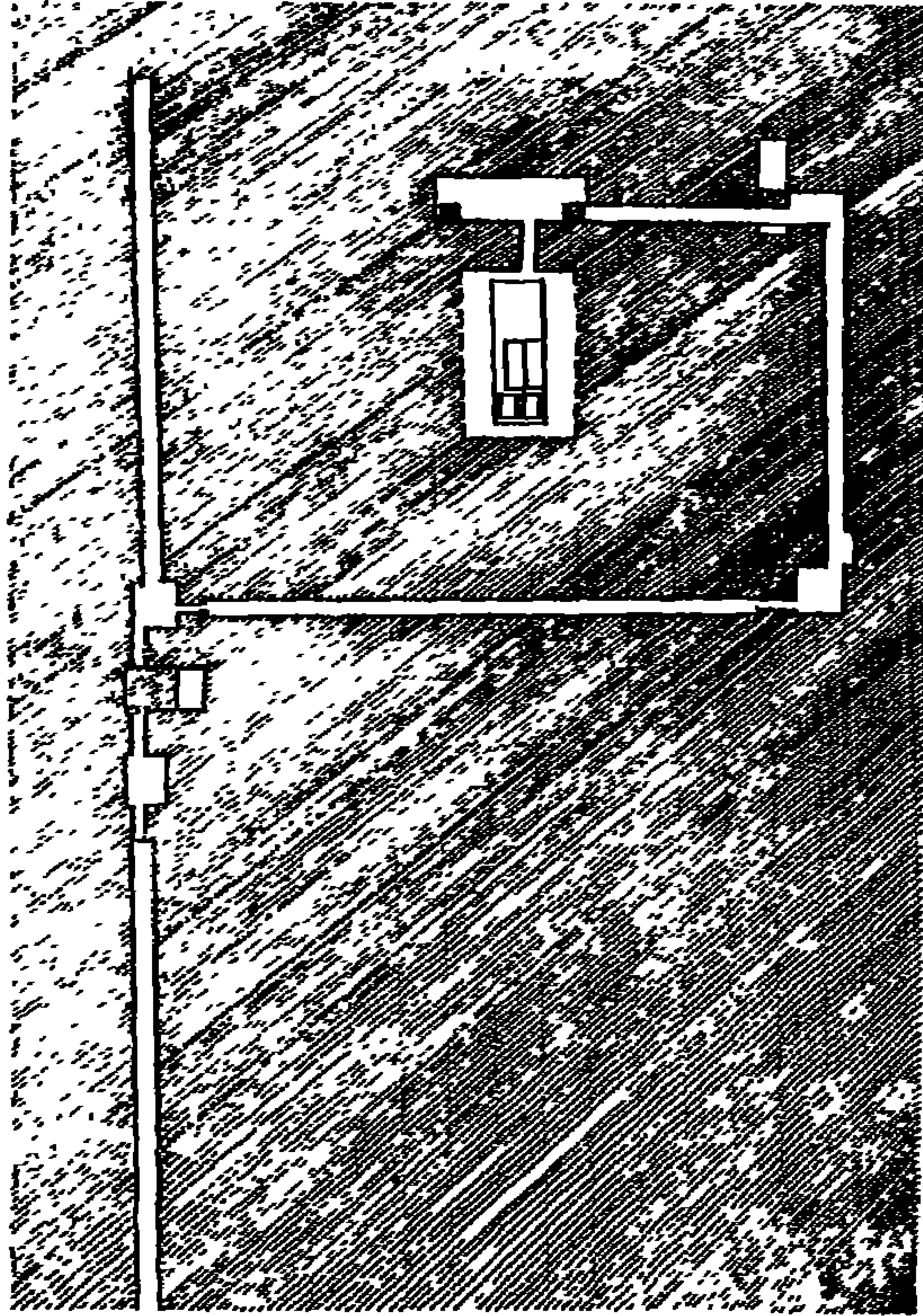
ولهرم هوارة أهمية كبيرة ، وتظهر فيه عبقرية المهندس المعمارى الذى شيده ، وما لجأ إليه من حيل معمارية متحديا لصوص المقابر(١٢). ويشبه هذا الهرم فى عمارته هرم « سنوسرت الثانى » فى اللاهون ؛ إذ أنه مشيد باللبن ، وأن المساحات التى بين الجدران الحجرية المتقاطعة ملأوها أيضا بالطوب ، وأن كساءه الخارجى كان من الحجر الجيرى الأبيض ، ولكن حجراته الداخلية ودهاليزه فريدة فى نوعها (شكل رقم ١١٣) .

كان الارتفاع الأصلى لهذا الهرم ٥٨ مترا تقريبا ، وطول كل ضلع من أضلاعه ١٠٠ متر تقريبا ، وزاوية ميله ٤٥′ ٤٨° ؛ ومدخله فى الجهة الجنوبية ، وهو يؤدى إلى عدد من الدرجات تنزل إلى ممر يظهر كأنه مسدود تماما لا يتصل بأى مكان آخر ؛

ولكن الحقيقة أن الكتلة الحجرية التى سقفوا بها هذا الممر كان يمكن تحريكها إلى أعلى ، وتكشف عن حجرة أخرى تؤدى إلى ممر مملوء بكتل من الحجر . ولم يكن هـــذا كله إلا حيلة من المهندس القديم لتضليل اللصوص ، وقد نجحت هذه الحيلة لأن اللصوص القدماء أحدثوا ثقباً فى هذه الكتل الحجرية ، وتحملوا عناءً كبيراً حتى وصلوا إلى نهايتها ليجدوا أنه لا يؤدى إلى أى مكان آخر . ويؤدى الممر الأصلى إلى مكان آخر

---

(١٢) W. M. F. Petrie, *Kahun, Gurob, and Hawara.* (London, 1890), *Plates* 2—4.



(شكل رقم ١١٣) رسم تخطيطي لممرات وحجرات هرم «أمنمحات الثالث» في هوارة
(نقلا عن پترى)

مسدود لا يوصل إلى شيء ؛ إذ نجد فيه متراسا متحركا وراءه ممر مسدود ، ولكن يوجد فى ذلك الممر نفسه حجر متحرك يؤدى إلى ممر يسير موازيا لحجرة الدفن ، على مسافة منها . وفى هذا الممر الأخير عملوا بئرين فى الأرضية ليشغلوا بهما اللصوص ، وفى الوقت ذاته ملأوا أحد طرفى الممر بكتل حجرية مبنية ليضللوا اللصوص الذين يحاولون عمل فجوة فيها ليبعدوهم عن المدفن الحقيقى داخل هذا الهرم .

ولكن بالرغم من كل هذه التضليلات فقد ثابر أحد اللصوص القدماء حتى وجد المكان الحقيقى الذى يوصل إلى حجرة الدفن ، ولكن المصاعب

التى كانت أمام هذا اللص لم تنته عند ذلك ؛ إذ وجد أن حجرة الدفن قد نحتوها فى داخل كتلة واحدة ضخمة من الحجر الكوارتزى الأصفر ، ولا باب لها ، وكان لا يمكن الوصول إلى هذه الحجرة إلا عن طريق تحريك أو تحطيم كتلة كبيرة مستخدمة كسقف فوقها تزن ٤٥ طنا . ولكن رغم ذلك كله فقد نجح اللصوص فى إحداث ثقب فى الكتلة الكبيرة ، ووصلوا إلى مدفن الملك وأخذوا منه ما أرادوه . ويظهر أنهم أرادوا الانتقام لأنفسهم بعد كل ما تحملوه من عناء ، فأخذوا ما أرادوا ثم أشعلوا النار فى الحجرة كلها ، وأحرقوا ما كان فيها من أثاث جنازى ، بل ومومياء الملك نفسه . ويتضح من بقايا قطع الديوريت واللازورد المحترقة التى استخدموها فى تطعيم بعض الأثاث والحلى فخامة ما كان فى ذلك المدفن .

والكتلة الضخمة التى استخدموها كحجرة دفن طولها من الداخل ٧ أمتار وعرضها ٢,٥٠ متر ، وسمك جدرانها حوالى ٥٥ سنتيمتراً ، وكان وزنها لا يقل عن ١١٠ من الأطنان . وكانت هذه الكتلة الكوارتزية فى داخل حفرة منحوتة فى الصخر تحت الهرم نفسه ، ومسقفة بكتل ضخمة من الحجر سمك كل منها حوالى مترين ، وفوق هذه الكتل عقد من الطوب ، وفوق هذا العقد مبنى الهرم نفسه .

وفى داخل حجرة الدفن كان يوجد تابوت من الحجر الكوارتزى لأمنمحات الثالث وهو غير مزخرف إلا فى ناحية القدمين بالزخرفة التقليدية التى كانت تمثل فى الأصل واجهة القصر ، وله غطاء مقبى السطح . وكان هناك تابوت آخر بين التابوت الكبير والجدار ، وهو مبنى بالحجر الكوارتزى وله غطاء فوقه ، وعند رأس التابوت صندوقان متماثلان من الحجر الكوارتزى لأوانى الأحشاء ، ولا توجد أى كتابات على هذه الأشياء كلها .

وعندما وصل « پترى » إلى هذه الحجرة وجد المياه تملأ نصفها ، وقد كلفه فحصها كثيراً من المشقة والتعب ، وعثر هناك على قطع من الأوانى المرمرية وعليها أحد أسماء « أمنمحات الثالث » ، كما عثر أيضا فى الممر الأخير على مذبح جميل من المرمر ، وعلى عدد من الأطباق فى هيئة الأوز ، وكلها من المرمر ومكتوب عليها بنت الملك « پتاح — نفرو » .

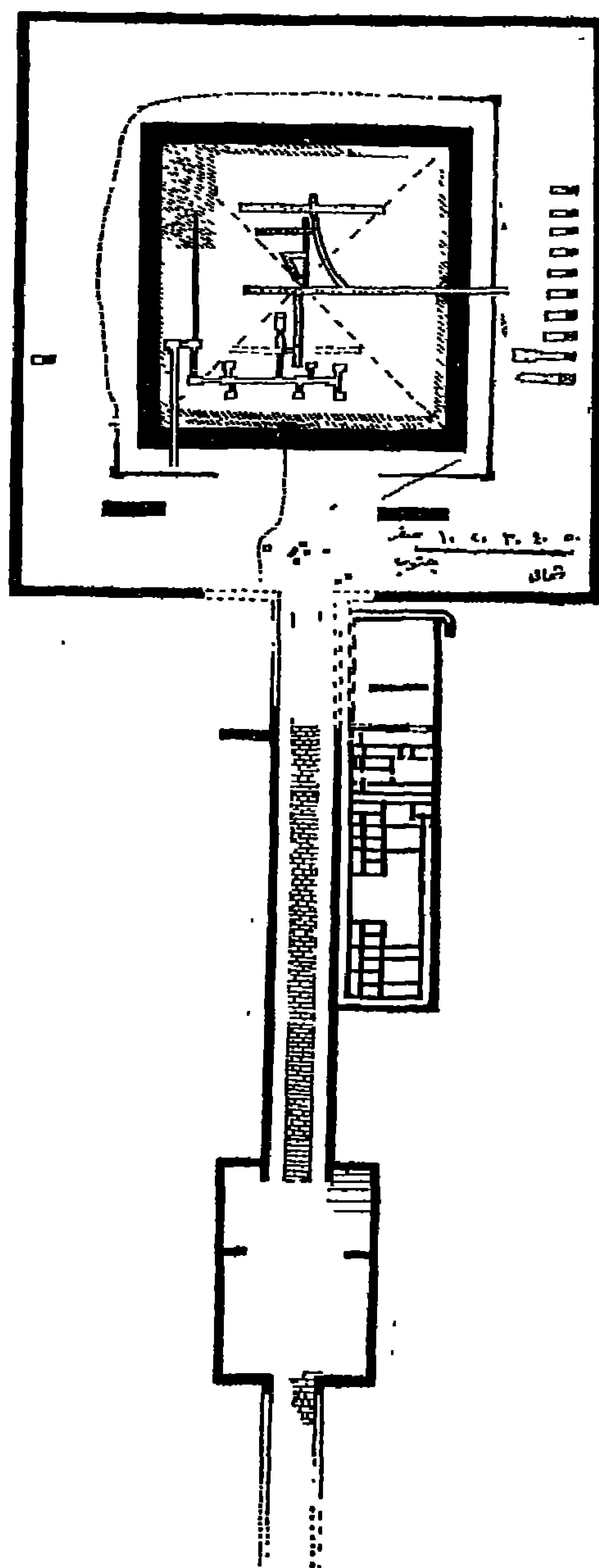
وفى الناحية الجنوبية الشرقية من هذا الهرم وعلى الضفة الأخرى من إحدى الترع الحديثة ، كانت توجد بقايا سور خارجى حول كومة من اللبن أزالها السباخون منذ أكثر من أربعين عاما فظهرت تحتها كتل كبيرة من الحجر ، متوسط وزن كل منها خمسة عشر طنا .

وفى عام ١٩٥٦ حفرت مصلحة الآثار هذه المنطقة واتضح أنها مقبرة « پتاح — نفرو » ابنة « أمنمحات الثالث » ، وعثر فى داخل حجرة دفنها على تابوت كبير من الجرانيت الأحمر ، ولكن المياه الجوفية كانت تملأ جزءا كبيراً من هذه الحجرة ، وقد عُثر على اسم هذه الأميرة مكتوبا على أوان كبيرة من الفضة ، كما عثر القائمون بالحفائر على مجموعة من الحلى الجميلة . بينها عقد كبير جميل الصنع من الذهب والأحجار نصف الكريمة ، وحزام وأساور ، وكلها محفوظة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة .

هرم أمنمحات الثالث فى دهشور

أما الهرم الآخر الذى بناه « أمنمحات الثالث » لنفسه فى دهشور فهو مشيد بين هرم سنفرو المنحنى وبين قرية دهشور قريبا من حافة الأراضى المزروعة ، وهو آخر مجموعة أهرام دهشور فى الجهة الجنوبية .

ولم يقم أحد حتى الآن بحفر معبد الوادى لهذا الهرم بالرغم من أن مكانه واضح ، ويدل عليه طريق صاعد طويل ، كان فى الأصل



(شكل رقم ١١٤) الرسم التخطيطي لهرم أمنمحات الثالث في دهشور
(نقلا عن دي مورجان).

مرصوف الأرضية بكتل من الأحجار الجيرية ، وله جداران من اللبن « الطوب النيء » .

كان طول الطريق الصاعد حوالى ٦٠٠ متر ، وعرضه ١٨,٥٠ مترا ، بما فى ذلك الجداران اللذان على جانبيه . ونجد عند نهاية هذا الطريق الصاعد ، فى الجهة الشرقية من الهرم ، عددا من المبانى المشيدة بالطوب ، وهى دون شك بقايا مكاتب الإدارة الخاصة بالهرم ، والمنازل التى كان يقيم فيها كهنته . كما نجد أيضا المعبـــد الجنازى الذى لم يبق منه إلا القليل (شكل رقم ١١٤) .

وهذا الهرم علامة من العلامات المميزة لمنطقة دهشور ، إذ يراه الزائر عند ما يقترب من المنطقة كتلة عالية سوداء عند حافة الهضبة ، وعلى مسافة كافية من الهرم المنحنى ، فلا تظهر ضآلته إلى جانب ذلك الهرم العظيم .

ولا نجد الآن إلا الجزء الداخلى من الهرم وهو من اللبـن ، ولا يمكننا الآن تحديد ارتفاعه الأصلى ، ولكن طول كل ضلع من أضلاعه كان حوالى ١٠٠ متر . وحول قاعدته نرى الأرض مغطاة بشظايا متناثرة من الحجر الجيرى الأبيض ، وهى من كسائه الخارجى القديم . وعند ما كان « پرنج » يقوم ببحوثه الأثرية فى هذه المنطقة وجد أحد أحجار الكساء فى مكانه الأصلى واستطاع أن يحدد زاوية ميل الهرم بأنها كانت ٢٠′ ٥٧° . ولم يقتصر الأمر على أخذ أحجار ذلك الهرم وتكسيرها بل تعرض الطوب المبنى به إلى عبث سكان المنطقة الذين دأبوا على أخذ الطوب منه لبناء مساكنهم ، ولكنهم لحسن الحظ تركوا الهريم الجرانيتى الذى كان فوق قمة هذا الهرم ، وهو الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة ، ومن النقوش التى عليه أصبحنا متأكدين أن صاحبه هو الملك « أمنمحات الثالث » .

ومدخل الهرم فى الجهة الشرقية منه على مقربة من ركنه الجنوبى الشرقى ، ويشبه نظام الأجزاء الداخلية فيه هرم هوارة فى تصميم ممراته وردهاته ، وكانت كلها مكسوة بكتل من الحجر الجيرى وتؤدى إلى حجرة الدفن التى لم تكن فى منتصف الهرم تماما ، وإنما كانت إلى الشرق منه ، وتحتوى هذه الحجرة على تابوت فخم من الجرانيت الأحمر . وكان يحيط بالهرم والمعبد الجنازى والمبانى الأخرى سور خارجى من اللبن طول كل ضلع من أضلاعه ١٨٤ متراً .

وما من شك فى أن هذا الملك كان مدفونا فى هرمه فى هوارة ، وأن هذا الهرم المشيد في جبانة ملوك الدولة القديمة ليس إلا ضريحا له . وإذا ساءلنا أنفسنا عن السبب الذى حدا بهذا الملك إلى اختيار هذه المنطقة البعيدة عن أبيدوس فلا يسعنى إلا التقدم بالرأى الآتى : لقد اتضح من دراسة الآثار التى عُثر عليها فى منطقة دهشور ، وبخاصة الآثار التى عثرت عليها فى حفائرى عام ١٩٥٢ ، أن المصريين القدماء ألّهوا « سنفرو » فى أيام الأسرة الثانية عشرة فى هذه المنطقة . ومن المحتمل جدا أن « أمنمحات الثالث » اعتبر دهشور ، التى دفن فيها « سنفرو » منطقة مقدسة ، فلهذا اعتبرها بديلا عن أبيدوس . وإنى أتقدم بهذا الرأى كنظرية فقط ربما ظهر ما يناقضها ؛ لأن وجود مدفنين لملك واحد ما زال مشكلة من مشاكل علم الآثار المصرية التى لم يصل أحد فيها إلى حل نهائى حتى الآن .

* * *

تمتعت مصر بفترة ازدهار وأمن فى أيام حكم « أمنمحات الثالث » ، فإذا حاولنا معرفة أسباب انهيار الأسرة الثانية عشرة لا نجد لذلك تفسيرا واضحا نرتاح إليه . فبعد موت هذا الملك تجمعت السحب القاتمة فجأة ، ولم يحكم ابنه وخليفته وشريكه فى الحكم فى أخريات سنى حياته إلا مدة

قصيرة ، ثم تولت بعده عرش البلاد الملكة « سوبك – نفرو » ، وحكمت ثلاث سنوات بعد موته .

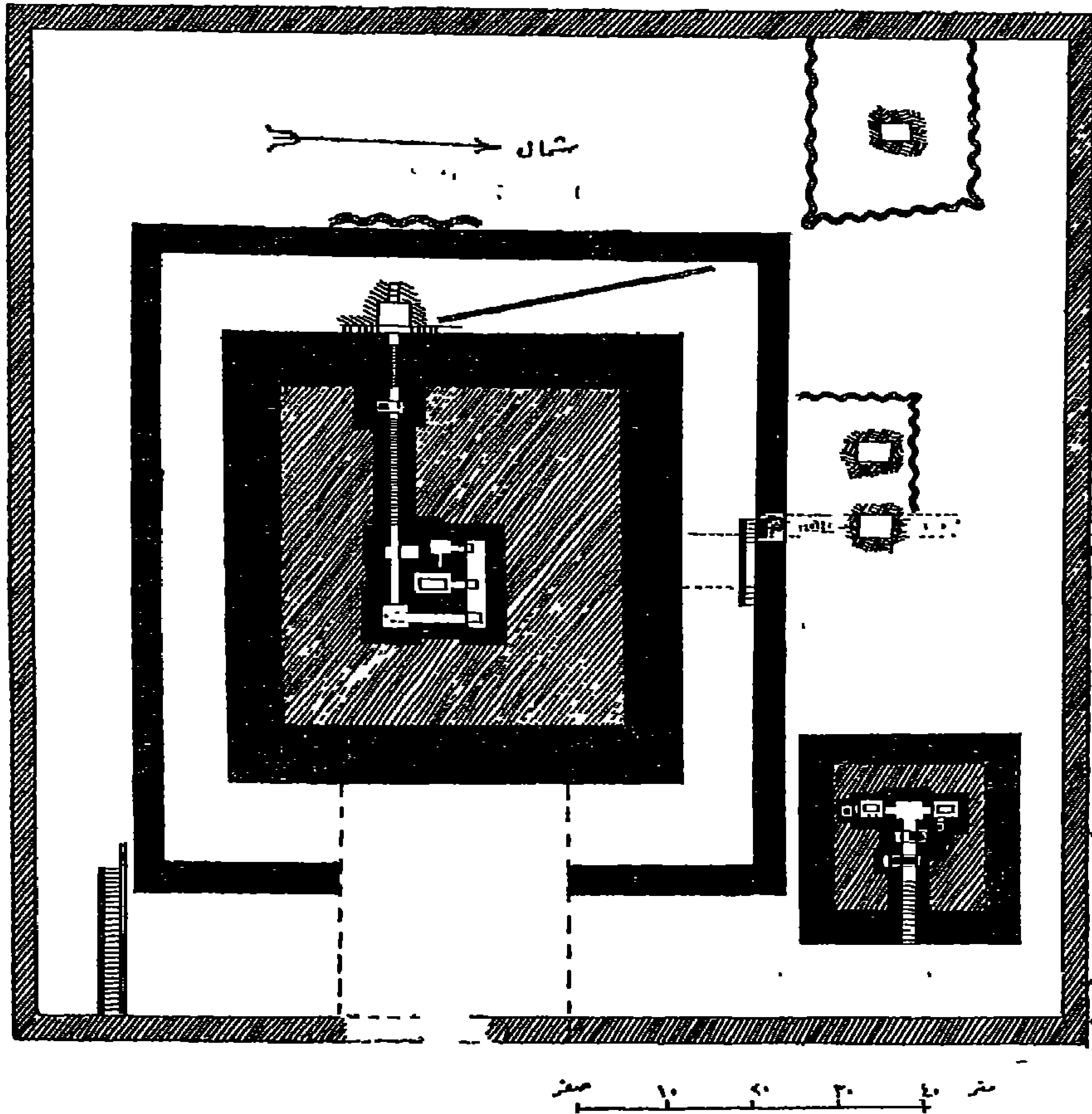
ومهما يكن من أمر فإن ملوك الأسرة الثالثة عشرة ساروا على التقليد القديم فى تشييد أهرام ليدفنوا فيها ، نجدها على مقربة من سقارة لأنهم استمروا فى اتخاذ منف عاصمة لهم ، وأشهر هذه الأهرام هرم الملك « خنچر » .

هرم الملك خنچر

على مسافة تقل عن كيلومترين جنوبى مصطبة فرعون ، فى منطقة سقارة القبلية نجد ، ثلاثة أهرام لا نعرف حتى الآن إلا اسم صاحب واحد منها ، وهذا الهرم هو أقصاها فى الناحية الشمالية ، وبناه الملك « خنچر » من ملوك الأسرة الثالثة عشرة (شكل رقم ١١٥) .

ولم يعثر حتى الآن على معبد وادٍ لهذا الهرم ، ولم يكتشف حتى الآن طريق صاعد له ، ولكن مع ذلك له معبد جنازى فى الجهة الشرقية منه ، وهيكل قرابين فى الجهة الشمالية . وفى هذا المبنى الأخير عثر المستكشف على أجزاء من هريم من الجرانيت الأسود تم الآن تجميعها بعضها إلى بعض . والجوانب الأربعة من هذا الهريم منقوشة وعليها كتابات ، وفى الجانب الشرقى منه منظر له أهمية خاصة ؛ إذ نرى مرسوماً عليه سفينتان للشمس إحداهما لليل والأخرى للنهار ، وفى كل واحدة منهما رمز لإله الشمس ، كما عثر المستكشف أيضا على أجزاء من باب وهمى وتمثال صغير الحجم للملك نفسه . وفى الركن الشمالى الشرقى للهرم عُثِر على حفرة لودائع الأساس فيها أربعة أوانٍ من الفخار الخشن .

ويحيط بهرم « خنچر » سوران خارجيان وكلاهما مربع ؛ أولهما من



(شكل رقم ١١٥) رسم تخطيطي لهرم الملك « خنجر » في سقارة القبلية (نقلا عن چيكييه) .

اللبن ، وطول كل ضلع من أضلاعه ١٢٥ متراً ، وثانيهما ، وهو الداخلي ، مبنى بالحجر الجيرى الجيد وطول ضلعه ٧٥ متراً :

اكتشف « چيكييه » هذا الهرم عام ١٩٢٩[١٣]، واتضح من حفائره

(١٣) G. Jéquier, *Deux Pyramides du Moyen Empire* (Cairo, 1933).

أنه يشبه فى تصميمه أهرام الدولة الوسطى بوجه عام ، فمبنى الهرم نفسه من اللبن ، وله كساء خارجى من الحجر الجيرى وقد تخرب كثيراً ولم يبق منه إلا القليل ، ولكن ارتفاعه الأصلى كان ٣٧,٣٥ مترا ، وزاوية ميله ٥٥° ، وطول كل ضلع من قاعدته ٥٥ مترا . ومن المحتمل جداً أن أحجار كسائه قد نزعت من مكانها فى أيام « رمسيس الثانى » لأن أحد معمارييه الكاتب « ناشوى » ترك وراءه كتابة فى المعبد يسجل فيها العمل الذى قام به . ومما يدعو إلى الدهشة أن يكون « رمسيس الثانى » مسئولا عن مثل هذا التخريب والتحطيم فى الوقت الذى نجد فيه ابنه الأمير « خعمواس » يقوم بترميمات فى مصطبة فرعون على مسافة لا تزيد إلا قليلا عن كيلومتر واحد ، كما قام أيضا بترميمات فى هرم « أوناس » فى سقارة .

ومدخل هذا الهرم مسدود الآن ، وهو فى الجهة الغربية منه ، وجدرانه وسقفه من كتل الحجر الجيرى الجيد ويؤدى إلى أربع عشرة درجة ، فى نهايتها متراس من الحجر الكوارتزى . وخلف المتراس درجات سلم آخر عددها ٢٩ درجة فى نهايتها متراس ثان ، وبعد هذا المتراس يوجد عدد من الممرات والحجرات ، وأخيراً نصل إلى حجرة الدفن التى تقع فى مركز المبنى تقريبا . وهذه الحجرة منحوتة فى صخرة واحدة ضخمة من الحجر الكوارتزى لا يقل وزنها عن ستين طنا ، وكانت مسقفة بكتلتين كبيرتين من الحجر أقاموا فوقها سقفا جمالونيا مثلثا .

وعلى مقربة من الركن الشمالى الشرقى من هرم « خنچر » بين سوريه الخارجيين ، يوجد هرم صغير من اللبن « الطوب النيئ » وله كساء من الحجر الجيرى الأبيض ، وكان طول ضلع قاعدته فى الأصل ٢٥ مترا . ولكن عندما كان يقوم « چيكييه » بحفائره فى هذه المنطقة بين أعوام ١٩٢٩ و ١٩٣١ كشفت بحوثه عن أنه لم يبق من هذا الهرم إلا بضعة مداميك وحجر أو اثنان من كسائه الخارجى ، ولكنه لم يجد أثراً لمعبده الجنازى .

ومدخل الهرم فى منتصف الواجهة الشرقية ، وجدرانه وسقفه وأرضيته من كتل الحجر الجيرى الأبيض ، وهو مسدود الآن بالرمال ، ولكنه كان يؤدى إلى ممر منحدر طوله ١٥ مترا ، وفى أوله سلم من إحدى وعشرين درجة ، ثم يبدأ بعد ذلك دهليز لأرضيته على مستويين أحدهما أعلى من الآخر ، ويفصل بينهما متراس ضخم من الحجر الكوارتزى . وفى آخر هذا الدهليز حجرة أمامية يفتح فى جدارها الشمالى ممر يوصل إلى حجرة الدفن التى يملؤها بأكملها تابوت من الحجر الكوارتزى .

وعند العثور على هذا التابوت وجد « چيكييه » أن غطاءه يرتفع عن الصندوق ومرتكز على خمس دعائم مبنية من الحجر ، ولا شك فى أنه ظل على هذه الحال منذ وضعه فى مكانه انتظارا لدفن الملك فيه ، ولكن لم يدفن فيه أحد على الإطلاق .

وفى الجهة الجنوبية من الحجرة الأمامية دهليز مؤد إلى حجرة أخرى يملؤها كلها أيضا تابوت من الحجر الكوارتزى ، وغطاء هذا التابوت مرتكز أيضا على ست دعائم مبنية قديما ولم يستخدم للدفن مثل سابقه ، وفى كل من حجرتى الدفن عثر مستكشف هذا الهرم على صندوق فارغ لأوانى الأحشاء قريبا من التابوت .

هرم ناقص

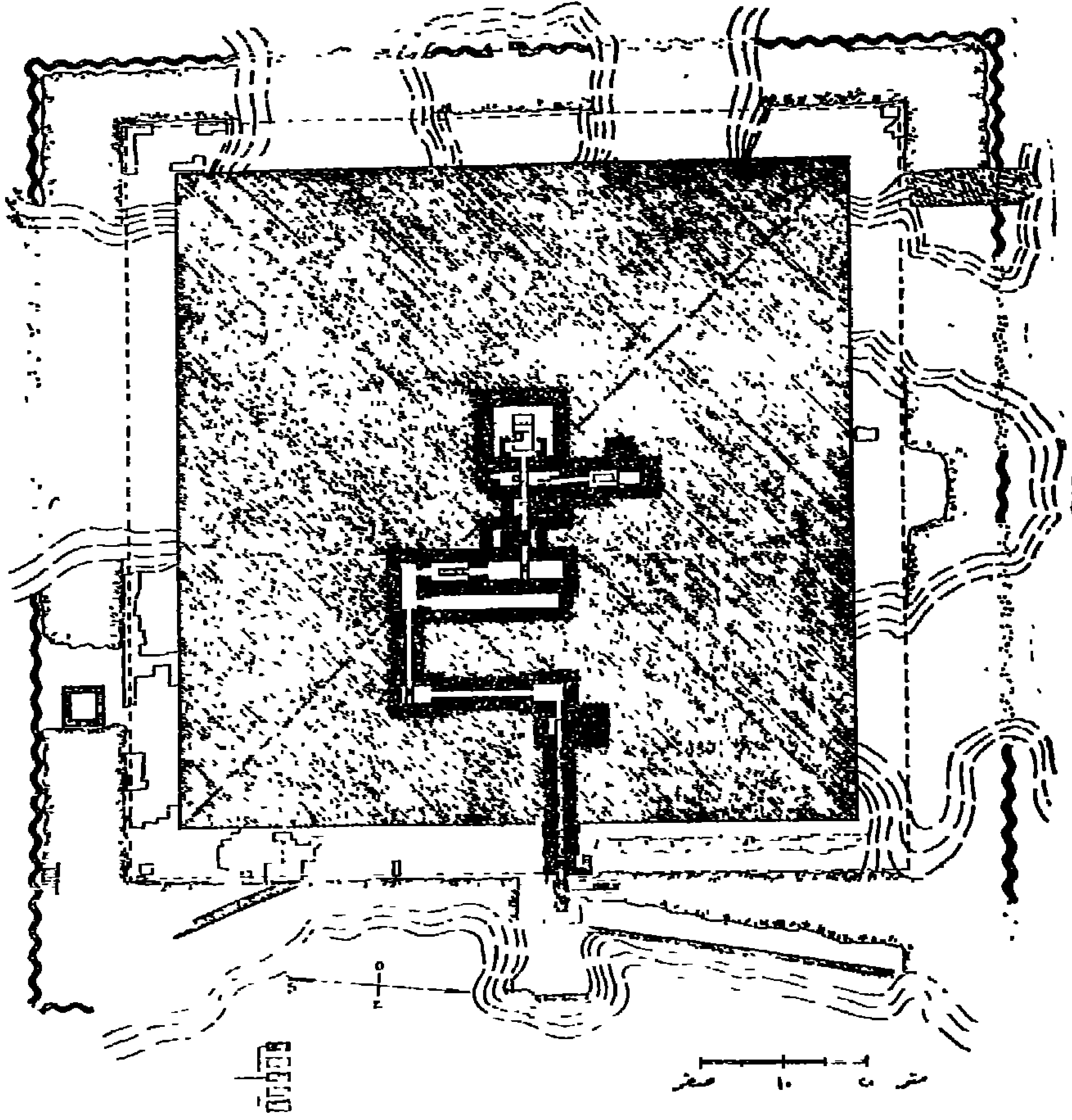
وعلى مسافة قليلة إلى الجنوب الغربى من هرم « خنچر » توجد بقايا هرم كبير لم يتم العمل فيه ، ولا يوجد حوله ما يدل على مكان معبد للوادى ، أو لطريق صاعد ، أو لمعبد جنازى ، ولو أنه لا يمكن القول بطريقة جازمة بأنه لو جرت حفائر منتظمة فى المستقبل لا يعثر على شىء منها ما زال مختفيا تحت الرمال . وطول ضلع هذا الهرم ، كما هو الآن ، ٩٥ مترا ، ولكن ارتفاعه لا يزيد إلا قليلا على ثلاثة أمتار . والهرم نفسه

مشيد باللبن ، وكان مكسوا بكتل من الأحجار ، يرجح جدا أنها من الحجر الجيرى الأبيض ؛ وقد كشفت الحفائر تحت أحجار أساساته فى أركان الهرم عن وجود حفر لودائع الأساس وضعوا فيها بعض آنية من الفخار الخشن وبعض نماذج صغيرة من أدوات من النحاس ؛

وعلى مقربة من مدخله فى الجهة الشرقية منه ، عثر على هريمين من الجرانيت الأسود ، وكلاهما لم يتم نحته ولا توجد عليه أية كتابة .

وهما متساويان فى الحجم ، ولكن ينقص أحدهما قمته المدببة ، وربما كان فى الأصل مكونا من حجرين لم يبق منهما إلا الحجر الأسفل . ومن المستحيل طبعا أن يكون لهرم واحد هريمان يوضعان فوق قمته العليا ، ولهذا السبب لا يمكن تفسير وجودهما معا إلا بأنهم ربما كانوا يعلمون واحدا منهما لوضعه فوق قمة هرم للملكة . والأجزاء الداخلية لهذا الهرم معقدة جدا فى تصميمها (شكل رقم ١١٦) .

ومدخل هذا الهرم ، مثل الهرمين السابقين ، يؤدى إلى عدد من الدرجات فى نهايتها متراس ، ونجد بعد ذلك دهليزاً ، وبعده ممرًّا آخر ينعطف فى زاوية قائمة نحو الجنوب ويستمر ١٢ متراً . وبعد ذلك ينعطف مرة أخرى فى زاوية قائمة حيث نجد خمس درجات يستمر بعدها قليلا ثم ينعطف مرة ثالثة فى زاوية قائمة نحو الغرب . وبعد اجتياز دهاليز ودرجات أخرى ومتراسين من الحجر الكوارتزى يصل الزائر أخيراً إلى حجرتين أماميتين ، وحجرتين للدفن . والحجرة الكبيرة منهما لها سقف « جمالونى » مثلث فوقها عقد صغير ، وفى داخلها تابوت من الحجر الكوارتزى غطاؤه مرفوع عن صندوقه ويرتكز على أربع دعامات مبنية ، ومعنى ذلك أن صاحبه لم يدفن فيه . أما حجرة الدفن الصغيرة فلها أيضاً سقف جمالونى مثلث ، وفيها أيضاً تابوت من الحجر الكوارتزى لم يدفن



(شكل رقم ١١٦) رسم تخطيطى للهرم الناقص فى سقارة القبلية
(نقلا عن چيكييه) .

فيه أحد . وعلى الجدران الداخلية لهذا الهرم ظاهرة غير عادية ، وهى وجود خطوط رأسية قصيرة من اللون الأسود على تلك الجدران على مسافات متوازية كل ١٠ أو ١٥ سنتيمتراً ، وليس فى استطاعتنا الجزم إذا كان المقصود منها أن تكون نوعاً من الزخرفة أو أنها لغرض آخر .

وكان لهذا الهرم سور خارجى من الطوب النيئ ، ولكن بدلا من أن

يسير هذا السور فى خطوط مستقيمة نجده يسير فى خطوط متموجة ؛ وهى إحدى الظواهر المعمارية فى الدولة الوسطى ، ونجد خير مثل لها فى هذا السور .

أهرام مزغونة

وفى مزغونة ، بين دهشور واللشت ، نجد هرمين مهدمين إلى حد كبير ، ينسبان عادة إلى الدولة الوسطى ، وقد قام « ماكاى Mackay » و « بترى » بفحصهما فى موسم ١٩١٠ – ١٩١١[١٤] ، ولكن لا يوجد حتى الآن أى دليل قاطع تعرف منه اسمى الملكين اللذين شيداهما ليدفنا فيهما . ويظن البعض أنهما هرما الملك « أمنمحات الرابع » والملكة « سوبك – نفرو » من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ولكنى شخصياً أفضل نسبتهما إلى الأسرة الثالثة عشرة .

ولا يوجد أى أثر من معبد للوادى ، أو لطريق صاعد ، أو لمعبد جنازى ، أو سور خارجى ، للهرم الشمالى منهما . أما الهرم نفسه فقد أصبح الآن كومة لا شكل لها لا يكاد يزيد ارتفاعها على متر واحد ، ويلوح أنه كان مبنياً بالحجر الجيرى . ولم يعثر حتى الآن على مدخله الأصلى ، ولكنا نجد فى أجزائه الداخلية عشر درجات تنزل بزاوية ٢٧° ، وتتجه من الشمال إلى الجنوب ، وعند نهاية هذه الدرجات ردهة تنعطف فى زاوية قائمة نحو الغرب ، ثم نجد بعد ذلك إحدى وثلاثين درجة تنزل بزاوية ٣٠′ ١٣° وعلى جانبى كل من هذه الدرجات جزء ضيق مستوٍ . وعند نهاية السلم الثانى متراس من الحجر الكوارتزى ، وبعد هـذا

(١٤) W. M. F. Petrie, Wainwright, and Mackay, *The Labyrinth, Gerzeh, and Mazghuneh* (London, 1912).

المتراس نجد أيضاً متاريس أخرى وممرات وحجرات ، وأخيراً نصل إلى حجرة الدفن .

وفى حجرة الدفن تابوت من الحجر الكوارتزى ، ونجد كلا من هذا التابوت والأجزاء الظاهرة من المتاريس ملونة بخطوط صغيرة جداً باللونين الأحمر والأسود تقليداً لأحجار الجرانيت .

أما الهرم الثانى فى مزغونة فهو أيضاً لا يزيد على كومة غير مرتفعة من شظايا الحجر الجيرى ، ولم يعثر على مقربة منه على معبد للوادى ، أو على طريق صاعد ، ولكنهم عثروا فى الجهة الشرقية منه على معبد جنازى صغير من اللبن .

كان هذا الهرم مشيداً باللبن ، وله كساء خارجى من الحجر الجيرى ، وكان طول ضلعه حوالى ٥٥ متراً ، ولكن لم يبق منه الآن إلا مدماك أو مدماكان من الطوب ، ولم يبق من الكساء الخارجى إلا أثر وضع تلك الأحجار وشظاياها المنتشرة حول الهرم .

ونظرا لأنه لم يعثر على حجر واحد من الكساء الخارجى فى مكانه الأصلى فمن المستحيل تقدير ارتفاعه الأصلى أو زاوية ميله .

ومدخل هذا الهرم فى منتصف الجهة الجنوبية منه ، وهو يؤدى إلى سلم ذى درجات فى نهايتها متراس من الجرانيت الأحمر . وبعد هذا المتراس يوجد عدد آخر من الدرجات فى نهايتها متراس آخر من الجرانيت، وبعد ذلك نجد ثلاثة ممرات كل منها يكون زاوية قائمة مع الممر الذى يليه ، وأخيرا نصل إلى حجرة الدفن التى كان لها عند بنائها سقف جمالونى مثلث ، وكان فى هذه الحجرة تابوت من الجرانيت الأحمر ، وفى أرضية الغرفة حفرة مربعة ليوضع فيها صندوق الأحشاء .

وكان لهذا الهرم سور خارجى من اللبن ؛ وهو من الطراز المتموج الذى يمتاز به هذا العصر .

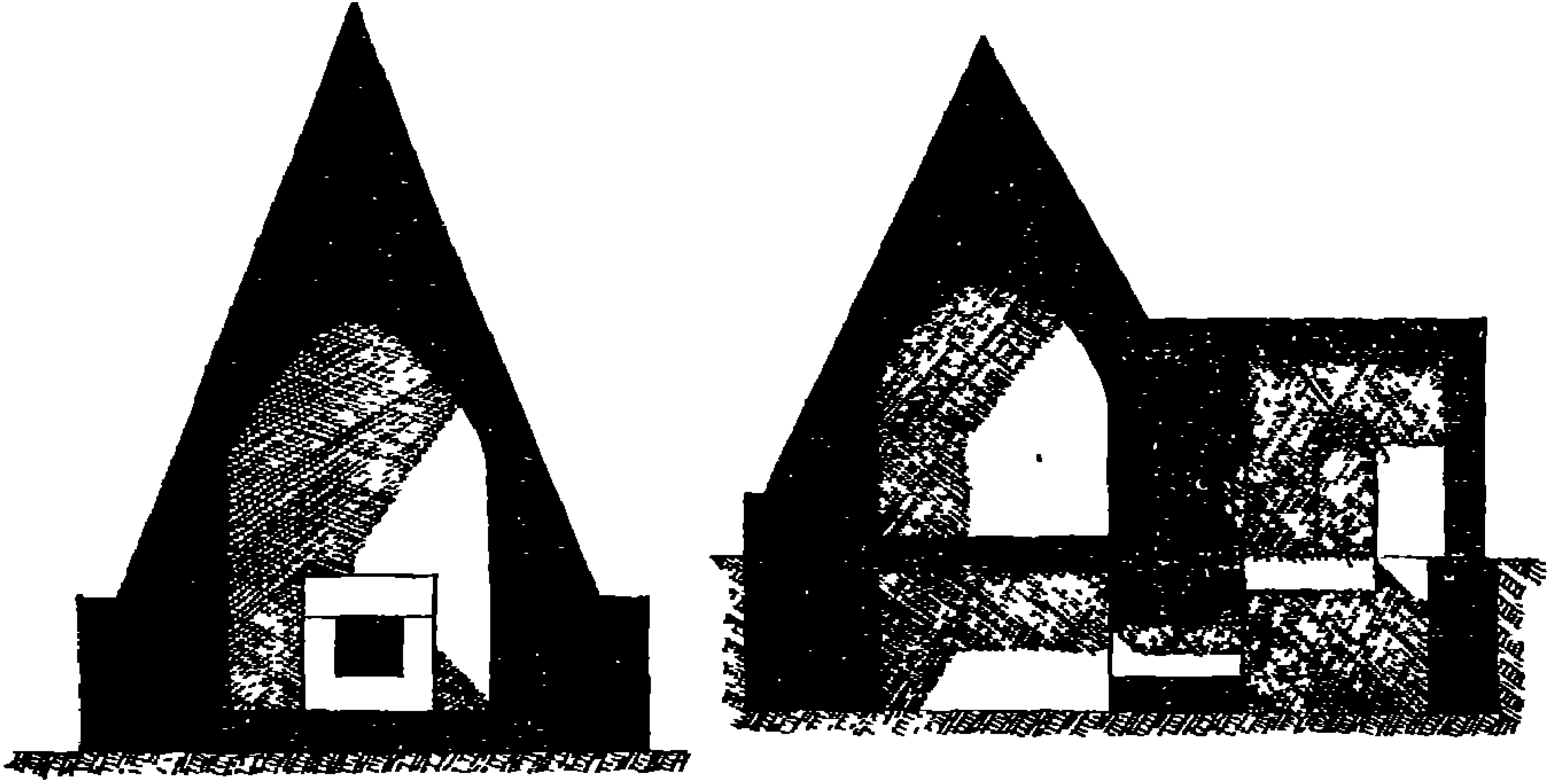
وكان لهذا السور فتحة واحدة فى منتصف الضلع الشرقى ، من الجائز جدا أنها كانت لأجل المعبد الجنازى ، وله فتحة أخرى فى نهاية ضلعه الجنوبى فى ناحية الشرق ، وكانت هذه الفتحة الأخيرة المدخل الأصلى إلى ساحة الهرم والمكان الذى ينتهى عنده الطريق الصاعد ، إذا كان له وجود .

ومن الجائز أن العمل لم يتم فى أى هرم من هذين الهرمين ، وعلى أى حال فإن المنطقة كلها لم تفحص فحصا علميا كافيا ، ومن المحتمل أن يعثر هناك على مقابر تكشف لنا عن اسمى من شيدا فيها هذين الهرمين .

وبعد أن انتهت أيام الأسرة الثالثة عشرة دخلت مصر فى فترة مظلمة من تاريخها . لم تعد مصر قادرة على حماية حدودها ، وتوالت الغزوات واحدة بعد أخرى ، على حدودها الشرقية وقضت على نفوذ السلطة المركزية فى البلاد . وتعرض شرقى الدلتا لاحتلال عدو أجنبى وهم قوم يسمون « الهكسوس » ، ويحتمل أنهم من أصل هندو — أوروبى أتوا من ناحية الشرق ، واستقروا قبل أن يجيئوا إلى مصر فترة غير قصيرة فى سوريا وفلسطين واختلطوا بالساميين مدة استمرت عدة أجيال . ولم نعثر حتى الآن على المقابر الملكية للملوك الذين تولوا عرش البلاد أثناء حكم الهكسوس ، ومن المحتمل أنهم لم يدفنوا فى مقابر هرمية .

وبعد أن طردهم المصريون وقذفوا بهم إلى خارج الحدود بدأت مصر فترة جديدة فى تاريخها ، وهى عصر الدولة الحديثة ، ولم تعد المقابر الهامة فى جميع أنحاء البلاد تبنى على هيئة أهرام ، بل نجدها إما منحوتة فى الصخر وإما مبنية بالحجر ، ولكن يعلو بعضها هرم صغير .

وقد بدأ هذا النوع من المقابر فى الظهور منذ الدولة الوسطى كما عرفنا من مقابر أبيدوس التى كشف عنه « ماريت » (شكل رقم ١١٧)(١٥) :



(شكل رقم ١١٧) مقابر فى أبيدوس يعلوها هرم صغير من اللبن .

وفى عهد الأسرة السابعة عشرة كانوا يشيدون فوق مقابر أمراء طيبة ، وكانوايقطعونها فى الصخر ، أهراماً من اللبن ، وهذه الأهرام مذكورة فى « بردية أبوت » التى تصف لنا التحقيقات التى جرت فى الأسرة الواحدة والعشرين بشأن سرقة عدد من المقابر الملكية ومقابر الأشخاص :

نجد فى هذه البردية مثلا إشارة إلى هرم الملك « أنتف — عا » فى منطقة دراع أبو النجا ، واللوحة التى كانت مقامة أمام هذا الهرم وعليها رسم الملك ومعه كلابه الأربعة . وقد عثر « ماريت » على هذه اللوحة نفسها فى مكانها الأصلى ، كما عُثر أيضا على بقايا المقبرة ، وتوجد اللوحة الآن ، ولوأنها محطمة بعض الشيء ، فى المتحف المصرى بالقاهرة .

---

(١٥) A. Mariette, *Abydos*, (2 *Vols.*, *Paris*, 1869—80).

وتدل مقابر دراع أبو النجا على أن التقليد القديم الذى كان يحتم دفن الملوك فى أهرام تبنى لهم قد اختفى ، وحل مكانه تقليد آخر ، وهو دفن الملوك وأشراف البلاد فى مقابر يشيدونها ، وهى صغيرة الحجم إذا قيست بالمقابر القديمة ، وأن تلك المقابر الجديدة احتفظت فقط بالشكل الهرمى .

وحدث تغيير عظيم فى تصميم المقبرة الملكية عند بداية الأسرة الثامنة عشرة . فقد أسس الملك « أحمس الأول » هذه الأسرة ، وهو آخر الحكام الثلاثة الذين حاربوا الهكسوس . وشيد هو وخليفته على العرش الملك « أمنحوتب الأول » مقبرتيهما على الطراز الذى كان يسير عليه من سبقهما من أمراء طيبة فى أيام الأسرة السابعة عشرة ، ولكن حدث تجديد هام فى عهد الملك « تحوتمس الأول » الذى تولى عرش مصر بعد « أمنحوتب الأول » .

يقص علينا « إنينى » المهندس المعمارى للملك « تحوتمس الأول » تاريخ حياته على أحد جدران مقبرته ، أن الملك أوكل إليه مهمة البحث عن مكان مناسب لمقبرته الملكية . ويحدثنا « إنينى » بأنه قضى شهرين يبحث فى الناحية الغربية من النهر « دون أن يسمع أو يرى أحد من الناس » حتى عثر على مكان بين الجبال يصلح لأن يكون المثوى الأخير لجثمان سيده . ويكاد يكون محققا أن هذا المكان الذى اكتشفه « إنينى » ليس إلا وادى الملوك الذى أصبح منذ ذلك الوقت جبانة ملكية للأسرات الثامنة عشرة ، والتاسعة عشرة ، والعشرين .

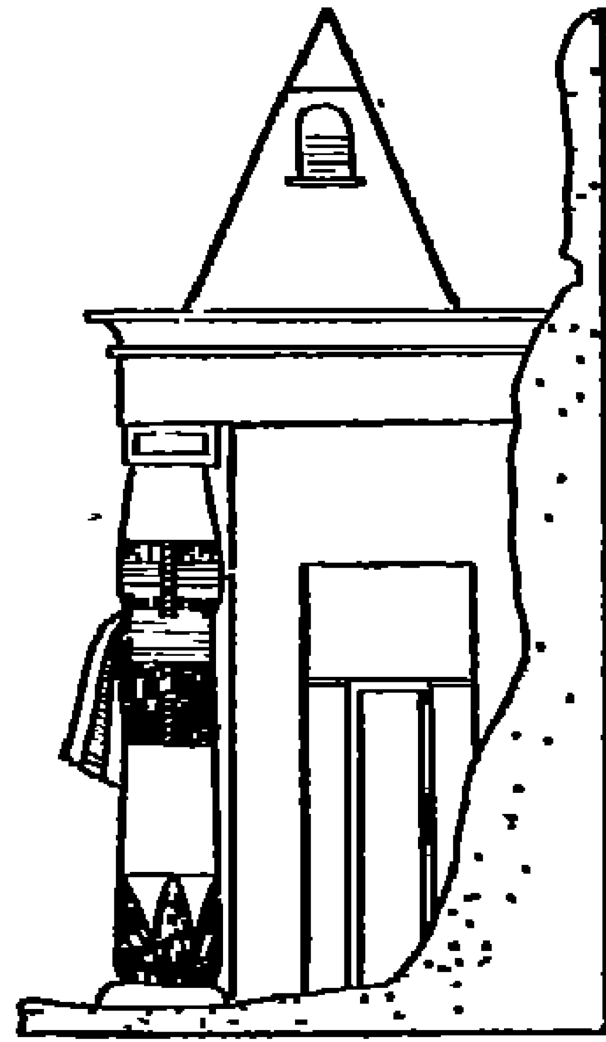
أصدر « إنينى » أمره بأن تقطع مقبرة سيده الملك فى صخر أحد جوانب هذا الوادى ، وأن يتوغلوا فى قلب الصخر . وكان المفروض أن يكون هذا المكان لحفظ الجثة فقط ، ويجب أن يغلق فيما بعد ولا يعرف أحد مكانه .

وربما كان وجود القمة الهرمية الطبيعية فوق جبال طيبة ، والتى تشرف على وادى الملوك ، سببا لاختيار هذا المكان ، لأنهم اعتبروها بديلا من الهرم.

ووصل حرصهم على إخفاء مكان القبر أنهم لم يقيموا أى نوع من المعابد أو الهياكل على مقربة منه ، فلم يبنوا معبدا جنازيا فى الناحية الشرقية من المدفن حتى لايدل وجوده على مكان القبر ، واختاروا له مكانا على حافة الأراضى المزروعة ، إلى الشرق من وادى الملوك ، ولكنه يبعد كيلو مترات كثيرة عن وادى الملوك وتفصله عنه صخور وتلال عالية .

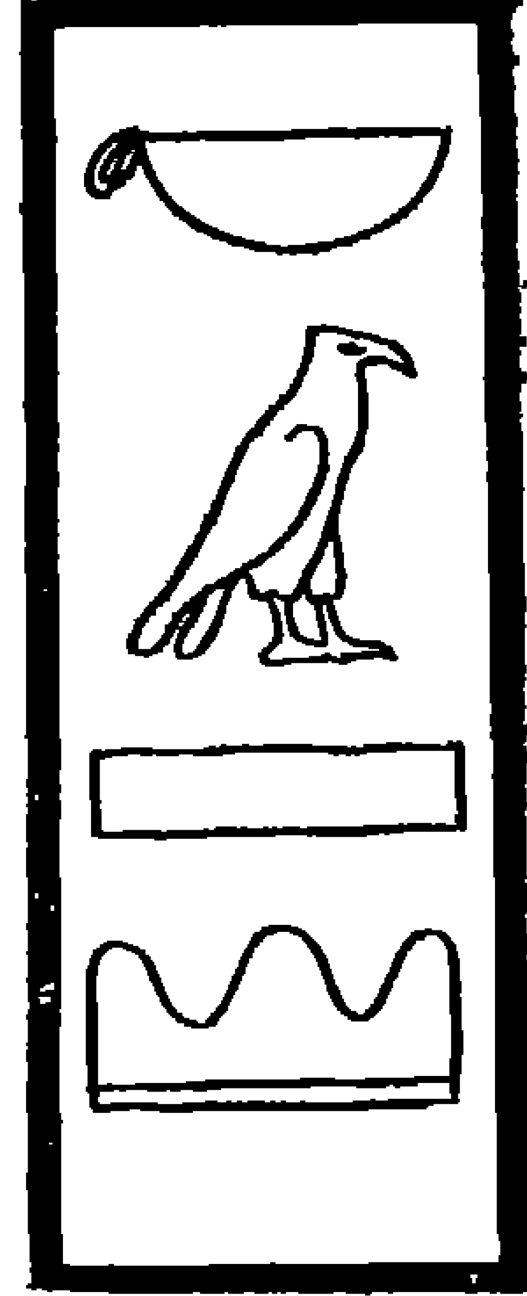
لقد تلقى المصريون درساً مفيدا من أيام الفوضى التى مرت على بلادهم ، وأدركوا أن تلك الأهرام المرتفعة التى بناها القدماء كانت خير مرشد للصوص المقابر عن الأماكن التى فيها كنوز الذهب والحلى ، وأن ذلك كان سببا فى سرقة أكثر أهرام الدولة القديمة ، ثم أهرام الدولة الوسطى ؛ إذ نهبوا محتوياتها ، وهشموا موميات الملوك الذين دفنوا فيها .

وبالرغم من أن الملوك أقلعوا عن بناء الأهرام لتكون مدافن لهم ، فإن الطراز الهرمى كان قد تأصل فى أذهان الشعب فظل الناس متعلقين به ، ولهذا نجد الكثيرين منهم يبنون أهراما صغيرة فوق مقابرهم ، يبنونها من اللبن ، وفوق قمتها هريم من الحجر (شكل رقم ١١٨) ، واكتفى آخرون بأن يضعوا فى مقابرهم لوحة جزؤها العلوى هرمى الشكل .



(شكل رقم ١١٨)
رسم مصرى قديم لقبر فى طيبة يعلوه هرم صغير من الطوب وفوقه هريم من الحجر .

١٢



الخاتمة فى جنوب الوادى

وعلى الرغم من أن التقليد الذى كان يحتم تشييد الأهرام كمدافن للملوك لم يعد له وجود بعد انتهاء أيام الدولة الوسطى ، فقد قدر لهذا التقليد أن يعود إلى الحياة مرة أخرى ، ولكنه لم يعد فى الدلتا ، أو فى الصعيد ، ولكن فى جنوب الوادى فى شمال السودان ، تحت حكم ملوك « نبتا » . أى فى أيام الأسرة الخامسة والعشرين (حوالى ٧٠٠ ق . م .) .

اتصلت العلاقات الثقافية بين مصر والسودان ، منذ أوائل أيام التاريخ المصرى ، وكان لكل ما يحدث فى الشمال صدى فى الجنوب ، وفى أيام الازدهار كان ملوك مصر يرسلون البعثات إلى السودان .

ومن حين لآخر ، كانت بعض القبائل الأفريقية تهاجم حدود مصر الجنوبية ، وكان الفراعنة يجدون أنفسهم مضطرين لإرسال حملات حربية لتأديب المغيرين ، وإعادة الأمن إلى الحدود . وعلى أى حال فمنذ بداية الأسرة الثامنة عشرة جمعت بين مصر والسودان وحدة ثقافية وسياسية ، وكانت المعابد المصرية تبنى فى جميع أرجاء السودان الشمالى حتى وصلت

إلى ما بعد « شندى » ، أى على مقربة من الخرطوم . وكان السودانيون يعبدون الآلهة المصرية وقبلوا الكثير من العادات والتقاليد المصرية .

وعلى جدران الكثير من مقابر الأشخاص فى غربى طيبة نرى مناظر تقديم جزية أهل الجنوب ، ونستطيع أن نرى فيها أن الحياة فى بعض مدن السودان لم تكن حياة بدائية متأخرة ، بل كان فيها تقدم ثقافى ، وأن بعض الصناعات المحلية وصلت إلى مستوى رفيع .

نرى مثلا فى مقبرة « حوى » — حاكم بلاد كوش فى أيام الملك « توت عنخ أمون » — جزءا من جزية الجنوب ، ومن بينها عربات وأسلحة وأثاث ، وما كانت تخرجه أيدى صناع الذهب المهرة ، كما نجد فى هذه المقبرة أيضاً صورة واضحة لتأثير المدنية المصرية فى منظر آخر ، وهو منظر موكب ملكة كوش وهى تركب عربتها التى تجرها الثيران .

ونجد فى رسم بعض القطع الفنية على جدران المقبرة نفسها ما يثبت حبهم للشكل الهرمى بوجه عام ، ولا شك أن هذا التأثير أتى من الشمال .

وفى نهاية الأسرة العشرين أصبح لكهنة طيبة السلطة المطلقة على سير السياسة المصرية عندما أعلن « حريحور » الكاهن الأكبر للإله « أمون — رع » نفسه ملكاً على مصر . ولا شك أن الكهنة فى السودان كانوا يتوسعون أيضاً فى بسط نفوذهم وتوسيعه فى ذلك الوقت .

فمنذ أيام الأسرة الثامنة عشرة أصبح التل المخروطى الشكل المعروف الآن باسم « جبل برقل » على مقربة من الشلال الرابع ، مكاناً مقدساً ، وأقاموا عند سفحه المعابد للإله « أمون — رع » . وأصبحت مدينة « نبتا » التى نشأت عند قاعدة هذا الجبل المقدس مستقر نائب الملك فى كوش وعاصمة المنطقة . وعلى مسافة غير بعيدة من المعبد الكبير للإله « أمون — رع » بنوا القصور التى عاش فيها كبار الكهنة ، فلا غرو إذن أنه عندما أحاق الخطر بمصر واضطر كهنة طيبة أن يتركوا السلطة

لأعدائهم وجدوا ملجأ لهم بين كهنة جنوب الوادى . وتعرضت مصر أخيراً للمذلة عندما غزاها الأجانب ، وعند ذلك أعلن كهنة « نبتا » أنفسهم حكاماً ، لا لبلاد « كوش » فحسب ، بل حكاماً لطيبة أيضاً . واعتبروا معابد « أمون — رع » فى الكرنك موطنهم الروحى . وكان أولئك الحكام يعبدون بطبيعة الحال ، الإله « أمون — رع » ويتكلمون اللغة المصرية ، ويبنون مبانيهم على الطراز المصرى ، ويزخرفون جدرانها بالرسوم والكتابة المصرية .

وأول اسم حفظته لنا وثائق هذا البيت المالك ونعرف أنه جلس على العرش وادعى أنه ملك مصر كلها هو « ألارا » ، ثم خلفه على العرش ابنه « كاشتا » .

وأخذ « كاشتا » يعد العدة ليمد سلطانه على الشمال ، ولكنه لم يخط خطوة عملية فى هذا السبيل ، وترك لخليفته « پيعنخى » هذا الواجب ، وبقى « پيعنخى » السنوات العشرين الأولى من حكمه فى « نبتا » قانعاً بصلاته الودية مع الطيبيين .

لم تكن مصر فى ذلك الوقت خاضعة لسلطة مركزية واحدة ، ولهذا بدأ أحد ملوك الدلتا ، واسمه « تاف — نخت » يشن الحرب ضد أمراء الصعيد ، ولما بدأ يحتك بطيبة ويهددها أرسل الطيبيون إلى « پيعنخى » يطلبون مساعدته فأرسل إليهم جيشا اصطدم بالغزاة ووقعت بينهما الحروب فى مصر الوسطى .

وأخيراً تمكنت جيوش السودانيين من هزيمة جيوش الشمال ولكنها فشلت فى احتــلال حصنهم فى الأشمونين التى كان يملكها أمير من الحلفاء الموالين للملك « تاف — نخت » . وعاد « تاف — نخت » إلى الشمال ، وأخذ يعد العدة لتجهيز جيش آخر . فلما وصلت هذه الأخبار إلى

« پيعنخى » تملكه الغضب وقرر أن يذهب بنفسه على رأس جيش جديد . وفعل ذلك وخاض معارك كثيرة ، وأخيراً تمكن من إخضاع كل مقاومة ، ونقرأ تفاصيل هذه المعارك على لوحته الشهيرة المعروفة باسم لوحة النصر التى أقامها « پيعنخى » فى معبد « أمون رع » فى « نبتا » ولكنها توجد الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة .

وبالرغم من أن « پيعنخى » كان محارباً عظيما وفارسا كريم الخلق ، فإنه كان ينقصه الكثير فى مقدرته السياسية والإدارية . فبعد أن هزم منافسه ودانت له البلاد قرر فجأة ترك مصر والعودة إلى « نبتا » ، ولم يظهر فى المدة التى بقيت من حياته أى رغبة فى العودة إلى مصر .

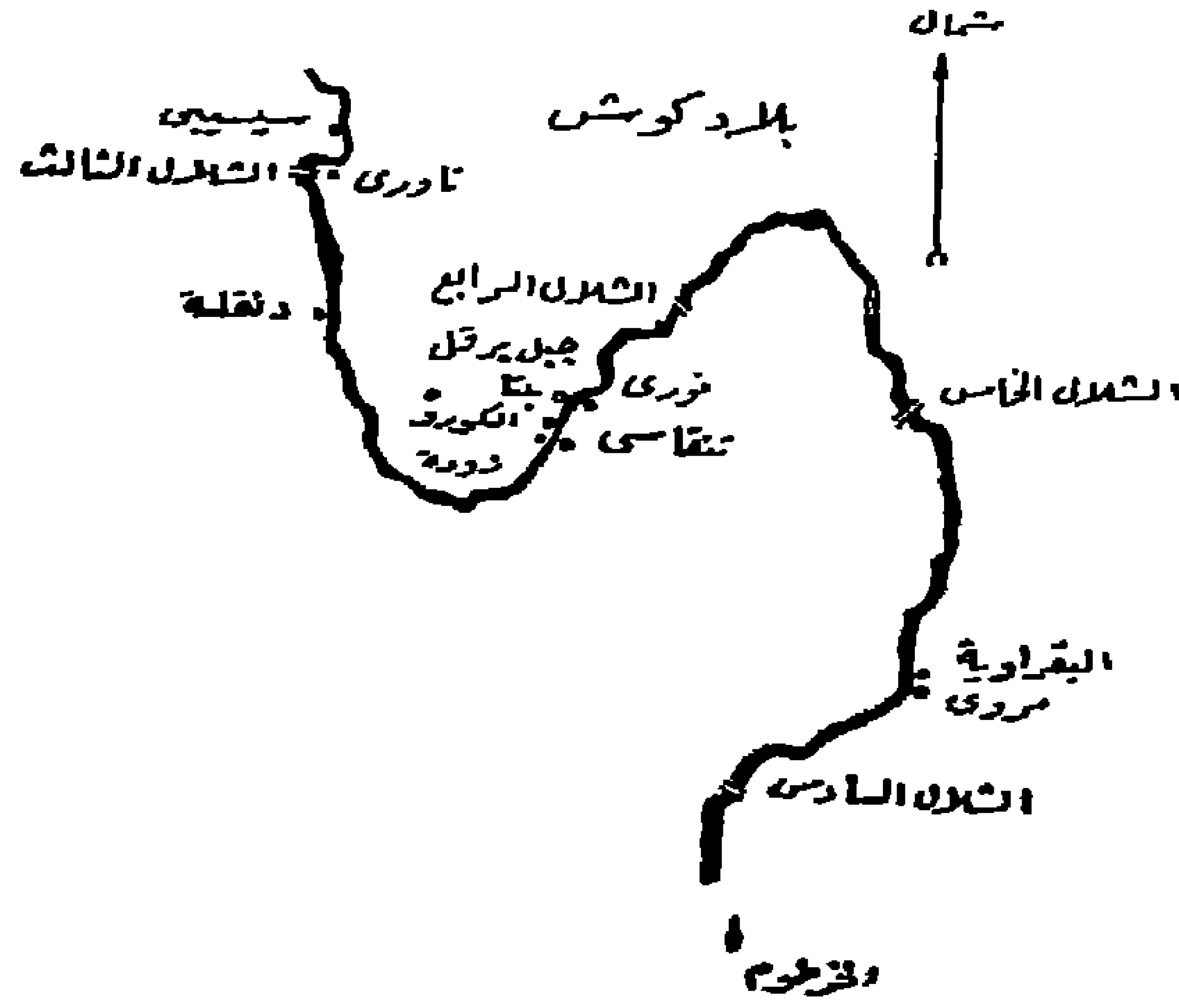
وعندما كان فى مصر ، وزار منف وأقام فيها بعض الزمن ، أعجب بالأهرام ، ولهذا قرر أن يدفن فى مقبرة شبيهة بمقابر فراعنة مصر العظام فى العصور الماضية . وعند تشييد هرم له لم يحاول أن يجعله صورة من تلك الأهرام الفخمة الشاهقة التى كانت فى جبانة منف ،ولكنه اتخذ نموذجاً له ماكان فى جبانة طيبة ، فى الجهة الغربية من النيل تجاه معبد « أمون — رع » ، وكان يوجد هذا النوع من الأهرام الصغيرة فوق مقابرالدولة الحديثة فى النوبة نفسها(١) .

وأهرام السودان لا تقتصر — كما كانت الحال فى مصر — على الملوك والملكات ، ولكن الكثير منها كان يبنى أيضاً كمدافن للأمراء والأميرات من أعضاء البيت المالك .

---

(١) L. Woolley, " *The Eckley B. Coxe Expedition* " in *Pennsylvania University Museum Journal*, I (1910), 42 — 48; Porter and Moss, *Topographical Bibliography*, VII, 78.

ونجد جميع مناطق أهرام كوش فى منحنى النيل بين « نبتا » عند الشلال الثالث ومروى شمال الشلال السادس (شكل رقم ١١٩) .



(شكل رقم ١١٩) مناطق أهرام كوش

كانت المدافن الملكية فى كوش على نوعين : المصطبة ، ثم الهرم فيما بعد ، كما حدث فى مصر . ولكن أهرام جنوب الوادى اختلفت عن مثيلتها فى الشمال ؛ إذ كان لبعضها كساء خارجى سطحه أملس ، والبعض الآخر درجات صغيرة . لكن الأهرام ذات الدرجات فى السودان تختلف اختلافاً تاماً فى شكلها عن مثيلاتها المصرية : كان للأهرام المصرية ست أو ثمان درجات مثلا ، لكن السودانية كانت لها درجات كثيرة صغيرة ، كما كانت أيضاً صغيرة الحجم ، وزاوية ميلها كبيرة .

والأهرام الكوشية مبنية بالحجر الرملى ، وكانت مشيدة ككتلة صماء ، وكان للكثير منها كوة صغيرة فى الجزء العلوى منها ، ويحتمل أنه

كان فى كل كوة تمثال مثلما نرى فى اللوحات الهرمية التى يرجع تاريخها إلى أيام الدولة الحديثة .

وأقدم هرم فى السودان هو هرم « پيعنخى » الذى بناه فى الـ « كورّو » التى تبعد نحو ثمانية كيلو مترات جنوبى العاصمة « نبتا » . ولكن بعض من خلفوه فضلوا منطقة « نورى » على الضفة الأخرى من النيل ، حيث بنوا أهراماً لأنفسهم ولزوجاتهم وللأمراء والأميرات .

وعندما بدأت أسرة البطالمة حكمها فى مصر فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وبدأوا فى تقوية ملكهم وتوسيع سلطانهم ، نقل ملوك إثيوبيا (كوش) عاصمتهم إلى مروى فى الجنوب على مقربة من مدينة شندى التى تبعد ٢٠٩ كيلو مترات شمالى الخرطوم . وأصبحت مروى عاصمة للبلاد منذ حوالى ٣٠٠ قبل الميلاد حتى عام ٣٥٠ بعد مولد المسيح عندما غزاها الأكسوميون (الأحباش) وقضوا عليها . وخلال هذه المدة الطويلة التى استغرقت أكثر من ٦٥٠ سنة كان البيت المالك منقسماً على نفسه ، وأدت المنافسة المستمرة بين فروع هذه الأسرة إلى تغيير العاصمة مرتين من « مروى » إلى « نبتا » ، وهذا يفسر لنا وجود الكثير من الأهرام التى بنيت فى عصور متأخرة على مقربة من المدينة الأخيرة .

أهرام الكورو

توجد أهرام الكورو على الضفة الغربية من النيل ، وتشمل مقابر « پيعنخى » وأفراد أسرته[٢] ، وكلها تقريباً من طراز واحد فى بنائها . كانت النواة الداخلية فى الجزء الذى فوق سطح الأرض من كل هرم

---

(٢) من أراد معرفة تفاصيل وصف هذه الأهرام وما عثروا عليه فى داخلها فليرجع إلى كتاب : **Dows Dunham,** *El Kurru (Cambridge. Mass.,* **1950.**)

من الطين والرمل وأحجار هشة ، فجة ، صغيرة الحجم ، ثم بنوا حولها كساء من الحجر الرملى له درجات صغيرة فى جميع جهاته . أما المدفن فكان منحوتاً فى الصخر الطبيعى تحت الهرم ، ومدخله بعيد عن قاعدته ويبدأ بدرجات منحوتة فى الصخر توصل أخيراً إلى حجرة الدفن ، ويعيد هذا التصميم إلى أذهاننا مقابر الأسرتين الأولى والثانية فى مصر . ولبعض حجرات الجزء الواقع تحت سطح الأرض سقوف من نوع العقد ، وفى كل حجرة دفن صفّة مرتفعة من الصخر فى وسطها ، كانوا يضعون فوقها تابوت الميت .

وهياكل هذه الأهرام تبنى فى الجهة الجنوبية الشرقية من الهرم ، وهى صغيرة الحجم ولكن طرازها يجعلها تؤثر فى نفس الناظر إليها إذ كان لها پيلون فخم مرتفع نقشوا واجهته برسوم تمثل الملك كمحارب يهزم أعداءه ، أما جدران الهيكل فكانت مغطاة بالمناظر الدينية .

ومقبرة « پيعنخى » ، وهى أهم المقابر فى منطقة الكورو من وجهة النظر التاريخية ، خير ما يمثل هذه الاتجاهات كلها . ولكن مع الأسف فإن الهيكل وكل مبنى الهرم نفسه قد تهدما ، وربما كانت زاوية ميله حوالى ٦٨° ، وكان مدخل الهرم خلف الهيكل ويؤدى إلى نفق محفور فى الصخر فيه تسع عشرة درجة توصل إلى باب معقود . والجزء الأسفل من هذا الباب محفور فى الصخر ، أما جزؤه العلوى ، وكذلك العقد ، فإنهما مبنيان بكتل الحجر . وطول حجرة الدفن ٥,٠٥ أمتار ، وعرضها ٣,١٥ أمتار ، وكان سقفها من الطراز المكربل المتراجع — (Corbelled) ، وفى منتصفها تقريباً صفة مرتفعة من صخر الحجرة نحتوا فى كل ركن منها ثقباً ليثبتوا فيه — حسب ما كانت تقضى به العادة المحلية — سريراً من الخشب . ولكن يلوح أن هذه الصفة كانت فى الواقع أشبه بقاعدة يضعون فوقها التابوت الذى كان يوضع فوق السرير الخشبى كما نشاهد

فى النقوش المصرية والمناظر الملونة ، وبعبارة أخرى كانت هذه القاعدة الحجرية هى التى تتحمل ثقل وزن المومياء وتابوتها .

وعندما كان « ريزنر » Reisner يقوم بحفائره فى هذه المنطقة عام ١٩١٨ وجد أن اللصوص قد نهبوا حجرة الدفن ، ومع ذلك عثر على بقايا أشياء عده فى الردم الذى كان فى داخلها ، وهى تدل دلالة واضحة على فخامة الأثاث الجنازى الذى كان مع مومياء هذا الملك .

لقد عثر على كثير من أوراق الذهب ، وعلى قطع من المرمر ، وعلى حليات من اللازورد والفيانس(*) المتعدد الألوان الذى كان مستخدماً لتطعيم بعض الأشياء التى كانت فى المقبرة ، وعلى أوان من المرمر والفخار وأخرى من البرنز والفضة .

وعثر أيضاً على عدد من التمائم الحسنة الصنع من الطراز الخاص بهذه الحضارة ، وعلى كثير من التماثيل الصغيرة المعروفة باسم « الأوشبتى » ، وكان المقصود منها أن تجيب عندما يطلب من الميت فى الحياة الأخرى أن يقوم بعمل شىء ، وكان عددها كبيراً ؛ لأن كل يوم من أيام السنة كان ممثلا بواحد منها ، كما كان لهؤلاء المجيبين أيضاً رؤساء .

وأهم ما عثر عليه « ريزنر » فى مقبرة « پيعنخى » منضدة « طاولة » فخمة من البرنز كانت تستخدم لتقديم الشراب ومعها بعض الآنية ، وكانت هذه المنضدة « الطاولة » عند العثور عليها ملتوية بعضها على بعض ، وانبعجت بعض أجزائها ، وقد نجح فنان متحف بوسطن فى إصلاحها وتقويمها وإعادتها إلى ما كانت عليه .

(*) Faience.

وهناك جبانتان فى الكورو ، إحداهما فى الجنوب عند قرية « زوما » على الضفة الشرقية من النيل ، وقد أخذ الأهالى هناك أحجار الكساء الخارجى للأهرام ليبنوا بها مقابرهم وقواعد السواقى فى حقولهم . ومن آن لآخر نجد خرائب أحد تلك الأهرام ذات الدرجات ، ولكن النواة الداخلية فى مبانيها باقية وهى من اللبن . وعلى الضفة الأخرى من النهر أمام « زوما » توجـد الجبانة الأخرى ويطلق عليها اسم « تنكاسى » أو « تنقاسى »(٣) .

أهرام جبل برقل

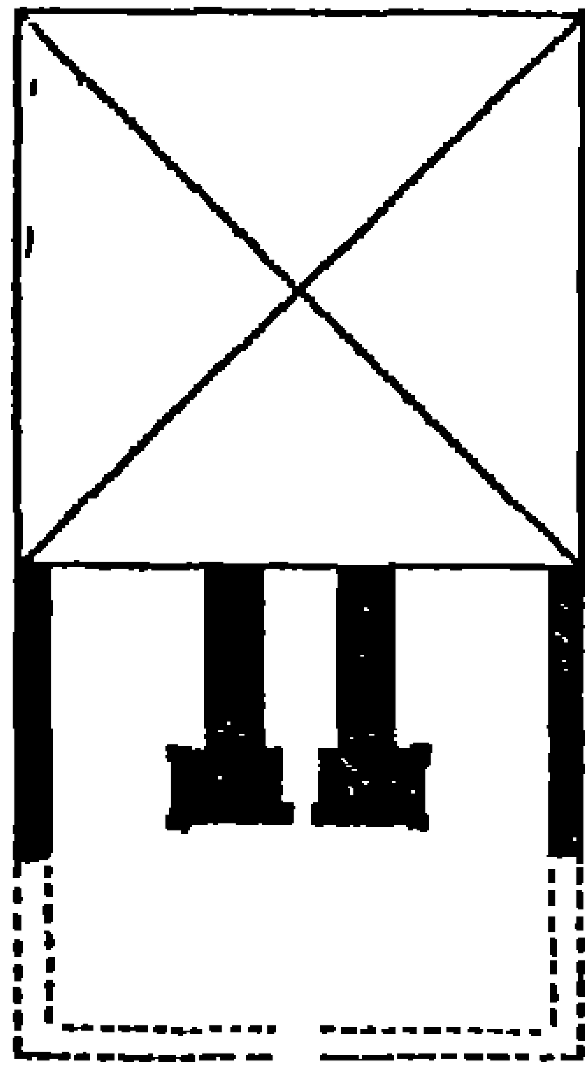
كان قدماء السودانيين يعتقدون أن ذلك الجبل المخروطى الشكل ، والمسطح القمة ، القريب من عاصمتهم القديمة « نبتا » هو المكان الذى اختاره الإله العظيم « أمون — رع » ليكون مسكناً له . ولهذا السبب أقاموا عدداً من المعابد الفخمة فى هذه المنطقة وأطلقوا قديماً على هذا الجبل اسم « دو — واعب » باللغة المصرية القديمة ، ومعناها الجبل المقدس أو الطاهر . وبنوا عدة مجموعات من الأهرام فى الوادى عند سفحه ، كما بنوا أهراماً أخرى فى أسفل الجبل نفسه على المرتفعات المحيطة به .

وتختلف الأهرام التى فى الوادى فى أحجامها ، فأطول أضلاع قاعدتها المربعـة تتراوح بين ٧,٢٥ من الأمتار و ١٩,٨٢ متراً ، وارتفاعها بين ١٠,٦٧ من الأمتار و ١٨,٣٠ متراً ، وكانت مبنية من الحجر الرملى وتشبه فى طراز مبانيها أهرام الكورو .

---

(٣) هذه المعلومات مستمدة من الأوصاف التى تركها لنا الرحالة الذين زاروا تلك المناطق فى القرن الماضى . وقد لفت نظرى صديقى وزميلى الدكتور « جون كونى » أن هذه الأكوام ليست بقايا أهرام ، وإنما هى مرتفعات أرضية فقط ، كما اتضح من حفائر مصلحة الآثار السودانية عام ١٩٥٣ .

وفى الجهة الجنوبية الشرقية من الهرم كانوا يبنون هيكلا ملتصقاً بواجهته ، وكثيراً ما كانوا يجعلون واجهته على هيئة پيلون وينقشون جدران واجهته (شكل رقم ١٢٠) . وقد تخرب معظم تلك الأهرام بعد زيارة الرحالة الفرنسى « فريدريك كايو F. Cailliaud » لها فى عام ١٨٢٠ وتسجيل صورها فى ذلك الوقت .

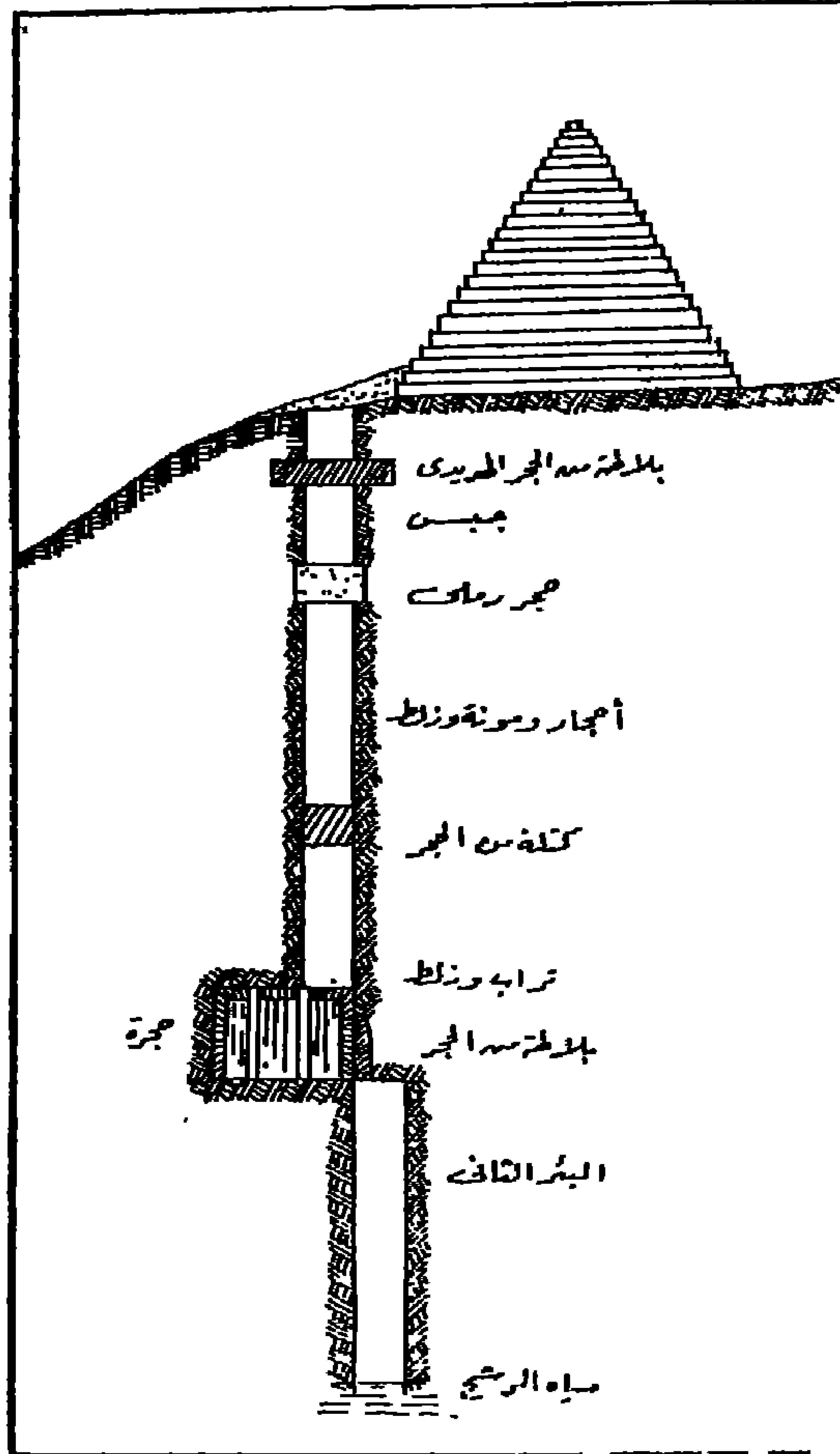


(شكل رقم ١٢٠)

الرسم التخطيطى لهرم وهيكله عند جبل برقل .

ولكن الجزء الواقع تحت سطح الأرض من هذه الأهرام يختلف عن مثيله فى أهرام الكورّو . فقد قام الأثرى البريطانى « بدج Budge » بفحص بعضها فى عام ١٨٩٧ واتضح من حفائره أن الوصول إلى حجرة الدفن كان عن طريق بئر رأسية بدلا من درجات السلم ، ويمثل شكل رقم ١٢١ واحداً منها . ففى الجهة الغربية من الهرم ، وقريباً جداً من قاعدته ، كانوا يحفرون فى الأرض الصخرية بئر المدفن . ونرى فى الرسم أنهم وضعوا على مسافة قليلة من فم البئر كتلة سميكة من الحجر الحديدى ، وكانت تحت هذا الحجر طبقة من المونة الجيرية ثم كتلة من الحجر الرملى ، وتحتها أحجار ومونة متماسكة ، ثم حجر آخر وتحته رديم . وأخيراً على عمق ١٨,٣٠ متراً تحت الكتلة الأولى من الحجر

الحديلى عثروا على ثلاث كتل من الحجر اتضح من فحصها أنها سقف لحجرة مستطيلة ، ولكن جدرانها وجوانب العمودين المربعين اللذين يحملان السقف عارية من الكتابة أو النقوش :



(شكل رقم ١٢١) مقطع لأحد أهرام جبل برقل وحجرة الدفن فيه
(نقلا عن تقرير بلج عن حفائره فى عام ١٨٩٧)

وفى الجهة الجنوبية الشرقية من هذه الحجرة وجد « بلج » دهليزاً قصيراً يوصل إلى حجرة مستطيلة أخرى ، فيها أعمدة مربعة أيضاً ،

وكانت هاتان الحجرتان مملوءتين تقريباً برمل أصفر ناعم . وفى الحجرة الثانية منهما عثر « بدج » على عظام شاة ، وعلى جزء من إناء من طراز الأسفورا مكتوب عليه باليونانية « نبيذ قبرصى » ويحتمل جداً أنها من بقايا إحدى المآدب الجنازية التى أقيمت تكريماً وقرباناً لصاحب القبر أثناء ملء البئر . وأثناء فحص الحجرة الثانية لاحظ من النقر على الجدران فى الحجرة الثانية أن صدى هذا النقر فى جهة منها يشير إلى أن وراءها مكانا فارغا ، وبعد تحريك حجر فى ذلك الجدار ظهرت حجرة صغيرة لها سقف مقبى ، وفى هذه الحجرة الأخيرة فتحة بئر رأسية تنزل إلى عمق ١٢٫٢٠ متراً ثم تبدأ فى الاتساع ، ولكن بعد نزول متر واحد وجد العمال أنفسهم يقفون فى الماء وأصبح التقدم فى العمل بعد ذلك متعذراً ، ولهذا تركوه دون أن يصلوا إلى حجرة الدفن[٤] .

أهرام نورى

ونجد أهرام « نورى » على الضفة الغربية من النيل وقد عنوا ببنائها أكثر من معظم الأهرام السودانية .

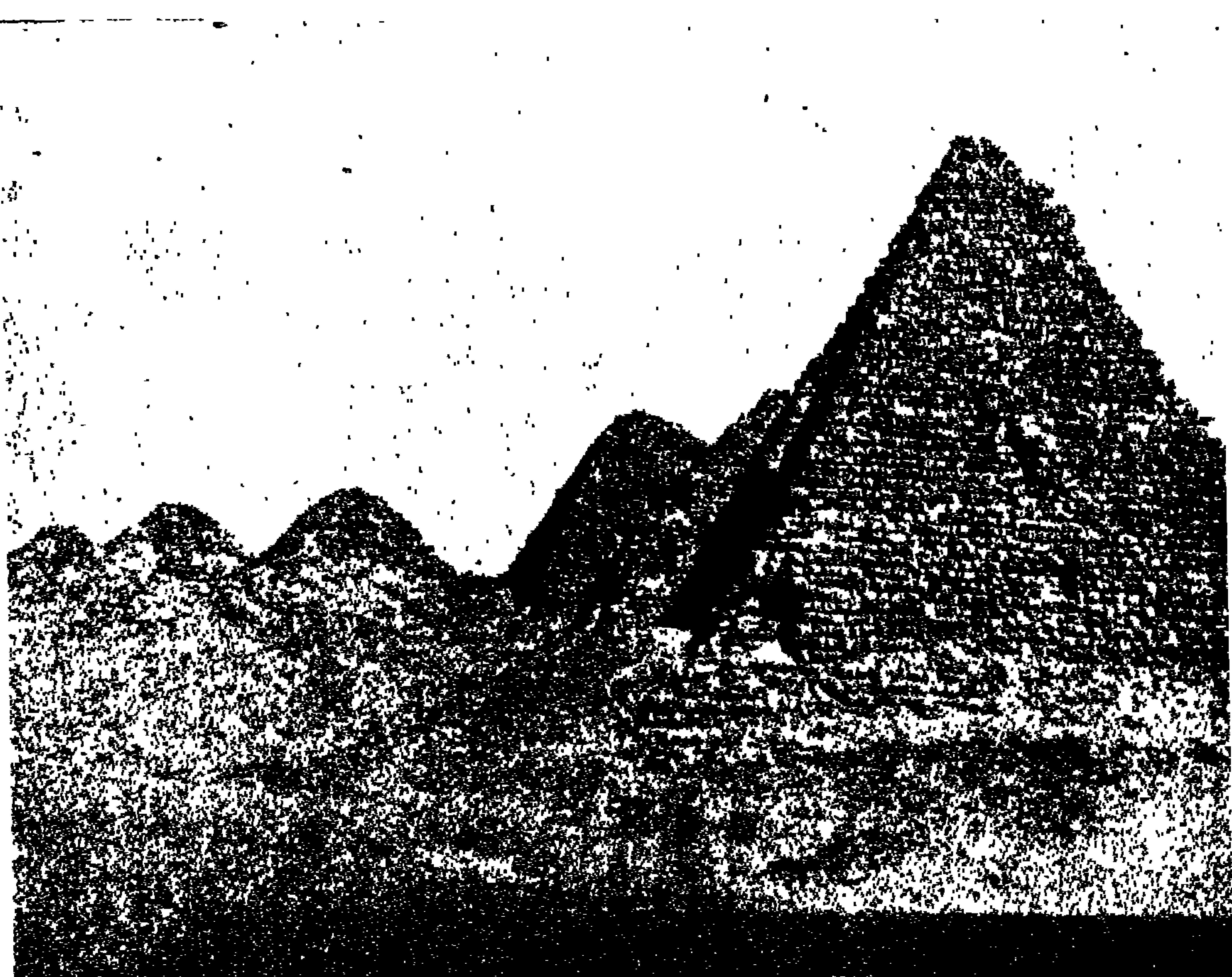
فالنواة الداخلية من مبنى الهرم تتكون من أحجار رملية منحوتة الجوانب ومرصوصة بعناية فى مداميك مستوية كأنما كانوا يقلدون فيها الأهرام العظيمة فى مصر (شكل رقم ١٢٢) . وبعضها ذو درجات ، والبعض الآخر له كساء خارجى أملس ، وكانت هذه العناية الكبيرة فى بنائها السبب الذى جعل « بدج » يعتقد أنها أقدم المقابر فى السودان[٥] ، ولكن البحوث التى قام بها الأثريون فيما بعد أثبتت أن ذلك غير صحيح .

---

(٤) E. A. W. Budge, *The Egyptian Ṣudan*, I, 169–74.

(٥) المرجع السابق صفحة ١٢٠ .

وفى هذه المنطقة أكثر من ستين هرما أكبرها جميعا هرم الملك « طهراقا » ؛ ذلك الملك الشهير الذى ورد اسمه فى التوراة[٦] ، وكان ابناً للملك « پيعنخى » ، وحاول الدفاع عن حدود مصر ضد أشور التى أخذت قوتها تزداد كثيرا فى ذلك الوقت.



(شكل رقم ١٢٢) أهرام نورى

(٦) الكتاب الثانى من الملوك – الأصحاح التاسع عشر . الآية ٩ .

ومبنى هرم « طهراقا » من أعظم ما أبقت عليه الأيام من أهرام السودان ، ويمكن الوصول إلى حجرة الدفن فيه عن طريق سلم ذى درجات تؤدى إلى دهليز وبعد حجرة الدفن الواسعة التى يحمل سقفها ستة أعمدة مربعة منحوتة فى صخر الجبل نفسه ، وهى تقسم الحجرة إلى ثلاثة أقسام ، فى الأوسط منها صفة حجرية ليستقر عليها السرير الخشبى المعد لوضع التابوت فوقه . وفى آخر حجرة الدفن يوجد باب وراءه بضع درجات تؤدى إلى دهليز يسير حول هذه الحجرة .

ونرى فى بعض أهرام « نورى » أن المعماريين القدماء جعلوا أركان البيلون(*) وبعض المعابد فى الآثار المصرية فى الشمال ، كما نجد الكساء الخارجى للبعض منها على هيئة درجات ، ولكنهم حرصوا على جعل أحجار الزوايا فى الواجهات الأربع مستوية مما زاد فى جمالها المعمارى . ولكل هرم منها هيكل مشيد فى الجهة الجنوبية الشرقية منه ، وكان بعضها فى حالة جيدة عندما رآها « كايو » فى عام ١٨٢٠ .

أهرام مروى

وعلى مقربة من خرائب مدينة مروى القديمة نجد أربع مناطق للأهرام ، يطلق عليها جميعا أهرام مروى ، وهى أقصى الأهرام السودانية فى الجنوب ، وهى أهرام ملوك وملكات المملكة المعروفة باسم جزيرة مروى (شكل رقم ١٢٣) وقد تخرب عدد منها على يدى « چوزيف فرلينى » Joseph Ferlini عندما قام بما سماه « الحفائر » فى عام ١٨٣٠ ، وكل معلوماتنا عن عمله مستمدة من تقاريره .

(*) البيلون هو مدخل المعابد المصرية وكان يتكون من صرحين مرتفعين بينهما الباب المؤدى إلى فناء المعبد .

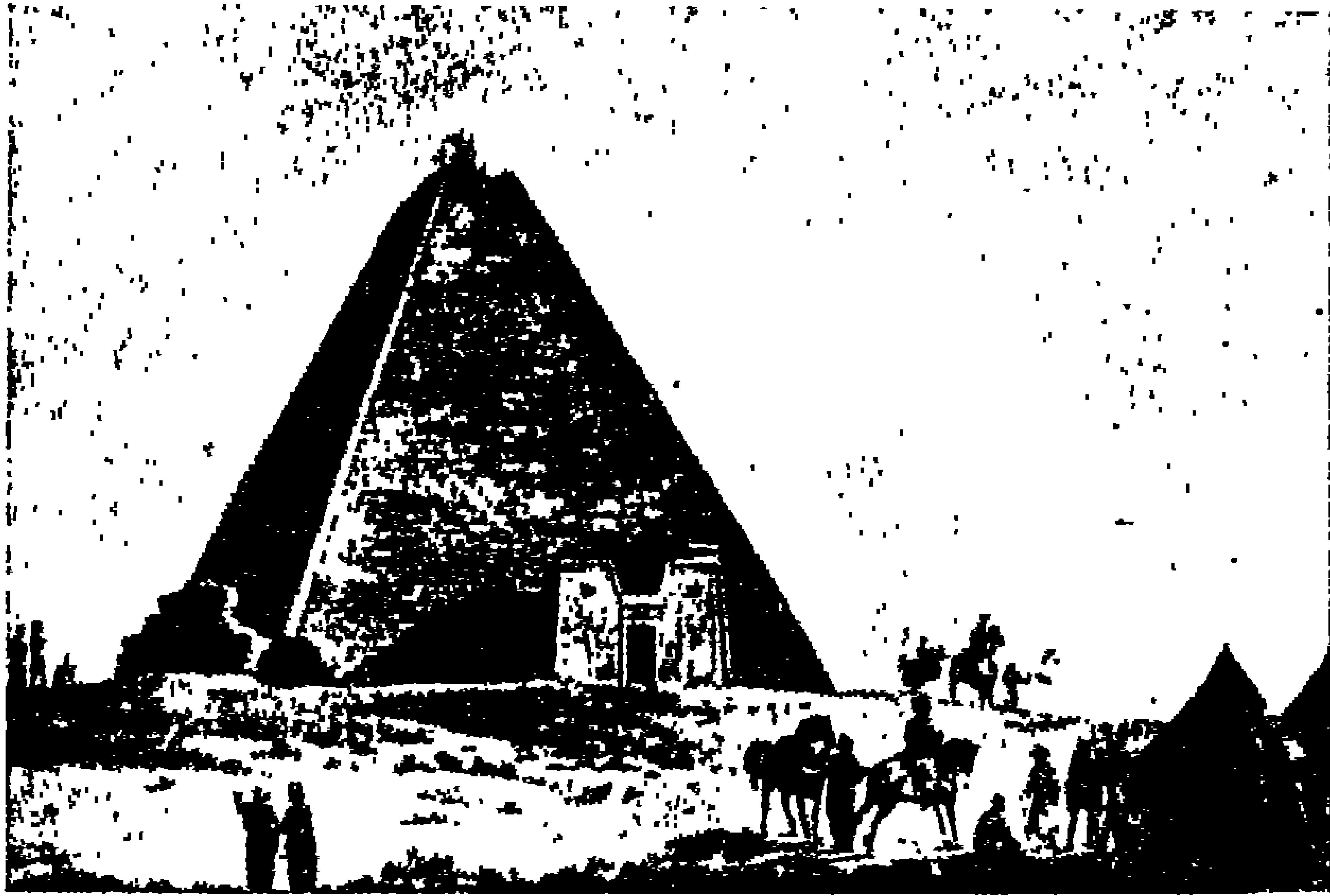


(شكل رقم ١٢٣) أهرام مروى كما كانت فى عام ١٨٢٠ .

كان « فرليني » إيطاليًا دخل فى خدمة الحكومة المصرية عام ١٨٣٠ كطبيب فى الجيش ، وقد رأى الآثار القديمة عند عمله مع الجيش المصرى فى السودان فى ذلك الوقت ، واعتقد اعتقاداً جازماً أن الأهرام تخفى فى داخلها كنوزاً عظيمة . ترك « فرليني » خدمة الحكومة ووجد له شريكاً ألبانياً كان يعمل فى التجارة اسمه « أنطوان ستفانى » وبدأ الاثنان عملهما فى البحث عن الكنوز وحفرا فى عدة مواقع قديمة فى السودان ، وأخيراً اتجهت أنظارهما إلى أهرام « مروى » .

ولكن مما يؤسف له أن مقدار فكرتهما عن « الحفائر » أنهما كانا يهدمان الهرم كله إذا استقر رأيهما على فحصه ، وكان يساعدهما فى العمل ثلاثمائة من العمال الذين جمعاهم ، ولكنهما كانا يخشيانهم ولا يثقان بهم .

وفى الوقت الذى كان يشتغل فيه « فرلينى » بهدم أحد الأهرام كان « ستيفانى » يقوم بنفس الشىء فى هرم آخر ، وكان من ضحاياهما ذلك الهرم الجميل الشكل المنشور فى شكل رقم ١٢٤ ، وكان لإحدى ملكات السودان القدماء . أصدر « فرلينى » أمره إلى بعض عماله ليصعدوا إلى قمته ويبدأوا فى هدمه حجراً بعد حجر . ويقول « فرلينى » إنه بعد مضى فترة رأى خادمه الذى كان موضع ثقته ممدداً فوق أحجار الهرم ويمد يده إلى داخل فجوة فى ذلك المبنى ، ورأى العمال وهم يحاولون طرده وأخذ ما كان فى تلك الفجوة ، ولكن « فرلينى » وشريكه طرداهم . ويقول « فرلينى » إنه استمر فى بحوثه وعثر على حجرة فى داخل مبنى الهرم طولها حوالى ٢,١٣ متراً ، وعرضها ١,٥٢ متر .



(شكل رقم ١٢٤) أحد أهرامات مروى التى هدمها « فرلينى » عام ١٨٣٤ .

وفى وسط الحجرة عثر على ما سماه « مسو » (Masso) ، وربما كانت الصُفّة التى يضعون فوقها تابوت الميت ، ووجد أنها مغطاة بقماش أبيض تساقط إلى قطع صغيرة عند لمسه ، وكان تحت ذلك القماش نعش من الخشب تحته أوان . وعلى أرض الحجرة عثر على تمائم ، وتماثيل صغيرة للآلهة ، وإناء كحل من المعدن ، وعلى عدد من الأدوات ، وعلى عقود من الذهب مطعمة بالزجاج ، والحجر ، وعجائن ملونة ، لتقليد الأحجار نصف الكريمة .

جمع « فرلينى » الأشياء الثمينة التى وجدها ووضعها فى شنط من الجلد وعاد إلى المعسكر . ولكن « ستيفانى » طلب منه أن يعود فى الحال إلى المركز الرئيسى لعملهما لأنه كان يخشى أن يقتلهما العمال ليسرقوا ذلك الكنز . ولكن « فرلينى » رفض ذلك ودفن ما عثر عليه فى الرمل تحت أرضية خيمته . وفى صباح اليوم التالى عاد إلى الهرم واستمر فى هدمه ، وفى وسطه عثر على حجرة صغيرة أو كوة فيها إناءان من البرونز فيهما أثر الفن اليونانى ، وفى حالة حفظ تامة . وتمكن « فرلينى » أخيراً من هدم الهرم بأكمله ، وعندما وصل إلى مستوى الأرض وجد أحجاراً كبيرة سوداء اللون ، ثم لاحظ بعد ذلك وجود الهيكل ، ولكنه اكتفى منه بكسر جزء صغير من بابه لكى يحصل على اسم صاحبة الهرم مكتوباً فى « خانة » ملكية .

وأخيراً عثر على مدخل الجزء الذى تحت سطح الأرض ، وكان فى خارج الهيكل ، واعتقد أنه على وشك العثور على كشف هام ، وحاول أن يصرف عماله ، ولكنهم رفضوا ترك المكان ، وجاءه أحد خدمه يخبره بأنهم يدبرون قتله هو وزميله ، فاستقر رأيهما على الهرب فى الليل ، وأخذا معهما ما وجداه من آثار .

هذه هي خلاصة ما قصه « فرليني » ، ولكن قوله بأنه عثر على « الكنز » في حجرة في مبنى الهرم نفسه أمر يدعو كثيراً إلى الشك ؛ وذلك لأن النواة الداخلية في مباني تلك الأهرام أفقر وأضعف من أن يكون فيها حجرة كالتي وصفها لأنها من الحصى والرديم .

ومن غير المعقول أن يكون الذين دفنوا الملكة في حجرة الدفن وضعوا حليها في مكان آخر يمكن الوصول إليه بسهولة ، إذ لم يعثر في أي هرم آخر على حلي في مثل هذه الكوة ، ولكن يوجد كثير من الأهرام وفي أعلاها كوة ليوضع فيها تمثال .

ومن الجائز أن ما عثر عليه « فرليني » إنما كان مما جمعه لصوص المقابر من حجرات الدفن في مقابر مختلفة وأخفوه في المكان الذي عُثر عليها فيه ثم تركوه هناك .

ويعتقد « بدج » أن « فرليني » اشترى تلك الحلي من قوص في محافظة قنا ، أو من مكان آخر حيث كان لصوص المقابر يعثرون في تلك الأيام على آثار كثيرة من العصر اليوناني — الروماني ، وإن القصة التي رواها لم تكن إلا خليطاً مما مرّ به من تجارب ، والقصص التي قصها عليه الباحثون عن الكنوز(٧) . ولكن الواقع هو أن ما جرى بعد ذلك من حفائر في السودان أثبت أن الآثار التي اكتشفها « فرليني » آثار سودانية الأصل ، ولهذا لا يوجد ما يدعو إلى الشك في هذه النقطة بالذات ، ولكن من المعروف أن تجار الآثار لا يفشون أبداً اسم المكان الذي أتت منه الآثار التي يعرضونها للبيع ؛ لأنهم يأملون دائماً أن يعودوا إلى المكان نفسه ، ويجدوا المزيد منها .

وأهرام مروى مشيدة في ثلاث مجموعات : شمالية ، وجنوبية ،

---

(٧) Budge, *The Egyptian Sudan*, I, 297—98.

وغربية . وما زال الكثير منها يحتفظ بالأجزاء العلوية من مبناه ، ولكن أكثرها أصبح كومة من الردم . وهى فى تصميمها العام شبيهة بأهرام الكورو ونورى ، وطول ضلع قاعدتها يتراوح بين ثمانية أمتار وأربعة عشر متراً ، وزاوية الميل بين ٦٥° و ٧٠° ، أما ارتفاعها فيختلف أيضاً ، وهى فى المتوسط بين ١٢ و ٢٠ متراً .

وجميع أهرام مروى مبنية بالحجر ما عدا الأهرام التى بنيت فى عهد اضمحلال المملكة المروية ، وهى الفترة التى تلت عام ٢٠٠ بعد الميلاد ؛ إذ كانوا يبنون الأهرام بالطوب النيئ ويطلون جوانبها بطبقة بيضاء من الملاط ، وقد قامت بعثة متحف بوسطن برئاسة « چورج ريزنر » بفحصها فحصاً علمياً منتظماً فى السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى ، وما تلاها من سنوات .

وبعد سقوط المملكة المروية عام ٢٥٠ ميلادية عمت أرجاء وادى النيل ديانة جديدة ومثل عليا جديدة ، ولم يعد المصريون يبنون أهراماً فى بلادهم ، ولكن قبل أن يتوقفوا عن بناء الأهرام بوقت طويل كان الشكل الهرمى قد وجد طريقه إلى كثير من الحضارات خارج مصر ، فى بلاد بعيدة فى آسيا وأوروبا وأفريقيا .

ونجد أهراماً فى القارة الأمريكية شيدتها الحضارات التى انتشرت فيها قبل أن يصل إليها خريستوف كولومب . ولكن هذا النوع لم يكن نتيجة لصلة أو إلهام أو تأثير من حضارة المصريين القدماء ، إذ أنها تختلف فى كثير من النواحى عن الأهرام المصرية ، كما أن الغالبية العظمى منها لا تحتوى على مقابر للدفن ، بل كان يقصد منها أن تكون مبانى مرتفعة عالية يصعدون إليها ليقدموا القرابين على مذابح فوق قمتها .

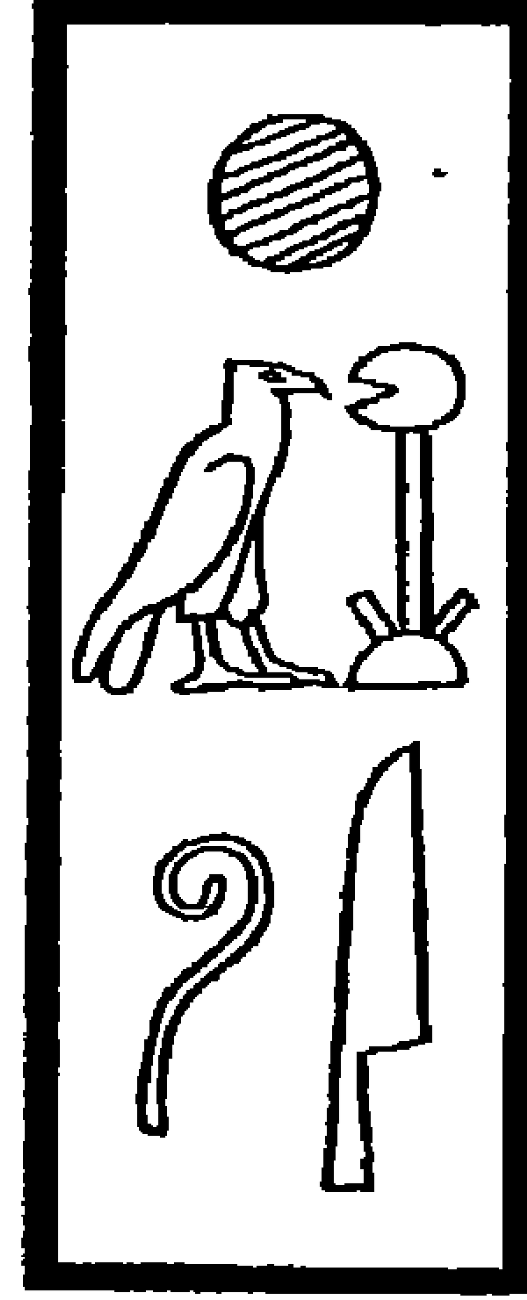
وما زلنا حتى اليوم لا نعرف تماماً كيف بنى المصريون أهرامهم

معرفة التأكد واليقين ، أو كيف تغلبوا على الصعاب الكثيرة التى يتطلبها نقل الكتل الضخمة من الأحجار التى استخدموها فى مبانيهم .

وما زال أمامنا أيضاً عمل كثير قبل أن نقول على وجه التأكيد : كم هو عدد الأهرامات التى توجد فى مصر ، أو أن نقدم وصفاً دقيقاً لكثير من المجموعات الهرمية التى لم تفحص إلا فحصاً جزئياً .

وأكثر من هذا وذاك فإن المشتغلين بالدراسات الأثرية لا يستطيعون القول إنهم يعرفون تماماً الغرض من الممرات والحجرات التى يجدونها فى مداخل الأهرام وفى معابدها ، أو أن يقولوا إذا كانت التغييرات الأساسية فى تصميم الأهرام أو فى بنائها كانت عن طريق المصادفة أم كانت عن قصد ولغرض خاص .

وهناك شىء واحد محقق ، وهو أنه كلما ازدادت معلوماتنا عن الأهرام ازداد إعجابنا بعلم ومهارة البنائين القدماء ، وإن كنا نرجو شيئاً فهو أملنا فى أن الاستكشافات الأثرية فى المستقبل ، والتقدم الملحوظ فى كثير من فروع العلوم ، سيحلان لنا كثيراً من المشاكل التى ما زالت تواجهنا حتى الآن فى هذا الموضوع .



ملحق

أهرام الملوك وأطول قواعدها

كانت الوحدة المستخدمة فى بناء الأهرام هى الذراع المصرية التى كانت مقسمة إلى سبع أكف (راحات اليد) ، وإلى ثمانٍ وعشرين إصبعا ؛ والذراع الرسمية هى الذراع الملكية وطولها ٢٠٫٦ من البوصة أى حوالى ٥٢ سم ، وكانت زاوية ميل الهرم بوجه عام بين ٥٠° و ٥٥° لأهرام الملوك ، ولكنها أكثر من ذلك فى أهرام الملكات . ويرجع اختيار زاوية الهرم إلى عوامل خاصة بفن البناء ، وقد ناقش هذا الموضوع المهندس الأثرى « لوير » فى بحث نشره منذ سنوات قريبة(*) .

ويجد القارئ فى هذا الجدول أبعاد قواعد الأهرام الهامة ، وهى بالأقدام إلى أقرب قدم ، لسهولة مقارنة أحجامها . ومن كان يفضل الحساب المترى ، فإن قاعدة تحويل الأقدام إلى أمتار هى أن كل ثلاث أقدام (أى ياردة

(*) J. P. Lauer " *Sur le choix de l'angle de pente dans les Pyramides d'Egypt,* " *Bulletin de L'Institut d'Egypte,* XXXVII (1956) 57—66.

واحدة) = ٠٫٩١٤٣٩٩ من المتر ، علماً بأن أكثر المقاييس فى صلب الكتاب مذكورة بالمتر .

العصر العتيق :

الأسرتان الأولى والثانية (٣٢٠٠ — ٢٧٨٠ ق . م) . لم تبن فى هذا العصر إلا المصاطب فقط ، ولم يحاول المصريون بناء أهرام لدفن ملوكهم .

الدولة القـــديمة

الأسرة الثالثة (٢٧٨٠ — ٢٦٨٠ ق . م .)

زوسر	سقارة	هرم مدرج	٤١١ × ٣٥٨
سخم خت	سقارة	هرم مدرج ناقص	٤٠٠
خع با	زاوية العريان	هرم ذو طبقات	٢٧٦
نب كا	زاوية العريان	هرم ناقص — لم يشـيد الجزء الذى فوق سطح الأرض	٥٩٠ × ٦٥٦
حو (حونى)	ميدوم	هرم مدرج ملأوا جوانبه فيما بعد	٤٧٣

الأهرام الثلاثة التى لم يعرف أحد حتى الآن أسماء من شيدوها

هرم رقم ١	سيلا		٧٤ +
هرم رقم ٢	زاوية الأموات		
هرم رقم ٣	الكولة		٦١

الأسرة الرابعة (٢٦٨٠ — ٢٥٦٠ ق . م .)

سنفرو	دهشور	الهرم الجنوبى (الهرم المنحنى)	٦١٩
سنفرو	دهشور	الهرم الشمالى	٧٢٢
خوفو	الجيزة	الهرم الأكبر	٧٥٦
رع — ددف	أبو رواش		٣٢٠
خفرع	الجيزة	الهرم الثانى	٧٠٨
منكاوو — رع	الجيزة	الهرم الثالث	٣٥٦

الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق . م .)

أوسركاف	سقارة		٢٣١
ساحورع	أبو صير		٢٥٧
نفراركارع	أبو صير		٣٦٠
نفرف — رع	أبو صير		١٩٧
توسر — رع	أبو صير		٢٧٤
إسيسى	سقارة الجنوبية		٢٧٠
أوناس	سقارة		٢٢٠

الأسرة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٨٠ ق . م .)

تتى	سقارة		٢١٠
پپى الأول	سقارة الجنوبية		٢٥٠
مرنرع	سقارة الجنوبية		٢٦٣
پپى الثانى	سقارة الجنوبية		٢٤٥

عصر الفترة الأولى

الأسرة الثامنة (٢٢٨٠ – ٢٢٤٢ ق . م .)

إبى	سقارة الجنوبية		١٠٣

الأسرتان التاسعة والعاشرة (حوالى ٢٢٤٢ – ٢٠٥٢ ق . م .)

خوى	دارا فى مصر الوسطى		حوالى ٢٤٥

الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشرة (حوالى ٢٢٣٤ – ١٩٩١ ق . م .)

نب حبت رع – منتوحوتب الثانى	الدير البحرى		٧٠

الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ – ١٧٧٨ ق . م .)

أمنمحات الأول	اللشت		٢٧٦
سنوسرت الأول	اللشت		٣٥٢
أمنمحات الثانى	دهشور		٢٦٣
سنوسرت الثانى	اللاهون		٣٤٧
سنوسرت الثالث	دهشور		٣٥٠
أمنمحات الثالث	هوارة		٣٣٤
أمنمحات الثالث	دهشور		٣٤٢

الأسرة الثالثة عشرة (١٧٧٨ — ١٦٢٥ ق . م .)

خنجر	سقارة القبلية		١٧٢
ملك غير معروف الاسم	سقارة القبلية		٣٠٠
ملك غير معروف الاسم	مزغونة	الهرم الشمالى	
ملك غير معروف الاسم	مزغونة	الهرم الجنوبى	١٨٢

الدولة الحديثة

لم يبنوا أهراما لملوكهم ، وكان بعض الأفراد يبنون هرما من الطين فوق مقبرتهم المنحوتة فى الصخر .

العصر المتأخر

الأسرة الخامسة والعشرون (٧٥١ — ٦٥٦ ق . م .)

پيعنخى	الكورو بالسودان		٢٦



(خريطة رقم ١) القطر المصرى

(خريطة رقم ٢) مناطق الأهرامات فى جبانة منف والفيوم

(٢٤)

فهارس الكتاب

ا ـ أعلام

(ا)

(ح)

(خ)

(د)

ب ـ أماكن

جـ ـ عام

(ا)

(ب)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

هذا الكتاب

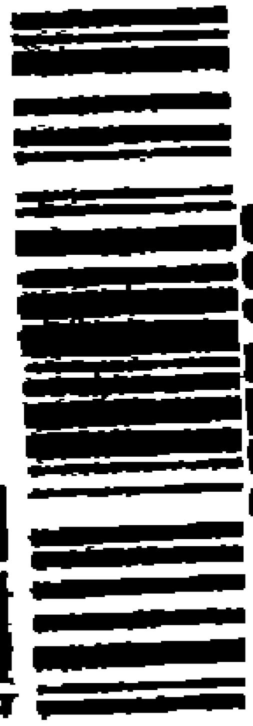
لقد اكتشف فى مصر حتى الآن نحو سبعين هرما ، ومن الصعب تقدير عدد الأهرامات التى يمكن أن تكون مدفونة تحت الرمال لم تصل إليها أيدى الباحثين بعد .
وهذا الكتاب لايتناول أهرام الجيزة فحسب ، وإنما يعالج الأهرامات جميعها ، مايوجد منها فى الجيزة ، وما يوجد منها فى جبانة منف ، وأبى رواش ، وزاوية العريان ، وأبى صير وغير ذلك من المناطق الأثرية الشهيرة . وهو يعالجها معالجة دراية وخبرة تقدمها إلى القراء لا باعتبارها مجرد مبان شاهقة ، عزت على الزمن ، تمثل فنا هندسيا قديما ، ضاربا فى القدم ، وإنما تقدم كذلك الفكرة التى تسكن وراءها ، والفلسفة التى تظاهرها فى وضوح رائع ، دون إطالة تبعث السآمة والملل فى نفس القارىء غير المتخصص ، ودون تورط فى معالجة موضوعات دينية خلافية تحيد بالكتاب عن الغرض الأصلى من تأليفه .

وإنى لعلى يقين من أن هذا الكتاب سوف يترجم إلى عدد لاحصر له من اللغات ، وسيكون المرجع الأول لكل من تجذبه آثارنا الخالدة ، وعلى رأسها الأهرام ، فيزور بلادنا ، ويجد أن دليله فى هذه الزيارة ليس مجرد مرشد سياحى ، أو ترجمان وإنما عالم متخصص من الطراز الأول .

من تصدير

حسن جلال العروسى





الثمن ٥٥ قرشاً سنة ١٩٦٣